

إِمْتِلَاحُ الْأَسْمَاءِ

بِمَا لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَمْوَالِ
وَالْخَفَةِ وَالْمَتَاعِ

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النيسي

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ،
وصلّى الله على نبينا محمد الذي منّ به على عباده المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وأرسله
بالشرع العام ، إلى جميع الأنام ليكون رحمة للعالمين ، ونجاة لمن اتبعه من خزي الدنيا وليكون
في الآخرة من الفائزين ، فبلّغ ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ،
وأعد لجهاد أعداء الله تعالى الأسلحة والعتاد ، وارتبط في سبيل الله عز وجل المسوومة الجياد ،
لمحاربة من حادّ الله ورسوله بنفسه تارة ، وندب لهم آونة من صحابته من رضيه لذلك
واختاره ، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين .

اللهم صل عليه من نبي كان يأكل الطيبات من الطعام ، وينكح المبرات من العيوب والآثام ،
ويستخدم الموالى من الأرقاء والأحرار ، ويصرفهم في مهنته ومهماته الجليلات الأقدار ،
ويركب البغلة الرائعة ويلبس الحبرة والقباء^(١) ، ويمشي منتعلا وحافياً من مسجده إلى نحو
قباء^(٢) ، ويدخر لأهله مما أفاء الله عليه أقوات سنة كاملة ، ويجعلها تحت أيديهم محرزة
حاصلة ، ويؤثر بقوته وثوبه أهل الحاجة والمساكين ، ثقة منه بخير الرازيين ، اللهم وابعته
مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومتبعيه إلى يوم الدين
يا رب العالمين .

وبعد ، فغير جميل بمن تصدر للتدريس والإفتاء ، وجلس للحكم بين الناس وفصل القضاء ،
أن يجهل من أحوال رسول الله ﷺ ونسبه وجميل سيرته ورفيع منصبه ، وما كان له من الأمور
الذاتية والعرضية ما لا غنى^(٣) لمن صدقه وآمن به عن معرفته ، ولا بد لكل من اتسم بالعلم
من درايته ، فقد أدركنا وعاصرنا وصحبنا ورأينا كثيراً منهم [وهم]^(٤) عن هذا النبأ العظيم
معرضون ، ولهذا النوع الشريف من العلم تاركون ، وبه جاهلون ، فجمعت في هذا المختصر
من أحوال رسول الله ﷺ جملة أرجو أن تكون إن شاء الله كافية ، ولمن وفقه - سبحانه - من

(١) الحبرة : بُردٌ يمان ، مخطط . والقباء : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

(٢) قباء : هي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٤٢)

(٣) في (خ) غنا .. بالألف .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

داء الجهل شافية ، التقط كتاباً جامعاً وباباً من أمهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، [يحده ^(١)] ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولأغراض المنافسين ، ومع عرضه عقله الكدود ^(٢) على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذة ^(٣) وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة ، ومع ذلك فقد سميت به إمتاع الأسماع بما للرسول من الأتباء والأحوال والحفدة والمتاع ، عليه السلام ، والله أسأل التوفيق لديمة ^(٤) العمل بالمنة ، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم في بحبوحة الجنة ، بمنه وكرمه .

* * *

-
- (١) هكذا بالأصل ، والأولى حذفها ليستقيم السياق ، أو لعلها (يحده) بالجيم المعجمة وقد أصابها تصحيف .
 (٢) الكدود : الرجل لا يُنال خيره إلا بِعُسْر . (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٧٩) .
 (٣) الجهابذة : جمع جَهْبَاز ، وهو التَّفَادُ الخير بغوامض الأمور (المرجع السابق ج ١ ص ١٤١) .
 (٤) الدِّيمَةُ : المطر يطول زمانه في سكون (المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٥) ، في حديث عائشة ، ومثلت عن عمل رسول الله ﷺ وعبادته فقالت : كان عمله ديمة (النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٧) ، (البخاري في الصوم ، باب هل يخص شيئاً من الأيام) .

أسماءه وكناه وألقابه

هو سيد ولد آدم أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، وأبو قُثم^(١) ، وأبو الأراميل :
(محمد رسول الله ﷺ)^(٢) وأحمد ، والمأحي^(٣) ، والحاشر^(٤) ، والعاقب^(٥) ،
والمقفي ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم^(٦) .

نسب أبيه

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن
مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . (وهو قريش على الصحيح)^(٧) ، ابن
مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان^(٨) ، النبي المصطفى ، والرسول المجتبي ، خيرة رب العالمين ، وخاتم
النبيين ، وإمام المتقين ، وسيد المرسلين ، ﷺ^(٩) .

(١) القُثم : بمعنى الإعطاء ، يقال للرجل الجموع للخير تقوم وقثم (تلقيح فهوهم أهل الأثر لابن الجوزي
ص ٩) .

(٢) يياض في (خ) .

(٣) وأما المأحي فإن الله محاً به سيئات من اتبعه (ابن سعد ج ١ ص ١٠٥) .

(٤) فأما حاشر فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد (المرجع السابق) .

(٥) وأما العاقب فإنه عقب الأنبياء . (المرجع السابق) .

(٦) يعني نبي القتال ، وهو كقوله الآخر : « بُعثت بالسيف » ، والملاحمة : الحرب وموضع القتال ، جمع
ملاحم (النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٢٤٠) ، وسيأتي فصل خاص بأسمائه ﷺ .

(٧) وإلى فهر جماع قريش ، وما كان فوق فهر فليس يقال له قرشي ، يقال له كناني (ابن سعد ج ١
ص ٥٥) .

(٨) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم بغير شك ، غير أن أهل النسب يختلفون في الأسماء ما بين عدنان
وإسماعيل ، وربما جرى منهم في أكثر الأسماء تصحيف أو اختلاف (تلقيح فهوهم أهل الأثر لابن الجوزي
ص ٨) .

(٩) ورد أن نسب النبي ﷺ ، أنه : « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ومناف
أعظم أصنامهم ، وبه سُمي عبد مناف ، واسمه المعتق بن قُصي ، وهو مجتمّع ، واسمه زيد بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُر بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيدار =

نسب أمه

أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب^(١)، حملت به في شعب أبي طالب^(٢) (وقيل عند الجمرة الكبرى، وقيل الوسطى) في ليلة رجب ليلة الجمعة^(٣)، وقيل حملت به في أيام التشريق.

مولده صلى الله عليه وسلم

ولد محمد ﷺ بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف، من شعب بني هاشم، يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل لليلتين خلتا منه؛ وقيل وُلد في ثالثة؛ وقيل في عاشرة؛ وقيل في ثامنة؛ وقيل ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر، وقد شذَّب ذلك الزبير بن بكار، إلا أنه موافق لقوله: إن أمه ﷺ حملت به أيام التشريق، فيكون حملها مدة تسعة أشهر على

= ابن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر، وهو تارح بن ناحور بن أسرع بن أرغوي بن والغ بن شاخ بن أركشد بن سام بن نوح بن لمد بن المتوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، ابن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث، وهو هبة الله بن آدم المصطفى عليه السلام وعلى جميع الأنبياء. فهذا نسب النبي ﷺ، وقد اختلف في أسماء الرجال من فوق عدنان، فزاد بعضهم، ونقص، وقدموا، وأخروا، والله أعلم بالصحيح.

(التعريف في الأنساب والتنويه للنوي الأحساب) ص ٣٦.

(١) ابن لؤي بن غالب بن فهر، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً. وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً (ابن هشام ج ١ ص ٢٩٢).

(٢) ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقول: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً. ورأى حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام. (ابن هشام ج ١ ص ٢٩٣).

ومن طريق محمد بن عمر عن علي بن زيد عن عبد الله بن وهب بن زمة عن أبيه عن عمته قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به أمه آمنة بنت وهب كانت تقول: ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت له ثقلًا كما يجد النساء إلا أنني أنكرت رفع حيصتي. وربما كانت تقول: وأنا تاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول: ما أدري! فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها. (عيون الأثر ج ١ ص ٢٥).

(٣) وذلك يوم الاثنين (ابن سعد ج ١ ص ٩٨)، (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٣)، (عيون الأثر ج ١ ص ٢٥).

العادة الغالبة . وذلك عام الفيل ، وقيل بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً ، وقيل بشهر ، وقيل بأربعين يوماً ، وقيل قدوم الفيل للنصف من المحرم قبل مولد رسول الله ﷺ بشهرين إلا أياماً ، وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوماً ، وقيل بعده بعشر سنين ، وقيل بعده بثلاثين عاماً ، وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة ، وقيل قبله بأربعين عاماً ، وقيل وُلد يوم الفيل ، وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل ، وقيل في صفر ، وقيل يوم عاشوراء ، وقيل في ربيع الآخر^(١) .

والراجح أنه ولد عام الفيل في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان ابن قباذ بن نيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الحشن بن بهرام بن سابور ابن سابور ذي الأكثاف .

وكان على الحيرة يوم ولد ﷺ عمرو بن المنذر بن امرئ القيس وهو عمرو ابن هند ، وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة ، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر بن فيلبس المجدوني على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك بخت نصر ، ووافق يوم مولده العشرين من نيسان ، وولد بالغفر^(٢) من المنازل وهو مولد الأنبياء ، ويقال كان طالعه برج الأسد والقمر فيه .

صفة مولده ﷺ

وتركوا عليه جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقنتين ، فكان ذلك من مبادئ أمارات النبوة في نفسه الكريمة ، ويقال ولد مختوناً ، مسروراً^(٣) مقبوضة أصابع يده ،

(١) اتفقوا على أن رسول الله ﷺ وُلد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل . واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال : أحدها : أنه ولد لليلتين خللتا منه ، والثاني : لثمان خلون منه ، والثالث : لعشر خلون منه ، والرابع : لاثنتي عشرة خللت منه . (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٤) .
(٢) الغفر : منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة ، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٥٦) . قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ . (آية ٣٩ / يس) .

(٣) وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ولد مختوناً مسروراً ، وروي في ذلك حديث لا يصح ، ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات» وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ﷺ فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً . القول الثاني : أنه حُتن ﷺ يوم شق قلبه الملائكة عند ظفرة حليمة . القول الثالث : أن جدّه عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً . (زاد المعاد ج ١

مشيراً بالسبابة كالمسبح بها ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال : « ليكونن لابني هذا شأن » . وقيل : إن جده ختنه يوم سابعه ، وقيل : ختنه جبريل عليه السلام ، وختم حين وضع الخاتم .

مدة حملته ﷺ

وكانت مدة الحمل به تسعة أشهر ، وقيل : عشرة ، وقيل : ثمانية ، وقيل : سبعة ، وقيل : ستة . وعق^(١) عنه بكبش يوم سابعه ، وسماه محمداً^(٢) .

= ومعنى مختوناً : أي مقطوع الختان ، ومسروراً أي مقطوع السرّة من بطن أمه (البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٢٤) .

(١) عقّ عن ولده : ذبح ذبيحة يوم سبوعه (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦١٦) .
(٢) فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، وروي أنه قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردن
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان أعيذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطرب العيان

(ابن سعد ج ١ ص ١٠٣) ، (صفة الصفوة ج ١ ص ٢٦) وفي رواية أخرى :
الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردن
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان
حين يكون بُلغةَ الفتيان حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنان من حاسد مضطرب العيان
ذي همه ليس له عيان حتى أراه دافع السان
أنت الذي سميت في القرآن في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على البيان

(البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٢٤) ، (الروض الأنف ج ١ ص ١٨٤) ، (ابن هشام ج ١ ص ٢٩٦) .

وفي هامش البداية والنهاية « حتى أرى منه رفيع الشان » والأردان : جمع رُذن : والرُذن : مقدم كم القميص أو أسفله . وطيب الأردان : كناية عن العفة والثقاء . والشنان : البغضاء (هامش ص ٢٦ من ج ١ صفة الصفوة) ، (لسان العرب ج ١ ص ١٠٢) مادة : شَنَأَ .

قال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ (آية ٢/المائدة) ، وقال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾ (آية ٨/المائدة) .

موت أبيه

ومات عبد الله بن عبد المطلب — ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه — بالمدينة ، وقيل : بالأبواء بين مكة والمدينة ، والأول هو المشهور ، وقيل : مات بعد ولادته بثمانية وعشرين يوماً ، وقيل : بسبعة أشهر ، وقيل : بسنة ، وقيل : بستين ، وقيل : بشهرين ، والأول أثبت .

رضاعه وإخوته في رضاعه

أرضعته أمه ﷺ سبعة أيام^(١) ، ثم أرضعته « ثوية »^(٢) مولاة « أبي لهب »

(١) في (خ) أيام أمه ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) قال عروة : « وثوية مولاة لأبي لهب ، وكان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ ، فلما مات أبو لهب ، أريه بعض أهله بشرٌ حبيبة ، قال له : ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب : لم ألق بعدكم غير أبي سقيت هذه بعناتي ثوية » . ذكرها ابن منده في الصحابة ، وقال : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعم : لا نعلم أحداً ذكر إسلامها غيره ، والذي في السير أن النبي ﷺ كان يكرمها ، وكانت تدخل عليه بعد ما تزوج خديجة ، رضي الله عنها ، وكان يرسل إليها الصلة من المدينة ، إلى أن كان بعد فتح خيبر ، ماتت ، ومات ابنها مسروح . قوله : « وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ » ظاهره أن عتقه لها كان قبل إرضاعها ، والذي في السير يخالفه ، وهو أن أبا لهب أعتقها قبل الهجرة ، وذلك بعد الإرضاع بدهر طويل . وحكى السهيلي أيضاً أن عتقها كان قبل الإرضاع . قوله : « أريه » بضم الهمزة وكسر الراء وفتح التحتانية ، على البناء للمجهول . قوله : « بعض أهله » بالرفع على أنه النائب عن الفاعل . وذكر السهيلي أن العباس قال : لما مات أبو لهب ، رأيته في منامي بعد حول في شرٍ حالٍ فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة ، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين ، قال : وذلك أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين ، وكانت بشرتُ أبا لهب بمولده فأعتقها . قوله : « بشرٌ حبيبة » بكسر المهملة ، وسكون التحتانية ، بعدها موحدة ، أي سوء حال . وقال ابن فارس : أصلها الحوبة وهي المسكنة والحاجة ، فالإباء في حبيبة ، منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها . ووقع في « شرح السنة للبخاري » بفتح الحاء ، ووقع عند « المستمل » بفتح الحاء المعجمة ، أي في حالة خائبة من كل خير ، وقال « ابن الجوزي » : هو تصحيف . وقال « القرطبي » : يروى بالمعجمة ، ووجدته في نسخة معتمدة بكسر المهملة ، وهو المعروف . وحكى في المشارق عن رواية « المستمل » بالجيم ، ولا أظنه إلا تصحيفاً ، وهو تصحيف كما قال . قوله : « ماذا لقيت ؟ » أي بعد الموت ، قوله : « لم ألق بعدكم غير أبي » ، كذا في الأصول بحذف المفعول ، وفي رواية الإسماعيلي : « لم ألق بعدكم رخاء » ، وعند عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري : « لم ألق بعدكم راحة » ، قال ابن بطل : سقط المفعول من رواية البخاري ، ولا يستقيم الكلام إلا به . قوله : « غير أبي سقيت في هذه » كذا في الأصول بالحذف أيضاً ، ووقع في رواية عبد الرزاق المذكورة ، وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه ، وفي رواية الإسماعيلي المذكورة ، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع . وللبهقي في الدلائل من طريق كذا مثله بلفظ « يعني النقرة » ، وهي ذلك إشارة =

بلبن ابنها « مسروح » أياماً قلائل^(١) وكانت أرضعت قبل رسول الله ﷺ عمه « حمزة بن عبد المطلب »^(٢) ، وأرضعت بعد رسول الله ﷺ « أبا سلمة بن عبد

= إلى حقارة ما سُقي من ماء . قوله : « بَعَثَني » بفتح العين ، وفي رواية عبد الرزاق « بعثني » وهو أوجه ، والوجه الأول أن يقول : « بإعتاقني » لأن المراد التخليص من الرق .

وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة ، ولكنه مخالف لظاهر القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَعَجَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ (آية ٢٣/الفرقان) ، وأجيب : أولاً : بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، ولعل الذي رآها لم يك إذ ذاك أسلم ، فلا يُحتج به . وثانياً : على تقدير القبول ، فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصاً من ذلك ، بدليل قصة أبي طالب كما تقدم ، أنه خفف عنه ، فقتل من الغمرات إلى الضخاض .

وقال البيهقي : ما ورد من بطلان الخبر للكفار ، فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ، ولا دخول الجنة ، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبه من الجرائم ، سوى الكفر بما عملوه من الخيرات .

وأما القاضي عياض فقال : انقصد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أفعالهم ، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب ، وإن كانت بعضهم أشد عذاباً من بعض .

قلت : وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي ، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر ، وأما ذنب غير الكفر ، فما المانع تخفيفه ؟ .

وقال القرطبي : هذا التخفيف خاص بهذا ، وبمن ورد النص فيه . وقال ابن المنير في الحاشية : هنا قضيتان : إحداهما محال ، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره ، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح ، وهذا مفقود من الكافر .

والثانية : إثابة الكافر على بعض الأعمال ، تفضلاً من الله تعالى ، وهذا لا يحيله العقل ، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثوية قرية معتبرة ، ويجوز أن يفضل الله عليه بما شاء ، كما تفضل على أبي طالب ، والمتبع في ذلك التوقيف نفيًا وإثباتاً . قلت : وتمة هذا أن يقع التفضل المذكور لإكراماً لمن وقع من الكافر من البر له ونحو ذلك . والله أعلم . (فتح الباري ج ٩ ص ١٧٣ ، ١٧٤ - كتاب النكاح - باب : وأمها تكم اللاتي أرضعنكم ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) .

(١) في (خ) « دلائل » وكسب تحتها بخط آخر « قلائل » .

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، الإمام البطل الضرغام ، أسد الله أبو عمارة ، وأبو يعلى القرشي الهاشمي ، المكّي ، ثم المدنيّ ، البصريّ ، الشهيد ، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة .

قال ابن إسحاق : لما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

(ابن هشام) ١٢٩/٢ ، (ابن الأثير) في أسد الغابة ٥٢/٢ ، (الهيثمي) ٢٦٧/٩ ونسبه للطبراني وقال : مرسل ورواه ثقات ، وأخرجه (الحاكم) ١٩٣/٣ .

قال أبو إسحاق : عن حارثة بن مضرب ، عن علي قال : قال لي رسول الله ﷺ : نادِ حمزة ، =

الأسد»^(١) ، ثم بعد رضاعه من « ثوية » أرضعته « أم كبشة »^(٢) ، حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية « بلبن زوجها الحارث »^(٣) بن عبد العزى السعدي ، وأرضعت معه ﷺ ابن عمه « أبا سفيان »^(٤) بن الحارث بن عبد

فقلت : من هو صاحب الجمل الأحمر ؟ فقال حمزة : هو عتبة بن ربيعة ، فبارز يومئذ حمزة عتبة فقتله . (ابن سعد) ٨/٣ الطبقة الأولى على السابقة في الإسلام ممن شهد بدرأ ، وأخرجه (الحاكم) مُطَوَّلًا ١٩٤/٣ و صححه ، وهو كما قال . ولكن الذهبي قال : لم يخرجوا لحارثة ، وقد وهأه ابن المديني ، وقد أخطأ رحمه الله في نقله توهية حارثة بن مضرب عن ابن المديني ، فإنه لم يثبت عنه ، وحارثة وثقه أحمد ، وابن معين ، وابن حبان ، وروى حديثه أصحاب السنن ، والبخاري في الأدب المفرد .

(١) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، السيد الكبير ، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وابن عمته برة بنت عبد المطلب ، وأحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرأ ، ومات بعدها بأشهر ، وله أولاد صحابة ، كعمر وزينب ، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة ، تزوج بها النبي ﷺ ، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول : من خير من أبي سلمة ، وما ظننت أن الله يخلفها في مصابها به بنظره ، فلما فُتح عليها بسيد البشر ، اغتبطت أيما اغتباط . مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة ، رضي الله عنه . (مسند أحمد) ٢٧/٤ ، (ابن سعد) ٢٣٩/٣ ، (الجرح والتعديل) ١٠٧/٥ ، (حلية الأولياء) ٣/٢ ، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢٤٠/٢ رقم ٣٦٠ ، (تهذيب التهذيب) ٢٥١/٥ رقم ٤٨٧ ، (الإصابة) ١٥٢/٤ رقم ٤٧٨٦ .

(٢) هي حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن سعد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢٣٩/٢ رقم ٧٢٩ .

(٣) هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصية بن سعد بن بكر ، يكنى أبا ذؤيب . (المرجع السابق) .

(٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، أخو نوفل وربيعة ، تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً ، فانزعج النبي ﷺ وأعرض عنه ، لأنه بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ ، فتذلل للنبي ﷺ حتى رُق له ، ثم حسن إسلامه ، ولزم هو والعباس رسول الله ﷺ يوم حنين إذ فرَّ الناس ، وأخذ بلجام البغلة ، وثبت معه .

وكان أبا النبي ﷺ من الرضاعة ، أرضعتها حليلة ، سمأه هشام بن الكلبي ، والزبير : « مغيرة » ، وقالت طائفة : اسمه كنيته ، وإنما المغيرة أخوهم .

وقيل : كان الذين يُشبهون بالنبي ﷺ ، جعفر ، والحسن بن علي ، وقثم بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث [وقد روى عنه ولده عبد الملك ، أن النبي ﷺ قال : « يا بني هاشم إياكم والصدقة ، لا تعملوا عليها فإنها لا تصلح لكم ، وإنما هي أوساخ الناس » (أبو نعيم عن عبد الله بن المغيرة الهاشمي ، عن أبيه ، وأكثر من عرف من الصحابة) . (كنز العمال) ١٦٥٣٤] ، وعبد الله بن المغيرة من أهل مصر ، يروي عن الثوري ، روى عنه المقدم بن داود الرعيني ، يغرب وينفرد . قال ابن حبان في : =

المطلب « أياماً بلبين ابنها عبد الله ، ثم فطمته ﷺ بعد سنتين .

وكان حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمه حليلة ، وكان حمزة رضيع النبي ﷺ من وجهين ؛ من جهة ثوية ومن جهة السعدية ، وكانت ابنتها الشيماء تحضنه معها .

وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وهو الذي شرب مع رسول الله ﷺ ، وأنيسة بنت الحارث ، والشيماء وهي حُذافة^(١) بنت الحارث^(٢) .

مدة رضاعه

فأقام ﷺ عند حليلة في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان نحواً من أربع سنين^(٣) .

شق صدره

وشق فؤاده المقدس هناك ومُليء حكمة وإيماناً بعد أن أخرج حظُّ الشيطان منه ،

= (الثقات ج ٨ ص ٣٤٤) ، وقال العقيلي : يحدث بما لا أصل له ، وقال ابن يونس : منكر الحديث (لسان الميزان ج ٣ ص ٤٤٨) .

وكان أبو سفيان من الشعراء ، وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :
ألا أبلغ أبا سفيان عني مُغْلَغَلَةً ، فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وعند الله في ذاك الجزاء
والبيتان من قصيدة طويلة لحسان بن ثابت ، قالها يوم فتح مكة ، مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلأ

وتبلغ هذه القصيدة ثلاثين بيتاً ، والجواء وذات الأصابع موضعان بالشام ، وعذراء على يريد من دمشق ، قُتل بها حجر بن عدي وأصحابه ، والمغلغلة : الرسالة المكتوبة .

(ديوان حسان بن ثابت) ص ٧١ ، (ابن هشام) ج ٥ ص ٨٥ ، (ابن سعد) ج ٤ ص ٤٩ ، (الاستيعاب) ج ٤ ص ١٦٧٣ رقم ٣٠٠٢ ، (الإصابة) ج ٧ ص ١٧٩ رقم ١٠٠٢٢ .

(١) في ابن هشام « خذامة بكسر الخاء المنقوطة » ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) (زاد المعاد) ٨٣/١ .

(٣) ذكر ابن الجوزي أن حليلة أعمته إلى أمه بعد سنتين وشهرين (صفة الصفوة ج ١ ص ٦٣) وقال ابن قتيبة : (لبث فيهم خمس سنين) (المعارف ص ١٣٢) (انظر تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص ١٣) .

وروى البخاري^(١) في الصحيح : شق صدره ﷺ ليلة المعراج ، وقد استشكله أبو محمد بن حزم^(٢) . ويقال : إن جبريل عليه السلام ختنه ﷺ لما طهر قلبه الشريف . ثم رده حليمة بعد شق فؤاده إلى أمة آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل : ابن أربع سنين ، وقيل : سنتين وشهر .

خروج آمنة وموتها

ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أحواله بها فماتت بالأبواء^(٣) وهي راجعة إلى مكة ، وله ﷺ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل : وعمره أربع سنين ، وقيل : ثمانية أعوام ، والأول أثبت^(٤) .

كفالة جده

فكفله بعد آمنة جده عبد المطلب بن هاشم وكان يرى من نشوئه ما يسره فيدنيه ، حتى كان ﷺ يدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دعوا ابني ، فإنه يؤنس ملكاً^(٥) .

(١) حديث شق الصدر : (البخاري) ج ٢ ص ٣٢٧ في باب الإسرائ — (مسلم) ج ٢ ص ٢١٦ في باب الإسرائ — (سنن الدرامي) ج ١ ص ٨ — (مسند أحمد) ج ٣ ص ١٢١ ، ص ١٤٩ ، ص ٢٨٨ — (المستدرك للحاكم) ج ٢ ص ٦١٦ وصححه الذهبي في تلخيص المستدرك .

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي ، مولى زيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، القرشي ، الأندلسي ، الإمام العلامة ، المحقق ، المدقق ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن حزم ، ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانية وثلاثمائة (٣٨٣ هـ) بقرطبة بالأندلس ، وتوفي بقريته ، وهي من غرب الأندلس ، على خليج البحر الأعظم ، في شهر جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وأربعمائة (٤٥٧ هـ) (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم / المقدمة .

(٣) الأبواء : بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة ، قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . (معجم البلدان ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢) .

الأبواء : في الشمال عن الجحفة على ثمان فراسخ (تقويم البلدان ص ٨١) .

(٤) ماتت أم رسول الله ﷺ وله ست سنين وقيل : أربع (تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٤) وذكر ابن هشام : أنها توفيت وله ﷺ ست سنين (ابن هشام ج ١ ص ٣٠٥) وقيل : توفيت أمه وهو ابن أربع سنين (تلخيص فهوم أهل الأثر ص ١٣) .

(٥) نص ابن سعد : « دعوا ابني إنه ليؤنس ملكاً » (ابن سعد ج ١ ص ١١٨) وفي ابن هشام : « دعوا ابني ، فوالله إن له لشأناً » (ابن هشام ج ١ ص ٣٠٦) و (ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٢) (البداية =

رمده

ورمد عليه السلام في سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه ما يعالج به وبشّر بنبوته^(١) .

حضانة أم أيمن وموت جده وكفالة عمه

وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه ، حتى مات عبد المطلب وله ﷺ من العمر ثماني سنين ، وقد أوصى به إلى ابنه أبي طالب^(٢) لأنه كان أخا عبد الله لأمه ، فكفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطه أتم حياطة .

حليته وحُلُقُه في صِغَره

وكان بنو أبي طالب يصبحون غُصَصاً رُصَصاً^(٣) ويصبح ﷺ صقيلاً دهيناً^(٤) ، وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون وينهبون ، ويكف رسول الله ﷺ يده لا ينهب معهم ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة . وكان ﷺ يصبح في أكثر أيامه فيأتي زمزم فيشرب منه شربة ، فربما عُرض عليه الغداء فيقول : لا أريده ، أنا شعبان .

مخرجه الأول إلى الشام

وخرج به إلى الشام في تجارة وهو ﷺ ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة

= والنهاية) « دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً » .

(١) ذكر صاحب (تاريخ الخميس) ج ١ ص ٢٣٩ في وقائع السنة السابعة من مولده ﷺ : « ومن وقائع هذه السنة ما روي أنه أصاب رسول الله ﷺ رمد شديد فعولج بمكة فلم يغب عنه ، فقيل لعبد المطلب : إن في ناحية عكاظ راهباً يعالج الأعين فركب إليه فناداه وديره مغلق فكان لا يجيبه ، فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادراً ، وقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخرّ ديري ، وارجع به واحفظوه لا يغتاله بعض أهل الكتاب ثم عالج » .
(٢) في (خ) « المطلب » والصحيح ما أثبتناه . فأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمه ، راجع : (المعارف لابن قتيبة) ص ١١٨ .

(٣) الغَمَص : ما سالي من العين من رمص (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٦٢) .

الرُصَص : وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العين (المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٧) .

(٤) في ابن سعد « رُصَصاً شُغْنًا » ، « دهيناً كحيلًا » (ج ١ ص ١٢٠) .

أيام ، وقيل ابن تسع سنين فبلغ به بُصرى^(١) ، وذلك فيما يقال لعشر خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة ثلاث عشر للفيل . فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته ﷺ ما زاده في الوصاة به والحرص عليه : من تظليل الغمام له ، وميل الشجرة بظلها عليه .

خبر بحيرا الراهب

وبشر به بحيرا الراهب (واسمه سَرَجِسُّ من عبد القيس) ، وأمر أبا طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيرمونه بسوء ، فكانت هذه أول بشرى بنبوته ، وهو لصغره غير واع إليها ولا متأهب لها ، وقيل : خرج مع عمه وله تسع سنين ، والأول أثبت^(٢) .

أول أمره مع خديجة في التجارة

وكان حكيم بن حزام^(٣) قد رأى رسول الله ﷺ بسوق حباشة ، واشترى منه بَزًّا من بز^(٤) تهامة^(٥) وقدم مكة . فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله

(١) بُصْرَى : بالشام من أعمال دمشق . (معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٢) .
وذكر ابن الجوزي أنه ﷺ نزل تيماء ، وهي واحة في شمالي جزيرة العرب (صفة الصفوة ج ١ ص ٣٣) .

(٢) أورد هذا الخبر بتمامه : ابن الجوزي في (صفة الصفوة ج ١ ص ٣٣ - ٣٥) - ابن هشام (السيرة النبوية ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٢) - الطبري (التاريخ ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٩) - ابن كثير (البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٩) - ابن سيد الناس (عيون الأثر ج ١ ص ٤٠ - ٤٣) .

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابن أخي خديجة ، أسلم يوم الفتح وحَسَنَ إسلامه ، وغزا حنيناً والطائف ، وكان من أشرف قريش ، وعقلائها ، ونبلاتها ، وكان الزبير ابن عمه ، قال البخاري في « التاريخ » : عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام . قال الذهبي : لم يعيش في الإسلام إلا بضعا وأربعين سنة ، باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف ، فقال له ابن الزبير : بعث مكرمة قريش ، فقال : ذهبت المكارم يا ابن أخي إلا التقوى ، إني اشتريت بها داراً في الجنة ، أشهدكم أنني قد جعلتها لله . مات سنة أربع وخمسين ، بلغ عدد مسنده (٤٠) حديثاً ، له في الصحيحين أربعة أحاديث متفق عليها . (مسند أحمد ج ٤ ص ٤٠١ - ٤٠٣) ، (المعارف : ٣١١) ، (الجرح والتعديل : ٢٠٢/٣) ، (المستدرک : ٤٨٢/٣ - ٤٨٥) ، (تهذيب الأسماء واللغات : ١٦٦/١) ، (تهذيب التهذيب : ٤٤٧/٢) ، (شذرات الذهب : ٦٠/١) .

(٤) البَزُّ : نوع من الثياب والسلاح . (المعجم الوسيط ج ١ ص ٥٤) .

(٥) تهامة بالكسر ، قال أبو المنذر : تهامة تسائر البحر ، منها مكة ، قال : والحجاز ما حجز بين تهامة =

ﷺ تدعوه أن يخرج في تجارة إلى سوق حُباشة^(١) . وبعثت معه غلامها ميسرة ، فخرجاً فابتاعاً بزا من بز الجند^(٢) وغيره مما فيها من التجارة ، ورجعاً إلى مكة فربحاً ربها حسناً ، ويقال إن أبا طالب كلم خديجة حتى وكلت رسول الله ﷺ بتجارتهما .

مشاركته السائب في التجارة

وكان يشارك السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد^(٣) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فلما كان يوم الفتح جاءه فقال عليه السلام : (مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري) ومعنى يداري : يشاحن ويخاصم صاحبه .

رعيه الغنم

وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة على قراريط ، قيل : كل شاة بقرراط ، وقيل : قراريط موضع ، ولم يُرد بذلك القراريط من الفضة^(٤) .

مشهده حرب الفجار^(٥)

وشهد حرب الفجار الأيام سائرهما إلا يوم نخلة ، وكان يناول عمه — الزبير

= والعروض .

قال الأصمعي : وإنما سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد . (معجم البلدان ج ٢ ص ٧٤) .

(١) حُباشة : بالضم والشين المعجمة ، سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، ذكره في حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له مال كثير استأجرته خديجة إلى سوق حُباشة .

(٢) الجند : بالتحريك ، قال أبو سنان البجلي : « ... وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاه : فوال على الجند ومخاليقها ، وهو أعظمها ، ووال على صنعاء ومخاليقها ، وهو أوسطها ، ووال على حضرموت ومخاليقها ، وهو أدناها » . (معجم البلدان ج ٢ ص ١٩٦) .

(٣) هكذا في (خ) ، وفي ابن هشام : قال ابن إسحاق : « السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » (ابن هشام ج ٣ ص ٢٦٨) .

(٤) روى البخاري في كتاب (الإجارة) : باب رعي الغنم على قراريط : « عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ، كنت أُرعاها على قراريط لأهل مكة » . (صحيح البخاري ج ١ ص ٣٢) وذكره ابن ماجه بلفظ آخر ، (صحيح سنن ابن ماجه للألباني ج ٢ ص ٧٢٧ باب الصناعات حديث رقم ٢١٤٩) .

(٥) الفجار بكسر الفاء ، « وإنما سُمي يوم الفجار بما استحل فيه هذان الحيان — كنانة وعسقلان — من =

بن عبد المطلب — النبل ، وكان عمره ﷺ يومئذ عشرين سنة^(١) ، وقيل : أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة^(٢) .

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة

ثم أجر نفسه من خديجة — بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب [ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) — سفرتين بقلوصين^(٤) . وخرج ثانياً إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة — لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل — وقد بلغ خمساً وعشرين سنة — حتى أتى بصرى فرآه نسطور الراهب وبشر بنبوته ميسرة . ورأى ميسرة من شأنه ﷺ ما بهره فأخبر سيده خديجة بما شاهد وبكلام الراهب^(٥) ، فرغبت خديجة رضي الله عنها إليه أن يتزوجها لما رجعت في ذلك من الخير .

زواجه بخديجة

فتزوج بخديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقب صفر [و] سنّهُ ست وعشرين ، (وقيل : كانت^(٦) سنّهُ إحدى وعشرين سنة وقيل : ثلاثين ، وقال ابن جريج : وله سبع وثلاثون سنة ، وقال البرقي : سبع وعشرون سنة قد راهق الثلاثين ، ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون ، والأول أثبت^(٧)) على اثنتي عشرة أوقية ونش^(٨) ، وقيل :

= المحارم بينهم . (البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٥٣) ويقول السهيلي : « والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمي : الفجار (الروض الأنف ج ١ ص ٢٠٩) ، (أيام العرب في الجاهلية : ص ٣٢٢ — ٣٣٧) .

- (١) ابن كثير في (البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٥٣) .
- (٢) ابن هشام في (السيرة ج ١ ص ٢٢٤) .
- (٣) تكلمة النسب من ابن هشام .
- (٤) القلوص « من الإبل » الغتية المجتمعة الخلق ، وذلك حين تُركب إلى التاسعة من عمرها ، ثم هي ناقة ، (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٥٥) .
- (٥) الخبر بتامه في (ابن سعد) ج ١ ص ١٥٦ .
- (٦) في (خ) «كان» ، والصحيح ما أثبتناه لأن السن مؤنثة .
- (٧) في ابن هشام « خمساً وعشرين سنة » (ج ٢ ص ٥) ونحوه في (عيون الأثر ج ١ ص ٤٧) .
- (٨) الأوقية جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل المصري (المعجم الوسيط ج ١ ص ٣٣) الأوقية أربعون =

عشرون بكرة^(١) . وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت منية أخت يعلي بن منية ، وقيل : بل سفر بينهما ميسرة ، وقيل : بل مولاة مؤلدة . وكان الذي زوّج خديجة من رسول الله ﷺ عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى وقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة ابنة خويلد ! هذا الفحل لا يُقدَحُ أنفه^(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، فيما يحسب حماد : أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ، فصنعت طعاماً وشراباً ودعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة : إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوّجني إياه ، فزوجها ، فخلّقت^(٣) وألبسته ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سري عنه سكره نظر فإذا هو مُخلّق وعليه حلة فقال : ما شأني ؟ ما هذا ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، فقال : أنا أزوج يتيم أبي طالب ! لا لعمرى ، فقالت خديجة : ألا تستحي ! تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران . فلم تزل به حتى رضي . وقد رُدَّ هذا القول بأن أباها تُوفي قبل الفجار^(٤) .

شهوده حلف الفضول^(٥)

وشهد ﷺ حلف الفضول مع عمومته في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو

-
- = درهماً ، والنش نصف أوقية ، أو عشرون درهماً (لسان العرب . ج ٦ ص ٣٥٣) .
- (١) البكر : الفتى من الإبل ، والأنثى بكرة ، وفي المثل : « جاعوا على بكرة أبيهم » أي جميعاً (المعجم الوسيط ج ١ ص ٦٧) ، (جهرة الأمثال ج ١ ص ٣١٦) .
- (٢) في الروض الأنف « هو الفحل الذي لا يقْدَحُ أنفه » ج ١ ص ٢١٢ . وهذا المثل يضرب للشريف لا يُردُّ عن مصاهرة ومواصلة . والقْدَحُ : الكف (مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٩٥) المثل رقم ٤٥٥٢ .
- (٣) خلّقه : ملّسه وسوّاه . وأتم خلقه وطبّيه بالخلوق . (المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٥٢) .
- (٤) « المحفوظ عند أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله ﷺ » (ابن سعد ج ١ ص ١٣٣) وذكر نحوه ابن كثير في (البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٦١) والسهيلي في (الروض الأنف ج ١ ص ٢١٣) ، والطبري في (التاريخ ج ٢ ص ٢٨٢) .
- (٥) كان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان ، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وذكر ابن قتيبة : « والفضول جمع فضل وهي أسماء الذين تحالفوا وهم الفضيل بن شراة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاة ، وكانوا قد تعاهدوا بالله ليكونن =

ابن كعب^(١) بن تميم بن مرة .

تحكيمة في أمر الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صانه وحماه من صغره ، وطهره وبرأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ، ومنحه كل خلق جميل ، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين ، لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته ، بحيث أنه لما بُنيت الكعبة بعد هدم قريش لها في سنة خمس وثلاثين ، وقيل : سنة خمس وعشرين من عمره ﷺ وذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة — ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه ، [فأرادت^(٢)] كل قبيلة رفعه إلى موضعه ، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت ، ومكثوا على ذلك أربع ليال . فأشار عليهم أبو أمية^(٣) حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو أسنّ قريش يومئذ — أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد ، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا به ، وأخبروه الخبر ، فقال : [هلموا^(٤)] لي ثوباً ، فأتي ثوب — يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له ﷺ — فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه عليه ﷺ بيده ثم بني عليه . ويقال : كان الثوب الذي وضع فيه الحجر للوليد بن المغيرة .

أول ما بديء به من النبوة

ولما أراد الله رحمة العباد ، وكرامته ﷺ بإرساله إلى العالمين ، كان أولاً يرى

= يبدأ واحدة مع المظلوم على الظالم » (ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ بتصرف) .

(١) ابن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي (تمام النسب من ابن هشام ج ٤ ص ٢٦٤) .

(٢) في (خ) فأراد .

(٣) في ابن هشام « أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله ... » ج ٢ ص ١٩ .

(٤) كذا في (خ) وصحتها (هلم) ، وهي كلمة دعاء ، أي تعال ، وهي من أسماء الأفعال ، تلزم لفظاً

واحد في كل حالاتها عند الحجازيين : [للواحد والاثنين والجماعة والذكر والانثى] (المعجم الوسيط

ج ٢ ص ٩٩٢ ، ٩٩٣) والنص في (ابن هشام ج ٢ ص ١٩) : « هلم إلي » والآية ١٥٠ الأنعام :

﴿ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ ، ١٨ الأحزاب : ﴿ وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلْمْ إِلَيْنَا ﴾ ، وانظر أيضاً (بصائر

= ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي) ج ٥ ص ٣٤١ .

ويعاين من آثار فضل الله أشياء : فشق في صغره بطنه واستخرج ما في قلبه من الغل والدنس ، فكان يعاين الأمر معاناة ثم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه فقال : السلام عليك يا رسول الله . فكان يلتفت يمينا ويسارا فلا يرى أحداً^(١) .

وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك . ثم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(٢) . فكان أول شيء رآه من النبوة في المنام بطنه طهر وغسيل ثم أعيد كما كان .

تحتنه بحراء وبدء الوحي

وحُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما كان يفعل ذلك متعبداً^(٣) ذلك الزمان ، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها يتحنث^(٤) بحراء ومعه خديجة ، فيقال : إنه أول ما رأى جبريل عليه السلام بأجياد^(٥) فصرخ به : يا محمد يا محمد .

بعثته

ثم فَجَاءَهُ^(٦) الحق وهو بغار حراء^(٧) يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من رمضان

(١) أخرج الترمذي نحوه في صحيح سنن الترمذي للألباني ج ٣ ص ١٩٢ حديث رقم ٣٨٨٥ وقال في آخره : « صحيح » .

(٢) المرجع السابق حديث رقم ٣٨٩٣ ، وقال في آخره : « حسن صحيح » .

(٣) في (خ) « متعبدا » بألف بعد الواو ، والمعروف عند أهل اللغة أن جمع المذكر السالم تحذف منه ألف واو الجماعة إذا أضيف .

(٤) تحنث : تعبد ، وفعل ما يخرج به الحنث ، والحنث : الذنب (المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٠١) (وهذه اللفظة في (خ) : يتجنب) .

(٥) قال أبو القاسم الخوارزمي : أجياد موضع بمكة بلى الصفا ، وهو أحد جبال مكة غربي المسجد الحرام . وقال الأصمعي : هو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام (معجم البلدان ج ١ ص ١٣٠) .

(٦) قوله : « فَجَاءَهُ الحق وهو بغار حراء » أي جاءه بغتة على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ وما كنت أترجو أن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ آية ٨٦ / القصص ، (البداية والنهاية ج ٣ ص ٦) ، وفي (ط) « فجهه » والتصويب من (المعجم الوسيط) : « فَجَاءَهُ الأمرُ فَجْئاً ، وفَجْأَةً ، وفَجْأَةً : بَغْتَةً (ج ٢ ص ٦٧٤) .

(٧) وحراء : يقصر ويمد ، ويمنع ويصرف ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية ، والغار في تلك الحنية . (معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٩) .

وقيل : لأربع وعشرين ليلة مضت منه ، وله من العمر أربعون سنة . وهذا مروى عن عبد الله بن عباس^(١) ،

(١) هو عبد الله بن عباس ، حَبْر الأُمَّة وفقه العصر ، وإمام التفسير ، ابن عم رسول الله ﷺ : العباس ابن عبد المطلب شيبه بن هاشم ، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه . مولده بشيْب بن هاشم ، قبل عام الهجرة بثلاث سنين . صحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً ، وحدث عنه بجملة صالحة ، وعن عمر ، وعلي ، ومعاذ ، ووالده ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سفيان صخر بن حرب ، وأبي ذر ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وخلق . وقرأ على أبي ، وزيد . قرأ عليه مُجاهد ، وسعيد بن جُبَيْر ، وطائفة . روى عنه ابنه علي ، وابن أخيه عبد الله بن مقبل ، ومواليه ؛ عكرمة ، ومِقْسَم ، وكُريب ، وأنس بن مالك ، وطاووس ، وخلق سواهم .

وكان وسيماً جميلاً ، مديد القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، ذكي النفس ، من رجال الكمال . انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح ، وقد أسلم قبل ذلك ، فإنه صَحَّ عنه أنه قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ؛ أنا من ولدان ، وأمي من النساء . عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مسح النبي ﷺ رأسي ، ودعا لي بالحكمة . قال الزبير بن بَكَار : توفي رسول الله ﷺ ولابن عباس ثلاث عشرة سنة . قال أبو سعيد بن يونس : غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح ، وروى من أهل مصر خمسة عشر نفساً . قال ابن عباس : « ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : اللهم علِّمه الحكمة » ، والحكمة : الإصابة في غير النبوة ، وفي لفظ : « علِّمه الكتاب » ، وهو يؤيد من قَسَّر الحكمة هنا بالقرآن . واختلف في المراد بالحكمة هنا ، فقيل : الإصابة في القول ، وقيل : الفهم عن الله ، وقيل : ما يشهد العقل بصحته ، وقيل : نور يفرق بين الإلهام والوسواس ، وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك . وكان ابن عباس من أعلم الناس بتفسير القرآن .

وروى أبو زُرْعَة الدمشقي في تاريخه ، عن ابن عمر قال : « هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد » . وقال مُجاهد : ما رأيت أحداً قط مثله ابن عباس ، لقد مات يوم مات وإنه لحَبْر هذه الأمة . ومسنده ألف وستائة وستون حديثاً ، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون . وتفرَّد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً ، وتفرَّد مسلم بتسعة أحاديث . تُوفِّي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين ، وعاش إحدى وسبعين سنة .

• سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٣١ — ٣٥٩ ، التاريخ الكبير : ٣/٥ ، التاريخ الصغير : ٢٦/١ ، الجرح والتعديل : ١١٦/٥ ، المستدرک : ٥٣٣/٣ ، حلية الأولياء : ٣١٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ١٩ ، ٢٠ ، تاريخ بغداد : ١٧٣/١ ، جامع الأصول : ٦٣/٩ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢٧٤/١ ، وفيات الأعيان : ٦٢/٣ — ٦٤ ، خلاصة تهذيب الكمال : ٦٩/٢ ، تاريخ الصحابة : ١٤٨ ، ١٤٩ ، أسماء الصحابة الرواة : ٤٠ ، فتح الباري : ج ٧ ص ١٢٥ ، ١٢٦ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ، حديث رقم ٣٧٥٦ .

وجبير بن مطعم^(١)، وقبّاث بن أشيم^(٢)،

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي . شيخ قريش في زمانه ، أبو محمد ، ويقال : أبو عدي القرشي النوفلي ، ابن عم النبي ﷺ .

من الطلقاء الذين حسن إسلامهم . وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه ، وكان موصوفاً بالحلم وثبل الرأي كأبيه .

وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة ، وكان يحنو على أهل الشغب ، ويصلهم في السر ، ولذلك يقول النبي ﷺ يوم بدر : « لو كان المطعم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء لنتيتهم لتركهم له » .

وهو الذي أجاز النبي ﷺ حين رجع من الطائف حتى طاف بعمره ، ثم كان جبّير شريفاً مطاعاً ، وله رواية أحاديث . ووفد على معاوية في أيامه .

توفي جبير بن مطعم سنة ثمان وخمسين على خلاف في ذلك .

* سير أعلام النبلاء : ٩٥/٣ — ٩٩ ، التاريخ الكبير : ٢٢٣/٢ ، المعارف : ٤٨٥ ، الجرح والتعديل : ٥١٢/٢ ، جهرة أنساب العرب : ١١٦ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١٤٦/١ ، مرآة الجنان : ١٢٧/١ ، خلاصة تذهيب الكمال : ١٦١/١ ، شذرات الذهب : ٦٤/١ ، صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر : « لو كان المطعم ابن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء لنتيتهم لتركهم له » حديث رقم ٣١٣٩ (فتح الباري ج ٦ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) . وهو في (مسند الحميدي) رقم ٥٥٨ ، وفي (صحيح سنن أبي داود) للألباني رقم ٢٣٣٨ ج ٢ ص ١٢ .

(٢) هو قبّاث بن أشيم بن عامر بن الملوح بن يعمر وهو الشّدّاخ بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، شهد بدرأ مع المشركين ، وكان له فيها ذكر ، ثم أسلم بعد ذلك ، وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد ، وكان على مجبة أبي عبيدة بن الجراح يوم اليرموك ، ونزل الشام بعد ذلك . روى عنه عامر بن زياد الليثي ، وأبو الحويرث ، فرواية عامر عنه مرفوعة في فضل صلاة الجماعة ؛ أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال : حدثنا محمد بن شعيب قال : أخبرني أبو خالد الرّحبي ، يعني ثور بن يزيد ، عن ابن سيف الكلاعي عن عبد الرحمن بن زياد عن قبّاث بن أشيم الليثي أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة رجلين يؤم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ، وصلاة أربعة يؤمهم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى ، قال ابن شعيب : فقلت لأبي خالد : ما تترى ؟ قال : متفرقين .

وأما أبو الحويرث فإنه قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقبّاث بن أشيم الكنايني ثم الليثي : يا قبّاث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ فقال : رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه ؛ وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل ، ووقفت لي أُمّي على روث الفيل مُحبلاً أَعقله ، وتنبأ رسول الله ﷺ على رأس أربعين من الفيل » .

قال البخاري وابن أبي حاتم : قبّاث بن أشيم له صحبة . وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) قصة إسلامه بعد الخندق مطولة ، وفيها علم من أعلام النبوة .

وحديث : « صلاة رجلين .. » : أخرجه البخاري في التاريخ الكبير . وحديث أبي الحويرث ، فأورده =

وعطاء^(١)، وسعيد بن المسيب^(٢)،

= البيهقي في (الدلائل)، والترمذي في باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ، وقال عنه الألباني في ضعيف سنن الترمذي: «ضعيف الإسناد»، هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. • ضعيف سنن الترمذي: ٤٨٤، سنن الترمذي: ٥٥٠/٥، جامع الأصول: ٢١٦/١١، ٢١٧، الدلائل للبيهقي: ٧٩/١، ١٣١/٢، الدلائل لأبي نعيم: ١٤٣/١، طبقات ابن سعد: ٤١١/٧، تاريخ الصحابة: ٢١٦، الاستيعاب: ١٣٠٣/٣، المؤلف والمختلف: ١٩٢٢/٤، التاريخ الكبير: ١٩٢/٧، الجرح والتعديل: ١٤٣/٧، الإصابة: ٤٠٧/٥، ٤٠٨.

(١) هو عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، وهو أخو سليمان، وعبد الملك، وعبد الله بن يسار.

روى عن معاذ بن جبل، وفي سماعه منه نظر، وعن أبي ذر، وأبي الدرداء، وعبد الله بن الصامت، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن الحكم السلمي، وأبي أيوب، وأبي قتادة، وأبي واقد الليثي، وأبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وأبي رافع مولى النبي ﷺ، وعائشة، وعامر بن سعد بن أبي وقاص وهو من أقرانه، وجماعة.

روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن، وهو من أقرانه، ومحمد بن عمر بن عطاء، ومحمد بن عمرو بن حلحلة، وهلال بن علي، وزيد بن أسلم، وشريك بن أبي نمر، ومحمد بن أبي حرملة، وعمرو ابن دينار، ومحمد بن إبراهيم التيمي، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، وحبيب بن أبي ثابت، وصفوان بن سليم، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وآخرون.

قال البخاري وابن سعد: سمع من ابن مسعود. وقال أبو حاتم: لم يسمع منه. وقال ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث. روى الواقدي: أنه مات سنة ثلاث أو أربع ومائة، وقال غيره: سنة (٩٤)، وقال ابن سعد: وهو أشبه، وقال عمرو بن علي وغيره: مات سنة (١٠٣)، وهو ابن (٨٤) سنة، جزم بذلك ابن يونس في تاريخ مصر، وذكره ابن حبان في (الثقات) وقال: قدم الشام، فكان أهل الشام يكتونه بأبي عبد الله، وقدم مصر، فكان أهلها يكتونه بأبي يسار، وكان صاحب قصص، وعبادة، وفضل، كان مولده سنة (١٩)، ومات سنة (١٠٣)، وكان موته بالاسكندرية.

• العقد الفريد: ٣٥٣/٧، المعارف: ٤٥٩، طبقات الحفاظ: ٤١، ٤٢، الثقات: ١٩٩/٥، سير أعلام النبلاء: ٤٤٨/٤، ٤٤٩، الجرح والتعديل: ٣٣٨/٦، التاريخ الكبير: ٤٦١/٦، تهذيب الأسماء واللغات: ٣٣٥/١، تهذيب التهذيب: ١٩٤/٧، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٣٢/٢، شذرات الذهب: ١٢٥/١، مرآة الجنان: ٢١٤/١.

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العالم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه.

ولد لستين مَصَنّاً من خلافة عمر رضي الله عنه، وقيل: لأربع مَضِين منها بالمدينة. رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وخلقاً سواهم. وقيل: إنه سمع من عمر.

وروى عن أبي بن كعب مرسلاً، وسعد بن عبادة كذلك، وأبي ذر وأبي الدرداء كذلك، وبلال كذلك.

= وروايته عن عليّ ، وسعد وعثمان ، وأبي موسى ، وعائشة ، وأمّ شريك ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن عمرو ، وأبيه المسيّب ، وأبي سعيد ، في « الصحيحين » .
ورويته عن حسان بن ثابت ، وصفوان بن أمية ، ومعر بن عبد الله ، ومعاوية ، وأم سلمة ، في « صحيح مسلم » .

ورويته عن جبير بن مطعم ، وجابر ، وغيرهما في « صحيح البخاري » .
ورويته عن عمر ، في « السنن الأربعة » .
وروي أيضاً عن زيد بن ثابت ، وسراقه بن مالك ، وصهيب ، والضحاك بن سفيان ، وعبد الرحمن ابن عثمان التيميّ ، وروايته عن عتاب بن أسيد في « السنن الأربعة » ، وهو مُرسل .
وأرسل عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر الصديق ، وكان زوج بنت أبي هريرة ، وأعلم الناس بحديثه .
قال الحافظ الذهبيّ : وكان مثنّ برز في العلم والعمل ، وقع لنا جملة من عالي حديثه .
أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق القرافي ، أنبأنا الفتح بن عبد الله الكاتب ، أنبأنا محمد بن عمر الشافعيّ ، ومحمد بن أحمد الطرائفيّ ، ومحمد بن علي بن الداية ، قالوا : أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن المسلمة ، أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحمن الزهرّيّ سنة ثمانين وثلاث مائة ، أنبأنا جعفر بن محمد الفريائيّ ، حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وإن صلى ، وزعم أنّه مسلم : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اتّبع خان » .
هذا صحيح عالٍ ، فيه دليل على أن هذه الخصال من كبار الذنوب ، أخرجها مسلم في الإيمان ، باب خصال المنافق من كبار الذنوب .

أخرجها مسلم برقم (٥٩)، (١١٠) في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، وهذا الحديث مما عدّه جماعة من العلماء مشكلاً ، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصداقاً بقلبه ولسانه ، وفعل هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال ، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله ، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ، ولكن اختلف العلماء في معناه ؛ فالذي قاله المحققون والأكثرون ، وهو الصحيح المختار ، أن معناه : أن هذه الخصال نفاق ، وصاحبها شبيه المنافقين في هذه الخصال ، ومُتَخَلِّقٌ بأخلاقهم ، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه ، وهذا المعنى موجود في هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدّثه ، ووعدّه ، واثمنه من الناس ، لا أنه مُتَنَاقٍ في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ، ولم يُرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدون في الدرك الأسفل من النار .

وعن عبد العزيز بن المختار ، عن عليّ بن زيد ، حدثني سعيد بن المسيّب بن حَزَن ، أن جدّه حزناً أتى النبي ﷺ فقال : « ما اسمك ؟ قال : حَزَن ، قال : بل أنت سَهْل » قال : يا رسول الله ، اسم سُمائي به أبواي وعُرِفْتُ به في الناس ، فسكت عنه النبي ﷺ ، قال سعيد : فمأزنا تُعرف الحُزونة فينا أهل البيت .

والحَزَن : ما غُلِظَ من الأرض ، وهو ضد السهل ، واستُعْمِلَ في الخُلُق ؛ يقال : فلان حَزُون ، أي =

= في خُلُقِهِ غِلْظَةٌ وَقَسَاوَةٌ .

هذا حديث مرسل ، ومراسيل سعيد مُحْتَجٌّ بها ، لكن علي بن زيد ليس بالحجة ، وأما الحديث فمروي بإسناد صحيح ، متصل ، ولفظه : أن النبي ﷺ قال له : « ما اسمك ؟ » قال : حَزْنٌ ، قال : أنت سَهْلٌ ، فقال : لا أُغَيِّرُ اسماً سَمَّاهُ أبى . قال سعيد : فمازالتَ تِلْكَ الحَزُونَةُ فينا بعد .

أخرجه البخاري في الأدب ، باب اسم الحزن ، قال ابن بطال : فيه أن الأمر بتحسين الأسماء ، وبتغيير الاسم إلى أحسن منه ليس على الوجوب . وقال ابن التين : معنى قول ابن المسيب : « فما زالت فينا الحزونة » ، يُريد امتناع التسهيل فيما يريدونه . وقال الداودي : يريد الصعوبة في أخلاقهم ، فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خُلُقٍ معروف فيهم لا يكاد يتعدم منهم ، إلا أن سعيداً أفضى به ذلك إلى الغضب في الله .

قال أحمد بن حنبل ، وغير واحد : مُرسلات سعيد بن المسيب صحاح .

وقال قتادة ، ومكحول ، والزهرى ، وآخرون ، واللفظ لقتادة : مارأيتُ أعلمَ من سعيد بن المسيب .

وقال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب ، هو عندي أَجَلُ التابعين .

عبد الرحمن بن حرملة : سمعتُ ابن المسيب يقول حَجَجْتُ أَرْبَعِينَ حِجَّةً .

قال يحيى بن سعيد الأنصاري : كان سعيد يُكْثِرُ أن يقول في مجلسه : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ .

مَنْ : سمعتُ مالكا يقول : قال سعيد ابن المسيب : إن كنتُ لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

أبو اسحاق الشيباني : عن بُكَيْرِ بن الأخنس ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعتُ عمر على المنبر وهو يقول : لا أجدُ أحداً جامعَ فلم يَغْتَسِلَ ، أُنْزِلَ أَوْكُمُ يُنْزَلُ ، إلا عَاقِبَتُهُ . رجاله ثقات .

وفيه حُجَّةٌ لم يقول إن سعيداً رأى عمر وسمع منه ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب) حديثاً وقع له بإسناد صحيح لا مطعن فيه ، فيه تصريح سعيد بسماعه من عمر .

قال الواقدي : حدثنا عبد الله بن جعفر ، وَغَيْرُهُ من أصحابنا ، قالوا : استعمل ابن الزبير جابر ابن الأسود بن عوف الزُّهْرِيُّ على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير ، فقال سعيد بن المسيب : لا ، حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إلى جابر يلومه ويقول : مالنا ولسعيد ، دَعُهُ .

وكان جابر بن الزبير قد تزوج الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيدٌ والسياط تأخذه : والله ما رَبَعْتُ على كتاب الله ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيراً حتى قُتل ابن الزبير .

عن أبي عيسى الخراساني : عن ابن المسيب ، قال : لا تَمْلُؤُوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا يأنكار من قلوبكم ، لكيلا تُخَيِّطَ أعمالكم .

أبناؤنا أبو نعيم ، حدثنا القُطَيْمِيُّ ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا الحسن بن عبد العزيز ، قال : كُتِبَ إلى ضَمْرَةَ بن ربيعة عن إبراهيم بن عبد الله الكناfi ، أن سعيد بن المسيب زَوَّج ابنته بدرهمين .

قال الواقدي : كان سعيد بن المسيب من أَعْبَرِ الناس للرؤيا ، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأخذته أسماء عن أبيها ، ثم ساق الواقدي عدة منامات ، منها :

حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عُيَيْدِ الله بن عبد الرحمن بن السائب ، قال رجل لابن المسيب : إنه رأى =

وأنس بن مالك^(١)، وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

= كأنه يخوض النار ، قال : لآتموتُ حتى تركب البحر ، وتموت قتيلًا . فركب البحر ، وأشفى على التهلكة ، وقُتل يوم قُديد . (وقد يد موضع بين مكة والمدينة ، فيه كانت الوقعة سنة (١٣٠) بين أهل المدينة وبين أبي حمزة الخارجي ، فقتل منهم مقتلة عظيمة) .
العطاف : عن ابن حرمة ، قال : قال سعيد : لاتقولوا مُصَيِّحَف ، ولا مُسَيِّجِد ، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل .

الواقدي : أنبأنا طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب ، عن أبيه : قال سعيد بن المسيب : قلّة العيال أحدُ اليسرين . وفي لفظ آخر : أحدُ اليسارين .
مالك : عن يحيى بن سعيد قال : سئل سعيد بن المسيب عن آية ، فقال سعيد : لا أقول في القرآن شيئاً . قال الذهبي : ولهذا قل ما يُقل عنه في التفسير .

معاوية بن صالح : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : أوصيتُ أهلي بثلاث : أن لا يتبعني راجز ولا نار ، وأن يعجلوا لي ، فإن يكن لي عند الله خير فهو خير مما عندكم .
أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن قيس الزيات ، عن زُرعة بن عبد الرحمن ، قال : قال سعيد بن المسيب : يا زرة إني أشهدك على ابني محمد لا يؤذَنُ لي أحدًا ، حسبي أربعة يحملونني إلى ربي .
مات سعيد بن المسيب بالمدينة وهو بن خمس وسبعين سنة سنة أربع وتسعين وكان يُقال لهذه السنة : سنة الفقهاء ، لكثرة من مات منهم فيها .

• طبقات ابن سعد : ١١٩ / ٥ - ١٤٣ ، التاريخ الكبير : ٣ / ٥١٠ - ٥١١ ، المعارف : ٤٣٧ ، الجرح والتعديل : ٤ / ٥٩ - ٦١ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٦١ - ١٧٥ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢١٩ - ٢٢١ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٨ ، تهذيب التهذيب : ٤ / ٧٤ - ٧٧ ، طبقات الحفاظ : ٢٥ ، خلاصة تهذيب الكمال : ١ / ٣٩٠ - ٣٩١ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢١٧ - ٢٤٦ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٢ ، صفة الصفوة : ٢ / ٥٧ - ٥٨ ، البداية والنهاية : ٩ / ١١٧ - ١١٩ ، مرآة الجنان : ١ / ١٨٥ - ١٨٧ ، معجم البلدان : ٤ / ٣٥٥ ، تاريخ الطبري : ٧ / ٣٩٣ ، لسان العرب : ١٣ / ١١٧ (مادة حزن) ، مسلم بشرح النووي : ٢ / ٤٠٦ - ٤٠٨ كتاب الإيمان باب خصال المنافق ، فتح الباري : ١٠ / ٧٠٢ باب (١٠٧) اسم الحزن حديث رقم (٩٦١٠) .

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، الإمام ، المفتي ، المقرئ ، المحدث ، راوية الإسلام ، أبو حمزة الأنصاري ، الحزرجي ، التجاري ، المدني ، خادم رسول الله ﷺ ، وقرايته من النساء ، وتلميذه ، وبعه ، وآخر أصحابه موتاً .
روى عن النبي ﷺ علماً جماً ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاذ ، وأسيد بن الحضير ، وأبي طلحة ، وأمه أم سليم بن ملحان ، وخالته أم حرام ، وزوجها عبادة بن الصامت ، وأبي ذر ، ومالك بن صعصعة ، وأبي هريرة ، وفاطمة النبوية ، وعدة .

وروى عنه خلق عظيم ، منهم : الحسن ، وابن سيرين ، والشَّعْبِي ، وخلق كثير ، وبقي أصحابه الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة .

وكان أنس يقول : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، ومات وأنا ابن عشرين ، وكُنْ =

= أُمّهَاتِي يَحْتَنِينِي عَلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فصحب أنس رسول الله ﷺ أتمَّ الصحبة ، ولازمة أكمل الملازمة منذ هاجر ، وإلى أن مات ، وغزا معه غير مرة ، وباع تحت الشجرة .
لم يُعَدِّه أصحاب المغازي في البدرين لكونه حضرها صبيّاً ، ما قاتل ، بلى بقي في رحال الجيش ، فهذا وجه الجمع .

قال أبو هريرة : ما رأيتُ أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم ، يعني أنساً . وقال أنس ابن سيرين : كان أنس بن مالك أحسنَ الناس صلاة في الحضر والسفر .
مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون ، اتفق له البخاري ومسلم على مئة وثمانين حديثاً ، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً . ومسلم بتسعين ، وروى له الأربعة ، وجملة مروياته (٢٢٨٦) حديثاً .
قال أنس رضي الله عنه : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما ضربني ، ولا سبني ، ولا عبس في وجهي ؛ رواه الترمذي بأطول من هذا . وقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، قال أنس : والله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحوٍ من مائة اليوم ، قال بعضهم : بلغ مائة وثلاث سنين .

ذكر صلاح الدين الصَّدَقِيّ في (الوافي) ، أن عليّ بن زيد بن جُدعان قال : كنتُ في دار الإمارة والحجّاج يعرض الناس أيام ابن الأشعث ، فدخل أنس بن مالك ، فلما دنا من الحجّاج قال الحجّاج : ياخيشه ! جوال في الفتن ، مرّة مع عليّ بن أبي طالب ، ومرّة مع ابن الزُّبَيْر ، ومرّة مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة ، ولأجردنك كما يُجرّد الضبّ ! فقال له أنس : من يعني الأمير ، أصلحه الله ؟ قال : إياك أعني ، أصمّ الله سمعك ! فاسترجع أنس وشغل عنه ، فخرّج أنس وتبعته وقلت : ما منعك أن تجيبه ؟ فقال : والله لولا أني ذكرتُ كثرة ولدي ، وخشيته عليهم ، لأسمعته في مقامي هذا مالا يُستحسن لأحد من بعدي .

وكتب إلى عبد الملك : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وصاحبه . أما بعد ، فإن الحجّاج قال لي هُجْراً من القول وأسمعني نُكْراً ، ولم أكن لما قال أهلاً ، إنه قال لي كذا وكذا ، وإني أقسمتُ . بخدمتي لرسول الله ﷺ عشر سنين كوامل : لولا صبية صغار ما باليتُ أيّة قِتْلَةٍ قُتِلْتُ ، ووالله ، لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدّم نبيهم لأكرموه ! فعُدّلي على يده ، وأعني عليه ، والسلام .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غضباً ، وكتب إلى الحجّاج : أما بعد ، فإنك عبدٌ من ثقيف ، طمحت بك الأمور ، فعلوت فيها وطغيت ، حتى عدوت قدرك ، وتجاوزت طورك ، يا ابن المستفرمة بعجم الزَّيْب ، لأعزمنك غمز الليث ، ولأخبطنك خبطة ، ولأركضنك ركضة تؤدُّ معها لو أنك رجعت في مخرجك من وجار أمك .

أما تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف ، وحفرهم الأبار بأيديهم ، ونقلهم الحجارة على ظهورهم ؟ أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل ، وقد بلغ أمير المؤمنين ما كان منك إلى أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ القريب ، وصاحبه في المشهد والمغيب ، جُرأة منك على الله ورسوله ، وأهمل المؤمنين والمسلمين ، وإقداماً على أصحاب رسول الله ﷺ ، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين ، أصنّك الرجلين ، ممسوح الجاعرتين ، لقد هممتُ أن أبعث إليك من يسحبك ظهره لبطن حتى يأتي بك أبا =

= حمزة ، فيحكم فيك بما يراه .

ولو علم أمير المؤمنين أنك اجترمت إليه جُرمًا ، أو انتهكت له عرضاً غير ما كتب إليه ، لفعل ذلك بك . فإذا قرأت كتابي هذا ، فكنْ له أطوع من نعله ، واعرف حقَّه ، وأكرمه وأهله ، ولا تُقصرنْ في شيء من حوائجه ، فوالله لو أن اليهود رأَتْ رجلاً خَدَمَ الغُزَيْرَ ، أو التَّصَارِيَّ رَأَتْ رجلاً خَدَمَ المسيح ، لو قَرَّوه وعظَّموه ، فبِأَنَّكَ لَكَ ، لقد اجترأت ونسيت العهد ، وإياك أن يبلغني عنك خلاف ذلك ، فأُبْعَثُ إليك من يضربك بطناً لظهر ، ويهتك سترك ، ويُشمت بك عدوك ، والَقَّةُ في منزله مُتَّصِلًا إِلَيْهِ ليكتب إليَّ برضاه عنك ! ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

وكتب عبد الملك إلى أنس : لأبي حمزة أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ ، من عبد الملك ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت في أمر الحجاج ، وإني والله ما سلطته عليك ولا على أمثالك . وقد كتبْتُ إليه ما يبلغك ، فإن عاد لثلثها فعزفني حتى أجلَّ به عقوبي ، وأذله بسطوتي ، والسلام عليك .

ثم أرسل إلى اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، ودفع إليه الكتابين ، وقال : اذهب إلى أنس والحجاج ، وابدأ بأنس ، وقل له : أمير المؤمنين يسلم عليك ويقول لك : قد كتبْتُ إلى عبد بني ثقيف كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك ، واستعرض حوائجه ، فركب اسماعيلُ البريد ، فلما دفع الكتاب إلى الحجاج ، جعل يقرأه ويتمعر وجهه ، ويرشح عرقاً ، ويقول : يغفر الله لأمر المؤمنين ! ثم قال : نمضي إلى أنس ، فقال له : على رسلك ، ثم مضى إلى أنس وقال له : يا أبا حمزة ، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل ، وهو يقرأ عليك السلام ، ويستعرض حوائجك .

فيكي أنس وقال : جزاه الله خيراً ، كان أعرف بحقي ، وأبرَّ بي من الحجاج . قال : وقد عزم الحجاج على الجيء إليك ، فإن رأيت أن تتفضل عليه فأنت أولى بالتفضل .

فقام أنس ودخل إلى الحجاج إليه واعتنقه وأجلسه على سريه ، وقال : يا أبا حمزة ، عجلت على بالملامة ، وأغضبت أمير المؤمنين ، وأخذ يعتذر إليه ويقول : قد علمت شعب أهل العراق ، وما كان من ابنك مع ابن الجارود ، ومن خروجك مع ابن الأشعث ، فأردت أن يعلموا أنني أسرع إليهم بالعقوبة إذ قلتُ لثلثك ما قلتُ .

فقال أنس : ما شكوتُ حتى بلغ مني الجهد ، زعمتُ أننا الأشرار ، والله سمنا الأنصار ، وزعمتُ أننا أهل النفاق ، ونحن الذين تبوأنا الدار والإيمان ، والله يحكم بيننا وبينك ، وما وكلتُك إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم يكن لي به قوة ، ولا آوي إلى ركن شديد .

ودعا لعبد الملك وقال : إن رأيتُ خيراً حدثتُ ، وإن رأيتُ شراً صبرتُ ، وبالله استعنتُ .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما بعد ، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، ولا أعْدَمناه ، وصلني الكتاب يذكر فيه شتمي وتعيري بما كان قبل نزول النعمة لي من أمير المؤمنين ، ويذكر استطالتي على أنس ، جرأة مني على أمير المؤمنين ، وغرّة مني بمعرفة سطواته ونقماته ، وأمير المؤمنين أعزّه الله في قرابته من رسول الله ﷺ أحقُّ من أقالني عثرتي ، وعفا عن جرمي ، ولم يجعل عقوبي ، ورأيه العالي في تفرج كربتي ، وتسكين روعي ، أقاله الله العثرات : قد رأى اسماعيل بن أبي المهاجر خضوعي لأنس ، وأعظامي إيّاه واعتذر إليه اعتذاراً كثيراً .

وقيل : بُعِثَ وله من العمر ثلاث وأربعون سنة ، وقيل : أربعون ويوم^(١) ،
وقيل : وعشرة أيام وقيل : وشهرين^(٢) ، وقال ابن شهاب : بُعِثَ على رأس خمس
عشرة سنة من بُيان الكعبة ، فكان بين مبعثه وبين الفيل سبعون سنة .

قال إبراهيم بن المنذر : هذا وَهَمٌ لا يشك فيه أحد من علمائنا ، وذلك أن

= ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال : يا أبا حمزة ، إنك قد صحبت رسول الله ﷺ ، ورأيت
من عمله وسيرته ومنهاجه ، فهذا خاتمي ، فليكن في يدك ، فأرى برأيك ، ولا أعمل شيئاً إلا بأمرك .
فقال له أنس : أنا شيخٌ كبير ، قد ضعفْتُ وِرْقَتُ ، وليس في اليوم ذاك . فقال : قد علمت ، لفلان
وفلان ، فابالي أنا ؟ فانظر إن كان في بنيك مَنُ تثقُ بدينه وأمانته وعقله ! قال : ما بي بني من أتق لك
به ! وكثر الكلام بينهما .

وقال الحجاج يوماً من جملة كلام : لقد عِثْتُ فما تركت شيئاً ، ولولا خدمتك لرسول الله ﷺ
وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن ، فقال أنس : هيهات ! إني لما خدمتُ رسول الله ﷺ
علمني كلماتٍ لا يضرني معهنَّ عتُو جَبَّار ، فقال له الحجاج : يا عمَّاه لو علمتِهنَّ ! فقال أنس : لستُ
لذلك بأهل ، فدرسَ إليه الحجاج ابنه محمداً ، ومعه مائتي ألف درهم ، ومات الحجاج قبل أن يظفر
بالكلمات .

وقال أنس : دفنتُ من صليبي مائة ولد ، وإن نخلي ليثمر في السنة مرتين ، وعشت حتى استحييتُ من
أهلي وأنا أرجو الرابعة - المغفرة - لأن النبي ﷺ قال : اللهم أكثر ماله ، وولده ، وأطل عمره ، وأغفر
له ذنبه ، وبارك له فيما أعطيته .

وقال ابن سعد : كان يصلي حتى تَنَقَّطَ رجلاه دماً ، وكان مجاب الدعوة ، يدعو فينزل الغيث ، وكان
إذا أراد أن يحتم القرآن جمع أهله وعياله وولده ، فيختم بحضرتهم .
بلغ مائة وثلاث سنين ، وتوفيَّ على الصحيح سنة ثلاث وتسعين للهجرة .

• مرآة الجنان : ١ / ١٨٢ ، البداية والنهاية : ص ١٣١ من الفهارس (فهرس الوفيات) ، تهذيب
التهذيب : ١ / ٣٢٩ - ٣٣١ ، الإصابة : ١ / ١٢٦ - ١٢٩ ، خلاصة تهذيب الكمال :
١ / ١٠٥ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٠ - ١٠١ ، الثقات : ٣ / ٤ ، أسماء الصحابة الرواة : ٣٩ ،
تفحيف الفهوم : ٣٦٣ ، تاريخ الصحابة : ٢٨ - ٢٩ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٦١ - ٣٦٢ ، الإعلام
بوفيات الأعلام : ٥١ ، الوافي بالوفيات : ٩ / ٤١١ - ٤١٦ ، سير أعلام النبلاء :
٣ / ٣٩٥ - ٤٠٦ ، طبقات ابن سعد : ٧ / ١٧ - ٢٦ ، التاريخ الكبير : ٢ / ٢٧ ، التاريخ الصغير :
١ / ٢٠٩ ، المعارف : ٣٠٨ ، الجرح والتعديل : ٢ / ٢٨٦ ، المستدرک : ٣ / ٥٧٣ ، الاستيعاب :
١ / ١٠٩ - ١١١ ، جامع الأصول : ٩ / ٨٨ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١ / ١٢٧ .

(١) في (خ) « ويوماً » والرفع أصح للعطف على نائب الفاعل .

(٢) في ابن هشام : نقلاً عن ابن إسحق « أربعين سنة » ج ١ ص ٢١٦ وفي (البداية والنهاية) « أن رسول
الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته لإسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة
والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه ،
(ج ٣ ص ٤) .

رسول الله ﷺ ولد عام الفيل لا يختلفون في ذلك ، وثبِّيَ على رأس أربعين من الفيل ، وذلك على رأس مائة وخمسين سنة من عام حجة الغدر^(١) ولست عشرة سنة من ملك أبرويز ، ويقال : بل لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، وعلى الحيرة إياسُ بن قبيصة الطائي عاملاً للفرس على العرب ومعه النخیرجان^(٢) الفارسي على رأس ستين وأربعة أشهر من ملكهما ، وعلى اليمن يومئذ باذان^(٣) أبو مهران .

أول ما نُزِّل من القرآن

فعلم ﷺ من حيثئذ أن الله بعثه نبياً ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه بغار حراء فقال له : اقرأ ، قال : لست بقاريء ، فغته^(٤) حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله ، فقال : اقرأ ، قال : لست بقاريء ، فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾^(٥) فرجع بها ﷺ ترجف بوادره ، فأخبر بذلك خديجة رضي الله عنها وقال : قد خشيت على عقلي ، فثبته وقالت : أبشر ! كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل^(٦) وتعين على نوائب الدهر — في أوصاف أخر جميلة عددها من أخلاقه — تصديقاً منها له وإعانة على الحق ، فهي أول صديق له ﷺ .

وقيل : أول ما أنزل عليه من القرآن : البسملة و فاتحة الكتاب^(٧) وقيل : هي مدنية . وقيل : لما فجأه الحق وأتاه جبريل قال له : يا محمد ، أنت يا رسول

(١) كذا في (خ) ولم يرد لها ذكر في المراجع المعتمدة .

(٢) في (خ) « الحرجان » .

(٣) في (خ) « ساذم » وهو خطأ والصواب « باذان ، أو باذام » (ط) ص ١٣ « هامش » .

(٤) في المعجم الوسيط « فأخذني جبريل فغطني حتى بلغ مني الجهد » : أي ضغطني ضغطاً شديداً (ج ٢ ص ٦٤٤) .

(٥) الآيات من (١ — ٥) من سورة العلق وهي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق .

(٦) الكل : تقول : « وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم يبعث فيه » (التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص ٨٦) .

(٧) ذكر الطبري في تفسيره « ... عن عطاء بن يسار ، قال : أول سورة نزلت من القرآن : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (ج ٣٠ ص ٢٥٢) .

وقيل : أول ما أتى جبريلُ النبي ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين لسبع عشر خلت من رمضان ، فعلمه الوضوء والصلاة ، وعلمه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

فترة الوحي

والتحقيق أن جبريل عليه السلام لما جاءه بغار حراء وأقرأه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ورجع إلى خديجة ، مكث ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئاً وتمر عنه^(٢) الوحي ، فاغتم لذلك وذهب مراراً ليتردى من رعوس الجبال شوقاً منه إلى ما عاين أول مرة من حلاوة مشاهدة وحي الله إليه . فقيل : إن فترة الوحي كانت قريباً من سنتين ، وقيل : كانت سنتين ونصفاً ، وفي تفسير عبد الله بن عباس كانت أربعين يوماً ، وفي كتاب معاني القرآن للزجاج كانت خمسة عشر يوماً ، وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام ، ورجَّحه بعضهم وقال : ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه^(٣) .

تتابع الوحي وبدء الدعوة

ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسيٍّ ، وثبته وبشره أنه رسول الله حقاً ، فلما رآه فرق منه ، وذهب إلى خديجة رضي الله عنها فقال : « زَمِّلُونِي ... دَثِّرُونِي ... » ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبُّكَ فَكْبَرُ * وَثَابِكَ فَطْهَرُ ﴾^(٤) فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإحياء ، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ . فشَمَّرَ ﷺ عن ساق الاجتهاد ، وقام في طاعة الله أتم قيام ، يدعو إلى الله تعالى الصغير والكبير ،

(١) هكذا في (خ) ولعلها « أنت رسول الله » .

(٢) في (خ) « عن عنه » والصحيح ما أثبتناه .

(٣) في (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) ص ٥١٣ : « حبس الله عنه الوحي خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء ، فقال المشركون : ودَّعه ربه وقلاه » وفي (البداية والنهاية) ج ٣ ص ١٧ « وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً » .

وفي تفسير الطبري ج ٣٠ ص ٢٣٢ : « لما نزل عليه القرآن أبطل عنه جبريل أياماً فغير بذلك ، فقال المشركون : ودَّعه ربه وقلاه . فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٣/الضحى) .

(٤) ١ - ٤ / المدثر .

والحر والعبد ، والرجال والنساء ، والأسود والأحمر ، فكان فيما قاله عروة بن الزبير ، ومحمد بن شهاب ، ومحمد بن إسحاق : من حين أتت النبوة وأنزل عليه ﴿اقرأ باسم ربك﴾^(١) إلى أن كلفه الله الدعوة ، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾^(٢) وقوله : ﴿وانذر عشيرتلك الأقربين﴾^(٣) ، ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾^(٤) — ثلاث سنين ، لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به ، منهم خديجة وعلي وزيد وأبو بكر رضي الله عنهم ، فدعا ثلاث سنين مستخفياً ، وقيل : دعا مستخفياً أربع سنين ثم أعلن الدعاء وصدع بالأمر .

إسلام خديجة

ويقال : إن الله ابتعثه نبياً في يوم الاثنين لثمان مضي من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد مضى من مولده ﷺ أربعون سنة ويوم .
ويقال : علمه جبريل عليه السلام الوضوء والصلاة في يوم الثلاثاء وأقرأه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١) فأتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله ، وعلمها الوضوء والصلاة فصلت معه ، فكانت أول خلق صلى معه .

إسلام أبي بكر

ثم استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان حائز قصب السبق : «أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب»^(٥) بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه «فآزره في دين الله وصدقته فيما جاء به ، ودعا معه إلى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبي بكر رضي الله عنه جماعة منهم : .

(٢) ٩٤ / الحجر .

(٤) ٨٩ / الحجر .

(١) ١ — ٥ / الملق .

(٣) ٢١٤ / الشعراء .

(٥) ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص ١٦٧ .

أوائل المسلمين

« عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي^(١) القرشي الأموي » ، و « طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة^(٢) القرشي التيمي » و « سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب^(٣) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري » ، و « الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي^(٤) الأسدي » ، و « عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث^(٥) بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري » : فجاءهم رسول الله ﷺ حتى استجابوا له بالإسلام وصلّوا ، فصار المسلمون ثمانية نفر ، أول من أسلم وصلى لله تعالى .

إسلام علي وزيد الحب

وأما « علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي » ، فلم يشرك بالله قط ، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد ﷺ^(٦) ، فعندما أتى رسول الله ﷺ الوحي ، وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت ، كانت هي وعلي بن أبي طالب ، و « زيد بن حارثة بن شراحيل ابن عبد العزى بن امرئ القيس^(٧) بن عامر بن عبد ود بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى » حب رسول

(١) ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب (السهيلي) ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢) ابن مرة بن كعب بن لؤي (السهيلي) ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) في بعض كتب السيرة : ابن « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

الزيادة من (السهيلي) ج ١ ص ٢٨٨ .

(٤) ابن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (المعارف) ص

٢١٩ .

(٥) هكذا في (خ) وفي (المعارف) ابن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة

بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . ص ٢٣٥ .

(٦) في (خ) بعد قوله و « سلم » كلمة « الوحي » وهي زيادة من الناسخ اقتضى السياق حذفها .

(٧) ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن

عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبى (الإصابة) ج ١ ص ٤٥ في ترجمة

أسامة بن زيد .

الله ﷺ — يصلون معه . وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلّي صلاة الضحى ، وكانت صلاة لا تنكرها^(١) قريش . وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصّدانه .

وكان ﷺ وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى ، وكانوا يصلون الضحى والعصر ، ثم نزلت الصلوات الخمس ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين قبل الهجرة .

فلم يحتج علي رضي الله عنه أن يدعى ، ولا كان مشركاً حتى يُوحّد فيقال أسلم ، بل كان — عندما أوحى الله إلى رسول الله ﷺ — عمره ثماني سنين ، وقيل : سبع سنين ، وقيل : إحدى عشر سنة . وكان مع رسول الله ﷺ في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله . وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم ممن له أهلية الذبّ عن رسول الله والحماية والمناصرة .

هذا هو التحقيق في المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين ، وقد قال عمر مولى غفرة^(٢) : سئل محمد بن كعب [القرظي]^(٣) عن أول من أسلم ، علي بن أبي طالب أو أبو بكر ؟ فقال : سبحان الله ! عليّ أولهما إسلاماً ، وإنما اشتبه علي الناس لأن علياً أول ما أسلم كان يخفي إسلامه من أبي طالب ، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه ، فكان أبو بكر أول من أظهر إسلامه ، وكان علي أولهما إسلاماً ، فاشتبه علي الناس — وكذلك أسلمت خديجة وزيد بن حارثة^(٤) .

إسلام ورقة بن نوفل

ثم أسلم القسّ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وصدّق بما وجد من الوحي ، وتمنى أن لو كان جدّاً^(٥) ؛ وذلك أول ما نزل الوحي .

(١) في (خ) لا ينكرها .

(٢) في (تهذيب التهذيب) : عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة ج ٧ ص ٤٧١ ترجمة رقم ٧٨٣ ، وفي (خ) « غفرة » .

(٣) محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي ، زيادة من (تهذيب التهذيب) ج ٩ ص ٤٢٠ ترجمة رقم ٦٨٩ .

(٤) راجع (الروض الأنف) ج ١ ص ٢٨٤، ٢٨٥ باب أول من أسلم ، ونشأة علي بن أبي طالب .

(٥) الجدّع من الرجال : الشاب الحدّث . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١١٣ .

إسلام الأرقم

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على بصيرة فأسلم الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف^(١) بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سابع سبعة^(٢) ، وقيل : بعد عشرة^(٣) وفي داره كان النبي ﷺ مستخفياً من قريش ، وكانت على الصفا ، فأسلم فيها جماعة كثيرة .

إيذاء رسول الله ﷺ

وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله ﷺ من النبوة راعهم ذلك وكبر عليهم ، ولم ينكروا عليه شيئاً من أمره حتى غاب آهتهم وسفه أحلامهم ، وذم آباءهم وأخبر أنهم في النار ، فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به .

فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة ، وصان الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب ، لأنه كان شريفاً في قومه مطاعاً فيهم ، نبيلاً بينهم ، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول الله ﷺ لما يعلمون من محبته له ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة .

إيذاء المسلمين

هذا ؛ ورسول الله ﷺ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً ، لا يصده عن ذلك صائد ، ولا يرده عنه راد ، ولا يأخذه في الله لومة لائم . واشتد أذى المشركين على من آمن ، وفتنوا جماعة منهم ، حتى إنهم كانوا يضربونهم ويلقونهم في الحر ، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في الحر ، وكان أحدهم إذا أطلق لا يستطيع أن يجلس لشدة الألم . ويقولون لأحدهم وهو يعذب في الله : اللات إلهك من دون الله ؟ فيقول مكراً : نعم ! ، وحتى إن الجعل ليمر فيقولون : وهذا إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ! .

ومر الخبيث أبو جهل : « عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن

(١) في (خ) عبد مناة ، والتصويب من (الإصابة) ج ١ ص ٤٣ .

(٢) ذكره الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) (الإصابة) ج ١ ص ٤٠ ترجمة رقم ٧٣ .

مخزوم بن يقظة بن مرة « بَسْمِيَّة » أم عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العبسي « وهي تعذب في الله هي وزوجها ياسر بن عامر ، وابنها عمار بن ياسر فطعنها بحربة في فرجها فقتلها^(١) .

الذين أعتقهم أبو بكر من الموالى المعذبين

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مر بأحد الموالى وهو يعذب في الله اشتراه من مواليه وأعتقه لله ؛ فمن هؤلاء : بلال وأمه حمامة^(٢) ، وعامر بن فهيرة ، وأم عيس ، ويقال : أم عيس فتاة بني تيم بن مرة ، (وهي أم عيس بن كريض بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف) ، وزنيرة (زَيْنُرة بكسر الزاي وتشديد النون مع كسرهما على وزن فَعِيلَة ، وقيل : بفتح الزاي وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة) ، وسمية بنت خَبَّاط^(٣) (بياء موحدة ، قاله ابن ماکولا) ، والنهدية وابنتها ، وجارية لبني عدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعذبها على الإسلام قبل أن يُسلم .

حتى قال له أبوه أبو قحافة : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أعتقت قوماً جُلُداً يمنعونك ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : إني أريد ما أريد^(٤) فقال : نزلت فيه : ﴿ وَسِجْنَهَا الْأَنْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾^(٥) إلى آخر السورة .

هَمُّ قريش بقتله عند البيت

هذا وقد اشتد مكر قريش برسول الله وهموا بقتله ، فعرضوا على قومه دينته حتى يقتلوه ، فحماه الله برهطه من ذلك ، فهموا أن يقتلوه في الزحمة^(٦) بقول

- (١) ذكر ابن الجوزي أنها « أول شهيدة في الإسلام » (صفة الصفوة) ج ٢ ص ٦٠ .
- (٢) في (خ) « حامة » والصحيح ما أثبتناه من (ابن هشام بشرح السهيلي) ج ٢ ص ٦٧ .
- (٣) في (خ) « خبابة » وهو خطأ .
- (٤) في ابن هشام « أريد ما أريد لله عز وجل » ج ٢ ص ١٦١ .
- (٥) الآيتان ١٧ — ١٨ من سورة الليل .
- (٦) كان يوم الزحمة قبل الهجرة بقليل ، يقول ابن سيد الناس في كتاب (عيون الأثر) ج ١ ص ١٧٧ باب ذكر يوم الزحمة نقلاً عن ابن إسحق « ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منعة فحزروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب ... » .

قبائل قريش كلها ، وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، حتى كادت أيديهم أن تخط به أو تلتقي عليه ، فصاح أبو بكر : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فقال : دعهم يا أبا بكر ، فوالذي نفسي بيده ، إني بُعثت إليهم بالذبح ، فتفرجوا عنه . فكانت فتنة شديدة وزلزال شديد ، فمن المسلمين من عصمه الله ومنهم من افتتن .

أول من جهر بالقرآن ومن رجع عن الإسلام

ويقال : أول من جهر بالقرآن عبد الله بن مسعود فضُرب . ورجع عن الإسلام خمسة وهم : أبو قيس بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن منه بن الحجاج ، والحارث بن زَمعة بن الأسود ، والوليد بن الوليد بن المغيرة .

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما اشتد البلاء أذن الله لهم في الهجرة إلى الحبشة ، فكان أول من خرج من مكة فاراً بدينه إلى الحبشة : عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وتبعه الناس .

فخرج أحد عشر رجلاً وأربع نسوة متسللين حتى انتهوا إلى الشَّعْبَةِ^(١) ، منهم الراكب والماشي ، فَوَقَّ لهم ساعةً جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار . وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً ، وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه : عن قبيصة بن ذؤيب أن أبا سلمة ابن عمة رسول الله أول من هاجر بطعنيته^(٢) إلى أرض الحبشة .

وقيل : أول من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ، وذلك في رجب سنة خمس من المبعث ، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وبلغهم أن قريشاً أسلمت ، فعاد منهم قوم وتحلف منهم قوم . فلما قدم الذين قدموا إلى مكة بلغهم

(١) الشَّعْبَةُ : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة .

(معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥١) .

(٢) الطعينة : الراحلة يرتحل عليها . والهودج . والزوجة (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٧٦) .

أن إسلام أهل مكة كان باطلا ، فدخلوا مكة في شوال سنة خمس من النبوة ، وما منهم من أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

وأقام المسلمون بمكة وهم في بلاء ، فخرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعات — بلغ عددهم بمن خرج أولاً اثنين وثلاثين — فأواهم أصحاب النجاشي ملك الحبشة وأكرمهم .

بعثة قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمرو بن العاص ، بهدايا وتُحف إلى النجاشي ليردهم عليهم فأبى ذلك ، فشفعوا إليه بقواده فلم يجبهم إلى ما طلبوا فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى عليه السلام قولاً عظيماً : يقولون إنه عبد .

فأحضر المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر فقال : ما تقولون في عيسى ؟ فتلا عليه جعفر سورة ﴿كهيعص﴾^(١) فلما فرغ أخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال : ما زاد هذا على ما في الإنجيل ولا هذا العود ، ثم قال : اذهبوا فأنتم شُيُوم^(٢) بأرضي من سيكم غُرْم ، وقال لعمرو وعبد الله : لو أعطيتُموني ذُبراً من ذهب (يعني جبلا من ذهب) ما سلمتهم إليكما . ثم أمر فُردت عليهما هداياهما ورجعا بشرٌ خبيثة^(٣) .

(١) أول سورة مريم عليها السلام .

(٢) شُيُوم : كلمة حبشية معناها آمنون .

(٣) وقد أورد الحافظ أبو نعيم الأصبهاني هذا الخبر مفصلاً في (دلائل النبوة) ج ١ ص ٢٤٣ حديث رقم (١٩٣) ، حيث قال :

حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن عمر بن خالد الحراني قال : حدثنا أبي قال : حدثنا ابن لهيعة قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير في خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى الحبشة ، قال :

فبعثت قريش في آثارهم عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وعمرو بن العاص السهمي ، وأمروهما أن يُسرعا السير حتى يسبقاهم إلى النجاشي ، ففعلوا ، فقدموا على النجاشي فدخلوا عليه ، فقالا له : إن هذا الرجل الذي بين أظهرنا ، وأفسد فينا ، تناولك ليفسد عليك دينك ، ومُلْكُكَ وأهل سلطانك ، ونحن لك ناصحون ، وأنت لنا عَيَّة صدق ، تأتينا إلى عشيرتنا بالمعروف ، ويأمن تاجرنا عندك فَبَعَثْنَا قَوْمُنَا إِلَيْكَ لنُنذرك فساد مُلْكِكَ ، وهؤلاء نفرٌ من أصحاب الرجل الذي خرج فينا ، ونخبرك بما نعرف من خلافهم =

= الحق ، أنهم لا يشهدون أن عيسى بن مريم لآلها ، ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك ، فادفعهم إلينا فلنكفيهم .

فلما قدم جعفر وأصحابه ، وهم على ذلك من الحديث ، وعمر وعمار عند النجاشي ، وجعفر وأصحابه على ذلك الحال ، قال : فلما رأوا أن الرجلين قد سبقا ودخلا ، صاح جعفر على الباب يستأذن حزب الله ، فسمعها النجاشي ، فأذن لهم ، فلما دخلوا وعمر وعمار عند النجاشي ، قال : أيكم صاح عند الباب ؟ فقال جعفر : أنا هو ، فأمره فعاد لها .

فلما دخلوا وسلموا تسليم أهل الإيمان ، ولم يسجدوا له ، فقال عمرو بن العاص وعمار بن الوليد : ألم نبين لك خير القوم ، فلما سمع النجاشي ذلك أقبل عليهم ، فقال : أخبروني أيها الرهط ما جاء بكم ؟ وما شأنتكم ؟ ولم أتيتهموني ولستم بتجار ولا سؤال ؟ وما نبيكم الذي خرج ؟ وأخبروني مالكم ؟ لم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من أهل بلدكم ؟ وأخبروني ماتقولون في عيسى ابن مريم ؟

فقام جعفر بن أبي طالب - وكان خطيب القوم - فقال : إنما كلامي ثلاث كلمات ، إن صدقتُ فصدقني ، وإن كذبتُ فكذبني ، فأمر أحداً من هذين الرجلين فليتكلم ولينصت الآخر ، قال عمرو : أنا أتكلم ، قال النجاشي : أنت يا جعفر فتكلم قبله .

فقال جعفر : إنما كلامي ثلاث كلمات ، سئل هذا الرجل أعبيد نحن أبقنا من أربابنا ؟ فقال النجاشي : أعبيد هم ياعمرو ؟ قال عمرو : بل أحرار كرام ، قال جعفر : سئل هذا الرجل هل أهرقنا دماً بغير حقه ؟ فادفعنا إلى أهل الدم . فقال : هل أهرقوا دماً بغير حقه ؟ فقال : ولا فطرة واحدة من دم . ثم قال جعفر : سئل هذا الرجل أخذنا أموال الناس بالباطل ؟ فعندنا قضاء ؟ فقال النجاشي : يا عمرو ، إن كان على هؤلاء قطار من ذهب فهو عليّ . فقال عمرو : ولا قيراط ، فقال النجاشي : ما أطالبونهم به ؟ قال عمرو : فكنا نحن وهم على دين واحد ، وأمر واحد ، فتركوه ولزمناه .

فقال النجاشي : ما هذا الذي كنتم عليه فتركتموه وتبعتم غيره ؟

فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فدين الشيطان ، وأمر الشيطان ، نكفر بالله ونعبد الحجارة ، وأما الذي نحن عليه فدين الله عز وجل ، نخبرك أن الله بعث إلينا رسولا كما بعث إلى الذين من قبلنا ، فأتانا بالصدق والبر ، ونهانا عن عبادة الأوثان ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا ، وأرادوا قتل النبي الصادق ، وردنا في عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بدينا ودمائنا ، ولو أقرنا قومنا لاستقررنا ، فذلك خبرنا .

وأما شأن النحية : فقد حييناك بتحية رسول الله ﷺ ، والذي يحيي به بعضنا بعضاً ، أخبرنا رسول الله ﷺ أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالسلام ، وأما السجود ، فمعاذ الله أن نَسْجُدَ لإلا الله ، وأن نَعْبُدَكَ به .

وأما في شأن عيسى ابن مريم : فإن الله عز وجل أنزل في كتابه على نبينا ، أنه رسول قد خلت من قبله الرسل ، ولدته الصديقة العذراء البتول الحصان ، وهو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وهذا شأن عيسى ابن مريم .

فلما سمع النجاشي قول جعفر أخذ بيده عوداً ، ثم قال لمن حوله : صدق هؤلاء النفر ، وصدق نبيهم ، والله ما يزيد عيسى ابن مريم على ما يقول هذا الرجل ولا وزن هذا العود ، فقال لهم النجاشي : امكثوا فإنكم =

وقد ذكر محمد بن إسحق فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشعري ، وأنكر ذلك الواقدي وغيره . وهذا ظاهر لا يخفى على من دون ابن إسحق ، فإن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر ، كما ثبت في الصحيح وغيره . وقد قيل إن قريشاً بعثت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بعد وقعة بدر ، فلما

= سُيُوم - والسيوم : الآمنون - قد منعكم الله ، وأمر لهم بما يصلحهم .

فقال النجاشي : أيكم أدرُسُ للكتاب الذي أنزل على نبيكم ؟ قالوا ، جعفر ، فقرأ عليهم سورة مريم (عليها السلام) ، فلما سمعها عرف أنه الحق ، وقال النجاشي : زدنا من هذا الكلام الطيب ، ثم قرأ عليه سورة أخرى ، فلما سمعها عرف الحق ، وقال : صدقتم وصدق نبيكم ﷺ ، أنتم والله صديقون ، امكنوا على اسم الله وبركته ، آمنين ممنوعين ، وألقى عليهم الحجة من النجاشي .

فلما رأى ذلك عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص سَقَطَ في أيديهما ، وألقى الله بين عمرو وعمارة العداوة في مسيرهما قبل أن يُقدما على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا لها من طلب المسلمين ، فلما أخطأهما ذلك ، رجعا بشراً كانا عليه من العداوة وسوء ذات البين ، فمكر عمرو بعمارة ، فقال : يا عمارة ، إنك رجل جميل وسيم ، فأبَت امرأة النجاشي فتحدثت عندها إذا خرج زوجها ، تصيبها فتعيننا على النجاشي ، فإنك ترى ما وقعنا فيه من أمرنا ، لعلنا نُهلك هؤلاء الرهط .

فلما رأى ذلك عمارة انطلق حتى أتى امرأة النجاشي ، فجلس إليها يحدثها ، وخالف عمرو بن العاص إلى النجاشي فقال : إني لم أكن أخونك في شيء علمته إذ أطلعتُ عليه ، وإن صاحبي الذي رأيتُ لا يتألك عن الزنا إذا هو قدر عليه ، وإنه قد خالف إلى امرأتك ، فأرسل النجاشي إلى امرأته ، فإذا هو عندها ، فلما رأى ذلك أمر به فَنَقَعَ في إحليله سحر ، ثم ألقى في جزيرة البحر فعداد وحشياً مع الوحش ، يَرَدُ ويصُدُّر معها زماناً ، حتى ذُكِرَ لعشيرته ، فركب أخوه ، فانطلق معه بنفر من قومه ، فرصدوه حتى إذا وَرَدَ أوثقوه فوضعوه في سفينة ليخرجوا به ، فلما فعلوا به ذلك مات ، وأقبل عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه ، ومنع حاجته .

هذا الحديث مُرسل ، وفيه ابن نُهَيْمَة وهو صدوق ، ولكنه خلط بعد احتراق كتبه ، ولكن أورده المهيمني في (مجمع الزوائد) ٦ / ٢٧ بسياقة أخرى فيها تقديم وتأخير وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع ، وأخرجه أبو نعيم في (الحلية) ١ / ١١٥ ، و (السيرة) ٢ / ١٧٩ - ١٨٠ .

وفي هذا الحديث من الفقه : الخروج عن الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إسلام ، فإن الأحباش كانوا تصارى يعبدون المسيح ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في الحديث .

وسُمُوا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب المهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأولون ﴾ ، وجاء في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا المهجرتين .

وقد قيل أيضاً : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظروا كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كُفْر لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يُخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين .

سمع رسول الله ﷺ يبعث قريش عمرو بن أمية^(١) ربيعة، بعث عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي ، فقرأ كتابه ثم دعا جعفر بن أبي طالب ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فآمنوا .

هذا قول سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير . وقال أبو الأسود عن عروة : إن بعثتهم عمرو بن العاص كانت عند خروج المهاجرين إلى الحبشة ، وكان بين خروج المهاجرين إلى الحبشة وبين وقعة بدر خمس سنين وأشهر . وقيل : كانت بعثتهم عمرو بن العاص مرتين ، مرة مع عمارة بن الوليد^(٢) ومرة مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، قاله أبو نعيم الحافظ .

أعداء رسول الله من قريش

هذا ؛ ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله ، وكفار قريش تظهر حسده وتبدي صفحتها في عداوته وأذاه ، وتخاصم وتجادل وتردّ من أراد الإسلام عنه . وكان أشد قريش عداوة لرسول الله ﷺ جيرانه ، وهم : أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وعمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال رسول الله ﷺ ، والحرث بن قيس ابن عدي بن سعد بن سهم السهمي ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمّية وأبى ابنا خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤي ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن وائل بن هاشم^(٣) ابن سعيد بن سهم السهمي والد عمرو بن العاص ، والنضر بن الحرث بن علقمة ابن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، ومنبه ونُبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعيد^(٤) بن سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وزهير بن أبي أمية حذيفة بن المغيرة ، وهو ابن عمة^(٥) رسول الله ﷺ ، والعاص بن سعيد العاص بن أمية ، وعدى بن

(١) في (خ) « ابن ربيعة » .

(٢) في (ط) « بين الوليد » وهو خطأ .

(٣) في (خ) « هشام » وهي رواية ابن إسحق ، وأوردها ابن حجر في (الإصابة) « هاشم » في ترجمة عمرو بن العاص رقم ٥٨٧٧ .

(٤) في (خ) « وسعد » .

(٥) عاتكة بنت عبد المطلب .

الحمراء الخزاعي ، وأبو البختری العاص بن هشام بن (الحارث)^(١) بن أسد بن عبد العزی ، وعقبة بن أبي معیط أبان بن أبي عمرو بن أمية ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزی ، وابن الأصداء^(٢) الهذلي ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ، (وطعيمة بن عدی)^(٣) أخو مطعم بن عدی ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف^(٤) ، والحارث بن مالك (وقيل : عمرو ، وهو ابن الطلائة ، وهي أمه)^(٥) ابن عمرو بن الحارث (وهو غُبشان) بن عبد عمر بن بُؤی بن ملكان^(٦) ، وزُكَّانة بن عبد یزید بن هاشم بن المطلب^(٧) ، وهُبيرة بن أبي وهب الخزومي .

وكان الذين تنتهي إليهم عداوة رسول الله ﷺ : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي (معیط)^(٨) . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب^(٩) ، وهبيرة بن أبي وهب الخزومي ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ذَوِي عداوة للنبي ﷺ ، لكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء ، فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب ، عرفت قریش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

-
- (١) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٥ « أبو البختری بن هاشم بن الحارث بن أسد » . وفي ابن سعد ج ١ ص ٢١٠ « أبو البختری بن هاشم » وفي (خ) « أبو البختری العاص بن هشام » .
 - (٢) هكذا في ابن سعد ج ٣ ص ٩ « ابن الأصداء الهذلي » وفي المرجع السابق ج ١ ص ٢٠١ « ابن الأصدى الهذلي » . وهو الذي نطحته الأروى .
 - (٣) زيادة من (ط) وهو من أصحاب يوم الزحمة .
 - (٤) في (خ) العبارة من قوله « أخو عدي ... إلى عبد مناف » تكرار من الناسخ .
 - (٥) في (خ) : « وقيل عمرو بن الطلائة بن عمرو » والصواب ما أثبتناه .
 - (٦) وفي ابن سعد ج ٦ ص ٢٢٨ « اسمه الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر » .
 - (٧) في (خ) « ابن عبد المطلب » .
 - (٨) سقط في (خ) وصوابه من ابن سعد ج ١ ص ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ج ٢ ص ١٣ ، ٢٣ وغير ذلك .
 - (٩) ابن عم النبي وأخوه من الرضاعة ، وفي طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧١ (أبو سفيان بن حرب) . وذكر ابن سيد الناس في « عيون الأثر » ج ١ ص ١١٠ « وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به من بني هاشم : عمه أبا لهب وابن عمه أبا سفيان بن الحارث ، ومن بني عبد شمس : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأبا سفيان بن حرب وابنه حنظلة ... » .

إسلام عمر بن الخطاب

وأسلم عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رباح بن عبد الله بن قُرْط ابن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب القرشي العدوي رضي الله عنه ، ويقال : إنه أسلم بعد تسعة وأربعين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، وقيل : أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة ، وقيل : أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلاً ، وكان إسلامه بعد هجرة الحبشة ، وكان المسلمون لا يقدرّون يصلّون عند الكعبة .

عُزُّ الإسلام بعمر وحمزة

فلما أسلم عمر رضي الله عنه قاتل قريشاً حتى صلى عندها ، وصلى معه المسلمون ، وقد قَوَّوا بإسلامه وإسلام حمزة رضي الله عنهما ، وجهروا بالقرآن ولم يكونوا قبل ذلك يقدرّون أن يجهروا به ، ففشا الإسلام وكثر المسلمون .

أمر الصحيفة

وبلغ أهل مكة فعلُ النجاشي بالقادمين عليه وإكرامهم ، فساء ذلك قريشاً وائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ألا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يُسَلِّموا إليهم محمداً ﷺ .

وكتبوا بذلك صحيفة وختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعلقوها في سقف الكعبة . وقيل : بل كانت عند أمّ الجُلاس مخزّبة^(١) الحنظلية خالة أبي جهل ، ذكره ابن سعد^(٢) ، وعند ابن عقيبة : كانت عند هشام بن عبد العزى . فيقال : كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هشام عبد مناف ، ويقال : التَّضَرُّ بن الحارث ، ويقال : بَغِيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده .

(١) في (خ) « محرمة » وهو خطأ والتصويب من (ابن سعد) .

(٢) (الطبقات الكبرى) ج ١ ص ٢٠٩ .

انحياز بني هاشم وبني المطلب إلى شعب أبي طالب

وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة — إلا أبا لهب وولده. فإنهم ظاهروا قريشاً على بني هاشم — فصاروا في شِعب أبي طالب محصورين مضيقاً عليهم أشد التضيق نحواً من ثلاث سنين ، وقد قطعوا عنهم الميرة^(١) والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد ، وكان حكيم بن حزام^(٢) بن ثُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تأتيه العير تحمل الخنطة من الشام فيقبلها^(٣) الشَّعب ثم يضرب أعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من الخنطة .

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ثم هاجر المسلمون ثانياً إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً — إن كان عمار بن ياسر فيهم —^(٤) وثمانى عشرة امرأة .

نقض الصحيفة

ثم سعى في نقض الصحيفة أقوام من قريش . وكان أحسنهم في ذلك بلاء هشام ابن عمرو (بن ربيعة)^(٥) بن الحارث بن حُبَيْب بن جَذِيمَة بن مالك بن حِمْشَل بن عامر بن لؤي ، مشى في ذلك إلى زهير بن أبي أمية ، وإلى مُطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وإلى أبي البحتري بن هشام ، وإلى زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، وكان سهل بن بيضاء^(٦) الفهري هو الذي مشى إليهم حتى اجتمعوا

(١) الميرة : ما يجلب من الطعام .

(٢) ابن أخي خديجة رضي الله عنها .

(٣) أي يجعل وجوها قباله الشعب لتسلكه .

(٤) ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) : « أنه هاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين

الأولين » ج ٨ ص ٢٢٦ .

(٥) في (الإصابة) ابن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن جَذِيمَة ج ١٠ ص ٢٥٠ وفي (خ) ، (ط) (ابن حُبَيْب) .

(٦) ذكره ابن حجر في (الإصابة) برقم ٣٥١٣ ج ٤ ص ٢٦٩ وابن عبد البر في الاستيعاب برقم ١٠٨٠

ج ٤ ص ٢٧٠ .

عليه ، واتعدوا^(١) خطمَ الحَجون^(٢) بأعلى مكة ، وتعاهدوا هناك على القيام في نقض الصحيفة ، ومازالوا حتى شقوها ، فإذا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمه أبا طالب بأن الله قد أرسل على الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكرَ الله تعالى . وعن موسى بن عُقبة عن الزُّهري أن النبي قال لعمه : إن الأرضة لم تترك اسماً لله إلا لحسته ، وبقي فيها ما كان من (جَوْر)^(٣) أو ظلم أو قطيعة رحم . فلما خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب كان له من العمر تسع وأربعون سنة ، وكان خروجهم في السنة العاشرة ، وقيل : مكثوا في الشعب سنتين ، ويقال : إن رجوع من كان مهاجراً بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشعب .

موت خديجة وأبي طالب (عام الحزن)

ومات عُقَيْب ذلك أبو طالب وخديجة ، فمات أبو طالب أوّل ذي القعدة ، وقيل : في نصف شوال ، ولرسول الله من العمر تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وماتت خديجة رضي الله عنها قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيام ، وقيل : كان موتها بعد الخروج من الشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً ، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتها وسماه « عام الحزن » وقال : ما نالت قریش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ؛ لأنه لم يكن في عشيرته وأعمامه — حامياً له ولا ذاباً عنه — (غير أبي طالب)^(٤) .

خروجه إلى الطائف

فخرج ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة يلتمس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله ، فكلمهم سادتهم ، وهم : عبد ياليل ومسعود

(١) في (خ) (وأبعدوا) ، (اتعلوا) : تواعدوا .

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده أهلها ، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف . (معجم

البلدان) ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل (خ) وما أثبتناه يتمم المعنى .

(٤) زيادة يم بها المعنى .

وحبيب بنو عمر بن عُمر ، ودعاهم إلى نصره والقيام معه على من خالفه . فردّوا عليه رداً قبيحاً ، وأغروا به سفاهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رَجُلَيْ رسول الله ﷺ لتدميان ، وزيد يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً ، فرجع عنهم يريد مكة ، حتى إذا كان بنخلة^(١) قام يصلي من جوف الليل .

إسلام النفر من جن نصيبين

فمر به من جن نصيبين اليمن سبعة نفر فاستمعوا إليه (وهو يقرأ القرآن ثم وَلَّوا — بعد فراغه من صلاته)^(٢) — إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا فأجابوا .
إقامته بنخلة

وأقام بنخلة أياماً ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم مكة وهم أخرجوك ؟ فقال : يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه . ويقال : كان إيمان الجن برسول الله ﷺ وله من العمر خمسون سنة وثلاثة أشهر ، وذكر ابن إسحق أن إسلام الجن قبل الهجرة بثلاث سنين .

عودته إلى مكة في جوار المطعم بن عدي

ويقال : إن رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف وانتهى إلى حراء بعث رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليجيئه حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره .

إسلام الطفيل الدوسي ذي النور

ودخل رسول الله ﷺ مكة فأقام بها وجعل يدعو إلى الله ، فأسلم (الطفيل)^(٣) بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم^(٤) بن فهم الدوسي ، ودعا له رسول الله ﷺ أن يجعل الله له آية ، فجعل الله له في وجهه

(١) واد بمكة (معجم البلدان ج ٥ ص ٢٧٧) .

(٢) في (خ) « فاستمعوا إليه بعد فراغه من صلواتهم إلى قومهم » والصواب ما أثبتناه ، راجع (تفسير الطبري) ج ٢٦ ص ٣٠ (عند تفسير سورة الأحقاف الآية ٢٩) .

(٣) بياض بالأصل (خ) .

(٤) في (خ) « سالم » والتصويب من (الاستيعاب) رقم ١٢٧٤ ج ٥ ص ٢٢٠ .

راً ، فقال : يا رسول الله ، أخشى أن يقولوا هذا مُثَلَّةً ، فدعا له فصار النور في
وطه ، فهو المعروف بذي النور .

إسلام بيوت من دُوس

ودعا الطفيل قومه دُوساً إلى الله ، فأسلم بعضهم ، وأقام في بلاده حتى قدم
على (١) رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر في نحو ثمانين بيتاً .

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

(ثم أُسري) (٢) برسول الله ﷺ بجسده — على الصحيح من قول
مسحابة — من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ركباً البراق صُحبة جبريل عليه
سلام ، فنزل ثم (أم) (٣) بالأنبياء عليهم السلام ببيت المقدس فصلى بهم . ثم عُرج
تلك الليلة من هناك إلى السموات السبع ورأى بها الأنبياء على منازلهم ، ثم عُرج
إلى سِدْرَةِ المنتهى ورأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله بها ،
وَفُرِضَتْ (٤) عليه الصلوات الخمس تلك الليلة .

وكان الإسراء في قول محمد بن شهاب الزُّهري قبل الهجرة بثلاث سنين ،
قيل : بسنة واحدة ، وقيل : وله من العمر إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر ،
قيل : كان الإسراء بين بيعتي الأنصار في العقبة ، وقيل : كان بعد المبعث بخمسة
شر شهراً ، وقال الحربي : كان ليلة سبعة وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة .

وعورض من قال : إنه كان قبل الهجرة بسنة ، بأن خديجة صلت معه بلا
خلاف ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، والصلاة إنما فرضت ليلة الإسراء ،
وأجيب بأن صلاة خديجة كانت غير المكتوبة ، بدليل حديث مسلم (٥) أنه صلى
ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج إلى السماء ، فتبين أن الصلاة كانت مشروعة

(١) زيادة يقتضيها التصويب . انظر ابن هشام ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) يياض في (خ) والتكملة من (ط) .

(٣) يياض في (خ) ، وما أثبتناه من (ط) ، وانظر (ابن هشام) ج ٢ ص ٣٣ ، رواية الحسن لحديث
الإسراء .

(٤) يياض في (خ) وانظر (ابن هشام) ج ٢ ص ٣٩ و (مسلم بشرح النووي) ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٥) (صحيح مسلم بشرح النووي) ج ٢ ص ٢٠٩ باب الإسراء وفرض الصلوات .

في الجملة ، كما كان قيام الليل واجباً قبل الإسرائ بلا خلاف ، وفي رواية عن الزهري : كان بعد المبعث .

ومما يقوي قول الحربي أنه عين الليلة من الشهر من السنة ، فإذا تعارض خبران أحدهما فصلّ القصة والآخر أجملها ، ترجحت رواية من فصلّ بأنه أوعى لها .
وقال ابن إسحق : أسري برسول الله ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل ، ويقال كان ليلة السبت لسبع عشر خلت من رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وهو ﷺ نائم في بيته ظهراً . وقيل : كان ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة من شعب أبي طالب ، وكانت سنه ﷺ حين الإسرائ اثنتين وخمسين سنة^(١) .

وقيل — وقد حكى عن حذيفة وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم — : إن الإسرائ كان بروحه ﷺ ، وقيل : كان بجسده إلى بيت المقدس ، ومن هناك إلى السموات بروحه . وقيل : أسري به وهو نائم في الحجر ، وقيل : كان في بيت أم هانئ بنت أبي طالب ، وفرضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين ، وإنما كانت قبل الإسرائ صلاة بالعشي ، ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين ركعتين .

فلم يُرغ برسول الله ﷺ إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس من صبيحة ليلة الإسرائ فصلّى به الظهر ، ولهذا سميت الأولى ، ثم صلى بقية الخمس في أوقاتها فصارت بعد الإسرائ خمساً ركعتين ركعتين حتى أتمت أربعاً بعد الهجرة إلى المدينة بشهر . وقد اختلف أهل العلم: هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة الإسرائ أم لا ؟ فلما أصبح ﷺ في قومه بمكة أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم إياه واستضراؤهم عليه ، وارتدت جماعة ممن كان أسلم وسألوه أماراً ، فأخبرهم بقدوم غير يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ، قال ابن إسحق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

(١) ذكر ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ج ١ ص ١٠٨ : « فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به » .

عرض نفسه على القبائل

(ثم عرض^(١)) نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام ، وهم : بنو عامر ، وغسان ، وبنو فزارة ، وبنو مُرة ، وبنو حنيفة ، وبنو سُليم ، وبنو عيس ، وبنو نصر ، وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس بن الخطيم^(٢) ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع^(٣) . وقد اقتص الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلةً قبيلةً ، ويقال : إنه ﷺ بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام ، ثم أتى كلباً ، ثم بني حنيفة ، ثم بني عامر ، وجعل يقول : من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي ؟ هذا ؛ وعمه أبو لهب وراءه يقول للناس : لا تسمعوا منه فإنه كذاب ! وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فيه : إنه كاذب ، إنه ساحر ، إنه كاهن ، إنه شاعر !! أكاذيب يفترونه بها حسداً من عند أنفسهم وبقياً ، فيصغي إليهم من لا تميز له من أحياء العرب . وأما الألباء فإنهم إذا سمعوا كلامه ﷺ وتفهموه شهدوا بأن ما يقوله حقٌ وصدق ، وأن قومه يفترون عليه الكذب ، فيسلمون .

أول أمر الأنصار

وكان مما صنع الله للأنصار — وهم الأوس والخزرج — أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم بني قريظة والنضير — يهود المدينة — أن نبياً مبعوثاً في هذا الزمان ، ويتوعدون الأوس والخزرج به إذا حاربوا فيقولون : إنا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

وكانت الأنصار — وهم الأوس والخزرج — تحج البيت فيمن يحجه من العرب ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله رأوا أمارات الصدق عليه لائحة ، فقالوا : والله هذا الذي توعدكم يهود به فلا تسبقنكم إليه .

(١) بياض في (خ) ، والتكملة من ابن هشام ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) في (خ) : الخطيم ، والتصويب من ابن سعد ج ٨ ص ١٥٠ .

(٣) في ابن هشام ج ٢ ص ٥٤ : « أبو الحيسر أنس بن رافع » .

سُوَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ

وكان سويد بن الصامت^(١) بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي ، وهو ابن خالة عبد المطلب بن هاشم : أمه ليلي بنت عمرو من بني عدّي بن النجار ، وهي خالة عبد المطلب بن هاشم ، قد قدم مكة فدعاه رسول الله ﷺ وقرأ عليه القرآن ، فلم يبعد منه ولم يجب ، ثم قدم إلى المدينة فقتل في بعض حروبهم يوم بعاث^(٢) .

إِسْلَامُ إِيَّاسَ بْنِ مَعَاذٍ

ثم قدم أبو الحيسر أنس ، وقيل : بشر بن رافع « مكة » في فتية من قومه بني عبد الأشهل يطلبون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فأثأهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام ، فقال منهم إياس بن معاذ - وكان شاباً حدثاً - : يا قوم والله خير مما جئنا له ، فضرب أبو الحيسر وجهه وانتهره فسكت . وقام رسول الله ﷺ ، وانصرف القوم إلى المدينة ولم يتم لهم حلف ، فمات إياس مسلماً فيما يقال^(٣) .

أَصْحَابُ الْعُقْبَةِ الْأُولَى

ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة من منى في الموسم ستة نفر ، كلهم من الخزرج ، وهم يخلقون رءوسهم ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه النبي الذي توعدكم^(٤) به يهود فلا تسبقنكم إليه ، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدّقوا ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن

(١) في ابن هشام ج ٢ ص ٥٢ « ابن صامت » . وفي الإصابة ج ٥ ص ٤١ « ابن الصامت » وهو لم يُعد من الصحابة لأنه لم يلق النبي ﷺ مؤمناً .

(٢) في (خ) « بُعَاث » وهو تصحيف ، ويوم بُعَاث : بين الأوس والخزرج في الجاهلية (ابن سعد) ج ١ ص ٢١٩ ، (أيام العرب في الجاهلية) : ص ٧٣ - ٨٤ .

(٣) في (الاستيعاب) ج ١ ص ٢٣٥ : « فأخبرني من حضر عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون به يهلل لله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه مات مسلماً ، و (ابن هشام) ج ٢ ص ٥٤ .

(٤) في (خ) « يوعدكم » وما أثبتاه من (ابن هشام) ج ٢ ص ٥٥ .

عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وعوف بن الحارث بن رفاع
ابن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنَم (ويقال له : عوف بن عفراء) ، ورافع
ابن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، وقطبة بن عامر بن حديدة
(ويقال : قطبة بن عمرو بن حديدة) بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن
سَلَمَة بن الخزرج ، وعقبة بن عامر بن نائي^(١) بن حرام ، وجابر بن عبد الله
رياب^(٢) بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدّي بن غنم بن كعب بن سلمة ،
فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا مبادرة إلى الخير .

إسلام الأنصار

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة فذكروا لهم رسول الله ﷺ ، ودعواهم إلى
الإسلام ، ففَسَّاهُمْ ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

أمر العقبة الثانية

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر — منهم تسعة من
الخزرج ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك بن
العجلان ، وقطبة بن عامر ، ومعاذ بن الحارث بن رفاع (أخو عوف بن عفراء) ،
وذكوان بن عبد القيس بن خَلَدَة بن مَخْلَد بن عامر بن زريق ، وعبادة بن الصامت
ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن
عوف بن الخزرج ، ويزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة (ويقال :
يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني فران (بن بلي)^(٣)
ابن عمرو بن الحاف بن قضاة وكنيته أبو عبد الرحمن — وثلاثة من الأوس ، وهم :
أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم (وكان يقال

(١) في (خ) : « ابن نائي » والتصويب من (ط) وفي ابن هشام : « عقبة بن عامر بن نائي بن زيد بن
حرام » ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) في (خ) « ريب » وفي (ط) « رباب » وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ٢ ص ١٠٨ .

(٣) في (خ) ما بين القوسين « من بني » وفي (ط) « بن بلي » وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ١١
ص ٦٤ .

لأبي الهيثم : ذو السيفين من أجل أنه كان يتقلد بسيفين في الحرب ، وعويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف ، والبراء بن معرور^(١) بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ابن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة — فأسلموا .

بيعة العقبة الثانية

وقد كان معه ﷺ حينئذ أبو بكر وعلي رضي الله عنهما ، فبايعوه عند العقبة على الإسلام كبيعة النساء^(٢) ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال فبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري^(٣) ، ويقال : وعبد الله بن أم مكتوم ، ليعلمنا من أسلم القرآن ويدعوا^(٤) إلى الله .

إسلام بني عبد الأشهل

فنزلا بالمدينة على أبي أمانة أسعد بن زرارة فخرج بهما إلى دار بني ظفر ، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم ، فأتاهم أسيد بن حضير الكاتب بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل ، وهما سيّدا بني عبد الأشهل . فدعاهما مصعب إلى الإسلام فهداهما الله وأسلما ، ودعيا قومهما إلى الله ، فما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا — إلا الأصيرم عمرو بن ثابت بن وقش — فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد .

أول المهاجرين بالمدينة

ويقال : أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير ، ثم أتى بعده عمرو

(١) في (خ) بن معر ، وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٢ ص ٦١ .

(٢) بيعة النساء في الآية ١٢ من سورة الممتحنة .

(٣) في (خ) « العبدري » وفي (الإصابة) ج ٩ ص ٢٠٨ ترجمة رقم ٧٩٩٦ « ابن قصي بن كلاب العبدري » نسبة إلى عبد الدار .

(٤) في (خ) « ليعلمنا ، ويدعوان » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه حق اللغة .

ابن أم مكتوم^(١) . ولم يزل مصعب بن عمير يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عدَّة مسلمون — إلا بني أمية بن زيد (وخطمة) ووائل وواقف ، فإنهم تأخر لإسلامهم .

أول من جَمَعَ بالمسلمين

وكان مصعب يؤمُّ بمن أسلم ، وجمع بهم يوماً وهم أربعون نفساً في هزم حرة نقيع الخَضَمَات^(٢) ، وبهذا جزم أبو محمد بن حزم .

وعند ابن إسحق : أن أول من جمع بهم أسعد بن زرارة ، ثم عاد إلى مكة وأخبر رسول الله ﷺ بمن أسلم ، فسرَّه ذلك .

بيعة العقبة الأخيرة

ثم كانت بيعة العقبة ثانياً وقد وافى الموسم خَلَقَ من الأنصار ما بين مشرك ومسلم ، وزعيمهم البراء بن معرور . فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد ، واجتمعوا برسول الله ﷺ في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون^(٣) رجلاً وامرأتان هما : أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو^(٤) وأسماء بنت عمر بن عدي بن نابي .

وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس ، وهو على دين قومه ، وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما ، فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له ، وتكلم العباس أولاً يتوثق لرسول الله ﷺ [فقال : يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز

(١) عبد الله بن أم مكتوم ، وعمرو بن أم مكتوم : اسمان لشخص واحد ، يقول ابن حجر في « الإصابة » ج ٧ ص ٨٣ « وقال ابن سعد : أهل المدينة يقولون : اسمه عبد الله ، وأهل العراق يقولون : اسمه عمرو ، واتفقوا على نسبه » .

(٢) في (خ) « بقيع الخَضَمَات » ، والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ٥٨ .

(٣) « وقال ابن إسحق : إنما شهدها سبعون رجلاً وامرأتان » (تلقيح فهم أهل الأثر) ص ٤٢٣ .

(٤) في المرجع السابق « أم إبان نسيبة بنت كعب » وفي (خ) « نسيبة بنت عمرو بن كعب » ، وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ٦٣ « أم عمارة » .

إليكم واللىحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومَنعة من قومه وبلده . قالت الأنصار : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فتكلم رسول الله ﷺ فتلا (١) القرآن ورغبهم في الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم . فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ وقال : والذي بعثك لئنمك مما تمنع منه أزرنا (٢) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب . فاعترض الكلام أبو الهيثم بن تيهان فقال : يا رسول الله إنا بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت (٣) إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم ﷺ وقال : أنتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم ، في كلام آخر . وتكلم العباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، فأحسن ما شاء في شد العقد لرسول الله ﷺ فقالوا : أبسط يدك . فبايعوه .

أول من بايع

وكان أولهم مبايعة أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وقيل : أبو الهيثم بن التَّيهان ، وقيل : البراء بن معرور ، وقيل : إن العباس بن عبد المطلب هو الذي كان يأخذ عليهم البيعة . وكانت بيعتهم على أن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم (٤) .

أمر النقباء الاثنى عشر

وأقام ﷺ منهم اثني عشر نقيباً هم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر (٥) ، (وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة

(١) هذه التكملة ساقطة من (خ) وأكملناها من ابن هشام ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) الأزر : جمع لزار وهو الثوب ، كناية عن النساء كالفراش ، وقد تكون كناية عن الأنفس .

(٣) يريدون بها الشك ، ورجاء أن لا يكون ذلك .

(٤) الأزر هنا : كناية عن الأنفس .

(٥) في (خ) « الأغز » والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ٦٥ .

ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج^(١) ورافع بن مالك بن العجلان ،
والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن
غنم بن كعب بن سلمة^(٢) (وهو والد جابر بن عبد الله وقد أسلم ليلثذ) ،
وسعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي سلمة (ويقال ابن أبي حزيمة) بن ثعلبة
ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس
ابن حارثة بن لوازن بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب
ابن الخزرج ، وعبادة بن الصامت ، فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة :
أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط^(٣)
ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم^(٤) بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ،
ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير^(٥) بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن
عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس (وهو أبو لبابة ، وقيل اسمه مبشر^(٦) بن
عبد المنذر) ، ويقال : بل الثالث من الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان^(٧) ،
وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود^(٨) ، فلما تمت بيعتهم أستاذنوا رسول
الله ﷺ أن يميلوا على أهل منى بأسياهم ، فقال : لم تؤمر بذلك . فرجعوا وعادوا
إلى المدينة .

بدء الهجرة إلى المدينة

واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة

- (١) زيادة من المرجع السابق تمام العدد وهو ساقط من (خ) .
- (٢) في (خ) « سلمة » ، والتصويب من المرجع السابق .
- (٣) في (خ) « ابن الحارث » والتصويب من المرجع السابق .
- (٤) في (خ) « ابن أسلم » والتصويب من المرجع السابق .
- (٥) في (خ) « زهيرا ، وفي (ط) « زهير » وفي المرجع السابق « زهير » وفي (الإصابة) ج ٣ ص ٢٨٢ يقول ابن حجر في الترجمة رقم ١٩٥٢ : « رفاعه بن زهير بزي ونون وموحدة وزن جعفر . ذكره ابن ماكولا . وقال : له صحبة . واستدركه ابن الأثير ، وأنا أظن أنه رفاعه بن عبد المنذر بن زهير » . ويقول في ج ٣ ص ٢٨٤ في الترجمة رقم ١٩٥٨ « رفاعه بن عبد المنذر .. أحد ما قيل في اسم لبابة » .
- (٦) في (خ) « بشر » ، وفي (ط) « مبشر » .
- (٧) يقول ابن سعد في (الطبقات) ج ١ ص ٢٢٠ : « ومن الأوس رجلان : أبو الهيثم بن التيهان من بلي حليف في بني عبد الأشهل ، ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة » .
- (٨) في المرجع السابق : « فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء » .

إلى المدينة ، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة في خفاء^(١) وستر وتسللوا ، (فيقال : إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة) وجعلوا يترافدون^(٢) بالمال والظهر ويتراقون . وكان من هاجر من قريش وحلفائهم (يستودع دوره وماله)^(٣) رجلا من قومه ، فمنهم من حفظ من أودعه ، ومنهم من باع ، فمنهم حفظ وديعته^(٤) هشام بن الحارث بن حبيب ، فمدحه حسان .

أَوَّل من هاجر بعد العقبة الأخيرة

وخرج أول الناس أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(٥) ، ومعه امرأته أم سلمة^(٦) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فاحتبست دونه ومنعت من اللحاق به ، ثم هاجرت بعد سنة ، وقيل : بل هاجر أبو سلمة رضي الله عنه قبل العقبة الأخيرة . وقيل : أول من هاجر مصعب بن عمير^(٧) ثم هاجر عمار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وبلال ، ثم هاجر عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، ثم تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالاً^(٨) حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما — أقاما بأمره لهما — وإلا من اعتقله المشركون كرهاً .

اتِّهَام قريش به ﷺ وخروجه واستخلافه علياً

فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ واشتوروا بدار الندوة ، وكانوا خمسة عشر رجلاً ، وقيل : كانوا مائة رجل ، أيحسبوه في الحديد ويغلقوا عليه باباً ؟ أو يخرجوه من مكة ؟ أو يقتلوه ؟ ثم اتفقوا على قتله . ويسمى اليوم الذي اجتمعوا

(١) في (خ) « خفي » .

(٢) يترافدون : يتعاونون ، والظهر : ما يُركب .

(٣) ما بين القوسين زيادة يعم بها المعنى ، وفي (خ) مكان هذه الزيادة « دُرره » .

(٤) في (خ) « وداعته » .

(٥) واسمه عبد الله (ابن هشام) ج ٢ ص ٨٠ .

(٦) ثم هي بعد ذلك أم المؤمنين زوج النبي ﷺ .

(٧) ذكره ابن الجوزي في (تلقيح فهم أهل الأثر) ص ٤٦٧ .

(٨) جمع رَسَل بفتحين ، أي يتبع بعضهم بعضاً .

فيه يوم الزحمة^(١) ، فأعلمه الله بذلك .

فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيشبهون عليه . فلما رأهم ﷺ أمر علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه ويتشع^(٢) بيرده الحضرمي الأخضر ، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك .

فقام عليّ مقامه عليه السلام وغطي بيرد أخضر ، فكان أول من شرى نفسه^(٣) وفيه نزلت : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾^(٤) وخرج ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو الآيات من : ﴿ يس * القرآن الحكيم ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ فهم لا يصرون ﴾^(٦) . فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرف . وهم ينظرون علياً فيقولون : إن محمداً لنايم ، حتى أصبحوا ، فقام علي من الفراش^(٧) ، فعرفوه . وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾^(٨) ، وسأل أولئك الرهط علياً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال : لا أدري ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم (دخلوا عليه)^(٩) فأدى أمانة رسول الله ﷺ .

هجرة الرسول وأبي بكر

ولما خرج ﷺ أتى أبا بكر فأعلمه أنه يريد الهجرة . وقد جاء أنه أتى أبا بكر بالهجرة^(٩) وأمره أن يُخْرِجَ مَنْ عِنْدَهُ ، وأعلمه أن الله قد أذن له في الخروج ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : الصحبة . فبكى من

(١) راجع (عيون الأثر) ج ١ ص ١٧٧ .

(٢) كذا في (خ) والصواب : « يتسجى » أي يتغطى .

(٣) في (خ) « بنفسه » ، وشرى نفسه أي باعها .

(٤) الآية ٢٠٧ / البقرة .

(٥) الآيات من ١ — ٩ / يس .

(٦) في (خ) عن الفرس . (٧) الآية ٣٠ / الأنفال .

(٨) كذا في (خ) ولعلها « ثم خلوا عنه » .

(٩) الهجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٣ .

الفرح . فاستأجر عبد الله بن أريقط الليثي من بني الدَّيْل من بني عبد بن عدّي ،
ليدهما على الطريق . وخرجا من حَوْخَة^(١) في بيت أبي بكر ، ومضيا إلى غار بجبل
ثور ، فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دماً ، لم يتعود الحفية
ولا الرعية ولا الشقوة^(٢) ، وعادت قدما أبي بكر كأنهما صفوان .

وعمّي الله على قريش خبرها فلم يدروا أين ذهبوا . وكان عامر بن فهيرة مولى
أبي بكر يريخ^(٣) عليهما غنمه ، وكانت أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما
الزاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع لهما ما يقال عنهما بمكة ثم يأتيهما
بذلك .

وجاءت قريش في طلبهما إلى ثور وما حوله ، ومروا على باب الغار وحاذت
أقدامهم رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، وقد نسج العنكبوت وعششت
حامتان على باب الغار ، وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِن
اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾^(٤) .

وبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى
موضع قدميه لرآنا . فقال له : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .

وعمّي الله على قريش ، وقد قفا^(٥) كرز بن علقمة بن هلال بن جرية^(٦) بن
عبد نهم^(٧) بن حُلَيْل بن حُبَشِيَّة أثر النبي ﷺ حتى انتهى إلى الغار ، فرأى عليه
نسج العنكبوت ، فقال : ها هنا انقطع الأثر ، فلم يهتدوا إليهما ، ورجعوا فنادوا
بأعلى مكة وأسفلها : من قتل محمداً وأبا بكر فله مائة من الإبل .

ويقال : جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديتة ، فلما مضت ثلاث لرسول الله
ﷺ وأبي بكر وهما في الغار أتاهما دليلهما ، وقد سكن الطلب عنهما ومعهما
بعيرهما ، فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما من أبي بكر رضي الله عنه باليمن ، وقد

(١) باب صغير كالنافذة .

(٢) الحفية : المشي بغير نعل ، والرعية : أرض فيها حجارة نائمة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٥٦ .

(٣) يريخ الإبل والغنم : يردّها من العشي إلى مراحلها حيث تأوي ليلاً .

(٤) الآية ٤٠ / التوبة . (٥) قفا الأثر : تتبعه . (٦) في (خ) « حريئة » .

(٧) في (خ) « فهم » والتصويب من (ط) .

كان أبو بكر قد أعدهما قبل ذلك ، وأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ مُنْتَظِرًا متى يأذن الله لرسوله في الخروج ، وعلف ناقتيه أربعة أشهر ، فركب رسول الله ﷺ الجذعاء .

وروي في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال : مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوماً ، ما لنا طعام إلا البربر (يعني الأراك) ، وخرجنا من الغار سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ربيع الأول ، وقيل : أول يوم منه ، وقيل : كانت هجرته في صفر ، وسنه ﷺ ثلاث وخمسون سنة على الصحيح ، وقيل : خمس وخمسون ، وقيل : خمسون ، ومعهما سفرة أتت بها أسماء ابنة أبي بكر . وكان خروجه من الغار في الصباح ، فصلى عليه السلام بأصحابه جماعة ، فكان ﷺ أول من (جمع بالمسلمين في صلاة الفجر)^(١) وساروا وقد أُرْدِف أبو بكر رضي الله عنه عامر بن فهيرة ، وسار عبد الله بن أريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء بقديد ، وذلك بعد العقبة بشهرين وليل . وقال الحاكم^(٢) : بثلاثة أشهر أو قريباً منها ، وقال الليث : حدثني عقيل عن ابن شهاب^(٣) أنه قال : كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر أو قريب منها . كانت بيعة الأنصار رسول الله ليلة العقبة في ذي الحجة ، وكان عمره لما هاجر ثلاث وخمسون سنة .

خبر سراقه

ولما مروا بحمي مدلج بصر بهم سراقه بن مالك بن جُعشم بن مالك بن عمرو ابن تيم بن مدلج^(٤) ، فركب جواده ليأخذهم ، حتى إذا قرب من رسول الله ﷺ

(١) بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

(٢) المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٦٢٥ .

(٣) هو : ابن شهاب الزهري : عالم الحجاز والشام ، مات سنة (١٢٣ هـ) (ط) ص ٤١ .

(٤) في الإصابة ج ٤ ص ١٢٧ : ابن مدلج ، بن مرة ، بن عبد مناة بن كنانة الكنايني المدلجي : أسلم

يوم الفتح ، ومات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وهو القاتل مخاطباً لأبي جهل :

أبا حكمٍ والله لو كنت شاهداً
لأمر جوادي إذ تُسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً
رسولٌ ببرهاني فمن ذا يُقاومه

وذكر السهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ٢٣٣ وابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٨ البيتين

السابقين بالزيادة الآتية بعدهما :

وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض إلى بطنها ، وكانت أرضاً صلبة ، وثار من تحتها مثل الدخان ، فقال : ادع لي يا محمد ليخلصني الله ، ولك علي أن أرد عنك الطلب فدعا له ، فخلص فعاد يتبعهم ، فدعا عليه الثانية ، فساخت قوائم فرسه أشد من الأول . فقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا من دعائك علي ، فادع لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب ، فدعا له فخلص ، وقرب من النبي ﷺ وقال : يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي فإن إليي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت . فقال : لا حاجة لي في إبلتك . فلما أراد أن يعود عنه قال : كيف بك يا سراقا إذا سوّرت بسواري كسرى ! قال : كسرى بن هرمز ! قال : نعم . وسأل سراقا أن يكتب له رسول الله ﷺ كتاباً ، فكتب له أبو بكر رضي الله عنه ، ويقال : بل كتب له عامر بن فهيرة ، في أديم^(١) ورجع يقول للناس : قد كفيت ما ها هنا ، ويرد عنهم الطلب .

إسلام بريدة وقومه

ولقى رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة^(٢) فأسلموا بعد ما دعاهم إليه ، واعتذروا بقلّة اللبن معهم وقالوا : مواشينا شُصص ، أي جافّة^(٣) وجاعوه^(٤) بلبن فشربه وأبو بكر ، ودعا لهم بالبركة .

= عليك فكف القوم عني فإنني
بأمر تود النصر فيه فإنهم
وفي رواية أخرى :

عليك بكف القوم عنه فإنني
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
أرى أمره يوماً ستبدو معاملة
بأن جميع الناس طراً يسالمة

وقد قال له رسول الله ﷺ : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ قال : فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه : دعا سراقاً فألبسه ، فقال سراقا : الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز (من الإصابة بتصرف) .

ونسبه في (خ) « ابن عمرو بن مالك بن تيم » والصواب ما أثبتناه من الإصابة .

(١) الأديم : الجلد المدبوغ يكتب فيه .

(٢) في (خ) « لحاية » .

(٣) في (خ) « حانة » .

(٤) في (خ) « وجاعه أبو بكر بلبن » .

خبر أم معبد

ولقى أيضاً أوس بن حُجر الأسلمي ، فحمله ﷺ على جمل وبعث معه غلاماً له يقال مسعود (بن هُنيدة)^(١) ليؤديه إلى المدينة . ومُرَّ رسول الله ﷺ بخيمتي أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف^(٢) بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة ، فقال^(٣) عندها . وأراها الله تعالى من آيات نبوته في الشاة — وحلبها لبناً كثيراً وهي حائل^(٤) في سنة مجدبة — ما بهر عقلها . ويقال : إنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ، وسفرتهم منها بما وسعته سفرتهم^(٥) وبقي عندها أكثر لحمها .

وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله ﷺ ضرعها إلى عام الرمادة — وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة — وكنا نخلبها صبوحة^(٦) وغبوقاً ، وما في الأرض قليل ولا كثير^(٧) .

(١) زيادة من (ابن هشام) ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) في (خ) « خفيف » ، وذكر ابن حجر في ترجمة أخوها « حبيش » رقم ١٦٠٣ ج ٢ ص ٢١٠ « ابن خالد بن سعد منقذ بن ربيعة » .

(٣) من القيلولة ، وهي النوم نصف النهار .

(٤) في (بخ) « حافل » وهو خطأ ، والحائل التي لم تحمل ستين فجفَّ لبنها .

(٥) السُّفرة : طعام يصنع للمسافر وما يُحْمَلُ فيه هذا الطعام (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٣٣ .

(٦) الصُّبوح : شراب الصباح (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٥ .

والغبوق : ما يشرب بالعشي وما يحلب بالعشي (المرجع السابق) ج ٢ ص ٦٤٣ .

(٧) وذكر أبو نعيم في (دلائل النبوة) ج ٢ ص ٣٣٧ ، حديث رقم ٢٢٨ :

حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن عبد العزيز ، وحدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني ، ومحمد بن موسى الحلواني ، وحدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج قال : حدثنا مكرم بن محرز الكعبي الخزاعي ، قال : حدثني أبي محرز بن مهدي ، عن هشام عن أبيه هشام ، عن جده حُبَيْش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ :

أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة ، خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر ، ومولى أبي بكر عامر ابن فهيرة ، ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط ، فمروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت برزة جلدة تحتي بفناء القبة ، ثم تسقى وتُطعم ، فساووها لحماً وتَمَرًا ليشتروا منها ، فلم يُصَيِّبُوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرْمِلين مستئين ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة حَلَفُهَا الْجَهْدُ عن الغنم ، قال : بها من لبن ؟ قالت : هي أجهدُ من ذلك ، قال : أفأأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ، نعم ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها . =

= فدعا رسول الله ﷺ فمسح ضرعها يده ، وسمى الله عز وجل ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجئت عليه ، ودرثت ، واجترثت ، فدعا بإيانه يُريض الرُّهط ، فحلب فيها ثجاً ، حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقي أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ﷺ ثم أراضو .

ثم حلب ثانياً بعد بدء ، حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها وبإيعاها ، ثم ارتحلوا عنها ، فقال : ما لبثت إذ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً يتساوكن هزلاً ، محنّ قليل ، فلم رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب حائل ، ولا حلوبة في البيت ، قالت : لا والله ، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ، فقال : صفيه لي يا أم معبد ، قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة ، حسن الخلق ، لم تُعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلّة ، وسمّ قسيم ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته سهّل ، وفي عُنقه سطح ، وفي لحيته كثافة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سمّاه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نذر ولا هذر ، كأن منطقهم خرزات نظم تحلّرن ، ربعة ، لا بائن من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، هو أنظر الثلاثة منظرًا ، وأحسنهم قدرًا ، له رقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، ولقد هممت أن أصعبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً . فأصبح صوت بمكة عالياً ، يسمعون ولا يدرون من صاحبه :

جزى الله ربّ الناس خير جزائه	رفيقين قالوا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتدت به	فقد فاز من أمسي رفيق محمد
فَيَا قُصَيّ مازوى الله عنهم	به من فعال لا تُجازي وسؤدد
لِيَهْن بني كعب مقام فتاتهم	ومقعدهما للمؤمنين بمرصّد
سلو أحتكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فَحَلَبَتْ	عليه صريحاً صرة الشاة مُزِيد
فغادرها رهناً لديها لحالب	يردّد في مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري الهاتف ، شبّ يُجاوب الهاتف وهو يقول :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبّهم	وقدس من يسري إليه ويختدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحلّ على قوم بنور مجدّد
هداهم بعد الضلالة ربهم	فأرشدهم ، ومن يتّبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفّوها	عمايتهم ، هاد به كل مهتدي
وقد نزلت منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلّت عليهم بأسعد
نبي يرى ما يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كلّ مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب	فتصديقها في اليوم أوفي ضحي الغد
لِيَهْن أبا بكر سعادة جدّه	بصحبته ، من يُسعد الله يسعد
لبن بني كعب مقام فتاتهم	ومقعدهما للمؤمنين بمرصّد

= والأبيات باختلاف يسير في (ديوان حسان) ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

= قال أبو أحمد بن بشر بن محمد : حدثنا عبد بن وهب قال : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ، ورواه أبو أمية محمد بن إبراهيم بن بشر بن محمد ، ثلثه : شرح غريب هذا الحديث :

البرزة من النساء : الجلدة ، تظهر للناس ويجلس إليها القوم .
مُريلين مُستين : المُريل : الذي قد نفذ زاده ، والمستين : هم الذين أصابهم السَّنة ، وهي المجاعة .
قال أبو عبيد : إذا قال : يال فلان : فذلك في الاستغاثة بالفتح ، ويال المسلمين ، وإذا أراد التعجب والنداء قال : يال فلان بالكسرة .

كَسَر الخيمة : هو مؤخرها ، وفيه لُفَتان : كَسَر وكَسِر ، وقال بعضهم : الكَسَر هو في مقدمة الخيمة .
فَضَّجَتْ عليه : فَرَجَتْ رجلها كما تفعل التي تُحلب .

بُرِضَ الرهط : أي يُنْهَضُهُمْ مما يجترهم لكثرة إذا شربوه .
فحلب فيها ثَجًا : يعني سيلًا ، وكذلك كل سيل ، ومنه قوله ﷺ وقد سُئِلَ عن الحج فقال : العَجّ والثَّجّ ، فالعَجّ : رفع الصوت بالتلبية ، والثَّجّ سيل دماء الهدي .
أراضو : أصل هذا في صبّ اللبن على اللبن ، والمعنى : شَرِبَ لبن صُبَّ على لبن .
غادره عندها : تركه .

يسوق أعزراً تساوكنَ هُزلاً : التساوكن المشي الضعيف .
والشاة عازب : يعني قد عَزَبَ عن البيت فخرجن إلى المرعى :
الحَيْلُ : التي ليست بموامل ، جمع حائل .
ظاهر الوضاعة : يعني الجمال ، والوضيء : الجميل .
والمتبَلِّع الوجه : الذي فيه إضاءة ونور .
لم تَمِجْهُ تُجَلَّة : معناه عِظَم البطن ، تقول : فليس هو كذلك .
لم تُزِرْ به صعلة : تريد صغر الرأس ، يقال : رجل صَعِلَ .
وسيم قسيم : كلاهما هو الجمال .

في عينيه دَعَج : هو سواد الحدقة ، يُقال : رجل أدعج وامرأة دعجاء .
في أشفاره عطف : وكذلك كل مستطيل مسترسل .
في صوته صَهَل : وهو شبيه بالْبَحْ ، وليس بالشديد منه ، ولكنه حسن ، وبذلك توصف الطباء .
في غنقه سطع : هو الطول ، يقال منه : رجل أسطع وامرأة سطعاء ، وهذا مما يمدح به الناس .
والأَرَج : هو المقوس الحاجبين ، وأما الأقرن : فهو الذي التقى حاجباه بين عينيه .
منطقة لا تَزُر ولا قُدَر : فالنزر : القليل ، والهذر : الكثير ، تقول قصد بين ذلك .
لا تفتححه عين من قصر : تقول : لا تردريه فتنيزه ، ولكن تقبله وتهابه .

عمفود محشود : فالحمفود : المَحْذُوم ، قال تعالى : ﴿ بَيْنَ وَحْفَةٍ ﴾ ، ومحشود : هو الذي قد حشده أصحابه ، وحفوا حوله ، وأطافوا به ﷺ .

، وهذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرک) ٩/٣ ، من طرق كلها عن حزام بن هشام بسنده وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ثم ذكر ما يستدل به على صحته وصدق رَوَاتِهِ .

مقدمة إلى المدينة

وكان المهاجرون قد استبطأوا قدوم رسول الله ﷺ ، وبلغ الأنصار مخرجهم من مكة وقصده إياهم ، وكانوا كل يوم يخرجون إلى الحرة ينتظرونه فإذا اشتد الحر عليهم رجعوا ، فلما كان يوم الاثنين — الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث — وافى رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضحاء^(١) ، ونزل إلى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما انتظروه على عادتهم . فكان بين المبعث إلى أول يوم من المحرم الذي كانت الهجرة بعده اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل .

وقيل : قدم ﷺ يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، وقيل : خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة سنة منه حين اشتد الضحاء ، وقيل : دخل لهُلال ربيع الأول ، وقيل : يوم الاثنين لليلتين خلتا منه ، وقال ابن شهاب للنصف منه ، وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، وهو اليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر الأكبر (وهو الرابع من تيرماه)^(٢) .

عمره يوم بعثته وهجرته

وقيل : أقام ﷺ بمكة بعد المبعث عشر سنين ، منها خمس سنين يخفي ما جاء به ، وخمس سنين يعلن بالدعاء إلى الله تعالى . وقيل : بعث وله خمس وأربعون سنة فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثمانياً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول شاذ . ولم يختلفوا أنه بعث على رأس أربعين سنة من عمره ، وأنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، وإنما اختلفوا في إقامته بمكة بعد ما أوحى إليه ، وأصح ذلك ما رواه سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار ، وأبو جهمرة نصر بن عمران الضبيعي ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة^(٣) ، ووافق ذلك ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن عليّ مثل ذلك ، فإن أصح ما قيل : أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(١) الضحاء : يرتفع النهار ويشد وقد الشمس .

(٢) كذا في (خ) ولم أجدها فيما عندي من مراجع . (٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٨٧ .

أول من رآه من أهل المدينة

وكان أول من بَصُرَ برسول الله ﷺ رجل من يهود كان على سطح أطم^(١) له فنادى بأعلى صوته : يا بني قيلة^(٢) ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فخرج الأنصار بالمهاجرين في سلاحهم ، فلقوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة ، وحيّوا رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقالوا : اركبا آمنين ، فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وحفوا حولهما بالسلاح ، فقبل في المدينة : جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا^(٤) نبي الله ﷺ ينظرون إليه ، وأقبل يسير حتى نزل على أبي القيس (كلثوم) بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، وقيل : بل نزل على سعد بن خيثمة ، والأول أثبت .

فجاء المسلمون يسلمون عليه وأكثرهم لم يره بعد ، فكان بعضهم يظنه أبا بكر . حتى قام أبو بكر رضي الله عنه حين اشتد الحر يظل على رسول الله ﷺ بثوب ، فتحقق الناس حينئذ رسول الله ﷺ .

إقامته بقباء

وأقام في بني عمرو بن عوف الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج يوم الجمعة ، ويقال : بل أقام (بقباء)^(٥) في بني عمرو بن عوف ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال : بل أقام بقباء أربع عشرة ليلة ، ويقال : خمساً ، ويقال : أربعاً ، ويقال : ثلاثاً فيما ذكر الدولابي .

إسلام عبد الله بن سلام ومخبريق

وأسس حينئذ مسجد بقاء ، وأتاه عبد الله بن سلام فأسلم (ثم أسلم)^(٦)

(١) الأطم : الحصن أو البيت المرتفع .

(٢) بنو قيلة : هم الأنصار ، وقيلة : جدة لهم .

(٣) في (خ) « فركب رسول الله ﷺ بتحية النبوة وأبو بكر » وهو خطأ من الناسخ .

(٤) الاستشراف : الخروج للقاء .

(٥) بياض في (خ) . (٦) زيادة للسياق .

خبر ناقة رسول الله

وركب بأمر الله تعالى وسار على ناقته والناس معه عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح ، وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة ، فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا : هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويقول : دعوها فإنها مأمورة ، وفي رواية : إنها مأمورة خلوا سبيلها فلما أتى مسجد بني سالم جمّع بمن كان معه من المسلمين ، وهم إذ ذاك مائة ، وقيل : كانوا أربعين ، وخطبهم ، وهي أول جمعة أقامها ﷺ في الإسلام .

أول خطبة للرسول بالمدينة

وكانت أول خطبة خطبها أنه قام فيهم فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن^(٢) أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولنَّ له ربه — ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فليظرنَّ^(٣) يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّة من ثمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته .

منزله على أبي أيوب الأنصاري

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به ، وقد أرخى زمامها ، حتى جاءت دار بني

(١) في (عيون الأثر) ج ١ ص ٢٠٨ : « قال ابن إسحق : وكان حبراً عالمياً غنياً كثير الأموال ، وكان يعرف صفة رسول الله ﷺ بصفته وما يجد من علمه » .

وفي المرجع السابق : « وقال الواقدي : كان مخبريق أحد بني النضير ، حبراً عالمياً فآمن برسول الله ﷺ وجعل ماله له وهو سبعة حوائط » أي بستين .

(٢) يعني يخر ميتاً أو كالميت .

(٣) في (خ) فليظنر . والتصويب من (ابن هشام) ج ٢ ص ١٠٥ .

النجار — موضع مسجده الآن — فبركت ثم نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول .

وقيل : إن جبَّار بن صخر من بني سلمة — وكان من صالحى المسلمين — جعل ينخسها لتقوم منافسة لبني النجار أن ينزل رسول الله ﷺ عندهم فلم تقم ، فنزل ﷺ عنها ، وحمل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف^(١) بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري رَحَلَ رسول الله ﷺ إلى منزله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

أول ما أهدي إليه

وأول هدية أتته قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً جاءه بها زيد بن ثابت من عند أمه ، فأكل وأصحابه . ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة وفيها عُراق^(٢) لحم . فأقام في بيت أبي أيوب سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد ابن زرارة كل ليلة ، وجعل بنو النجار يتناوبون حمل الطعام إليه^(٣) مقامه في منزل أبي أيوب ، وبعثت إليه أم زيد بن ثابت بثرودة مرواة سمناً ولبناً ، ونزل أسامة بن زيد مع رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب .

مسجده وحجره

واشترى ﷺ موضع مسجده وكان مربداً^(٤) لسهل وسهيل ابني عمرو — وكانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة — بعشرة دنانير ، وفي الصحيح أن بني النجار بذلوه لله تعالى ، فبناه مسجده المعروف الآن بالمدينة . وبني الحجر لأزواجه بجانب المسجد وجعلها تسعاً : بعضها مبني بحجارة قد رُصَّت ، وسقفها من جريد مطين بطين ، ولكل بيت حجرة ، وكانت حجرته ﷺ أكسية من شعر مربوطة في خشب من عَرَعَر^(٥) .

(١) في (خ) : « عبد مناف » ، وما أثبتاه من (ط) .

(٢) العراق : عظام عليها لحوم رقيقة طيبة .

(٣) في (خ) عليه .

(٤) كل مكان أو فناء تحبس فيه الإبل يسمى (مربداً) .

(٥) العَرَعَرُ : جنس أشجار وجنيات من الصنوبريات (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٥٩٥ .

منزل أبي بكر

ونزل أبو بكر رضي الله عنه بالسُّنْح على خبيب بن إيساف (ويقال : يساف) ابن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج (بن الأوس)^(١) الأنصاري ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر .

مقدم عليّ ومنزله

وقدم علي رضي الله عنه من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله بقاء لم يرم^(٢) بعد وقدم معه صهيب . وذلك بعد ما أدى عليّ عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ، وبعدما كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت^(٣) قدماه ، فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما يقدميه من الورم ، وتفل في يديه وأمرها على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه .

ونزل على كلثوم بن الهمد ، وقيل : على امرأة ، والراجح أنه نزل مع النبي ﷺ .

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفان برقية ابنة رسول الله ﷺ في منزل سعد بن خيشمة ، وكان ﷺ يأتيهم هنالك .

بعثة زيد بن حارثة إلى مكة

وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، ودفع إليهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه .

وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أهله : أم رومان ، وعائشة ، وأسماء . فاشترى زيد

(١) زيادة للإيضاح لأنه من الأوس لا من الخزرج .

(٢) من رام يرم : برح وفارق ، وأكثر ما يستعمل منفياً . (٣) تشققت .

بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقدي^(١) ، وقدم مكة فإذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة ، فقدم المدينة على رسول الله ﷺ بابتنيه : فاطمة ، وأم كلثوم ، وبزوجته سودة بنت زمعة ، وبأسامة بن زيد ، وأمه أم أيمن رضي الله عنهم .

وكانت رقية ابنة رسول الله ﷺ قد (هاجر)^(٢) بها عثمان رضي الله عنها قبل ذلك . وحبس أبو العاصي زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ . وخرج مع زيد وأبي رافع عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر رضي الله عنه .

موادعة يهود

ووادع^(٣) رسول الله ﷺ من بالمدينة من يهود ، وكتب بذلك كتاباً ، وأسلم حبرهم عبد الله بن سلام بن الحارث ، وكفر عامتهم وهم ثلاث فرق : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار — وقد أتت لهجرته ثمانية أشهر — فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إراثاً مقدماً على القرابة . وكان الذين أخى بينهم تسعين رجلاً : خمسة وأربعين من المهاجرين ، وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال : خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء ، ويقال : إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا أخى بينه وبين أنصاري .

وقال ابن الجوزي : « وقد أحصيت جملة من أخى النبي بينهم ، فكانوا مائة وستة وثمانين رجلاً » ذكرهم في كتاب التلقيح^(٤) ، وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر .

نسخ توارث المؤاخاة وفرض الزكاة

ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر . ونزل تمام الصلاة أربعاً بعد شهر من مقدم

(١) قديد : موضع قرب مكة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٣١٣ .

(٢) مطموسة في (خ) . (٣) في (خ) : « وأودع » .

(٤) في (خ) : « النقيح » ، واسمه « تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير » ، أو « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر التاريخ والأخبار » .

رسول الله ﷺ المدينة ، فتمت صلاة المقيم أربعاً بعد ما كانت ركعتين ، وأقرت صلاة المسافر ركعتين ، وفرضت الزكاة أيضاً — وفقاً بالمهاجرين رضي الله عنهم — في هذا التاريخ ، كما ذكره أبو محمد بن حزم ، وقال بعضهم : إنه أعياه فرض الزكاة متى كان .

تحوله من بيت أبي أيوب إلى حجره

وتحول ﷺ من منزل أبي أيوب رضي الله عنه إلى حجره لما فرغت ، بعد إقامته عنده سبعة أشهر ، وخط لأصحابه في كل أرض ليس لأحد ، وفيما وهبت له الأنصار من خططها ، وأقام قوم من المسلمين — لم يمكنهم البناء — بقاء على من^(١) نزلوا عنده .

زواجه عائشة

وبنى بعائشة رضي الله عنها بعد مقدمه بتسعة أشهر ، وقيل : بثمانية أشهر ، وقيل : بثمانية عشر شهراً في يوم الأربعاء من شوال ، وقيل : في ذي القعدة ، بالسنح في بيت أبي (بكر)^(٢) .

الأذان للصلاة وقام الصلاة

وأري عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (الأذان للصلاة)^(٣) ، وقيل : كان ذلك في السنة الثانية .

وبعد شهر من مقدمه المدينة زيد في صلاة الحضر لاثنتي عشرة خلت من ربيع ، قال الدولابي : يوم الثلاثاء ، وقال السهيلي : بعد الهجرة بعام أو نحوه .

فرض القتال

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار رضي الله عنهم وتكفلوا بنصره ومنعه من الأسود والأحمر ، رمتهم العرب قاطبة عن قوس واحدة وتعرضوا لهم من كل جانب .

(٢) ساقطة من (خ) .

(١) في (خ) « ما » .

وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين في الجهاد بقوله تعالى : ﴿ أَذْنُ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^(١) ، فلما صاروا إلى المدينة ، وكانت لهم شوكة وعُضد ، كتب الله عليهم الجهاد بقوله سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

أول لواء عقد بعد فرض القتال

وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ — على رأس سبعة أشهر من مقدمه إلى المدينة — لعمه حمزة بن عبد المطلب على ثلاثين راكباً ، شطرين : خمسة عشر من المهاجرين ، وخمسة عشر من الأنصار ، إلى ساحل البحر من ناحية العيص^(٣) (وقيل : لم يبعث ﷺ أحداً من الأنصار حتى غزا بنفسه إلى بدر ، وذلك أنه ظن أنهم لن ينصروه إلا في الدار ، وهو الثَّبْتُ)^(٤) .

سرية حمزة إلى سيف البحر

فبلغوا سيف البحر يعترضون عيراً لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب . فالتقوا واصطفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدي بن عمر (الجهني)^(٥) حتى انصرف الفريقان بغير قتال ، وعاد حمزة رضي الله عنه بمن معه إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما حجز بينهم مجدي ، وأنهم رأوا منه نصفه^(٦) . (وقدم رهط مجدي على النبي ﷺ فكساهم وذكر مجدي بن عمرو فقال : إنه — ما علمت — ميمون النقيبة مبارك الأمر ، أو قال : رشيد الأمر) .

وكان لواء حمزة أبيض ، يحمله أبو مرثد كَنَاز^(٧) بن حصين ، ويقال ابن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف الغنوي .

(١) الآية ٣٩ / الحج .

(٢) الآية ٢١٦ / البقرة ، وفي (خ) ، إلى قوله تعالى : « خير لكم » .

(٣) موضع في بلاد بني سليم به ماء ويقال له ذناب العيص (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٧٣ .

(٤) الثَّبْتُ : الصحيح . (٥) زيادة للإيضاح من (ط) . (٦) إنصافاً .

(٧) في (خ) (كعاد) وفي (ط) (كَنَاز) وفي (تلقيح الفهوم) ص ٤٨ « وحامله أبو مرثد كَنَاز بن الحصين الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب » .

سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ

ثم عقد لواءً أبيض لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف^(١) وبعثه ، وهو أسفل ثنية المرة^(٢) ، على رأس ثمانية أشهر في شوال ، فحمل اللواء مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، فخرج في ستين راكباً من قريش كلهم من المهاجرين ، فلقى مكرز بن حفص ، وقيل : عكرمة بن أبي جهل ، وقيل : أبا سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ ، وأبو سفيان في مائتين .

أول من رمى في الإسلام بسهم

وكان أول من رمى في الإسلام بسهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه^(٣) : نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد ترسوا عنه فرمى بما في كنانته ، وكان فيها عشرون سهماً ، ما منها سهم إلا ويجرح إنساناً أو دابة ، ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا ، لم يسئلوا سيفاً . ثم انصرف كل منهما ، وفر يومئذ من الكفار إلى المسلمين : المقداد ابن الأسود الكندي ، وعتبة بن غزوان . وقيل : إن لواء عبيدة^(٤) هذا هو أول لواء عقده رسول الله ﷺ .

سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار

[ثم عقد^(٥) لواءاً لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(٦) حملة أبو معبد المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهراني^(٧)] وهو المقداد بن الأسود ، نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب

(١) في (خ) « عبد مناف » مكررة مرتين وهو خطأ من الناسخ .

(٢) « الثنية في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة » وثنية المرة بأسفلها ماء الحجاز (معجم البلدان) ج ٢ ص ٨٥ .

(٣) (تلقيح الفهوم) ص ٤٦٥ .

(٤) (٥) بياض في (خ) .

(٥) في (خ) « أبي عبيدة » .

(٦) في (خ) « الخرار » ، وفي (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٥٠ : « الخرار : موضع بالحجاز يقال : هو قرب الجحفة ، وقيل : واد من أودية المدينة ، وقيل : ماء بالمدينة ، وقيل : موضع بخير » .

(٧) نسبة إلى البهراء من غير قياس (هامش ط) ص ٥٣ .

ابن عبد مناف لأنه كان تبناه [فخرج في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين أو أحد وعشرين رجلاً من المهاجرين على أقدامهم ، وقيل : بل كانوا ثمانية ، فكانوا يكمنون النهار ويسرون الليل حتى أصبحوا صبح خمس الخرار^(١) من الجحفة قريباً من ثُحْم ، يريدون غير قريش فقاتتهم .

وقد جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة ، وجعلها محمد بن إسحاق في السنة الثانية ، وجعل غزوة ودان بعد سرية سعد بن أبي وقاص .

غزوة رسول الله : ودان — الأبواء

ثم غزا رسول الله ﷺ [ودان]^(٢) وهو جبل بين مكة والمدينة ، بينه وبين الأبواء ستة أميال ، فخرج في صفر على رأس أحد عشر شهراً يعترض غيراً لقريش ، واستخلف على المدينة سعد بن عباد رضي الله عنه ، فبلغ الأبواء ، فلم يلق كيداً ، فوادع بني ضمرة [بن بكر]^(٣) بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشي^(٤) بن عمرو — على ألا يكثرُوا عليه ولا يعينُوا عليه أحداً ، وكتب بينه وبينهم^(٥) كتاباً ورجع ، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة . ويقال لهذه أيضاً : غزاة الأبواء ، وهي أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه . وكان لواء رسول الله ﷺ في هذه الغزاة أبيض يحمله حمزة رضي الله عنه .

زواج علي فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وفي صفر هذا زوج رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابنته فاطمة عليها السلام .

غزوة بواط

ثم كانت غزوة بواط من ناحية رضوى في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر

(١) في (خ) « الخزار » وُثِمَ : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٨٩ .

(٢) بياض في (خ) . (٣) زيادة من (ابن هشام) ج ٢ ص ١٧٠ .

(٤) في (خ) « مجدي » والتصويب من المرجع السابق .

(٥) في (خ) « وبينه » .

شهرًا [من مهاجره]^(١) ، فخرج ﷺ يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . وخرج معه ﷺ مائتان من أصحابه وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ، وقيل : السائب بن عثمان بن مظعون ، ورجع ولم يلق كيداً .

غزوة سفوان ، وهي بدر الأولى

ثم خرج ﷺ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا [من مهاجره]^(٢) في طلب كرز بن جابر الفهري — وقد أغار على سرح المدينة ، وكان يرعى بالجماء ونواحيها — حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوَان من ناحية بدر ولم يدركه ، وهي بدر الأولى . وكان يحمل اللواء علي رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، ويقال : كانت سفوان بعد العشرة بنحو عشر ليال .

غزوة العشرة

[ثم غزا غزوة]^(٣) العُشيرة^(٤) في جمادى الآخرة ، ويقال جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهرًا [من مهاجره]^(٥) خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش حين أبدأت^(٦) إلى الشام ، ومعه خمسون ومائة رجل ، ويقال : خرج معه مائتا رجل ، يتعقبون ثلاثين بعيراً ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل اللواء حمزة . وكان قد جاءه ﷺ الخبر بفصول^(٧) العير من مكة تريد الشام ، قد جمعت قريش أموالها في تلك العير . فبلغ ﷺ ذا العشرة^(٨) ببطن ينبع ، فأقام بقية الشهر

(١) ساقطة من (خ) والتصويب من (تلقيح الفهوم) ص ٤٩ .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (المغازي) ج ١ ص ١٢ « ذي العُشيرة » ، وفي (التلقيح) ص ٥٠ « ذات العشرة » ويقال بالسين .

وفي « ابن هشام » : ج ٢ ص ١٧٦ « ويقال فيها أيضاً العسيرة والعسراء ، وفي البخاري أن قتادة سئل عنها فقال : « العشير » .

والعشرة « من ناحية ينبع بين مكة والمدينة » معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٧ .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) في (خ) « أبدأت » والصواب « أبدأت » بمعنى خرجت من أرض غيرها .

(٦) الفصول : مصدر فُصل بمعنى خرج ، قال تعالى : ﴿ ولما فصلت العير ﴾ ٩٤ / يوسف .

(٧) في (خ) « العشراء » .

وليالي مما بعده ، وصالح بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة ، ورجع ولم يلق كيداً .
وهذه هي العير التي خرج في طلبها ﷺ لما عادت وكانت وقعة بدر .

تكنية علي بن أبي طالب أبا تراب

وفي هذه السفارة كنى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا تراب ، في قول بعضهم ، وقد مر به نائماً تسفي عليه الريح التراب فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين : عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذا فيخضب هذه ! [يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك] وفي صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح^(١) التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب^(٢) .

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه الأسدي إلى بطن نخلة [وهو بستان ابن عامر الذي يقرب مكة]^(٣) في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، دعاه ﷺ حين صلى العشاء فقال : واف مع الصبح معك سلاحك أبعتك وجهاً ، قال : فوافيت الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجعيتي ومعني درقتي ، فصلى النبي ﷺ بالناس الصبح ثم انصرف ، فيجدني قد سبقت واقفاً عند بابه ، وأجد نفراً من قريش ، فدعا رسول الله ﷺ أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتاباً^(٤) ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني^(٥) فقال : قد استعملتك على هؤلاء النفر ،

(١) في (خ) « تحت » .

(٢) « قال ابن إسحق : وقد حدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ إنما سمي علياً أبا تراب : أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيء تكرهه ، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه » (ابن هشام) ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) (معجم البلدان) ج ٥ ص ٢٧٨ .

(٤) (المغازي) ج ١ ص ١٣ « فأمره ﷺ وكتب كتاباً » .

(٥) « خولان : من مخاليف اليمن » ، « وقرية قرب دمشق » ، فلعل الأديم منسوب إلى أحدهما (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٠٧ .

فامض ، حتى إذا سرت ليلتين فانشتر كتابي ثم امض لما أنت فيه^(١) ، قلت : يا رسول الله أي ناحية ؟ قال : اسلك النجدية تؤم^(٢) ركة^(٣) فانطلق عبد الله في ثمانية — وقيل : اثني عشر من المهاجرين — كل اثنين يتعاقبان بعيراً ، حتى إذا كان بيثر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه : سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته : فترصد بها غير قريش . فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين : نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله . فسار حتى جاء نخلة فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي خارجاً نحو العراق ، والحكم بن كيسان المخزومي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، فهابهم أصحاب العير ، وأنكروا أمرهم ، فحلق عكاشة ابن محصن بن حريثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي [حلقه عامر بن ربيعة] ثم وافى ليطمئن القوم . فقال المشركون : لا بأس ! قوم غمار^(٤) ، فأمنوا وقيدوا ركابهم وسرحوها ، وتشاور المسلمون في أمرهم — وكان آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان^(٥) فقالوا : إن تأخرتم عن هذا اليوم دخلوا الحرم^(٦) فامتنعوا ، وإن أصبتموهم ففي الشهر الحرام . فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا وقتلوهم . فرمى واقد^(٧) بن عبد الله [بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد ابن مناة بن تميم التميمي اليربوعي الحنظلي] عمرو بن الحضرمي فقتله . وشد القوم عليهم ، فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وحكم ابن كيسان — وكان الذي أسر الحكم بن كيسان المقداد بن عمرو ، فدعاه رسول الله إلى الإسلام فأسلم وقتل بيثر معونة شهيداً . وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن

(١) (المغازي) ج ١ ص ١٣ « ثم امض لما فيه » . (٢) تؤم : تقصد .

(٣) في (خ) « ركة » وفي المغازي « ركية ، وركبة » بين مكة والطائف « معجم البلدان » ج ٣ ص ٦٣ .

(٤) غمار : معتمرون يريدون أداء العمرة .

(٥) في (الكامل) ج ٢ ص ١١٤ « آخر يوم من رجب » وفي (المغازي) ج ١ ص ١٤ « وكان آخر يوم من رجب ويقال : آخر يوم من شعبان » وفي (ابن سعد) ج ٢ ص ١٠ « وشكوا في ذلك اليوم أحوالهم من الشهر الحرام أم لا ؟ » وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ١٧٩ « وذلك في آخر يوم من رجب » .

(٦) أي الأشهر الحرم .

(٧) في (خ) « واقد » .

المغيرة — واستاقوا العير — وكانت محملة خمراً وأدماً وزيبياً — حتى قدموا على النبي ﷺ . فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام . فأوقف النبي ﷺ العير فلم يأخذ منها شيئاً ، وحبس الأسيرين ، وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، فسقط^(١) في أيديهم وظنوا أنهم قد هلكوا .

وبعثت قريش إلى النبي ﷺ في فداء أصحابهم فقال : لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا ، يعني سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب^(٢) بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف [بن الحارث] بن مازن المازني ، وكانا زميلين ، فضّل بيجران^(٣) (وهي ناحية معدن بني^(٤) سليم) بعيرهما ، فأقاما يومين يغيانه فلم يشهدا نخلة .

ثم قدما المدينة فقادى رسول الله ﷺ حيثئذ الأسيرين بأربعين أوقية لكل واحد ، وكان عبد الله بن جحش قد قسم في رجوعه من نخلة أربعة أخماس ما غنم بين أصحابه ، وعزل الخمس لرسول الله ﷺ .

أول خمس وأول غنيمة وأول قتيل وأول أسير

فكان أول خُمس خُمس في الإسلام ، وأول غنيمة ، وأول قتيل وأول أسير كان في الإسلام ويقال : إن رسول الله ﷺ وقف غنائم أهل نخلة حتى رجع من بدر فقسّمها مع غنائم أهل بدر ، وأعطى كل قوم حقهم^(٥) .

وفي هذه الغزاة نزل قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وألئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾^(٦) .

(١) « سقط في أيديهم » : ندموا على ما فعلوا « انظر الآية ١٤٩ / الأعراف » .

(٢) في (خ) « لسيب » . (٣) في (خ) « بجران » . (٤) في (خ) « ابن سليم » .

(٥) (ابن سعد) ج ٢ ص ١١ .

(٦) الآية ٢١٧ / البقرة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ قتال فيه كبير ﴾ .

ويقال ودى^(١) رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي ، والصحيح أنه لم يده .

أول من سمي أمير المؤمنين في الإسلام

وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

وذكر أبو بكر بن شيبه في مصنفه : حدثنا أبو أمامة ، عن مجالد ، عن زياد ابن علاقة^(٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جهينة فقالت : إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأمنك^(٣) وتأمناً ، فأوثق لهم ولم يسلموا^(٤) فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب — ولا نكون مائة — وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة . قال : فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة [فمنعونا]^(٥) وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام ، فقال بعضنا لبعض : ما ترون ؟ فقالوا : نأتي رسول الله فنخبره ، وقال بعضنا : لا بل نقيم ها هنا ، وقلت أنا ، في أناس معي : لا بل نأتي غير قريش هذه فنصيبها^(٦) ، فانطلقنا إلى العير — [وكان الفيء إذ ذاك — من أخذ شيئاً فهو له — فانطلقنا إلى العير]^(٧) وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمراً وجهه فقال : أذهبتم^(٨) من عندي جميعاً وجثتم متفرقين ! إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة . لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير [أمر]^(٩) في الإسلام .

أول ما نسخ من الشريعة

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

وفي شعبان على رأس ستة عشر شهراً ، وقيل : على رأس سبعة عشر

(١) وديه : أعطى ديته لوليه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٢٢ .

(٢) حديث زياد عن سعد بن أبي وقاص حديث مرسل لأنه لم يدرك سعداً ، وقد مات سنة ١٣٥ وقد قارب المائة . (هامش ط) ص ٥٨ .

(٣) في (المسند) ج ١ ص ١٧٨ « حتى تأتلك » .

(٤) المرجع السابق « فأسلموا » .

(٦) المرجع السابق « فقتلها » .

(٨) في (خ) « ذهبتم » والتصويب من (المسند) .

(٩) زيادة من المرجع السابق .

شهر^(١) ، حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فكان أول شيء نسخ من الشريعة القبلة^(٢) ، وأول من صلى إليها أبو سعيد رافع ، ويقال : الحارث ، ويقال : أوس بن المعل بن نفيح بن المعل بن لوذان بن خالد بن زيد بن ثعلبة الزرق الأنصاري وصاحب له^(٣) . ثم صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر إليها يومئذ .

ويقال حولت القبلة في يوم الاثنين النصف من رجب بعد زوال الشمس ، قبل قتال بدر بشهرين ، ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة^(٤) ، وقد صلى بأصحابه من صلاة الظهر ركعتين ، فتحول في صلاته واستقل الميزاب من الكعبة ، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، فسمي المسجد « مسجد القبلتين » . ويقال : صرفت في الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين في منزل البراء بن معرور ، وقيل : صرفت في صلاة الصبح .

فرض صيام رمضان وزكاة الفطر

وفي شعبان هذا فرض صوم رمضان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وقال ابن سعد : قبل فرض زكاة الأموال ، وقيل : إن الزكاة فرضت فيها ، وقيل : قبل الهجرة . وكان المسلمون يصومون عاشوراء ، فلما فرض رمضان لم يؤمروا بصيام عاشوراء ولم ينهوا عنه .

غزوة بدر الكبرى

وفي شهر رمضان هذا كانت غزوة بدر ، وهي الواقعة العظيمة التي فرق الله

(١) القول الأول ذكره الطبري بسنده عن سعيد بن المسيب ، والقول الثاني ذكره أيضاً بسنده عن البراء .

راجع (تفسير الطبري) ج ٢ ص ٣ ، و (تفسير القرطبي) ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ (ط . الشعب) وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٥٢ « في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً » .

(٢) راجع (تفسير القرطبي) ص ٥٣٤ .

(٣) ذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج ١ ص ٢٣٨ أن « عباد بن نهيك بن إساف الشاعر بن عدي ابن زيد بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك الأوس » هو الذي صلى مع النبي ﷺ القبلتين في الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صرفت القبلة ، ثم أتى قومه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر فأخبرهم بتحويل القبلة فاستداروا إلى الكعبة .

(٤) في (خ) « بني سلمية » .

تعالى فيها بين الحق والباطل ، وأعز الإسلام ودَمَغ الكفر وأهله .

ما فيها من دلائل النبوة

وجمعت الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة : بتحقيق الله ما وعدهم من إحدى الطائفتين ، وما أخبرهم به من ميلهم إلى العير دون الجيش ، ومجيء المطر عند الالتقاء ، وكان للمسلمين نعمة وقوة ، وعلى الكفار بلاء ونقمة ، وإمداد الله المؤمنين بجند من السماء حتى سمعوا أصواتهم حين قالوا : أقدم حَيَوزم ، ورأوا الرعوس ساقطة من الكواهل من غير قطع ولا ضرب ، وأثر السياط في أبي جهل وغيره ، ورمى الرسول ﷺ المشركين بالحصى والتراب حتى عَمَّت رميته الجمع ، وتقليل الله المشركين في عيون المسلمين ليزيل عنهم الخوف ويشجعهم على القتال ، وإشارة المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين بقوله : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه وذكره ، وقوله عليه الصلاة والسلام لعقبة بن أبي معيط : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً^(١) فحقق الله ذلك ، وإخباره عمه العباس بما استودع أم الفضل من الذهب ، فزالت عن العباس رضي الله عنه الشبهة في صدقه وحقيقة نبوته ، فازداد بصيرة و يقيناً في أمره ﷺ ، وتحقيق الله للمؤمنين [من الأسرى]^(٢) وعده إذ يقول : ﴿ إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ ﴾^(٣) ، فأعطى العباس بدل عشرين أوقية — عشرين غلاماً تجروا بماله ، وإطلاع الله تعالى رسوله ﷺ على ائثار عمير ابن وهب وصفوان بن أمية بمكة على قتله عليه السلام فعصمه الله من ذلك ، وجعله سبباً لإسلام عمير بن وهب وعوده إلى مكة داعياً للإسلام ... إلى غير هذا من الآيات والمعجزات التي أعطاها الله تعالى لرسوله ﷺ ، وأراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرة و يقيناً ، ورد عين قتادة بعد ما سألت على حدقته ، وقيل : كان ذلك في وقعة أحد . فكانت غزوة بدر أكرم المشاهد .

أول الخروج إلى بدر

وذلك أن رسول الله ﷺ لما تحين انصراف العير التي خرج من أجلها إلى

(١) قتله صبراً : حبسه حتى مات (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٦ .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) من الآية ٧٠ / الأنفال .

العُشيرة وإقبالها من الشام ، ندب أصحابه للخروج إلى العير وأمر من كان ظهره^(١) حاضراً بالنهوض ، ولم يحتفل لها احتفالاً كبيراً ، وكان قد بعث طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة القرشي التيمي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُروط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسسان^(٢) خبر العير فبلغا التجبار^(٣) من أرض الحوراء^(٤) فنزلا على كشد^(٥) الجهني فأجارهما وأنزلهما وكنم^(٦) عليهما حتى مرت العير ، ثم خرج بهما يخفهما حتى أوردهما ذا المروة ، فقدموا المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العدو فوجداه قد خرج . وكان قد ندب المسلمين وخرج بمن معه يوم السبت الثاني عشر من رمضان بعد تسعة عشر شهراً من مهاجره ، [وقيل : خرج لثمان خلون من رمضان وذلك بعد ما وجه طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بعشر ليال] فخرج معه المهاجرون وخرجت الأنصار ولم يكن غزا بأحدٍ منهم قبل ذلك .

فنزل بالبُقوع [ويقال لها بئر أبي عتبة ، وهي على ميل من المدينة] ، والتقى على أربع مراحل من المدينة ، وهي بيوت السقيا ، يوم الأحد لثنتي عشرة خلت من رمضان .

عرض المقاتلة وردّ الصغار

فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة^(٧) ، فرد عبد الله بن عمرو ، وأسامة بن

(١) الظهر : ما يُركب .

(٢) في (خ) « يتحسسان » . وفي (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٤٣٣ « يتجسسان » ، وفي (المغازي) ج ١ ص ١٩ والتجسس بالخاء : أن تتسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفي الحديث : « لا تجسسوا ولا تحسسوا » (ابن هشام) ج ٢ هامش ص ١٨٢ .

(٣) كذا في (ط) وفي (ابن سعد) ج ٢ ص ١١ .

(٤) الحوراء : مرقاً سقن مصر إلى المدينة ، وفي قول الأصمعي : ماء لبني نهان من طيء قرب ماء يقال له القلب لبني ربيعة من بني ثُمير (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣١٦ وفي (المغازي) « بالخبار » ج ١ ص ١٩ .

(٥) في (خ) « كشد » بالشين والذال (والمغازي) ج ١ ص ١٩ وفي الإصابة ج ٢ ص ٢٨٧ « كسد » بالسين المهملة ترجمة رقم ٧٣٩٨ .

(٦) في (خ) « وكنمه » .

(٧) في (خ) « المقاتلة » .

زيد ، ورافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشم الأنصاري الخزرجي^(١) ، والبراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جُشم بن مجدعة^(٢) بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري [الأوسي]^(٣) الحارثي ، وأسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، وزيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغَر الأنصاري الخزرجي ، وزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري ، ولم يجزهم . وعرض عمير بن أبي وقاص فاستصغره فقال : ارجع ، فبكى ، فأجازه . فقتل بيدر وهو ابن ست عشرة سنة .

وأمر ﷺ أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا وشرب من مائها ، وصلى عند بيوت السقيا .

دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها

ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونيبك دعاك لأهل مكة ، وإني محمد عبدك ونيبك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومُدَّهم^(٤) وثمارهم ، اللهم وحبب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بُخْم^(٥) ، اللهم إني حرمت ما بين لابتها كما حرم إبراهيم خليلك مكة .

عيونه وخروج المسلمين إلى المشركين

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ عدي بن أبي الزغباء سنان بن مبيع بن ثعلبة بن ربيعة الجهني ، وبَسْبَس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان

(١) رافع هذا « أوسي » وليس خزرجي ، وترجمته رقم ١٨٠٢ في الإصابة ج ٣ ص ٣٦ كما يلي :

« رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي » .

(٢) قال في (الإصابة) « ولم يذكر ابن الكلبي في نسبه مجدعة وهو أصوب » ج ١ ص ٢٣٤ ترجمة رقم ٦١٥ .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) بُخْم : على ميلين من الجحفة .

(٥) الصاع والمُدَّ من المكاييل .

الذياني [الجهنّي]^(١) من بيوت السقيا .

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم ، وراح عشية الأحد من بيوت السقيا ، وخرج المسلمون معه وهم ثلاثمائة وخمسة ، ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلاً ، والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلاً . وقيل : كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلاً ، والأنصار أربعين ومائتي رجل ، وتخلّف عنه ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم .

هذا الحديث رواه محمد بن حرب ، حدثنا الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عمرو بن سليم الزرقى ، عن عاصم بن عمرو ، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ ائتوني بوضوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليتك دعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعو لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين .

قلة الظّهر يوم بدر ودعاؤه للمقاتلة

وكانت الإبل سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقبون الإبل — الاثنين والثلاثة والأربعة — فكان رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد ، ويقال : زيد بن حارثة مكان مرثد^(٢) ، يتعاقبون بعيراً واحداً . وحمل سعد بن عبادة على عشرين جملًا ، وقال ﷺ حين فصل^(٣) من بيوت السقيا : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة^(٤) فأغنهم من فضلك ، فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً ، للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم^(٥) ، وأصابوا فداء الأسرى فاغتني به كل عائل .

(١) ، (٢) كذا في (المغازي) ج ١ ص ٢٤ .

(٣) فَصَلَ : رَحَلَ .

(٤) العالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٥) الأزواد : جمع زاد وهو الطعام .

تعبئة الجيش وعُدّه

واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة وهم في السّاقّة^(١) قيس بن أبي صعبصة عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول ، وأمره حين فصل من السّقيّا أن يَعدّ المسلمين ، فوقف لهم عند بئر أبي عنبه فعدّهم ثم أخبر النبي ﷺ ، وقَدّم أمامه عيّنين له إلى المشركين يأتِيانه بخبر عدوه ، وهما بَسْبَس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزّغباء — وهما من جهينة حليفان للأَنْصار — فاتّهما إلى ماء بدر فعلما الخبر ، ورجعا إلى رسول الله ﷺ . وسلك من السّقيّا بطن العقيق حتى نزل تحت شجرة بالبطحاء ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فبنى مسجداً فصلى فيه رسول الله ﷺ ، وأصبح يوم الاثنين ببطن ملل . وقال لسعد بن أبي وقاص ، وهو بتربان : يا سعد ، انظر إلى الظبي فوق له بسهم^(٢) ، وقام ﷺ فوضع ذقنه بين منكبي سعد وأذنيه ، ثم قال : ارم ! اللهم سدّد رميته . فما أخطأ سهم سعد عن نحر الظبي ، فتبسّم ﷺ ، وخرج سعد يعدو فأخذه وبه رمق فذكّاة^(٣) وحمله حتى نزل قريباً ، فأمر به رسول الله ﷺ فقسّم بين أصحابه^(٤) .

أفراس المسلمين ببدر

وكان معهم فرسان ، فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وفرس للمقداد بن عمرو ابن ثعلبة البهراني ، ويقال : فرس للزبير ، ولم [يكن معهم]^(٥) إلا فرسان ، ولا خلاف أن المقداد له فرس يقال له « سَبْحَة » ، ويقال لفرس مرثد « السَّيْل » ولحقّت قريش بالشام في غيرها^(٦) .

-
- (١) السّاقّة : مؤخّرة الجيش (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٤ .
 (٢) في (المغازي) ج ١ ص ٢٦ « فأفوّق له بسهم » ، واستغربه محقق (ط) .
 (٣) الذكّاة : الذبح أو النحر (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣١٤ .
 (٤) الخبر بتمامه في (المغازي) ج ١ ص ٢٦ ، ٢٧ ، وقد قال محقق (ط) أنه لم يجد هذا الخبر فيما بين يديه من كتب .
 (٥) زيادة لليبان ، ونصّ الواقدي : « ولم يكن إلا فرسان » (المغازي) ج ١ ص ٢٧ .
 (٦) قال (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٢٤ : « وحدثني بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وكان يقال له السَّيْل ، وفرس المقداد بن عمرو البهراني ، وكان يقال له بَعْرَجَة ، ويقال : سَبْحَة ، وفرس الزبير بن العوّام وكان يقال له اليعسوب » ، ومع المشركين مائة فرس .

عير قريش وما فيها

وكانت العير ألف بعير فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعثت به في العير ، فيقال : إن فيها خمسين ألف دينار ، ويقال : أقل . فأدركهم رجل من جذام بالزرقاء من ناحية مَعَان^(١) — وهم منحدرون إلى مكة — فأخبرهم أن محمداً ﷺ قد كان عرض لعيرهم في بدائعهم ، وأنه تركه مقيماً ينتظر رجعتهم وقد حالف عليهم أهل الطريق ووادعهم .

خوف أصحاب العير وإرسالهم إلى مكة يستجدون

فخرجوا خائفين الرُّصَد ، وبعثوا ضمضم بن عمرو حين فصلوا من الشام — وكانوا قد مروا به وهو بالساحل معه بكران فاستأجروه بعشرين مثقالاً — وأمره أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أن يخبر قريشاً أن محمداً قد عرض لعيرهم ، وأمره أن يجِدَّع^(٢) بعيره إذا دخل مكة ، ويحول رحلة^(٣) ، ويشق قميصه من قبله ودبره^(٤) ، ويصيحُ : الغوث الغوث ، ويقال : بعثوه من تبوك . وكان في العير ثلاثون رجلاً من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخزُمة بن نوفل فلم يُرْعِ أهل مكة إلا وضمضم يقول : يا معشر قريش ، يا آل لؤي بن غالب ، اللطيمة^(٥) ، قد عرض لها محمد في أصحابه ، الغوث الغوث ، والله ما أرى أن تدركوها . وقد جدَّع أذني بعيره ، وشق قميصه ، وحولَّ رحله .

تأهب قريش لنجدة العير

فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول ، وتجهزوا في ثلاثة أيام ، ويقال في يومين ، وأعان قوَّيْهم ضعيفهم . وقام سهيل بن عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وطعيمة بن عدي ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعمرو بن أبي سفيان ، يحضون الناس ، فقال سهيل : يا آل غالب ، أثاركون أنتم محمداً

(١) الزرقاء : موضع بالشام بناحية مَعَان ، ... وهي أرض شبيب التبعي الحميري ، (معجم البلدان) ج ٣ ص ١٣٧ .

(٢) أي يقطع أذنيه إنذاراً بالشر ، وهذا كله من عاداتهم في الإنذار بالشر .

(٣) اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٢٧ وفي (البداية

والنهاية) ج ٣ ص ٢٥٨ « اللطيمة اللطيمة » .

والصباة^(١) من أهل يثرب يأخذون غيراتكم وأموالكم ؟ من أراد مالا فهذا مال ، ومن أراد قوة فهذه قوة . فمدحه أمية بن [أبي]^(٢) الصلت بأبيات ، ومشى نوفل ابن معاوية الدليلى إلى أهل القوة من قريش فكلّمهم في بذل النفقة والحملان لمن خرج ، فقال عبد الله بن أبي ربيعة : هذه خمسمائة دينار فضعتها حيث رأيت . وأخذ من حويطب بن عبد العزى مائتي دينار وثلاثمائة دينار قوى بها في السلاح والظهر ، وحمل طعيمة بن عدي على عشرين بعيراً وقواهم وخلفهم في أهله بمعونة ، وكان لا يتخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه بعثاً ، ومشوا إلى أبي لبّ فأنى أن يخرج أو يبعث أحداً ، ويقال : إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة — وكان له عليه دين — فقال اخرج ، وديني لك ، فخرج عنه^(٣) . [وكان الدين أربعة آلاف درهم]^(٤) .

استقسامهم بالأزلام وكراهية الخروج إلى بدر

واستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة عند هُبَل بالأمر والناهي من الأزلام فخرج القِدْح^(٥) الناهي عن الخروج . وأجمعوا^(٦) المقام حتى أزعجهم أبو جهل ، واستقسم زمعة بن الأسود فخرج الناهي ، وكذلك خرج لعمر بن وهب ، وخرج حكيم ابن حزام وهو كاره لمسيره ، وقد خرج له القِدْحُ الناهي ، فلما نزلوا مرَّ الظهران^(٧) نحر أبو جهل جُزْراً^(٨) ، فكانت جزور منها بها حياة فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دهما . وأخذ عدّاس^(٩) يخذل شيبة وعتبة ابني ربيعة

(١) جمع « صاب » غير مهموز ، كقاضي وقضاة ، فقد كانت قريش تُسمّى النبي ﷺ الصابي ، والمسلمين الصباة .

(٢) زيادة للبيان والتصويب .

(٣) زيادة من تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٣٠ « بتصرف » .

(٤) القِدْح : قطعة من الخشب كانت تستعمل في الميسر ، الاستقسام هو إطاعة ما يخرج في هذه القداح من أمر أو نهي . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧١٧ بتصرف .

(٥) في (خ) « أجمعوا » وفي المغازي « فأجمعوا » ج ١ ص ٣٣ ، وأجمعوا : عزموا .

(٦) في (خ) « من الظهران » ومرَّ الظهران : موضع على مرحلة من مكة (معجم البلدان) ج ٥ ص ١٠٤ .

(٧) جُزْر : جمع جزور ، وهي الناقة المحورة .

(٨) هو غلام نصراني كان لعبة وشيبة ابنا ربيعة . والتخذيل : تشييط الناصر عن الثُصرة .

عن الخروج ، والعاصي بن منبه بن الحجاج . وأبى أمية بن خلف أن يخرج فأتاه عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل فعنفاه ، فقال : ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، فابتاعوا له جملاً بثلاثمائة درهم من نَعَم بني قُشَيْر فغنمه المسلمون^(١) . وما كان أحد منهم أكره للخروج من الحارث بن عامر .

رؤيا ضَمْضَم وعاتكة بنت عبد المطلب

ورأى ضمضم بن عمرو أن وادي مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه ، ورأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤياها التي ذكرت في ترجمتها^(٢) . فكره أهل الرأي المسير

(١) « فصار في سهم تُحَيِّب بن إساف » (المغازي) ج ١ ص ٣٦ .

(٢) هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمّة النبي ﷺ ، كانت زوج أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة زوج النبي ﷺ ، ورزقت منه عبد الله وقرية ، وغيرها .
قال أبو عمر : اختلف في إسلامها ، والأكثر يأبون ذلك ، وفي ترجمة أروى : ذكرها العقيلي في الصحابة ، وكذلك ذكر عاتكة .

وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يُسلم من عماته ﷺ إلا صفية . وذكرها ابن فضال في ذيل الاستيعاب ، واستدل على إسلامها بشعر لها تمدح فيه النبي ﷺ وتصفه بالنبوة .
وقال الدارقطني في كتاب الإخوة : لها شعر تذكر فيه تصديقها ، ولا رواية لها .
وقال ابن منده - بعد ذكرها في الصحابة : روت عنها أم كلثوم بنت عقبة ، ثم ساق من طريق محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أم كلثوم بنت عقبة ، عن عاتكة بنت عبد المطلب ، قصة المنام الذي رآته في وقعة بدر . وذكر الزبير بن بكار أنها شقيقة أبي طالب وعبد الله . وقال ابن سعد أسلمت عاتكة بمكة ، وهاجرت إلى المدينة ، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في قصة بدر .

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة ابن الزبير ، قالوا : وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفرغتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضلتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منه شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ؛ فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، وحتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لُغْدَر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه .

فبينما هم حوله مكل به بعيره على ظهر الكعبة ، صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لُغْدَر لمصارعكم في ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دَخَلَتْها منه فلقه .
قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتمها ، ولا تذكرها لأحد ، ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن عُتْبَةَ بن ربيعة - وكان صديقاً له - فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، =

ومشى بعضهم إلى بعض ، فكان من أبطلهم عن ذلك الحارث بن عامر ، وأمّية ابن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام ، وأبو البختری ، وعلي بن أمّية بن خلف ، والعاص بن منبه ، حتى بكتهم أبو جهل بالجبن ، وأعانه عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، فأجمعوا المسير .

خروج قريش والمطعمون في طريقهم

وخرجت قريش بالقيان والدّفاف يغنين في كل منهل وينحرون الجزر وهم تسعمائة وخمسون مقاتلاً . وكان المطعمون : أبو جهل ، نحر عشرأ — وأمّية بن خلف ، نحر تسعأ — وسهيل بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤي ، نحر عشرأ — وشيبة بن ربيعة ، نحر عشرأ — ومنبه ونيبه ابنا الحجاج ، نحرأ عشرأ — والعباس بن عبد المطلب ، نحر عشرأ — وأبو البختری العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد ، نحر عشرأ . وذكر موسى بن عقبة أن أول من نحر لقريش أبو جهل بن هشام بمر الظهران ، عشر جزائر — ثم نحر لهم صفوان بن أمّية بعسفان تسع جزائر — ثم نحر لهم سهيل بن عمرو بقديد ، عشر جزائر — ومضوا من قديد إلى مناة من البحر^(١) فظلوا فيها وأقاموا يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر — ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر — ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس بن قيس^(٢) تسع جزائر — ثم نحر عباس بن عبد المطلب

= ففشا الحديث بمكة حتى تحدث به قريش في أنديتها .

شرح غريب هذا الحديث :

مثل به بعيره : قام به .

يا لَعْدُر : بضم العين والدال ، جمع غلور ، تحريضاً لهم ، أي إن تخلفتم فأنتم غدر لقومكم ، وقُتِحَتْ لأم الاستغاثة ، لأن النادي قد وقع موقع الاسم المضر ، ولذلك بُني ، فلما دخلت عليه لأم الاستغاثة — وهي لأم الجرّ قُتِحَتْ كما قُتِحَتْ لأم الجرّ إذا دخلت على المضمرات .

أبي قَيْس : اسم جبل ، سُمّي باسم رجل هلك فيه من جرهم ، اسمه : قَيْس بن شاذل . أرفضت : تفتت .

(الإصابة ج ٨ ص ١٣ ترجمة رقم ١١٤٥١ ، (الاستيعاب) ج ٤ ص ١١٧٧٨ ، (ابن هشام) ج ٣ ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(١) مناة : صخرة كانوا يعظمونها ويعبدونها .

(٢) أخو سُلَيْم بن قيس (ذكره ابن سعد) ج ٣ ص ٤٨٩ .

عشر جزائر — ثم نحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً — ثم نحر لهم أبو البخترى على ماء بدر عشر جزائر — ونحر مقيس السهمي على ماء بدر تسعاً — ثم شغلهم^(١) الحرب فأكلوا من أزوادهم^(٢) .

عدة أفراسهم وإبلهم

وقادوا مائة فرس عليها مائة دارع سوى دروع في المشاة ، وكانت إبلهم سبعمائة بعير ، وهم كما ذكر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾^(٣) وأقبلوا في تجمل عظيم وحق زائد على رسول الله ﷺ وأصحابه لما يريدون من أخذ غيرهم ، وقد أصابوا من قبل عمرو بن الحضرمي والبعير التي كانت معه .

وصول عير قريش إلى بدر

وأقبل أبو سفيان بالبعير ومعها سبعون رجلاً منهم مخزومة بن نوفل وعمرو بن العاص ، فكانت غيرهم ألف بعير تحمل المال ، وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة واستبطأوا ضمضم بن عمرو والنفير^(٤) ، فلما كانت الليلة التي يصبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بدر — وكانوا باتوا^(٥) من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على أن يصبّحوا بدرأً إن لم يُعترض لهم — فما انقادت لهم العير حتى ضربوها بالعُقل^(٦) ، وهي ترجع الحنين تزاور^(٧) إلى ماء بدر — وما

(١) في (خ) « شغلهم » .

(٢) ذكره ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٤٥ « أسماء المطعمين من قريش في غزوة بدر : العباس بن عبد المطلب ، وعتبة بن ربيعة ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي ، وأبو البخترى ابن هشام ، وحكيم بن حزام ، والنضر بن الحارث بن كلفة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ومنبه ونيبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، فنزل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْقَهُنَّ ثَمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (من الآية ٣٦/ الأنفال) .

(٣) آية ٤٧ / الأنفال ، وفي (خ) « ورثاء الناس » الآية .

(٤) النفير : القوم ينفرون للقتال . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٤٠ .

(٥) في (خ) « بتوا » .

(٦) في (خ) « العقل » والتصويب من (المغازي) ج ١ ص ٤٠ والعقل : جمع عقال ، وهو الرباط الذي تربط به قوائم الدابة .

(٧) في (خ) « تزاوداً » ولعل الصواب ما أثبتناه . وتزاور : أي تميل بأعناقها وتعدل . =

بها إلى الماء حاجة ، لقد شربت بالأمس — وجعل أهل العير يقولون : هذا شيء ما صنعتُه معنا منذ خرجنا ، وغشيتهم تلك الليلة الظلمة حتى ما يبصر أحد منهم شيئاً . فأصبح أبو سفيان بيدر قد تقدم العير وهو خائف من الرصد ، فضرب وجهه عيره فسأحل بها^(١) ، وترك بدرأ يساراً وانطلق سريعاً ، وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل ، يطعمون الطعام من أتاها وينحرون الجُزر . وهم عتبة وشيبة أن يرجعا ثم مضيا وقد عنفهما أبو جهل .

رؤيا جهيم بن الصلت

فلما كانوا بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف في منامه رجلاً أقبل على فرس معه^(٢) بعير حتى وقف عليه فقال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وزمعة بن الأسود ، وأمّية بن خلف ، وأبو البختري ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، في رجال سماهم . وأسير سهيل بن عمرو ، وفرّ الحارث بن هشام ، وقائل يقول : والله إني لأظنكم^(٣) إلى مصارعكم ، ثم رآه كأنه ضرب في لَبَّة^(٤) بعيره فأرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه بعض دمه .

فشاعت هذه الرؤيا في العسكر ، فقال أبو جهل : هذا نبي آخر من بني المطلب : سيعلم غداً من المقتول ، نحن أو محمداً وأصحابه .

نجاة عير قريش وإصرار النفير على البقاء بيدر

وأتاها قيس بن امرئ القيس من أبي سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويخبرهم أن قد نجت عيرهم : فلا تُجزروا^(٥) أنفسكم أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إنما خرجتم لتنعوا العير وأموالكم ، وقد نجاها الله . فعالج قريشاً فأبّت الرجوع وردوا القيان من الجحفة . وقال أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نرد بدرأ فنقيم

= قال تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ﴾ من الآية ١٧ / الكهف . أي تميل .

(١) أي قصد بها الساحل .

(٢) في (ط) « ومعه » .

(٣) في (خ) « لا أظنكم » .

(٤) اللبة من عنق البعير فوق صدره ومنها يذبح .

(٥) أي لا تجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل مكة .

ثلاثاً ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف القيان علينا ، فلن تزال العرب تهابنا أبداً . وعاد قيس إلى أبي سفيان وقد بلغ الهدة^(١) — على تسعة أميال من عقبة عسفان — فأخبره بمضي قريش ، فقال : واقوماه !! هذا عمل عمرو ابن هشام [يعني أبا جهل]^(٢) ، كره أن يرجع لأنه ترأس على الناس فبغى ، والبغى منقصة وشؤم ، إن أصاب محمد النفير ذللتنا .

رجوع الأخنس ببني زهرة عن بدر

ورجع الأخنس بن شريق [واسمه أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج ابن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة] ببني زهرة من الأبواء^(٣) — وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة — فلم يشهد بدرأ أحد من بني زهرة إلا رجلاً هماً عمماً مسلم ابن شهاب بن عبد الله^(٤) وقتلاً كافرين ، ويقال : إن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل لما تراءى الجمعان فقال : أترى محمداً يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط ! ولكن إذا كانت في عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شيء بقي لنا ؟ فحينئذ انخنس الأخنس ببني زهرة^(٥) ورجعت بنو عدي قبل ذلك من مر الظهران .

الهاتف بمكة بنصر المسلمين

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه^(٦) :

(١) الهدة بالتشديد : موضع بين مكة والطائف (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٩٥ .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) كذا في (خ) والصواب أنهم رجعوا من الجحفة . راجع (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٤٣٨ (و ابن سعد) ج ٢ ص ١٤ ، ولم يذكر من الأبواء إلا (الواقدي في المغازي) ج ١ ص ٤٥ .

(٤) يقول ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٥٣ : « وكان قوم من زهرة » قد خرجوا ، فقام « الأخنس بن شريق الثقفي » فيهم — وكان حليفاً لهم — فأشار عليهم بالرجوع ، فرجعوا ولم يشهد بدرأ منهم أحد » .

(٥) في (خ) « بني زهرة » وانخنس : تأخر مستخفياً فرجع .

(٦) هذه الأبيات في (المغازي للواقدي) ج ١ ص ١١٩ على هذا النحو :

أزار الحنفيون بدرأً وقبعة سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت خرائد يضربن الترائب حُسراً
فياويح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ فقال : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

خبر الأعرابي بعرق الظبية

وأصبح رسول الله ﷺ صبيحة أربع عشرة بعرق الظبية^(١) فجاء من تهامة أعرابي فسئِلَ عن أبي سفيان فقال : ما لي به علم ، فقالوا له : تعال سلّم على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ قالوا : هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها فهي حُبلى منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه . ثم سار ﷺ حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء ، ولما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة .

دعاؤه على أبي جهل وزمعة

وقال : اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود ، اللهم وأسخن عين أبي زمعة بزمعة ، اللهم واعم بصراً أبي زمعة ، اللهم لا تفلتن سهيلاً ، اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين .

أزار الحنفيون بدرأً مصيبة سينقض منها ركن كسراً وقيصرا
أرنت له صمّ الجبال وأفزعث قبائل ما بين الوتير وخيبرا
أجازت جبال الأخشيين وجردت حرائر يضربن الترائب حُسراً

الوتير : موضع في ديار خزاعة (معجم ما استعجم) ص ٨٣٦ .

(١) عرق الظبية : بين مكة والمدينة (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٠٨ .

خروجه وأمره بالإفطار من الصوم

واستعمل ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ورده من الروحاء ، وقدم حبيب بن يساف^(١) بالروحاء مسلماً . وخرج ﷺ فصام يوماً أو يومين ثم نادى مناديه : يا معشر العصاة إني مفطر فأفطروا ، وذلك أنه قد قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا .

خبر العير الذي برك

وكان رفاعه وخلاد ابنا رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريان ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو يتعاقبون بعيراً ، حتى إذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم وأعيا ، فمر بهم النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله برك علينا بكرنا ، فدعا بماء فتمضمض وتوضأ في إناء ثم قال : افتحوا فاه ، ففعلا ، ثم صبه في فيه^(٢) ، ثم على رأسه وعنقه ، ثم على حاركه وسنامه ، ثم على عجزه ، ثم على ذنبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى ، فلحقاه وإن بكرهم لينفر^(٣) بهم ، حتى إذا كانوا بالمصلى راجعين من بدر برك عليهم فنحره خلاد ، فقسم لحمه وتصدق به .

المشورة قبل بدر

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان دُوَيْنَ بدر أتاه الخبر بمسير قريش ، فاستشار الناس ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يا رسول الله ، إنها والله قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها أبداً ولتقاتلنك ، فأتته^(٤) لذلك أهبطه ، وأعدّ لذلك عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها : ﴿ اذهب أنت

(١) « يساف » و « إساف » .

(٢) في (خ) « ليغفر بهم » .

(٣) كذا في (المغازي) ج ١ ص ٤٨ وفي (ط) « فأتته » .

وقد أغفلت غالبية كتب السيرة مقالة عمر هذه ولم يزيدوا على قوله : « ثم قام عمر فقال فأحسن » إلا الواقدي (المغازي) كما أثبتنا .

وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون^(١) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما^(٢) مقاتلون ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٣) لسرنا ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

مشورة الأنصار

ثم قال أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنهم لا ينصرونه إلا في الدار ، لأنهم شرطوا له أن يمنعه^(٤) مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقام^(٥) سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنتك يا رسول الله تريدنا ! قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون قد خرجت عن أمر قد أوحى إليك [في غيره]^(٦) فإننا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت (بنا)^(٧) هذا البحر (فخضته)^(٨) لخضناه معك ما بقي منا رجل ، وصل من شئت واقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت ، والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قط وما لي بها من علم ، وما نكره أن نلقى عدونا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق^(٩) عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ما تقرر به عينك . وفي رواية^(١٠) أن سعد بن معاذ قال : إنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة في الجهاد ونية ، ولو ظنوا يا رسول الله أنك ملاق عدواً ما تخلفوا ، ولكن إنما ظنوا أنها العير ، بنيت لك عريشاً فتكون فيه وتعد عندك^(١١) رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى جلسنت على رواحلك فلحقت من وراءنا . فقال له

(١) اقتباس من الآية ٢٤/المائدة .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال ، وقيل : بلد باليمن (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٩٩ وفي (الروض الأنف) ج ٣ ص ٤٥ « أنها مدينة بالحبيشة » .

(٤) في (خ) « يمنعه » .

(٦) كذا في (خ) وفي (المغازي) ج ١ ص ٤٨ وقال محقق (ط) إنه لم يعرف صوابه !! .

(٧) زيادة من (ابن هشام) و (الواقدي) .

(٨) جمع صدق : وهو الثابت عند اللقاء .

(٩) هي رواية الواقدي ، قال : « فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد » .

(١٠) كذا في (خ) و (ط) و (ابن هشام) ، وفي (المغازي) : « ونعد لك رواحلك » .

النبي ﷺ خيراً ، وقال : أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد ! .

دلالة على مصارع المشركين يوم بدر

فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أراهم مصارعهم يومئذ : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كل رجل مصرعه ، فعلم القوم أنهم يلاقون القتال وأن العير ثقلت ، ورجوا النصر لقول النبي ﷺ .

عقد الأولوية

ومن يومئذ عقد رسول الله ﷺ الأولوية وهي ثلاثة : لواء يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان سوداوان^(١) : إحداهما مع علي ، والأخرى مع رجل من الأنصار ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار من الروحاء . وتعجل ومعه قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر^(٢) بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس الظفري ، ويقال : بل كان معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدّي بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة بن يزيد^(٣) بن جشم بن الخزرج الأنصاري ، وقيل : بل كان معه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن

(١) في (خ) « سوداوتان » ، وأمر الأولوية هنا على خلاف ما في كتب السيرة ، ففي (المغازي) ج ١ ص ٥٨ : « كان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم — لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج من الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » ، ونحوه في (تلقيح فهم أهل الأثر) ص ٥١ وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ١٨٦ « قال ابن إسحق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض . قال ابن إسحق : وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها : العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار » . وفي (تلقيح الفهوم) ص ٥١ : « وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الأولوية ، وكان لواء رسول الله ﷺ أعظم ، ولواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ » .

(٢) في (خ) « كعب » وهو خطأ والتصويب من (الإصابة) ج ٨ ص ١٣٨ ترجمة قتادة بن النعمان برقم ٧٠٧ .

(٣) في (خ) « زيد » وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ١٠ ص ١٠٤ ترجمة رقم ٢٤١٦ .

خبر سفيان الضمري

فلقي سفيان الضمري فقال رسول الله ﷺ : من الرجل ؟ فقال : بل من أنتم ؟ قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا ونخبرك ، قال : وذلك بذاك ؟ قال النبي ﷺ : نعم . قال : فسلوا عما شئتم ، فقال رسول الله ﷺ : أخبرنا عن قريش ، فقال : بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة ، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم يجنب هذا الوادي . قال رسول الله ﷺ : فأخبرنا عن محمد وأصحابه ، قال : خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم يجنب هذا الوادي ، قال الضمري : فمن أنتم ؟ قال النبي ﷺ : نحن من ماء ، وأشار بيده نحو العراق ، فقال (الضمري) ^(١) من ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، ولا يعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه ، بينهم قوز ^(٢) من رمل ، ومضى فلقية بسبس وعدي بن أبي الزغباء فأخبراه خبر العير .

خبر العيون وسقاء قريش

ونزل النبي ﷺ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ، فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبس بن عمرو رضي الله عنهم يتحسسون ^(٣) على الماء ، وأشار لهم إلى ظريب ^(٤) وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي يلي الظرب ^(٤) فوجدوا على تلك القليب ^(٥) روايا ^(٦) قريش فيها سقاؤهم ، فأقلت عامتهم وفيهم عجير ، فجاء قريشاً فقال : يا آل غالب ، هذا ابن أبي كبشة وأصحابه قد أخذوا سقاءكم ، فماج العسكر وكرهوا ذلك ، والسماء تمطر

(١) زيادة للإيضاح وهذه الرواية مطابقة لرواية الواقدي في (المغازي) ج ١ ص ٥٠ خلاف ما أثبتته محقق (ط) .

(٢) القوز : الكتيب العالي من الرمل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٦٦ .

(٣) في (خ) « يتجسسون » بالجيم .

(٤) ظريب : تصغير ظرب : ككتف ، ما نتأ من الحجارة وحد طرفه ، أو الجبل المنبسط أو الصغير (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٢٠ .

(٥) القليب : البئر القديمة لا يعلم حافر لها .

(٦) الروايا من الإبل : حوامل الماء .

عليهم ، وأخذ تلك الليلة [أبو]^(١) يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص ، وأسلم غلام منه بن الحجاج ، وأبو رافع غلام أمية بن خلف ، فأثنى بهم النبي ﷺ وهو يصلي فقالوا : (نحن)^(٢) سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهم فضربوهم ، فقالوا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في العير ، فأمسكوا عنهم . فسلم رسول الله ﷺ وقال : إن صدقوكم ضربتموهم ، وإن كذبوكم تركتموهم ، ثم أقبل عليهم يسألهم ، فأخبره أن قريشاً خلف هذا الكتيب .

عدة المشركين يوم بدر

وأنهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً ، واعلموه بمن خرج من مكة ، فقال ﷺ : القوم بين الألف والتسعمائة ، وقال : هذه مكة قد ألفت [إليكم]^(٣) أفلاذ كبدها .

المشورة في منزل الحرب

واستشار أصحابه في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن (حرام بن)^(٤) كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري : انطلق بنا إلى أدنى ماء (إلى)^(٥) القوم فأبني عالم بها وبقلبها^(٦) ، بها قلب قد عرفت عذوبة مائه ، وماء كثير لا ينزح^(٧) ، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور^(٨) ما سواها من القلب . فقال : يا حباب ، أشرت بالرأي ، ونهض بمن معه فنزل على القلب بيدر ، وبات تلك الليلة يصلي إلى جذم^(٩) شجرة هناك — وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان — وفعل ما أشار به الحباب .

(١) زيادة من (ابن هشام) ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) زيادة للإيضاح . (٣) زيادة لا بد منها . (٤) زيادة من نسبه .

(٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٥ . (٦) القلب : جمع قلب .

(٧) لا ينزح : لا ينفذ وفي (ابن سعد) « قد عرفت عذوبة مائه لا ينزح » ج ٢ ص ١٥ وما أثبتناه من

(خ) و (ط) وهي رواية الواقدي في (المغازي) ج ١ ص ٥٣ .

(٨) نغور : نغسد ، في (ابن سعد) ج ٢ ص ١٥ « نغور » ، وفي (المغازي) ج ١ ص ٥٣ « نغور » ،

وفي (ط) « نغور » .

(٩) جذم الشجرة : ما يبقى من جذعها بعد أن يقطع أعلاه .

المطر يوم بدر

وبعث الله السماء ، فأصاب المسلمين ما لبّد الأرض ولم يمنع من السير ، وأصاب قريشاً من ذلك ما لم يقدرُوا أن يرتحلوا منه ، وإنما بينهم قوز من رمل^(١) ، وكان مجيء المطر نعمة وقوة للمؤمنين ، وبلاء ونقمة على المشركين .

الثعاس الذي أصاب المسلمين

وأصاب المسلمين تلك الليلة ثعاس ألقى عليهم فناموا حتى إن أحدهم [تكون]^(٢) ذقه بين ثديه وما يشعر حتى يقع على جنبه ، واحتلم رفاعة بن رافع ابن مالك حتى اغتسل آخر الليل . وبعث ﷺ عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فأطافا بالقوم ، ثم رجعا فأخبراه أن القوم مذعورين ، وأن السماء تسحّ عليهم^(٣) .

بناء عريش رسول الله

وبني لرسول الله ﷺ — لما نزل القليب — عريش من جريد . وقام سعد ابن معاذ على بابه متوشح السيف . ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة ، وعرض على أصحابه مصارع رعوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً ، يقول : هذا مصرع فلان ، و [هذا]^(٤) مصرع فلان ، فما عدا واحد منهم مضجعه الذي حدّ له الرسول . وعدّل ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخل ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وأصبح ببدر يوم الجمعة السابع عشر ، وقيل : الثامن عشر من رمضان قبل أن تنزل قريش ، فطلعت قريش وهو يصفهم ، وقد أترعوا حوضاً . ودفع رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم حيث أمره النبي ﷺ أن يضعها ، ووقف ﷺ ينظر إلى الصفوف فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ، فنزل ﷺ بالعدوة^(٥) الشامية ، ونزلوا بالعدوة اليمنية . فجاء

(١) القوز : الكتيب العالي من الرمل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٦٦ .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) السحّ : العُصْب والسيلان من فوق (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٢٧ .

(٤) زيادة للسياق .

(٥) العدوة : شاطئ الوادي وجانبه الصلب .

رجل فقال : يا رسول الله إني أرى أن تعلق الوادي ، فإني أرى ريحاً قد هاجت من أعلى الوادي ، وإني أراها بعثت بنصرك . فقال ﷺ : قد صفت صفوفي ووضعت رايتي ، فلا أغير ذلك . ثم دعا ربه تعالى فنزل عليه : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أي ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾^(١) يعني بعضهم على إثر بعض .

خبر سواد بن غزية

ولما عدل رسول الله ﷺ الصفوف تقدم سواد بن غزية أمام الصف ، فدفع النبي ﷺ في بطنه فقال : استو يا سواد ، فقال : أوجعتني والذي بعثك بالحق أقذني^(٢) ، فكشف ﷺ عن بطنه وقال : استقد ، فاعتنقه وقبله . فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : حضر من أمر الله ما قد ترى ، وخشيت القتل ، فأردت أن أكون آخر عهدي^(٣) بك [أن يمس جلدي جلدك]^(٤) وأن أعتنقك ، وكان ﷺ يسوى الصفوف وكأنما يقوم بها القداح^(٥).

الريح التي بُعثت والملائكة

وجاءت ريح شديدة ، ثم هبت ريح أشد منها ، ثم هبت ريح ثالثة أشد منهما : فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف مع رسول الله ﷺ ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف عن يمينه ، والثالثة إسرافيل في ألف عن يساره . ويقال : جاء جبريل في ألف من الملائكة في صور الرجال ، وكان في خمسمائة من الملائكة في الميمنة ، وميكائيل في خمسمائة من اليسرة ، ووراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران^(٦) ، وكان إسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة . وكان الرجل يرى الملك على صورة رجل يعرفه ،

(١) الآية ٩ / الأنفال . (٢) أقذني : أعطني القود ، وهو القصاص .

(٣) في (خ) « عهد » وما أثبتاه من (المغازي) ج ٣ ص ٢٧١ .

(٤) في (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٤٤٧ « فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك » ونحوه في (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٧١ .

(٥) القداح : جمع قذح .

(٦) الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٧ آل عمران .

وهو يثبتته ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم^(١) ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٢) ، وفي مثل هذا قال حسان رضي الله عنه :

ميكال معك وجبرئيل كلاهما مددٌ لنصرِكَ من عزيزٍ قادرٍ^(٣)

ألوية بدر

ويقال كان على الميمنة أبو بكر رضي الله عنه ، والثابت أنه لم يكن على الميمنة والميسرة أحد ، وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم - لواء المهاجرين - مع مصعب ابن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . ومع قريش ثلاثة ألوية : لواء مع أبي عزيز (بن عمير)^(٤) ، ولواء مع النضر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

خطبته يوم بدر

وخطب عليه يومئذ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنني أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم عنه ، فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ويحب الصدق ، ويعطي على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يذكرون وبه يتفاضلون ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغي به وجهه ، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الغم ، وتدركون النجاة في الآخرة ، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه ، فإن الله يقول : ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) . انظروا الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزكم [به]^(٦) بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرض به ربكم عنكم ، وابلوا

(١) الكُر : الإقدام على العنوّ .

(٢) في (خ) إلى قوله تعالى : ﴿الرُّعْبَ﴾ والآية ١٢ / الأنفال .

(٣) في (خ) جبريل ، ولم يرد ذكر هذا البيت في الأشعار التي قيلت في غزوة بدر ولا في كتب السيرة ولا في ديوان حسان بن ثابت ولا في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة عند ترجمته لحسان بن ثابت .

(٤) زيادة للإيضاح . (٥) من الآية ١٠ / غافر . (٦) زيادة للإيضاح .

ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا وعدمكم به من رحمته ومغفرته ، فإن ولعه حق وقوله صدق وعقابه شديد . وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم ، إليه أُلجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لي وللمسلمين .

دعاؤه على قريش

ولما رأى ﷺ قريشاً تصوب من الوادي — وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً — قال ﷺ : اللهم إنك أنزلت عليّ الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدي الطائفتين ، وأنت لا تخلف الميعاد ، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك^(١) وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أجنهم الغداة^(٢) .

بعثة عمر إلى قريش يعرض عليهم الرجوع

ولما نزل القوم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم يقول : ارجعوا ؛ فإنه إن يلي هذا الأمر مني غيركم ، أحب إلي من أن تلوه مني ، [وأن]^(٣) إليه من غيركم أحب [إلي] من [أن]^(٤) إليه منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفاً فاقبلوه ، والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف^(٥) ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم ، [ولا نطلب أثراً بعد عين ، ولا يعترض لعيرنا بعد هذا أبداً]^(٦) .

النفر الذين شربوا من الخوض

وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الخوض — منهم حكيم بن حزام — فأراد المسلمون طردهم فقال ﷺ : دعوهم ، فوردوا الماء فشربوا ، فما شرب منهم أحد إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام نجاً^(٧) .

(١) حاده : خالفه وعصاه ونازعه .

(٢) زيادات يقتضيها السياق .

(٣) زيادة من (المغازي) ج ١ ص ٦١ .

(٤) (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٤٤١ « نجاً على فرس يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ،

فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر » وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ٩٣ : « لا والذي نجاني من يوم بدر » .

بعثة عمير بن وهب لحرز المسلمين وما قاله لقريش

وبعثت قريش عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن الجمحي ليحرز^(١) المسلمين ، فلما لم ير لهم مدداً ولا كميناً ، رجع فقال : القوم ثلاثمائة إن زادوا [زادوا]^(٢) قليلاً ، معهم سبعون بغيراً وفرسان ، ثم قال : يا معشر قريش ! البلياء تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ^(٣) إلا سيوفهم ، ألا ترون خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ^(٤) الأفاعي ، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلاً ، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير في العيش بعد ذلك قَرَوْا رأيكم .

فبعثوا أبا سلمة الجشمي ، فأطاف على المسلمين بفرسه ، ثم رجع فقال : والله ما رأيت جلدأ ولا عدادأ ولا حلقة ولا كراعاً ، ولكني رأيت قومأ لا يريدون أن يؤوبوا إلى أهلهم ، قومأ مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، زرق^(٥) العيون كأنها^(٦) الحصى تحت الحجف^(٧) ، فروا رأيكم .

حكيم بن حزام يؤامر قريشاً على الرجوع

فمشى حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة ، وأبي أبو جهل وهب^(٨) إلى عامر الحضرمي أخي المقتول بنخلة ، وحثه على أخذه بثأر أخيه ، فقام ثم حثاً على استه التراب بعدما اكتشف وصرخ : واعمره ! فأفسد على الناس الرأي الذي رآه عتبة ودعاهم إليه .

بدء القتال يوم بدر وأول من قُتل

ثم حَرَّش بين الناس ، وحمل فناوش المسلمين وشبت الحرب . فخرج إليه مهجع

(١) في (خ) « ليجوز » ، ويحز : بقدر العدد بالتخمين .

(٢) زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) بغير هذه الزيادة .

(٣) في (خ) مطموسة ، وما أثبتاه من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٦ (والمغازي) ج ١ ص ٦٣ .

(٤) التلمظ : تحريك اللسان في الفم بعد الأكل والتحطق بالشفيتين .

(٥) في (خ) « زرق زرق » تكرر من الناسخ .

(٦) في (خ) « كأنهم » .

(٧) الحجف : جمع حجفة ، وهي جلود يطارق بعضها ببعض حتى تغلظ فتكون درقة كالدرع .

(٨) في (خ) « ووهب » .

مولى عمر [بن الخطاب]^(١) فقتله عامر ، فكان مهجع أول من استشهد يوم بدر ، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة قتله جَبَّان بن العَرِقة ، ويقال : عمير بن الحُمام قتله خالد بن الأعمى العقيلي .

مناشدة رسول الله ربه

وكان رسول الله ﷺ في العريش وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع فغشيه نوم غلبه — وكان قد قال : لا تقاتلوا حتى أؤذنكم ، وإن كتبوكم^(٢) فارموهم ، ولا تسلبوا السيوف حتى يغشوكم — فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله قد دنا القوم ، وقد نالوا منا ، فاستيقظ ﷺ وهو رافع يديه يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : اللهم إن تظهر على هذه العصاة يظهر الشرك ولا يقيم لك دين ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، إني أشير عليك — ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يُشار عليه — إن الله أجل وأعظم من أن ينشد وعده . فقال رسول الله ﷺ : يا ابن رواحة ، ألا أنشد الله وعده ، إن الله لا يخلف الميعاد .

ولم يذكر ابن إسحاق ولا الواقدي أنه ﷺ قاتل ، وخرَّج الفريابي ، نا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن حارثة ، عن علي رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر وحضر الناس ، أمنا رسول الله ﷺ ، فما كان منا أحد أقرب إلى المشركين منه ، وكان أشد الناس بأساً^(٣) .

الأسود بن عبد الأسد : مقتله عند الخوض

فلما تراحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد^(٤) الخزومي — حين دنا من الخوض — : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته ، أو لأموتن دونه ، فشد حتى دنا منه ، فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن^(٥) قدمه ، فزحف الأسود حتى وقع في الخوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه ، وحمزة يتبعه

(١) زيادة للإيضاح .

(٢) كتب وأكتب : إذا دنا من القوم وقاربهم .

(٣) (مسند أحمد) ج ١ ص ١٢٦ . (٤) في (خ) « الأسدي » .

(٥) أي ضربة ضربة سريعة بالسيف قطعت رجله ، ويُسمع للضربة طنين .

فضربه في الحوض فقتله ، فدنا بعضهم من بعض وخرج عتبة ، وشيبة والوليد ، ودَعَوْا إلى المبارزة .

المبارزة وخروج الأنصار وكراهية رسول الله ذلك ودعوته للمهاجرين

فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار فتيان وهم : مُعَاذٌ وَمَعُودٌ وَعُوفٌ وَبَنُو عَفْرَاءَ ، ويقال ثالثهم عبد الله بن رواحة^(١) فاستحيا رسول الله ﷺ وكره أن يكون أول قتال — لقي فيه المسلمون المشركين — في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة^(٢) بيني عمه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم ، وقال لهم خيراً . ثم نادى منادي المشركين : يا محمد ، أخرج لنا^(٣) الأكفَاءَ من قومنا ، فقال ﷺ : يا بني هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بُعث به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله . فقام علي ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، فمشوا إليهم^(٤) . وكان علي رضي الله عنه مُعَلِّماً بصوفةٍ بيضاء ، فقال عتبة لابنه : قم يا وليد ، فقام فقتله علي ، ثم قام عتبة فقتله حمزة ، ثم قام شيبة فقام إليه عبيدة فضربه شية فقطع ساقه ، فكّر حمزة وعلي فقتلا شيبة واحتملا عبيدة إلى الصف^(٥) فنزلت فيهما^(٦) هذه الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ

(١) وهي رواية (الواقدي) ج ١ ص ٦٨ إلا أنه استدرك ذلك بقوله : « والثبت عندنا أنهم بنو عفراء » . وفي (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٤٤٥ أن ثالثهم ابن رواحة .

(٢) في (المغازي) ج ١ ص ٦٨ « لبني » .

(٣) في (خ) ، (المغازي) « لنا » وفي (ط) « إلينا » .

(٤) في (ابن سعد) « فمشوا إليه » ج ٢ ص ١٧ وفي (المغازي) « فمشوا إليهم » ج ١ ص ٥٨ .

(٥) « فلما أتوا به النبي ﷺ قال : ألسْتُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : لو رأي أبي طالب لعلم إنا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نُصْرِعَ حوله ونذملُ عن أبنائنا والحلالِ »

(الكامل لابن الأثير) ج ١ ص ١٢٥ .

وفي (المغازي) ج ١ ص ٧٠ :

« كذبهم ويت الله تُخْلِي عَمداً ولما تُطاعنْ دونه ونناضل

ونسلمه حتى نُصْرِعَ حوله ونذملُ عن أبنائنا والحلالِ

وفي (ابن هشام) « كذبهم ويت الله نيزي محمداً ، أي لا يُزي والمعنى لا يُفهر .

(٦) في (المغازي) ج ١ ص ٧٠ « ونزلت هذه الآية » .

من فوق رؤوسهم الحميم ﴿١﴾ .

استفتاح أبي جهل

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال : اللهم أقطعنا للرحم ، وأتانا بما لا يعلم ، فأجبه الغداة . فأنزل الله تعالى : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فقتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين ﴾ (٢) . وقال يومئذ :

ما تنقُم الحرب العوانُ مني بازُلُ عامين حديثُ سني
لمثل هذا ولدتني أُمي (٣)

إبليس يذمر المشركين ثم نكوصه على عقبيه

وتصور إبليس في صورة سراقَة (بن مالك) (٤) ، بن جعشم (المدلجي) (٥) يذمر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون (٥) فتشبث به الحارث بن هشام وهو يُرى أنه سراقَة ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط ، وانطلق إبليس لا يُرى حتى وقع في البحر ، [ورفع يديه وقال : يارب ، موعذك الذي وعدتني] (٦) .

(١) الآية ١٩ / الحج وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ في ربهم ﴾ .

(٢) الآية ١٩ / الأنفال وفي (خ) إلى قوله تعالى : [« الفتح » ، « الآية »] .

(٣) في (البداية والنهاية) ج ٣ ص ٢٨٣ « ما تنقُم الحربُ الشُّموس مني » .

وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠٠ « ما تنقُم الحربُ العوان مني » .

والحرب العوان جمع عون : الحرب الشديدة التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، والبازل من الإبل الذي خرج سنه فهو في ذلك يصل للنزوة مرحلة الشباب .

(٤) زيادة من نسبه .

(٥) وذلك معنى الآية ٤٨ / الأنفال ، وهي قوله تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ... ﴾ .

(٦) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٧١ .

شعار المسلمين في القتال وإعلامهم

وأقبل أبو جهل يحض المشركين على القتال بكلام كثير^(١) وجعل ﷺ شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن » وشعار الخزرج « يا بني عبد الله » والأوس « يا بني عبيد الله ». ويقال : كان شعار رسول الله ﷺ : « يا منصور أمث »^(٢) وقال ﷺ : إن الملائكة قد سوّمت فسوّموا^(٣) ، فأعلموا بالصوف في مغافرهم وقلائسهم ، وكان أربعة يُعلمون في الزحوف^(٤) ، فكان حمزة معلماً بريشة نعامة ، وعلي مُعلماً بريشة نعامة « وعليّ مُعلماً بصوفة بيضاء ، والزيير معلماً بعصابة صفراء — وكان يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمام صفر — وكان أبو دجانة معلماً بعصابة حمراء .

خبر قتال الملائكة يوم بدر

وقال سهيل بن عمرو : ولقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض مُعلّمين ، يقتلون ويأسرون ، وقال أبو أسيد الساعدي [بعد أن ذهب بصره]^(٥) ، لو كنت معكم الآن ببدر [ومعني بصري]^(٥) لأريتكم الشَّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة . وكان^(٦) ابن عباس يحدث عن رجل من بني غِفَار حدثه ، قال : أقبلتُ أنا وابن عم لي يوم بدر حتى أضعدها في^(٧) جبل ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة^(٨) ، فنتهب مع من يتهب ، فبينما نحن في الجبل إذ رأيت سحابة دنت منا « فسمعت فيها حممة الخيل وقعقة الحديد ، وسمعت قائلاً يقول : أَقْدِمُ حَيْزُوم . فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات ، وأما

(١) من هذا الكلام الكثير : « لا يغرنكم خذلان سراقه بن جُعْشَمَ لِهَآكُم فَإِنَّمَا كَانَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، سَيَعْلَمُ إِذَا رَجَعْنَا إِلَى مُدُنِهِ مَا نَصْنَعُ بِقَوْمِهِ » من (المغازي) ج ١ ص ٧١ .

(٢) في (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠١ « أَحَدٌ أَحَدٌ » .

(٣) أي اتخذوا سيما وهي العلامة ، قال تعالى : ﴿ سِيَمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ ﴾ من الآية ٢٩ / الفتح .

(٤) في (خ) « الرجوف » . والرجوف : جمع زحف وهو لقاء العدو ، والقلائس : جمع قلنسوة ، وهي مما يُلبَسُ في الرأس .

(٥) زيادات للإيضاح .

(٦) في (خ) « فكان » . وما أثبتناه من (ط) و (ابن هشام) .

(٧) الخبر في (المغازي) ج ١ ص ٧٦ .

(٨) الدبرة : الهزيمة . وفي (المغازي) ج ١ ص ٧٦ « الدائرة » .

أنا فكدت أهلك ، فتماسكت واتبعت البصر حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبي ﷺ وأصحابه ، ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنتُ أسمع .

وقال أبو رُهم الغفاري عن ابن عم له : بينا أنا وابن عم لي على ماء بدر — فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش — قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى معسكر محمد وأصحابه ، فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من أصحابه ونحن نقول : هؤلاء ربع قريش . فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا إليها ، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا رجلا يقول لفرسه : أقدم حيزوم ، وسمعناهم يقولون : رويداً تتأماً أخرأكم . فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ ثم جاءت أخرى مثل [ذلك] ^(١) فكانت مع النبي ﷺ ، فنظرنا إلى النبي ﷺ وأصحابه فإذا هم الضعف على قريش فمات ابن عمي ، وأما أنا فتماسكتُ وأخبرت النبي ﷺ وحسُن إسلامه .

وقال رسول الله ﷺ ما رؤي الشيطان يوماً [هو] ^(٢) فيه أصغر ولا أحقر ولا أدر ولا أعظم منه في يوم عرفة — وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام — إلا ما رؤي يوم بدر ، وقيل : ما رأى يوم بدر ، قال : أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة . وقال ﷺ يومئذ : هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي ، إني نُصرت بالصَّبَا ، وأهلكُ عاد بالذَّبور . وقال عبد الرحمن بن عوف : رأيت يوم بدر رجلين ؛ عن يمين النبي ﷺ أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه . وعن صهيب : ما أدري كم يد مقطوعة أو ضربة جائفة ^(٣) لم يَدْم كلمُهما ^(٤) — يوم بدر — قد رأيتها . وعن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رعوس فوضعتهم بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أما رأسان فقتلتُهما ، وأما الثالث فأني رأيت رجلا أبيض طويلاً ضربه فتدهدى ^(٥) أمامه فأخذت رأسه ، فقال ﷺ : ذاك فلان من الملائكة . وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر . وعن ابن عباس : كان الملك يتصور في صورة من

(٢) زيادة من (المغازي) ج ١ ص ٧٧ .

(١) في (المغازي) ج ١ ص ٧٧ « تلك » .

(٤) الكلُم : الجرح .

(٣) الجائفة : التي تبلغ الجوف .

(٥) تدهدى : تدرج (النهاية) ج ٢ ص ١٤٣ .

يعرفون من الناس يشيتونهم فيقول : إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء . وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(١) .

وعن حكيم بن حزام : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص^(٢) بِجَادَ^(٣) من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادي يسيل غملاً ، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة .

نهي الرسول ﷺ عن قتل بني هاشم ورجال من قريش

ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن قتل بني هاشم ، فقال : من لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله . ونهى عن قتل العباس بن عبد المطلب ، ونادى مناديه : من أسر أم حكيم بنت حزام فليخل سبيلها فإن رسول الله قد أمنها . وكان قد أسرها رجل من الأنصار وكتفها بذؤابتها^(٤) فلما سمع المنادي خلى سبيلها . ونهى أيضاً عن قتل أبي البختری فقتله أبو داود المازني ، ويقال : قتله المجذّر بن ذباد^(٥) . ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل ، فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه . ونهى عن قتل زمعة بن الأسود ، فقتله ثابت بن الجذع^(٦) ولا يعرفه .

دعاؤه ﷺ ثم رميه المشركين بالحصى

ولما ألتحم القتال كان رسول الله ﷺ رافعاً يديه يسأل الله النصر وما وعده . وأمر ﷺ فأخذ من الحصى كافاً فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه ، اللهم اربع قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهمز أعداء الله لا يلوون على شيء ، وألقوا دروعهم ، والمسلمون يقتلون ويأسرون ، وما بقي منهم أحد إلا امتلاً وجهه وعيناه ، ما يدري أين يتوجه ، والملائكة يقتلونهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ

(١) آية ١٢ / الأنفال .

(٢) وادي بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٣) البجاد : كساء مخطط (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٨ .

(٤) الذؤابة : الضفيرة من الشعر .

(٥) في (خ) « زباد » وما أثبتته من (المغازي) ج ١ ص ٨٠ .

(٦) في (خ) « الجزع » وما أثبتته من (المغازي) ج ١ ص ٨١ .

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع
عليم ﴿١﴾ .

أسر عقبة بن أبي معيط وقلته

وجمّح بعقبة بن أبي معيط فرسه ، فأخذه عبد الله بن سلمة العجلاني . فأمر
النبي ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فضرب عنقه صبراً ، وصدق الله رسوله
ﷺ في قوله لعقبة : إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبراً .

أسر أمية بن خلف

وبينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يجمع أذراعاً بعد أن ولى الناس إذا
أمية بن خلف وابنه علي ، فأخذ يسوقهما أمامه إذ بصّر به بلال فنادى يا معشر
الأنصار ، أمية بن خلف رأس الكفر ، لا نجوئ إن نجوت . فأقبلوا حتى طرح
أمية على ظهره ، فقطع الحجاب بن المنذر أرنبة أنفه ، وضربه خبيب بن يساف حتى
قتله ، وقتل عمار بن ياسر علي بن أمية بن خلف . وقتل الزبير بن العوام عبيدة
ابن سعيد بن العاص ، وقتل أبو دجانة عاصم بن أبي عوف بن ضبيرة^(١) السهمي ،
 وقتل علي رضي الله عنه عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه ، وحرمله بن عمرو وهو
يراهما أبا جهل . وقتل حمزة رضي الله عنه أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة وهو يراهما
أبا جهل ، [وكان أبو جهل في مثل الحرّجة (وهو الشجر الملتف) والمشركون
يقولون : أبو الحكم لا يُخلصُ إليه] .

قتل أبي جهل

فصمد معاذ بن الجموح إلى أبي جهل ، وأبو جهل يرتجز :
ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدني أمي

(١) الآية ١٧ / الأنفال ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ رمى ﴾ .

(٢) ويقال : ابن صبرة ، بالصاد المهملة .

فضربه فطرح رجله من الساق ، فأقبل عليه عكرمة بن أبي جهل فضربه على عاتقه فطرح يده من العاتق ، وبقيت الجلدة ، فوضع/معاذٌ عليها رجله وتمطى (بها)^(١) عليها حتى قطعها . وضربه مع معاذٍ معوذٌ وعوفٌ ابنا عفراء ، فنفل رسول الله ﷺ معاذاً سيف أبي جهل ودرعه .

ولما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس أبو جهل فوجده عبد الله بن مسعود في آخر رمق ، فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى به بسلبة النبي ﷺ فسَرَّ به وقال : اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم علي نعمتك .

ويقال إن معاذاً ومعوذاً ابني عفراء أثبتا أبا جهل ، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق ، وقد رأي في كتفيه آثار السياط . فوقف النبي ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : يرحم الله ابني عفراء ، فإنهما قد شركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، ودأفة^(٢) ابن مسعود . وقال ﷺ : اللهم اكفني نوفل بن خويلد ، فأسره جبار ابن صخر ، ولقيه علي فقتله ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه . وقتل علي أيضاً العاص بن سعيد . وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتل به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك . وانكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب^(٣) فقال : اضرب به ، فإذا سيفٌ جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر .

فرق المسلمين

وقال النبي ﷺ لما تصافوا للقتال : من قتل قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا ، فلما انهزم [المشركون]^(٤) كان الناس ثلاث فرق : فرقة قامت عند

(١) زيادة يتم بها المعنى .

(٢) دأفة : أجهز عليه وحرر قتله ، (لسان العرب) ج٩ ص ١٠٣ مادة : دَأَفَ .

(٣) العراجين : جمع عرجون ، وهي همارج النخل ، وابن طاب : ضرب من النخل بالمدينة (هامش ط) ص ٩٢ .

(٤) زيادة يقتضها السياق .

خيمة النبي ﷺ وأبو بكر معه فيها ، وفرقة أغارت على النهب تهب ، وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا .

اختلاف المسلمين في الغنائم ، وما نزل من القرآن في ذلك

وكان سعد بن معاذ ممن أقام على خيمة النبي ﷺ [فقال للنبي ﷺ]^(١) : ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الأجر ولا جنباً^(٢) عن العدو ، ولكن خفنا أن يرى^(٣) موضعك فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوه من المهاجرين والأنصار ولم يشذ أحد منهم ، والناس كثير ، ومتى تعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء ، والأسرى والقتلى كثير ، والغنيمة قليلة . فاختلفوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾^(٤) فرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شيء ، ثم أنزل الله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمنا من شيء فإن لله خمسة وللرسول ﴾^(٥) فقسمه رسول الله ﷺ . ويقال : لما اختلفوا في غنائم بدر أمر ﷺ بها أن^(٦) ترد في القسمة ، فلم يبق منها شيء إلا رد ، فظن أهل الشجاعة أن رسول الله ﷺ يخصهم بها دون أهل الضعف ، ثم أمر ﷺ أن تقسم بينهم على سواء فقال سعد : يا رسول الله ، أتعطي فارس القوم الذي يحميمهم مثل ما تعطي الضعيف ؟ فقال ﷺ : ثكلتك أمك ، وهل تنصرون إلا بضغائكم ؟ ونادى مناديه : من قتل قتيلاً فله سلبه ، وأمر بما وجد في العسكر وما أخذوا بغير قتال فقسمه بينهم ، ويقال : أمر أن ترد الأسرى والأسلاب وما أخذوا في المغنم ، ثم أقرع بينهم في الأسرى وقسم الأسلاب التي ينقل^(٨) الرجل نفسه في المبارزة ، وما أخذوه من العسكر قسمه بينهم . والثبت من هذا : أن كل ما جعله لهم فإنه سلمه لهم ، وما لم يجعل قسمه بينهم .

(١) زيادة يقتضها السياق .

(٢) في (خ) « جنباً » ولعلها « زهادة في الأجر ولا جنباً » .

(٣) أي يخلو ممن يحرسه .

(٤) الآية ٤١ / الأنفال .

(٥) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ١٠٠ .

(٦) في (الواقدي) « ثقل » وفي (خ) « لقتل » .

جمع الغنائم وقدرها وقسمتها

وجمعت الغنائم واستعمل عليها رسول الله ﷺ عبد الله بن كعب بن عمرو المازني وقسمها بسير^(١) ، وقيل : بل استعمل عليها خباب بن الارت ، وكان فيها إبل ومتاع وأنطاع^(٢) وثياب ، وكانت السُّهُمان على ثلاثمائة وسبعة عشر سهماً ، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والخيل فرسان لهم أربعة أسهم ، وثمانية نفر لم يحضروا ضرب لهم ﷺ بسهامهم وأجورهم : ثلاثة من المهاجرين وهم : عثمان بن عفان — خلفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية فماتت يوم قدم زيد بن حارثة — وطلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان العير تلقاء^(٣) الحوراء ، ومن الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة ، وعاصم بن عددي ، خلفه على قباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف ، وخوات بن جبير كسير بالروحاء^(٤) ، والحارث بن الصَّمَّة كسر بالروحاء . وروي أن سعد بن عبادَةَ ضرب له بسهمه^(٥) وأجره ، وضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره ، وضرب لرجل من الأنصار ، ولرجل آخر ، وهؤلاء الأربعة لم يجمع عليهم^(٦) ، وضرب أيضاً لأربعة عشر رجلاً قتلوا بيدر .

وكانت الإبل التي أصابوا مائة بعير وخمسين بعيراً ، وكان معهم أدم كثير^(٧) حملوه للتجارة فغنمه المسلمون ، وأصابوا قطيفة حمراء^(٨) وكانت الخيل التي غنمت عشرة أفراس ، وأصابوا سلاحاً وظهراً وجمل أبي جهل فصار للنبي ﷺ ، ولم يزل

(١) سير : يفتح أوله وثانيه : كتيب بين المدينة وبدر (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٩٦ .

(٢) جمع نطع : بساط من الجلد (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٣٠ .

(٣) في (المغازي) ج ١ ص ١٠١ « بلغا الحوراء » « وراء ذي المروة بينها وبينها ليلتان على الساحل ، وبين ذي المروة والمدينة ثمانية بُرد أو أكثر قليلاً » .

(٤) الروحاء ، « من عمل الفزع على نحو من أربعين يوماً » (معجم البلدان) ج ٣ ص ٧٦ .

(٥) (المغازي) ج ١ ص ١٠١ : « وقال ﷺ حين فرغ من القتال بيدر : لمن لم يكن شهدا سعد بن عبادَةَ ، لقد كان فيها راعياً » .

(٦) في المرجع السابق : « وهؤلاء الأربعة ليس بمجتمع عليهم كاجتماعهم على الثانية » .

(٧) الطعام خلطة بالإدام (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٠ .

(٨) في (المغازي) ج ١ ص ١٠٢ « فقال بعضهم : ما لنا لا نرى القطيفة ؟ ما نرى رسول الله ﷺ إلا أخذها . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كان لنبي أن يغل ﴾ إلى آخر الآية ١٦ / آل عمران .

عنده يضرب في إبله ويغزو^(١) عليه حتى ساقه في هدي^(٢) الحديبية . وكان لرسول الله ﷺ صَفِيٍّ^(٣) من الغنيمة قبل أن يقسمَ منها شيء ، فتنفَّل سيفه ذا الفقار وكان لمنبّه بن الحجاج . وكان ﷺ قد غزا إلى بدر بسيف وهبُهُ له سعد بن عبادة يقال له العَضْبُ ، ودَرَعه ذات الفضول وأحذى^(٤) ممالك حضروا بدرًا ولم يسهم لهم ، وهم ثلاثة : غلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لسعد بن معاذ ، ويقال : شهد بدرًا من الموالى عشرون رجلاً . واستعمل ﷺ شُقران غلامه على الأسرى فأَحَذَوْهُ من كل أسير ، ما لو كان حرًا ما أصابه في المقسم .

أسر سهيل بن عمرو وفراره ثم يأسره رسول الله ﷺ

وأسر سهيل بن عمرو ففرَّ بالروحاء من مالك بن الدخشم ، فقال رسول الله ﷺ : من وجده فليقتله ، فوجده النبي ﷺ فلم يقتله ، وأمر فَرَبَطَ يده إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة .

وأسر أبو بردة بن نيار رجلاً يقال له مَعْبِد بن وهب من بني سعد بن ليث^(٥) ، فلقبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يتفرق الناس فقال : أترون يا عمر أنكم قد غلبتم !! كلا واللات والعزى . فقال عمر : عباد الله المسلمين !! أتتكلم وأنت أسير في أيدينا ! ثم أخذه من أبي بردة فضرب عنقه ، ويقال : إن أبا بردة قتله .

أمر الأسرى يوم بدر

ولما أتى بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا

(١) في (خ) « يغزو » . (٢) الهدى: ما أهدي إلى بيت الله الحرام ليُتحر .

(٣) الصَفِيُّ : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥١٨ .

(٤) في (خ) « واحدا » وأحذاه : أعطاه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) كذا في (خ) وفي (المغازي) ج ١ ص ١٠٥ (وما أثبتناه) ، وفي (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٥٦ .

« قال ابن إسحق : ومعبِد بن وهب ، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث » .

عمرو ، كأنه شقَّ عليك الأسرى أن يؤسروا ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، كانت أول وقعة التقينا فيها والمشركون ، فأحببت أن يذلمهم الله ، وأن نتخن فيهم القتل .

قتل النضر بن الحارث

وأسر المقداد بن الأسود النضر بن الحارث ، فعرض على رسول الله بالأثيل^(١) ، وقد سار من بدر فقتله علي رضي الله عنه بالسيف صبراً . وأسر عمرو ابن أبي سفيان بن حرب ، فقيل لأبي سفيان : ألا تفدي عمراً ! فقال : حنظلة قتل وأتفدي^(٢) عمراً ، فأصاب بمالي وولدي ؟ لا أفعل ، ولكن أنتظر حتى أصيب منهم رجلاً فأفديه .

أسر المشركين سعد بن النعمان

فأصاب سعد بن النعمان [بن زيد]^(٣) بن أكال أحد بني عمرو بن عوف جاء معتمراً ، فلما قضى عمرته صدّر — وكان معه المنذر بن عمرو — فطلبهما^(٤) أبو سفيان فأدرك سعداً فأسرهُ وفائه المنذر . ففي ذلك يقول ضرار بن الخطاب :
تداركت سعداً عنوةً فأسرته وكان شيفاءً لو تداركت منيراً
وقال في ذلك أبو سفيان :

أرهط ابن أكال أجيبوا دُعاءه تفاقدتم ، لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو بن عوفٍ أذلةٌ لكن لم يفكُّوا عن أسيرهم الكبلا^(٥)
ففادوه سعداً بابنه عمرو .

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، وهناك عين ماء لجعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء (معجم البلدان) ج ١ ص ٩٤ .

(٢) في (خ) « وأتفديه » .

(٣) زيادة من نسبه .

(٤) في (خ) « فطلبهم » .

(٥) هذان البيتان في (ابن هشام) ج ٢ ص ٢١٣ وفي (ابن الأثير) ج ٢ ص ١٣٣ هكذا :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو هائم أذلةٌ لكن لم يفكُّوا عن أسيرهم الكبلا

مقالة عمر في سهيل بن عمرو

ولما أسر سهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، انزع ثنيته يدلع^(١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه ، فقام سهيل بن عمرو حين جاءه وفاة النبي ﷺ بخطبة أبي بكر رضي الله عنه بمكة كأنه كان سمعها ، فقال عمر رضي الله عنه حين بلغه كلام سهيل : أشهد أنك رسول الله ! يريد قول النبي ﷺ : لعله يقوم مقاماً لا تكرهه .

تخير رسول الله في أمر الأسرى

وكان علي رضي الله عنه يقول : أتى جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى أن تضرب أعناقهم أو يؤخذ منهم الفداء . ويُستشهد منهم في قابل عدتهم ، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه^(٢) فقال ما أعلمه جبريل ، فقالوا : بل نأخذ الفدية نستعين بها ويُستشهد منا فيدخل الجنة . فقبل منهم الفداء وقتل منهم عدتهم بأحد . ولما حُبس الأسرى بعثوا إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليكلما النبي ﷺ في أمرهم ، فأخذ أبو بكر يكلم النبي ﷺ فيهم ، ويُليّن أن يَمُنَّ عليهم أو يفاديهم ، وأخذ عمرُ يحث رسول الله ﷺ على ضرب أعناقهم ، فقبل ﷺ منهم الفداء وأمن أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان^(٣) الجمحي الشاعر وأعتقه بعد ما أعطى النبي ﷺ ألا يقاتله ولا يكثر عليه أبداً .

طرح قتلى بدر في القلب

وأمر ﷺ بالقلب فعُورَت^(٤) وطُرحت القتلى فيها إلا أمية بن خلف فإنه كان مسمماً فانتفخ ، ولما أرادوا أن يلقيه تزايل [لحمه فقال النبي ﷺ : اتركوه]^(٥) .

(١) دَلَع اللسان دلوعاً : خرج من الفم واسترخى (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢) في (ط) « وأصحابه » .

(٣) في (خ) « عمر بن عبد الله بن عمر » . وفي (المغازي) ج ١ ص ١١٠ « أبا عزة عمرو بن عبد الله بن عمر الجمحي » .

(٤) في المرجع السابق « أن تُغور » .

(٥) زيادة من المرجع السابق ، وتزايل : تفكك لحمه وتفرق .

موقف رسول الله على قتلى بدر وما قاله

ثم وقف عليهم فناداهم : يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، هل وجدتم ما وعدكم^(١) ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ بقس القوم كنتم لبيكم ، كذبتُموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس ! قالوا^(٢) : يا رسول الله تنادي قوماً قد ماتوا ! قال : قد علموا أن ما وعدهم ربهم حق . وقال السدّي عن مِقْسَم عن ابن عباس : وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال : جزاكم الله عني من عصابة شراً ، فقد خَوَّثُموني^(٣) أُمِيناً وكذبتُموني صادقاً . ثم التفت إلى أبي جهل فقال : هذا أعتى على الله من فرعون ، إن فرعون لما أيقن^(٤) بالهلكة وحّد الله ، وإن هذا لما أيقن بالهلكة دعا باللات والعزى . وكان انهزام القوم حين زالت الشمس ، فأقام رسول الله ﷺ ببدر وأمر عبد الله بن كعب ببعض الغنائم وحملها ، وندب نفرأ من أصحابه أن يعينوه ، ثم صلى العصر وراح فمرّ بالأثيل^(٥) قبل غروب الشمس فنزل وبات به . وكان ذكوان بن عبد قيس^(٦) يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل ارتحل . فلما كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح فضرب عُتْقَ عقبة بن أبي معيط ، ويقال : بل أمر عليّ بن أبي طالب فضرب عنقه ، والأول أشهر .

قسمة الغنائم

ولما نزل بِسَيْرَ وهو شِعْب بالصَّفراء قسم الغنائم بين أصحابه ، وتنفلّ سيفه ذا الفقار وكان لمنبّه بن الحجاج فكان صفيّه ، وأخذ سهمه مع المسلمين وفيه جمل أبي جهل . وكان مَهْرِيّاً^(٧) ، فكان يغزو عليه ويضرب في لقاحه .

(١) في (خ) « ما وعد » .

(٢) في (خ) « قال » ، وما أثبتاه من (المغازي) ج ١ ص ١١٢ .

(٣) في (خ) « خرتُموني » وما أثبتاه من (ط) . (٤) في (خ) « لماها » .

(٥) يقول (الواقدي) ج ١ ص ١١٧ : « الأثيل واد طوله ثلاثة أميال وبينه وبين بدر ميلان ، فكانه بات على أربعة أميال من بدر » .

(٦) في (خ) « ذكوان بن قيس » والتصويب من المرجع السابق .

(٧) نسبة إلى مهرة بن حيوان ، وهم قبيلة عظيمة تنسب إليها الإبل (هامش ط) ص ٩٨ .

وبالصفراء مات عبدة بن الحارث رضي الله عنه . واستقبل طلحة وسعيد بن زيد رسول الله ﷺ بتراب^(١) [فيما بين ملل والسيالة] وهو منحدر من بدر يريد المدينة .

بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله

وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل إلى المدينة فجاء يوم الأحد شد^(٢) الضحى فنادى عبد الله : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم ، ثم أتبع دور الأنصار فبشرهم . وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة فلم يصدق المنافقون ذلك وشنعوا ، وقدم شقران بالأسرى وهم في الأصل سيعون . وتلقى الناس رسول الله ﷺ بالروحاء يهثونه بفتح الله ، فقدم المدينة ﷺ مؤيداً مظفراً منصوراً قد أعلی الله كلمته ومكن له وأعز نصره ، ودخلها من ثنية الوداع في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان فتلقيه الولائد بالدفوف وهنَّ يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

إسلام المنافقين

فأذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، فلم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضع عتقه .

وأسلم حينئذ بشر كثير من أهل المدينة ، ومن ثم دخل عبد الله بن أبي بن سلول^(٣) وجماعته من المنافقين في دين الإسلام تقيّة^(٤) .

نوح قريش على قتلها

وناحت قريش على قتلها بمكة شهراً ، وجز النساء شعورهن ، وجعل صفوان

(١) في (خ) « بثرنا » . (٢) شد الضحى : حين يرتفع قبل الزوال .

(٣) في (خ) « أبي بن سلول » ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه لأن سلول جدته .

(٤) في (خ) « مقيد » ، والتقيّة : إظهار الصلح والاتفاق وإضمار الخلاف والمعادنة حذراً أو جبناً .

ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح لعمير بن وهب بن خلف بن وهب
الجمحي — وهو المضرب — إن قتل رسول الله ﷺ أن يتحمل بدنه ويقوم بعياله ،
وحمله على بعير وجّهه .

خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة لقتل رسول الله ثم إسلامه وعودته إلى مكة

فقدم عمير المدينة ودخل المسجد متقلداً سيفه يريد رسول الله ﷺ ، فأدخله
عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي ﷺ فقال : ما أقدمك يا عمير ؟ قال :
قدمت في أسير عندكم ثقاربونا فيه ، قال : فما بال السيف ؟ قال : قبحها الله من
سيوف ، وهل أغنت من شيء ؟ إنما أنسيته^(١) حين نزلت وهو في رقبتي . فقال :
اصدق ، ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت إلا في أسيري ، قال : فما شرطك لصفوان
ابن أمية في الحجر ؟ ففزع عمير ، قال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت له بقتلي
على أن يقضي دينك ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير :
أشهد أنك رسول الله وأنك صادق . وأسلم ، فقال ﷺ : علموا أحاكم القرآن
وأطلقوا له أسيره ، فعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام ، فأسلم معه بشر
كثير .

مقدم جبير بن مطعم في فداء أسرى قريش

وقد جبير بن مطعم في فداء الأسرى ، وقدم أربعة عشر من قريش ، فجعل
النبي ﷺ فداء الرجل أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف
[درهم]^(٢) ، ومنهم من من عليه لأنه لا مال له .

خبر زينب بنت رسول الله في فداء زوجها

وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بقلادة
لها كانت لخديجة رضي الله عنها من جزع ظفار^(٣) — مع أخيه عمرو بن الربيع ،

(٢) زيادة للإيضاح .

(١) في (خ) و (المغازي) نسيت .

(٣) الجزع : خرز فيه بياض وسواد . وظفار : بلدة باليمن . وذكر (الواقدي) ج ١ ص ١٣٠ أن هذه =

فَرَّقَ لها رسول الله ﷺ وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا إليها متاعها فاعلمتم ، قالوا : نعم ، فأطلقوا أبا العاص وردّوا القلادة إلى زينب . وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يُخلي سبيل زينب فوعده ذلك . وكان الذي أسره عبد الله بن جُبَيْر بن النعمان أخو خَوَات بن جبير ، وفكّ رسول الله ﷺ عن السائب بن عبيد ، وعبيد بن عمر بن علقمة بغير فدية ، وقد أسرها سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلي لأنه لا مال لهما ، ولم يقدم لهما أحد .

أسرى قريش وفدائهم بتعليم الغلمان الكتابة

وكان في الأسرى من يكتُب ، ولم يكن في الأنصار من يحسن الكتابة ، وكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله . فيومئذ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار . خرّج^(١) الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ^(٢) فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال : فجاء غلام ييكى إلى أبيه^(٣) فقال ما شأنك ؟ قال ضربني معلمي ، قال : الخبيث !! يطلب بذحل^(٤) بدر ، والله لا تأتيه أبداً . وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى [من]^(٥) أهل بدر أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين ، فكان زيد بن ثابت [ممن]^(٥) علّم .

عدة من استشهد يوم بدر

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وقيل : أربعة وسبعون أحصى

= القلادة كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها ، وذكر خديجة ورحم عليها .

(١) (المسند) ج ١ ص ٢٤٧ . (٢) في (خ) « النبي » ، وهذا نصُّ المسند .

(٣) في (خ) « قال » .

(٤) في (خ) « يدخل » ، والدخل : الثأر أو المدواة والحد (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٠٩ .

(٥) زيادة للسياق .

منهم تسعة وأربعون أسيراً^(١) .

قتل عصماء بنت مروان

وكانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي ، وكانت تؤذي رسول الله وتُعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وقالت شعراً^(٢) ، فنذر عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خَطْمَة [واسمه عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس] الخطمي لئن ردّ رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة ليقتلنها . فلما رجع ﷺ من بدر جاءها عميرٌ ليلاً حتى دخل عليها في بيتها [وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه في صدرها ، فجسها بيده — وكان ضرير البصر — ونحى الصبي عنها]^(٣) ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ . فلما انصرف نظر إليه وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يا رسول الله [قال : نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال]^(٤) لا ينتطح فيها عزان . فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ . وقال لأصحابه : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي ، فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرى^(٥) في طاعة الله فقال [رسول الله ﷺ] : لا تقل الأعمى ولكنه البصير . فلما رجع عمير وجد بنينا في جماعة يدفنونها فقالوا : يا عمير ، أنت قتلتها ؟ قال : نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون ، فوالذي نفسي بيده لو قلتم جميعاً ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم . فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة ، فمدح حسان عمير

(١) ذكر ابن قتيبة في (المعارف) ص ١٥٥ : وعدة من قُتل من المشركين يوم بدر خمسون رجلاً وأسر أربعة وأربعين رجلاً .

(٢) ذكر (الواقدي) هذا الشعر في (المغازي) ج ١ ص ١٧٢ :

فباست بني مالك والثبّت	وعوف وبانت بني الخزرج
أطعمم أتاوي من غمركم	فلا من مُراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرّعوس	كما ترجى مرقّ المنفج

والأتاوي : الغريب — ومراء ومذحج : قبيلتان من قبائل اليمن .

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٢٨ . (٤) زيادة من (المغازي) ج ١ ص ١٧٣ .

(٥) تشرى : إذا شرى (أي باع) نفسه في سبيل الله .

ابن عدي^(١) ، وكان قتل عصماء لخمسة بقين من رمضان فرجع النبي ﷺ من بدر على رأس تسعة عشر شهراً .

فرض زكاة الفطر

وقام رسول الله قبل يوم الفطر بيومين خطيباً فعلم الناس زكاة الفطر ، وخرج إلى المصلى يوم الفطر فصلى بالناس صلاة الفطر والعنزة^(٢) بين يديه ، وهي أول صلاة صلاها في يوم العيد .

قتل أبي عفك اليهودي

ثم كان قتل أبي عَفَك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً ، وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف قد بلغ عشرين ومائة سنة^(٣) ، وكان يَحْرُض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام ، وقال شعراً^(٤) ، فنذر سالم بن عمير بن ثابت ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري أحد

(١) هذه هي الآيات من (الواقدي) ج ١ ص ١٧٤ :

بنو وائل وبني واقف	وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت أختكم وَيَحَهَا	بمولتها والمنايا تجسي
فهزئت فني ماجداً عَرْقُهُ	كريم المداخل والمخرج
فضربوها من نجيع الدماء	قُبيل الصبح ولم يَخْرُج
فأوردك الله بَرْدَ الجنا	ن جلدان في نعمة المولج

ونجيع الدماء : ما كان إلى السواد أو دم الجوف .

(٢) العنزة : عصا قصيرة في سنان ولها زج في أسفلها ، وهذه العنزة كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ

وكانت للذيير بن العوام قدم بها من الحبشة فأخذها منه رسول الله ﷺ (هامش ط) ص ١٠٣ .

(٣) في (خ) « سنة سنة » تكرار .

(٤) ذكره (الواقدي) ج ١ ص ١٧٥ وهو :

قد عشتُ حيناً وما إن أرى	من الناس داراً ولا مجمعاً
أَجْمُ عَقُولاً وَأَتِي إلي	منيب سراعاً إذا ما دعاً
فَسَلُّهُمْ أَمْرهم رَاكِب	حراماً حلالاً لشتى معاً
فلو كان بالملك صَدَقْتكم	وبالنصر تابعهم تَبَعاً

البكائين^(١) من بني النجار لِيَقْتُلَنَّهُ أو يموت دونه ، وطلب له غرة^(٢) ، حتى كانت ليلة صائفة — ونام (أبو عفك)^(٣) بالفناء في بني عمرو بن عوف — فأقبل^(٤) سالم فوضع السيف على كبده فقتله .

غزوة بني قينقاع وإجلاؤهم

ثم كان إجلاء بني قينقاع^(٥) — أحد طوائف اليهود بالمدينة — في شوال بعد بدر ، وقيل : في صفر سنة ثلاث ، وجعلها محمد بن إسحق بعد غزوة « قرارة الكدر » . وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وادعته يهود كلها ، وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وألحق كل قوم بحلفائهم ، وجعل بينه وبينهم أماناً ، وشرط عليهم شروطاً منها : ألا يظاهروا عليه عدواً . فلما قدم من بدر بغت يهود ، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد ، فجمعهم [بسوق بني قينقاع]^(٦) وقال : يا معشر يهود ، اسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أنني رسول الله ، فقالوا : يا محمد لا يغرناك من لقيت ، إنك قهرت قوماً أغماراً^(٧) وإنا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا .

سبب إجلائهم

فبينما هم على ما هم عليه — من إظهار العداوة ونبذ العهد — جاءت امرأة رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ في حلي لها ، فجاء أحد بني قينقاع فحل درعها من ورائها بشوكة وهي لا تشعر ، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها ، فاتبعه رجل من المسلمين فقتله ، فاجتمع عليه بنو قينقاع وقتلوه ، ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ وحاربوا ، وتحصنوا في حصنهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾^(٨) فقال ﷺ : أنا أخاف^(٩) بني قينقاع فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت

- (١) البكاعون : هم السبعة الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ الآية ٩٢/التوبة .
 (٢) في (خ) « غرة » . (٣) زيادة للإيضاح . (٤) في (خ) « أقبل » .
 (٥) في (خ) « قينقا » . (٦) زيادة للإيضاح .
 (٧) أغمار : جمع غُمر ، وهو الجاهل الذي لا تجربة عنده .
 (٨) الآية ٥٨ / الأنفال . (٩) في (خ) « أخافه من » .

النصف من شوال بعد بدر ببضع وعشرين يوماً ، وهم سبعمائة مقاتل : منهم ثلاثمائة متدّرعون بدروع الحديد ، ولم يكن لهم حصون ولا معاقل ، وإنما كانوا تجاراً وصاغة ، وهم حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول ، وكانوا أشجع يهود فكانوا أول من غدر من اليهود ، فحاصروهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم فربطوا ، واستعمل على رباطهم وكتافهم المنذر بن قدامة السلمي من بني غنم بن السلم بن مالك بن الأوس ، ثم خلى عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول ، وأمرهم أن يجلبوا من المدينة ، فأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصاري ، وقيل : عبادة بن الصامت ، وقبض أمواهم ، وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي^(١) وهي الكتوم والروحاء والبيضاء ، وأخذ درعين : الصغدية وفضة ، وثلاثة أسياف وثلاثة أرماح . ووجدوا في منازلهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة ، وخمس^(٢) ما أصاب منهم ، وقسم ما بقي على أصحابه . وخرجوا بعد ثلاث فلحقوا بأذرعات^(٣) بنسائهم وذرائهم ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى هلكوا ، وقال الحاكم : هذه وبني النضير واحدة وربما اشتبها على من^(٤) لا يتأمل .

واستخلف رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وكان أبيض ، ولم تكن الرايات يومئذ .

غزوة السَّوِّق

ثم كانت غزوة السَّوِّق ، خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً في مائتين من المهاجرين والأنصار ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، فغاب^(٥) خمسة أيام . وذلك أن المشركين لما رجعوا إلى مكة من بدر حرم أبو سفيان صخر بن حرب الدَّهْن حتى يثأر من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه ، فخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكباً ، فجاءوا بني النضير — في طرف المدينة — ليلاً ، ودخلوا على سلام بن مشكم فسقى

(١) جمع قوس . (٢) أخذ خمس الغنمة .

(٣) أذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان (معجم البلدان) ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) في (خ) « اشتبها ولا يتأمل » . (٥) في (خ) « فقات » .

أبا سفيان خمراً وأخبره من أخبار النبي ﷺ ، وخرج [أبو سفيان]^(١) سَحَرًا ، فوجد رجلاً من الأنصار في حَرْثٍ فقتله وأجيره — وهذا الأنصاري هو معبد بن عمرو — وحرَّق بيتين بالعُرِض ، وحرَّق حرثاً لهم وذهب . فخرج رسول الله ﷺ بمن معه في أثره ، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرْبَ السويق^(٢) — وهي عامة أزوادهم — يتخففون منها لسرعة سيرهم خوفاً من الطلب ، فجعل المسلمون يأخذونها . فسُمِّيت غزوة السويق لهذا .

أول عيد ضحى فيه رسول الله ﷺ

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة . وصلى رسول الله ﷺ صلاة الأضحى بالمصلى ، وضحى بشاة ، وقيل : بشاتين ، وضحَّى معه ذوو اليسار . قال جابر ضحينا في بني سلمة سبع عشرة أضحية ، وهو أول عيد ضحى فيه النبي ﷺ .

كتاب المعامل والديات

وكتب ﷺ في هذه السنة المعامل^(٣) والديات ، وكانت معلقة بسيفه .

زواج فاطمة بنت رسول الله ﷺ وغزوة قرارة الكُدر

ويقال : فيها بنى عليٌّ بفاطمة رضي الله عنهما ، على رأس اثنتين وعشرين شهراً ثم كانت غزوة قرارة الكُدر ، ويقال : قررة بني سُلَيم و غَطَفَان ، خرج إليها رسول الله ﷺ للنصف من محرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً ، هذا قول محمد بن عمر الواقدي^(٤) ، وقال ابن إسحق : كانت في شوال سنة اثنين . وقال^(٥) ابن حَزَم : لم يُقَمْ منصرفة من بدر بالمدينة إلا سبعة أيام ، ثم خرج يريد بني سليم وحمل لواءه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وذلك أنه بلغه أن بقرارة الكدر جمعاً من غطفان وسليم ، فأخذ عليهم الطريق فلم

(١) زيادة للإيضاح .

(٢) الجُرْب : جمع جراب ، وهو وعاء يكون فيه الزاد ، والسَّويق : طعام يتخذ من الخنطة والشعر .

(٣) المعامل والديات : ما شرع الله من العوض في الجنایات وغيرها .

(٤) في (المغازي) ج ١ ص ١٨٢ . (٥) في (خ) « ويقال » .

يجد في المجال أحداً ، فأرسل في أعلى الوادي نفرأ من أصحابه واستقبلهم في بطن الوادي فوجد رعاءاً^(١) فيها غلام يقال له يسار ، فسألهم ، فأخبره يسار أن الناس ارتفعوا إلى المياه ، فانصرف وقد ظفر بالنعم^(٢) يريد المدينة ، فأدركه يسار وهو يصلي الصبح فصلى وراءه ، وطابت به أنفس المسلمين لرسول الله ﷺ فقبله وأعتقه . وقدم المدينة ، وقد غاب خمس عشرة ليلة ، وأخذ خمُس النعم — وكانت خمسماية — وقسم باقيا ، وقيل : بل أصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكانوا مائتي رجل ، وكان قَسَمها بصرارٍ على ثلاثة أميال من المدينة .

سرية قتل كعب بن الأشرف

ثم كان قتل كعب بن الأشرف اليهودي لأربع عشرة من شهر ربيع الأول على رأس خمسة عشر شهراً^(٣) وذلك أنه كان من بني نهبان بن طيء حليفاً لبني قُريظة ، وأمه من بني النضير ، وكان عدواً لله ولرسوله ﷺ ويهجو النبي ﷺ وأصحابه ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم خرج إلى مكة بعد بدر فجعل يرثي [قتل بدر ويحرض]^(٤) قريشاً ، وعاد إلى المدينة .

سبب قتله

فقال النبي ﷺ : اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت — في إعلانه الشر وقوله الأشعار — وقال : من لي بابن الأشرف فقد آذاني . فقال محمد بن مَسْلَمَة : أنا به يا رسول الله ، وأنا أقتله ، قال : فافعل . وأمره بمشاروة سعد بن معاذ ، فاجتمع محمد بن مسلمة ونفر من الأوس منهم عباد بن بشر بن وقش بن رُغبة بن زَعُورا ابن عبد الأشهل ، وأبو نائلة سَلْكَان بن سلامة والحارث بن أوس [بن معاذ ، وأبو عيس بن جبر أحد بني حارثة]^(٥) فقالوا : يا رسول الله ، نحن نقتله فأذن لنا فلنقل ، قال : قولوا^(٦) . فأتاه أبو نائلة وهو في نادي قومه — وكان هو ومحمد بن

(١) جمع راع . (٢) في (خ) « بنعم » .

(٣) كذا بالأصل والصواب من (المغازي) ج ١ ص ١٨٤ ومن (ابن سعد) ج ٢ ص ٣١ « خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ » .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٠ .

(٦) قال يقول : كتابة عن بعض الكذب في الحديث .

مسلمة أخويه من الرضاعة — فتحدثا وتناشدا الأشعار حتى قام القوم ، فقال له : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، حاربنا العرب ، ورمثنا عن قوس واحدة ، وتقطعت السبل عنا حتى جُهدت الأنفس ، وضاع العيال ، فقال كعب : قد كنت أحدثك بهذا أن الأمر سيصير إليه ، قال أبو نائلة : ومعى رجال من أصحابي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بها فنبتاع منك طعاماً وتمراً ، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة ، واكتم عنا ما حدثتك من ذكر محمد ، قال : لا أذكر منه حرفاً ، لكن اصدقني ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتنجي عنه ، قال : سررتني ، فماذا ترهنونني ! قال الحلقة^(١) ، فرضي . وقام أبو نائلة من عنده على ميعاد . فأتى أصحابه فأجمعوا أن يأتوه إذا أمسى لميعاده ، وأخبروا النبي ﷺ ، فمشى معهم ووجههم من البقيع^(٢) ، وقال : امضوا على بركة الله وعونه ، وذلك بعد أن صلوا العشاء في ليلة مقمرة مثل النهار ، فأتوا ابن الأشرف فهتف به أبو نائلة — وكان حديث عهد بعُرس^(٣) — فوثب ونزل من حصنه إليهم ، فجعلوا يتحادثون ساعة ، ثم مشوا قَبْلَ شَرْج العجوز^(٤) ليتحادثوا بقية ليلتهم ، فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب وقال : ما أطيب عطرك هذا !! ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بقرون^(٥) رأسه فضربه الجماعة بأسياфهم ، ووضع محمد بن مسلمة مِغْولاً^(٦) معه في سرة كعب حتى انتهى إلى عانته ، فصاح صيحة أسمعت جميع أطام اليهود ، فأشعلوا نيرانهم .

واحتز الجماعة رأس كعب واحتملوه وأتوا رسول الله ﷺ — وقد قام يصلي ليلته بالبقيع — فلما بلغوه كبروا فكَبَّرَ ﷺ ثم قال : أفلحت الوجوه ، فقالوا : ووجهك يا رسول الله . ورموا برأس كعب بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وثقل على جُرح الحارث بن أوس ، وكان قد جرح ببعض سيوف أصحابه فَبَرَأَ من وقته . وأصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف فقال : مَنْ ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فخافت اليهود فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا ،

(١) الحلقة : السلاح عامة والدروع خاصة.

(٢) بقيع الفرقد بالمدينة .

(٣) يعني ابن الأشرف .

(٤) شرج العجوز : موضع قرب المدينة . (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٤ .

(٥) ضفائر رأسه .

(٦) سيف دقيق قصير ماضٍ يكون في جرف سوط يشده القاتل على وسطه ليفتال به الناس .

(وخافوا أن يبيتوا كما بيت ابن الأشرف)^(١) .

مقتل ابن سُنَيْنَة

وكان ابن سُنَيْنَة من يهود بني حارثة حليفاً لحويصة بن مسعود [قد أسلم]^(٢) ، فعدا [أخوه]^(٣) مُحَيِّصَة [بن مسعود]^(٤) على ابن سُنَيْنَة فقتله ، فجعل أخوه حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله أقتلته !! أما والله لرُبَّ شحم في بطنك من ماله ، فقال محيصة : [فقلت]^(٥) والله لو أمرني بقتلك الذي أمرني بقتله لقتلتك [قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها ، قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة]^(٦) .

فجاءت يهود إلى النبي ﷺ يشكون ذلك^(٧) ، فقال : إنه لو فر كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف . ودعاهم أن يكتب [بينه و]^(٨) بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً . وحذرت يهود وخافت وذلت من يوم قتل ابن الأشرف .

غزوة ذي أَمَر بنجد

ثم كانت غزوة ذي أَمَر^(٩) بنجد ، خرج رسول الله ﷺ في يوم الخميس

(١) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ١٩٠ .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ وزاد : « فأسلم حويصة يومئذ ، فقال مُحَيِّصَة — وهي

ثبت ، لم أرَ أحداً يدفعها — يقول :

يلوم ابن أُمي لو أُمِرتُ بقتله

حسام كلون الملح أخلصَ صقله

وما سرّني أنني قتلتك طامعاً

« والذفرى : عظم نائي خلف الأذن » .

(٧) يعني في قتل ابن الأشرف ، وفي (خ) « يشكو » .

(٨) زيادة للسياق .

(٩) في (خ) « ذي أَمو » .

الثامن عشر من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً في قول الواقدي^(١) ، وذكر ابن إسحق أنها كانت في المحرم سنة ثلاث ، ومعه أربعمائة وخمسون ، فيهم عدّة أفراس . واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وذلك أنه بلغه أن جمعاً — من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وبني محارب بن خصفة بن قيس — بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطرافه ﷺ ، فجمعهم دعثور بن الحارث من بني محارب . فأصاب (رسول الله ﷺ) رجلاً منهم بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة فأسلم ، وسار معهم يدلهم على عورات القوم حتى أهبطهم من كثيب ، فهرت الأعراب فوق الجبال ، فنزل ﷺ ذي أمر ، فأصابهم مطر كثير ، فذهب ﷺ لحاجته فأصابه المطر قبل ثوبه فزرعه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحتها والأعراب تنظر إليه .

خبر دُعْثُور الذي أراد قتل رسول الله

فبادر دُعْثُور وأقبل مشتتلاً على السيف حتى قام على رأس النبي ﷺ بالسيف مشهوراً وقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل عليه السلام في صدره فوق السيف من يده ، فأخذه النبي ﷺ وقام به على رأسه فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : لا أحد ، وأسلم ، وحلف لا يكتر عليه جمعاً أبداً ثم أدبر ، فأعطاه سيفه . فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام ، وفيه نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُونَا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) . وعاد ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته أحد عشرة ليلة .

زواج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

وفي ربيع الأول هذا تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ودخل بها في جمادى الآخرة ، رضي الله عنها .

(١) (الغازي) ج ١ ص ١٩٣ (وتلخيص الفهوم) ص ٥٤ وذكر (الطبري) في تاريخه ج ٢ ص ٤٨٧ « وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك » ذكر هذا في أحداث السنة الثالثة من الهجرة .

(٢) الآية ١١ / المائدة ، وفي (خ) « عنكم الآية » .

غزوة بني سليم بالفرع

ثم كانت غزوة بني سليم ببحران^(١) من ناحية الفرع ، خرج ﷺ في السادس من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً في ثلاثمائة رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ولم يظهر وجهاً ، فأغذ^(٢) السير ، حتى إذا كان دون بحران^(٣) بليلة لقي رجلاً من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا ، فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران^(٤) وليس بها أحد ، فأقام أياماً ورجع ولم يلق كيذاً ، وأرسل^(٥) الرجل . فكانت غيبته عشر ليالي^(٦) .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى القردة^(٧) — وهي أول سرية خرج زيد (ابن حارثة)^(٨) فيها أميراً ، سار للال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً — يريد صفوان بن أمية وقد نكب^(٩) عن الطريق — وسلك على جهة العراق يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش ، خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعترضها . فقدم نعيم بن مسعود الأشجعي على كنانة بن أبي الحقيق في بني النضير فشرب معه ، ومعهم سليط بن النعمان^(١٠) يشرب ، ولم تكن الخمر قد حُرمت ، فذكر نعيم خروج صفوان في غيره وما معهم من الأموال ، فخرج (سليط)^(١١) من ساعته وأخبر النبي ﷺ ، فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم . فقدموا بالعير فخمسها رسول الله ﷺ ، فبلغ الخمس عشرين ألف

(١) في (خ) « بحران » في كل المواضع .

(٢) في (خ) « اغذ » وأغذ السير : أسرع .

(٣) أرسله : أطلقه . (٤) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ليال ج ١ ص ١٩٧ .

(٥) القردة : بالتحريك ، ماء أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة لبني فغامة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٣٣٣ .

(٦) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ١٩٧ ، ومن (الطبري) ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٧) نكب : عدل .

(٨) زعم محقق (ط) أنه لم يجد « سليط بن النعمان » هذا في الصحابة ، وأنه لم يجد الخير !! ونقول :

هذا الخير بتمامه في : (المغازي للواقدي) ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ ، و (البداية والنهاية لابن كثير)

ج ٤ ص ٤ — ٥ .

(٩) زيادة للإيضاح .

درهم ، وقسم ما بقي على أهل السرية ، وكان فيمن أسر فرات بن حيان^(١) فأسلم .

زواج حفصة أم المؤمنين

وفي شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ^(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقال أبو عُبَيْد : سنة اثنتين ، ويقال : بعد أحد .

زواجه زينب أم المساكين

وتزوج زينب أم المساكين في رمضان قبل أحد بشهر ، وفي نصف رمضان ؛ وُلد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

غزوة أحد

ثم كانت غزوة أحد يوم السبت لَسَبْعَ خَلَوْنَ من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً^(٣) ، وقيل : كانت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل : كانت للنصف منه ، وعن مالك بن أنس : كانت بعد بدر بسنة ، وعنه أيضاً كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة ، وهي وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين واختبرهم ، وميز فيها المؤمنين والمنافقين .

ما فيها من دلائل النبوة

وكان فيها من دلائل النبوة : تحقيق قول النبي ﷺ لأمية بن خلف : بل أنا أقتلك ، فقتله ، ورَدُّ عَيْن قتادة إلى موضعها بعد سقوطها ، غسل الملائكة لحنظلة وظهور ذلك للأَنْصار ، فرأوا الماء يقطر من رأسه رفعاً للجَنابة التي كانت عليه ، وما اعتراهم من النعاس مع قرب العدو منهم وذلك خلاف عادة من انهزم من عدوه ،

(١) [وقال رسول الله ﷺ يوم حُنين حين أعطى المؤلفة قلوبهم : « إن من الناس ناساً نكلهم إلى إيمانهم منهم الفرات بن حيان »] (المعارف) ص ٣٢٤ .

(٢) ذكره (الطبري) في التاريخ ج ٢ ص ٤٩٩ في أحداث السنة الثالثة .

(٣) في رواية (الواقدي) ج ٢ ص ١٩٩ (والطبري) في التاريخ ج ٢ ص ٤٩٩ ، وابن سعد في الطبقات) ج ٢ ص ٣٦ .

واستخلف ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم .

سبب قتال أحد

وذلك أنه لما عاد المشركون من بدر إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة — وكذلك كانوا يصنعون — لم يحركها ولا فرّقها فطابت أنفس أشrafهم أن يجهزوا منها جيشاً كثيفاً لقتال رسول الله ﷺ وباعوها . وكانت ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار ، وكانوا يرجون في الدينار ديناراً ، فأخرجوا منها أرباحهم ، فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (١) .

بعثة قريش تستنفر العرب

وبعثوا — عمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب ، وابن الزُّبيري ، وأبا عزة عمرو بن عبد الله الجمحي الذي من عليه النبي ﷺ يوم بدر — إلى العرب يستنفرونها ، فألبوا العرب وجمعوها .

خروج قريش من مكة

وخرجوا من مكة ومعهم الطُّعن^(٢) — وهن خمس عشرة امرأة — وخرج نساء مكة ومعهن الدفوف ييكن قتل بدر وينحن عليهم . وحشدت بنو كنانة ، وعقدوا ثلاثة ألوية ، وخرجوا من مكة لخمس مضين من شوال في ثلاثة آلاف [رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس]^(٣) وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة .

كتاب العباس إلى رسول الله ﷺ

وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً إلى رسول الله ﷺ مع رجل من بني

(١) الآية ٣٦ / الأنفال ، وفي (خ) « ثم يغلبون الآية » .

(٢) جمع طلعنة ، وهي المرأة تكون في هودجها .

(٣) ما بين القوسين في (خ) « ومائتي فرس وسبعمائة دارع » ، وقد أثبتناه بعد إعادة السياق .

غِفَارٍ يَخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُقْبَاءُ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَاسْتَكْتَمَ أَيْباً^(١) .
 وَنَزَلَ [رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]^(٢) عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّيِّعِ فَأَخْبِرَهُ بِكِتَابِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ :
 وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ^(٣) . وَقَدْ أَرْجَفْتُ الْيَهُودَ وَالْمَنَاقِقُونَ وَشَاعَ
 الْخَبْرُ . وَقَدِمَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخِزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ وَقَدْ فَارَقُوا قَرِيشاً مِنْ ذِي طَوًى ،
 فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ الْخَبَرَ وَانْصَرَفُوا .

خبر أبي عامر الفاسق

وَكَانَ أَبُو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً [من الأوس]^(٤) إلى مكة
 وَحَرَضَ قَرِيشاً وَسَارَ مَعَهَا وَهُوَ يَعِدُهَا أَنْ قَوْمَهُ يُؤَازِرُونَهُمْ — وَاسِمَ أَبِي عامر هذا
 عبد عمرو^(٥) بن صَيْفِيَّ الرَّاهِبِ ، وَكَانَ رَأْسَ الْأَوْسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ مَتْرَهُباً ،
 فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ تَحَذَلُ فَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ ، وَجَاهَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعِدَاوَةِ فَدَعَا
 عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَهَمَّتْ قَرِيشٌ وَهِيَ بِالْأَبْوَاءِ أَنْ تَنْبِشَ قَبْرَ آمَنَةَ
 أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ كَفَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ .

بث العيون

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ — أَنْسَأَ وَمُونَسَأَ ابْنِي فَضَالَةَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ عَيْنِينَ ،
 فَاعْتَرَضَا لِقَرِيشَ بِالْعَقِيقِ^(٦) ، وَعَادَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ . وَنَزَلَ الْمُشْرِكُونَ ظَاهِرَ
 الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَرَعَتْ إِبِلُهُمْ آثَارَ الْحَرْثِ وَالزَّرْعِ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى
 لَمْ يَتْرَكُوا خَضِرَاءَ . وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَبَابَ بْنَ الْمَنْذَرِ بْنِ الْجُمُوحِ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ
 وَعَادَ وَقَدْ حَرَزَ عَدَدَهُمْ وَمَا مَعَهُمْ ، فَقَالَ ﷺ : لَا تَذْكُرُوا مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا ،
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ .

المناوشة قبل أحد

وَخَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَقِيَ عَشْرَةَ أَفْرَاسٍ طَلِيْعَةٍ فَرَأَشْتَهُمْ
 (١) فِي (خ) « ابنا » . (٢) زِيَادَةُ لِلإِبْضَاحِ . (٣) فِي (خ) « خيراً » .
 (٤) زِيَادَةُ مِنْ (الْوَاقِدِيِّ) ج ١ ص ٢٠٥ . (٥) فِي (خ) « عمرو بن صيني » .
 (٦) « وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَسِيلٍ مَاءٍ شَقَّهُ السَّيْلُ فِي الْأَرْضِ فَأَنْهَرَهُ وَوَسَعَهُ ، عَقِيقٌ وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ أَرْبَعَةُ
 أَعْقَةٍ وَهِيَ أَوْدِيَّةٌ عَادِيَّةٌ شَقَّتْهَا السَّيْلُ » ، وَالْمُرَادُ فِي هَذَا الْخَبَرِ هُوَ : عَقِيقُ بَنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ)
 ج ٤ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

بالتبل والحجارة حتى انكشفوا عنه ، وعدا إلى قومه بني عبد الأشهل فأخبرهم ما لقي ، وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة لست مضين من شوال عليهم السلاح في المسجد بباب النبي ﷺ خوفاً من بيات^(١) المشركين ، وحرست المدينة حتى أصبحوا .

رؤيا رسول الله وخطبته

ورأى رسول الله ﷺ رؤيا ، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني رأيت في منامي رؤيا ، رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت كأني سيفي ذا الفقار انقصم^(٢) من عند ظبته^(٣) ، ورأيت بقراً تذبح ، ورأيت كأني مردف كبشاً . فقال الناس : يا رسول الله ، فما أولتها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي ، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي ، وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة يقتله إن شاء الله . وفي رواية : وأما انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي . وقال : أشيروا علي .

اختلاف المسلمين في الخروج إلى العدو

ورأى رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة فواقفه عبد الله بن أبي الأكارب من الصحابة مهاجرهم وأنصارهم ، وقال عليه السلام : امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام ، فإن دُخل علينا قاتلناهم في الأزقة — فنحن أعلم بها منهم — ورُموا من فوق الصياصي والآطام^(٤) . وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنان من كل ناحية فهي كالحصن ، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرأ وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو : اخرج بنا إلى عدونا ، وقال حمزة وسعد بن عباد ، والنعمان بن مالك ابن ثعلبة ، في طائفة من الأنصار : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جنباً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر

(١) البيات : أن يوقعوا بالناس ليلاً .

(٢) الظبة : حد السيف من قبل ذبابه وطره .

(٣) الصياصي : جمع صيصية وهي الحصن . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٣١ والآطام : جمع أطم وهو

البيت المرتفع (المرجع السابق) ج ١ ص ٢١ .

في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، قد كنا نتمنى هذا اليوم
وندعو الله به ، فساقه الله إلينا في ساحتنا .

كراهية رسول الله ﷺ للخروج

ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كارة ، وقد لبسوا السلاح . وقال
حمزة : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم^(١) بسيفي
خارجاً من المدينة ، وكان يوم الجمعة صائماً ويوم السبت صائماً . وتكلم مالك
ابن سينان والد أبي سعيد الخدري ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، وإياس بن أوس
ابن عتيك ، في معنى الخروج للقتال . فلما أبوا إلا ذلك صلى^(٢) رسول الله ﷺ
الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما
صبروا ، وفرح الناس بالشخص^(٣) إلى عدوهم ، وكره ذلك المخرج كثير . ثم
صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالي^(٤) ورفعوا
النساء في الآطام : ودخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه
ولبساه . وقد صف الناس له ما بين حجرته إلى منبره .

خبر ندامة المسلمين على استكراههم الرسول ﷺ للخروج

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس : قلمت لرسول الله ﷺ ما
قلمت واستكراهتموه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء ، فردوا الأمر إليه
فما أمركم فافعلوه ، وما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأتوا فأتبعوه ، فبيناهم على ذلك إذ
خرج رسول الله ﷺ قد لبس لأتمته^(٥) ، ولبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها
بمنطقة (من آدم)^(٦) من حمائل سيف ، واعتم وتقلد السيف ، فقال الذين
يلحون : يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك ، فقال : قد
دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتتم ، ولا ينبغي لربي إذا لبس لأتمته أن يضعها حتى
يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم

(١) جالد بالسيف : ضرب بسرعة كأنه يجلد بسوط .

(٢) في (خ) « صلى الله » .

(٣) الشخص : الخروج .

(٤) العوالي : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة ليال (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٦٦ .

(٥) الأتمه : أداة الحرب ولباسها .

(٦) ما بين القوسين كان في (خ) بعد قوله : « حمائل سيف » .

النصر ما صبرتم .

وَوُجِدَ مالِك بن عمرو التَّجَّارِي^(١) — وقيل بل هو محرز بن عامر بن مالك ابن عدي بن عامر بن غَنَم بن عدي النجار ، وهو قول ابن الكلبي — قد مات ، ووضعه عند موضع الجنائز فصلَّى عليه .

الألوية يوم أحد

ثم دعا بثلاثة أرماع فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَيْر ، ولواء الخزرج إلى حباب بن المنذر بن الجموح — ويقال إلى سعد بن عباد — ودفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عمير^(٢) رضي الله عنهم .

ثم ركب فرسه وتقلد القوس وأخذ قباه^(٣) بيده . والمسلمون عليهم السلاح فيهم مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان — سعد بن عباد وسعد بن معاذ — والناس عن يمينه وشماله ، حتى انتهى إلى رأس الشية .

كتيبة عبد الله بن أبي وحلفاؤه من يهود

[حتى إذا كان بالشيخين التفت فنظر إلى]^(٤) كتيبة خشناء لها زَجَل^(٥) فقال : ما هذه ؟ فقالوا : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول من يهود ، فقال : لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ، ومضى فمسك بالشيخين^(٦) — وهما أطمأن — ، والمشركون بحيث يرونه ، فاستعدوا لحربه ، وهم بنو سلمة وبنو حارثة ألا يخرجوا إلى أحد ثم خرجا .

خيل المسلمين

وكان المسلمون ألفاً فيهم مائة دارع ، وقرسان : أحدهما لرسول الله ﷺ

(١) وهو قول (الواقدي) ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) في (المغازي) ج ١ ص ٢١٥ « وأخذ قناة بيده » .

(٣) في (خ) مكان ما بين القوسين « رأى » وما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) زَجَل : صوت وجلة .

(٥) موضع سُمِّي كذلك لأن شيخاً وشيخة كانا يجلسان عليه يتناجيان هناك .

والآخر لأبي بردة بن نيار .

عَرَضُ الْغُلَمَانِ وَرَدُّهُمْ عَنِ الْقِتَالِ

وعرض عليه غلمان : عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ،
والنعمان بن بشير ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب (وعمر بن حزم)^(١) ،
وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس ، وأبو سعيد الخدري ، (وسعد بن حبة
الأنصاري)^(٢) ، وسمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، فردّهم ، ثم أجاز رافع بن
خديج لأنه رام ، فقال سمرة بن جندب لزوج أمه مري بن سنان : أجاز رسول
الله رافع بن خديج وردّني وأنا أصرعه ، فأعلم بذلك رسول الله ﷺ فقال :
تصارعا ، فصرع سمرة رافعا فأجازه ، ونزل عبد الله بن أبي ناحية .

الحرس والأدلاء

فلما فرغ العرض وغابت الشمس ، أذن بلال بالمغرب ، فصلى رسول الله ﷺ
بأصحابه ، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم ، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في
خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر . وقال حين صلى العشاء : من يحفظنا الليلة ؟ فقام
ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه وأخذ درقته ، فكان يطيف بالعسكر ليلته ، ويقال :
بل كان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه . ونام ﷺ حتى^(٣) كان السحر قال :
أين الأدلاء ؟ من رجل يدلنا على الطريق [و]^(٤) يخرجنا على القوم من كُتُب ؟
فقام أبو حثمة الحارثي ، ويقال : أوس بن قيطي ، ويقال : مُحِيصَة ، وأبو حثمة
أثبت — فقال : أنا يا رسول الله .

(١) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٨ .

(٢) أغفله (الواقدي) و (ابن هشام) ، وذكر ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج ٢ ص ٦ : وسعد
ابن حنينة — بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح التاء المثناة من فوق تاء التأنيث — جد أبي
يوسف الفقيه وهو سعد بن بجر — بفتح الحاء الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون الباء — ابن معاوية
حليف بني عمرو بن عوف ، وذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ٤ ص ٣٦ ترجمة رقم ٩٢٣ .

(٣) في (الواقدي) ج ١ ص ٢١٧ : فلما كان في السحر ، وفي (ابن هشام) : حتى إذا كان السحر .

(٤) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٨ .

نبوءة رسول الله بسل السيوف

فخرج ﷺ فركب فرسه فسلك به في بني حارثة ، فذبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب^(١) سيفه فسل سيفه ، فقال رسول الله ﷺ : يا صاحب السيف ، شِم سيفك ، فأني إخال السيوف ستسُل فيكثر سلها^(٢) .

ولبس من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعاً أخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر ، ولما نهض ﷺ من الشيخين زحف المشركون على تعبئة ، وقد رأس فيهم أبو سفيان صخر بن حرب لعدم أكابرهم الذين قتلوا بيد ، ووافى عليه السلام أحداً وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين ، فأذن بلال وأقام ، وصلى عليه السلام بأصحابه الصبح صفوفاً .

انخزال ابن أبي ورجوعه

وانخزل^(٣) ابن أبي في كتيبة وهو يقول : أيعصيني ويطيع الولدان ؟ حتى عاد إلى المدينة ومعه ثلاثمائة ، فبقى رسول الله ﷺ في سبعمائة ، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود فأبى^(٤) ﷺ من ذلك ومن أن يستعين بمشرك .

تعبئة جيش المسلمين

وصف رسول الله ﷺ أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلاً ، عليهم عبد الله ابن جبير ، [ويقال : بل جعل عليهم سعد بن أبي وقاص ، وابن جبير أثبت]^(٥) ، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام ، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو

(١) كلاب السيف : المسمار أو الحلقة التي تكون في قائم السيف وتكون فيها علاقته .

(٢) هذه رواية (الواقدي) ج ١ ص ٢١٨ ، وأما رواية (الطبري) ج ٢ ص ٥٠٦ فهي كما نقلها عن (ابن إسحق) : « فذبّ فرس بذنبه ، فأصاب كلاب سيف ، فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ — وكان يحب الفأل ولا يتعاف — لصاحب السيف : شِم سيفك ، فأني أرى السيوف ستسُل اليوم » . ورواية (ابن الأثير) في (الكامل) ج ٢ ص ١٥١ : « وذبّ فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف صاحبه ، فاستلّه ، فقال له رسول الله ﷺ : سيوفكم ، فأني أرى السيوف ستسُل اليوم » .

(٣) انخزل : انقطع ثم انفرد ثم تراجع (هامش ط) وفي (المغازي) « ارتحل » .

(٤) تقول : « أبى ذلك » ، « أبى من ذلك » متعدياً بنفسه أو بحرف جر .

(٥) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله « الفئوي » وهذا حق موضعها .

الغنوي^(١) ، وجعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة .

تعبئة المشركين يوم أحد

وأقبل المشركون : على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنبتان مائتا فارس ، وعلى الخيل صفوان بن أمية ، ويقال : عمرو ابن العاص ، وعلى رماثهم — وكانوا مائة — عبد الله بن أبي^(٢) ربيعة . ودفعوا لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة : واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي .

تسوية صفوف المسلمين

ومشى رسول الله ﷺ على رجله يسوي الصفوف حتى كأنما يقوم بها القداح ، إن رأى صدرأ خارجاً قال : تأخر . فلما استوت دفع اللواء إلى مصعب ابن عمير فتقدم به بين يدي النبي ﷺ .

خطبة رسول الله ﷺ يوم أحد

ثم قام فخطب الناس فقال : يا أيها الناس : أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه . ثم إنكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطّن نفسه له على الصبر واليقين والجدّ والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كربه^(٣) ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله له رشده ، فإن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا بذلك ما وعدكم الله . وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رشدكم ، وإن الاختلاف والتنازع والتشبط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر . يا أيها الناس : حدّد في صدري^(٤) أن من كان على حرام فُرق الله بينه وبينه ورغب له عنه غفر الله له ذنبه ، ومن صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته عشراً ،

(١) لعله المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة ، ذكره صاحب (الإصابة) ترجمة رقم ٨٢١٩ ج ٩ ص ٢٨٥ ، ولم أجده في ما عندي من كتب السيرة أو الرجال باسم « الغنوي » .

(٢) في (خ) « ابن ربيعة » والتصويب من (الغازي) ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) في نسخة من (الغازي) : « شديد كربه » . (٤) حدّد : أي قد امتنع بي ولزمني .

ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ،
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبيّاً أو امرأة أو
مريضاً أو عبداً مملوكاً ، ومن استغنى عنها^(١) استغنى الله عنه ، والله غني حميد .
ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم
إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت
نفس حتى تستوفي أقصى رزقها ، لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله
ربكم ، وأجملوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تغلبوه بمعصية ربكم ،
فإنه لا يقدر ما عنده إلا بطاعته . قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينهما
شبهاً^(٢) من الأمر لا يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله ، فمن تركها حفظ
عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ،
وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه . والمؤمن من المؤمنين كالرأس
من الجسد إذا اشتكى^(٣) تداعى إليه سائر الجسد^(٤) ، والسلام عليكم .

أول من أنشب الحرب

وأول من أنشب الحرب أبو عامر . طلع في خمسين من قومه مع عبيد قریش
فنادى : يا للأوس ، أنا أبو عامر ، فقالوا : لا مرحباً بك ولا أهلاً يا فاسق ! فقال :
لقد أصاب قومي بعدي شر ! فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولّى . ودعا طلحة ابن
أبي طلحة إلى البراز فبرز له علي رضي الله عنه فقتله ، فكبر المسلمون وسرّ النبي
ﷺ بقتله : فإنه هو كبش الكتيبة .

نساء المشركين وغناؤهم

وكانت نساء المشركين — قبل التقاء الجمعين — أمام صفوفهم يضربن بالأكبار
والدِّفاف والغرايل ، ثم يرجعن فيكن في مؤخر الصف ، فإذا دنا القوم بعضهم من
بعض تأخر النساء وقمن خلف الصفوف : فجعلن كلما ولّى رجل حرصه وذكرنه

(١) في (خ) « استغنى عن الله » وما أثبتاه من (المغازي) ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) في (خ) « شبهات » وما أثبتاه من (المغازي) ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣) في (خ) « إذا اشتكى » مكررة .

(٤) في (ط) « جسده » . وما أثبتاه من (المغازي) ج ١ ص ٢٢٢ .

قتلاهم بيدر ، ويقلن :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق^(١)
إن تُقبلوا نعانق أو تُذبروا نفارق
فراق غير وامق

وكان النبي ﷺ إذا سمع قولهن قال : اللهم إني بك أجول وأصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل ، ويقال : إن هنداً قامت في النسوة يضربن بالدفوف وتقول :

وَيْهَا بني عبد الدار وبها حماة الأديار
ضرباً بكل بتار

وتقول : نحن بنات طارق نمشي على النمارق [إلى آخره..
التمارق ، جمع ثمرقة بضم النون والراء ، وربما كسرت النون ، حكاه يعقوب : وهي الوسائد ، وقد تسمى الطنفسة التي فوق الرحل ثمرقة ، ويقال في قولها : « نحن بنات طارق » : إنما أرادت بنات الأمر الواضح المضىء كإضاءة النجم ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ والسما والطارق ﴾] .

خبر قُزَمان

وكان قُزَمان^(٢) يعرف بالشجاعة وقد تأخر ، فغيرته نساء بني ظَفَر فأتى رسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم ، فجعل يُرسل ثبلاً كأنها الرماح ، وَيَكِت كَتَيْت^(٣)

(١) في (عيون الأثر) ج ٢ ص ٩ « ونفرش النمارق » وفي (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٥١٠ « ونبسط النمارق » . والنمارق : جمع ثمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة ، قال تعالى : ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ آية ١٥ / العاشية وأضاف ابن الأثير في (الكامل) ج ١ ص ١٥٣ :

« لِيَهَا بني عبد الدار لِيَهَا حُمَاة الديار

ضرباً بكل جَار

(٢) يقول الواقدي في (المغازي) ج ١ ص ٢٢٣ : « وكان قُزَمان من المناققين ، وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح عَبره نساء بني ظَفَر ... إلخ » .

(٣) كَتَّ يَكْتُ كَتَيْتاً : دفع من صدره صوتاً شديداً يكون من شدة الغيظ . وفي اللغة : كَتَّت القَدْرُ كَتَيْتاً : صَوَّتَتْ عند ابتداء غليانها (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٧٥ .

الجميل ، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة ، وأصابته جراحة فوق ، فناداه قتادة بن النعمان ، أبا الغيداق ، هنيئاً لك الشهادة ! فقال : إني والله ما قاتلتُ يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلتُ إلى على الحفاظ^(١) أن تسير إلينا قريش حتى تطأ سَعَفَنَا^(٢) ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فذكر للنبي ﷺ فقال : من أهل النار ، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

خبر الرماة يوم أحد

وتقدم ﷺ إلى الرماة فقال : احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن نوثى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا ، اللهم إني أشهدك عليهم . وارشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم^(٣) على النبل .

وكان الرماة تحمي ظهور المسلمين ، ويرشقون خيلَ المشركين بالنبل فلا تقع إلا في فرس أو رجل فتولي الخيل هوارب . وشدَّ المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربون حتى اختلت صفوفهم .

حَمَلَةُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَمِصَارِعُهُمْ

[وحمل لؤاءهم بعد طلحة ابنه أبو شيبه عثمان بن طلحة]^(٤) فحمل عليه حمزة فقتله ، فحمله أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله . فحمله مُسَافِعُ بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله . فحمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم فقتله . فنذرت أمهم سُلَافَةُ بنت سعد بن الشهيد — وكانت مع نساء المشركين — أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر ، وجعلت لمن جاء به مائة من الإبل . ثم تداول حمل لؤاءهم عدَّةٌ ، وكلهم يقتلون ، وقال

(١) الحفاظ : الذب عن المحارم والمنع عند الحروب (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٨٥ وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ٣٤ « فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت » .

(٢) سَعَفُ النخيل ، كناية عن الزرع والأرض .

(٣) في (خ) « لا تقوم » . والتصويب من (الواقدي) ج ١ ص ٢٢٥ .

(٤) كذا في (خ) وهو خطأ ، وصوابه في (المغازي) ج ١ ص ٢٢٦ : « ثم حمل لؤاءهم بعد طلحة عثمان بن أبي طلحة ، أبو شيبه » .

الزبير بن بكار : حدثني أبو الحسن الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : كان لواء المشركين يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار فقتله عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي [بزاي]^(١) :

لله أيّ مذّذبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المعمر المخولا
جادت يداك لهم بعاجل طعنة فتركت طلحة للجبين مجدّلا
وشدّدت شدّة باسل فكشفتهم بالجرّ إذ يهون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن لتردّه حران^(٢) حتى ينهلا

قال : ثم أخذ اللواء بعد طلحة أخوه أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء أخوهما عثمان بن أبي طلحة وهو أبو شيبة ، فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ثم أخذ اللواء مسافر بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله عاصم [بن ثابت]^(٣) بن أبي الأفلح ، رماه فلما أحسّ بالموت دفع اللواء إلى أخيه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فرماه أيضاً عاصم [بن ثابت]^(٤) ابن أبي الأفلح ، فلما أحسّ الموت دفع اللواء إلى أخيه كلاب بن طلحة فقتله قزمان عديد^(٥) بنو ظفر من الأنصار ، ثم أخذ اللواء الحارث بن أبي طلحة فقتله قزمان ،

(١) ترجمته في (الإصابة) ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٦ برقم ١٦١٨ .

(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق : « لتردّه في الغمد حتى ينهلا » وهذه الأبيات في ابن هشام ج ٣ ص ٧٩ على هذا النحو :

لله أيّ مذذبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المعمر المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة تركت طلحة للجبين مجدّلا
وشدّت شدّة باسل فكشفتهم بالجرّ إذ يهون أخول أخولا

— المذذب : الخامي .

— الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه .

— ابن فاطمة : الإمام علي .

— المعمر المخول : كريم الأعمام والأخوال .

— الجر : أصل الجبل .

— أخول أخولا : واحداً بعد واحد .

(٣) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٢٢٧ .

(٤) يقال فلان عديد بني فلان : أي يُعدّ فيهم وليس منهم صليبة .

فأخذ اللواء أرطاة بن شرحبيل^(١) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار صاحب لواء رسول الله ﷺ ، ثم قُتل مصعب بن عمير . ثم أخذ لواء المشركين أبو يزيد بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . ثم أخذ اللواء القاسط بن شرح^(٢) ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضاً . فذلك عشرة ، وقيل : سبعة من صليبتهم مشركون قتلوا يوم أحد . ثم أخذ اللواء « صواب » غلام لهم حبشي ، فقالوا له : [لا]^(٣) نؤتين من قبلك ، فقطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله ، فقطعت فالتزم القناة ، وقال^(٤) : قضيت ما عليّ ؟ قالوا : نعم ، فرماه قزمان فقتله . ووقع اللواء ففرق المشركون ، فأخذت اللواء عُمرة بنت علمقة الحارثية ، [قال الكلبي : عمرة بنت الحارث بن الأسود بن عبد الله بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة] فأقامته ، فراجع المشركون فقال حسان ابن ثابت رضي الله عنه ، يعير بني مخزوم بالفرار ، ويذكر صير بني عبد الدار :

صلي البأس منهم إذ فررتهم عصابة من بني قصي صميم
عمرة تحمل اللواء وطارت في رعا ع من القنا مخزوم
لم تطق حملهُ الزعانف منهم إنما يحمل اللواء النجوم
وقال في صواب^(٥) :

(١) كذا في (ابن سعد) ج ٢ ص ٤١ ، و (الواقدي) ج ١ ص ٢٢٨ . وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ٦٢ « أرطاة عبد شرحبيل » .

(٢) في (خ) « القاسط ثم شرحبيل » والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ٦٢ .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) في (المغازي) ج ١ ص ٢٢٨ « وقال : يا بني عبد الدار ، هل أُغذِرْتُ ؟ » .

(٥) هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص ٣٧٢ هكذا :

لواء حين رُدُّ إلى صواب	فخرتم باللواء وشر فخر
من الأمر من يطاعُفَر التراب	جعلتم فخركم فيه لعبد
وذلك ليس من أمر الصواب	حسبتهم والسفيه أخو ظنون
بمكة يعمكم حُفَر العياب	بأن لقائنا إذ حان يوم
وما إن تمصبان على خضاب	أقر العين إن غصبت يده

ورواها أيضاً (الطبري) ج ٢ ص ٥١٣ — ٥١٤ (وابن هشام) ج ٣ ص ٢٧ ، باختلاف يسير
وقال : آخرها بيتاً يروى لأبي خراش الهذلي وأنشدنيه له خلف الأحمر :

فخرتم باللواء وشراً فخر
جعلتم فخركم فيه لعبد
لواء حين ردّ إلى صواب
لألأم من مشى فوق التراب
وقال في إقامة الحارثية اللواء ، وفي سياق الأحاييش معهم^(١) :

إذا عضل^(٢) سيقت إلينا كأنهم
جداية شرك معلمات الحواجب
أقمنا لهم ضرباً مبيراً منكلاً
وحزنناهم بالطعن من كل جانب
ولولا لواء الحارثية أصبحوا
يباعون في الأسواق بيع الجلائب^(٣)
وقال أبو عبيدة فيما سمع من علي :

أقمنا لكم ضرباً طلخفا^(٤) منكلاً
وحزنناكم بالطعن من كل جانب

عصيان الرماة ودولة الحرب على المسلمين

وما ظفر الله نبيه ﷺ في موطن قط ما ظفروه وأصحابه يوم أحد حتى عصوا
الرسول ﷺ وتنازعوا في الأمر. لقد قتل أصحاب اللواء ، وانكشف المشركون
منهزمين لا يلوون ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدغاف والفرح ، ولكن
المسلمين أتوا من قبل الرماة ، فإن المشركين لما انهزموا وتبعهم المسلمون : يضعون
السلاح فيهم حيث شاعوا ، ووقعوا ينتهبون عسكرهم ، قال بعض الرماة لبعض :
لِمَ^(٥) تقيمون ها هنا في غير شيء ؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون
عسكرهم ! فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم . فقال بعضهم : ألم
تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم : احموا ظهورنا ، ولا تبرحوا مكانكم ، وإن
رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ، احموا ظهورنا . فقال

= أقر العين أن عصبت يداها وما إن تعصبان على خضاب
في أبيات له ، يعني امرأته ، في غير حديث أحد .

(١) انظر الديوان ص ١٧٢ .

(٢) عضل : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الظبي . شرك : موضع . انظر (ابن هشام) ج ٣
هامش ص ٢٨ .

(٣) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها (المرجع السابق) .

(٤) كذا في (خ) و (ط) ولعلها « طلخفا » بالخاء المهملة . والطلخف : الشديد (ترتيب القاموس)

ج ٣ ص ٨٦ . (٥) في (خ) « لا » .

الآخرون : لم يرد رسول الله هذا . وانطلقوا ، فلم يبق منهم مع أميرهم عبد الله ابن جبير إلا دون العشرة ، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون ، وكانت الريح أول النهار صيباً فصارت دبوراً ، وبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم ، إذ دخلت الخيول تنادي فرسانها بشعارهم : يا للعزى [يا لهبل]^(١) ، ووضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون ، وكل منهم في يده أو حضنه شيء قد أخذه ، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً ، وتفرق المسلمون في كل وجه ، وتركوا ما انتهبوا ، وخلوا من أسروا ، وكرَّ خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في الخيل إلى موضع الرماة ، فرماهم عبد الله بن جبير بمن معه حتى قتل ، فجردوه ومثل به أقبح المثل^(٢) ، وكانت الرماح قد شرعت في بطنه حتى خرقت ما بين سرتة إلى خاصرته إلى عانته وخرجت حشوته^(٣) . وجرح عامة من كان معه ، وانتقضت صفوف المسلمين .

قوله إن محمداً قتل ، وانتقاض صفوف المسلمين

ونادى إبليس عند جبل عنين^(٤) — وقد تصور في صورة جعال بن سراقة — : إن محمداً قد قتل : ثلاث صرخات ، فما كانت دولة أسرع من دولة المشركين^(٥) .

اختلاط الأمر على المسلمين ، فيقتل بعضهم بعضاً

واختلط المسلمون وصاروا يُقتلون ، ويضرب بعضهم بعضاً ، ما يشعرون من العجلة والدَّهش ، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة [بن نيار]^(٦) وما يدري ، وضرب أبو زعنة^(٧) أبا بردة ضربتين وما يشعر والتقت أسياف المسلمين على الإيمان [حسيل بن جابر] وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ، وحذيفة يقول : أي ، أي !! حتى قتل . فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم

(١) في (خ) « إذ دخلت الخيول بالهبل تنادي فرسانها بشعارهم يا للعزى » .

(٢) المثلثة : التكيل والمعقوبة (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٥٤ .

(٣) الحشوة : جميع ما في البطن عدا الشحم (المرجع السابق) ج ١ ص ١٧٧ .

(٤) أحد جبال أحد ، ويقال ليوم أحد : « يوم عنين » .

(٥) الدَّولة : القلبة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٠٤ .

(٦) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٢٣٢ .

(٧) في (خ) « أبو رنة » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٢٣٣ .

الراحمين . فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً ، وأمر رسول الله ﷺ أن تُخرج ، فتصدق حذيفة بن اليمان بديته على المسلمين . ويقال : إن الذي أصابه عتبة بن مسعود .

وأقبل الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح : يا آل سلمة ! ، فأقبلوا إليه عُنفاً^(١) واحدة : لبيك داعي الله !! فيضرب يومئذ جبّار بن صخر في رأسه وما يدري ، حتى أظهروا الشعار بينهم^(٢) فجعلوا يصيحون : أُمّت أُمّت ! فكف بعضهم عن بعض ، وقتل مصعب بن عمير ويده اللواء ، فقتله ابن قميئة واسمه عمرو ، وقيل : عبد الله .

تفرق المسلمون ثم البشرى بسلامة رسول الله ﷺ

وتفرق المسلمون في كل وجه ، وأصعدوا في الجبل لما نادى الشيطان : قتل محمد ! فكان أول من بشرهم برسول الله ﷺ سالماً كعب بن مالك ، فجعل يصيح ورسول الله ﷺ يشير إليه بإصبعه على فيه : أن اسكت . ودعا بلامّة كعب — وكانت صفراء أو بعضها — فلبسها ونزع لأُمّته فلبسها كعبٌ . وقاتل كعب حتى جُرح سبعة عشر جرحاً لشدة قتاله . وصار أبو سفيان بن حرب يقول : يا معشر قريش أيكم قتل محمداً ؟ فقال ابن قميئة : أنا قتلته ! قال : نسورك^(٣) كما تفعل الأعاجم بأبطالها^(٤) . وجعل يطوف بأبي عامر الفاسق في المعرك ، هل يرى محمداً ؟ وتصفح القتلى فقال : ما نرى مصرع محمد ، كذب ابن قميئة . ولقي خالد ابن الوليد فقال : هل تبين عندك قتل محمد ؟ قال : رأيته قبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل . قال [أبو سفيان]^(٥) هذا حق ، كذب ابن قميئة ، زعم أنه قتله .

(١) العُنف : الجماعة من الناس ، يقال جاء الناس عنفاً عنفاً . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٢ .

(٢) في (خ) « منهم » ، والتصويب من (الواقدي) ج ١ ص ٢٣٤ .

(٣) نسورك : تلبسك السوار (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٢ .

(٤) في (خ) « يطلانها » . والتصويب من (المغازي) ج ١ ص ٢٣٦ .

(٥) زيادة للإيضاح .

نداء رسول الله ﷺ المسلمين إليه

وجعل رسول الله ﷺ — وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلبسون عليه — يقول : **إلَيَّ يا فلان ، إلي يا فلان ، أنا رسول الله !** فما عرَّج واحد عليه . هذا ، والنبل يأتيه ﷺ من كل ناحية وهو في وسطها والله يصرفها عنه . وعبد الله بن شهاب الزهري يقول : **دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا !** ورسول الله ﷺ إن جنبه ما معه أحد . ثم جاوزه عبد الله بن شهاب فلقى صفوان بن أمية^(١) فقال له : **ترحت^(٢) ! ألم يمكنك أن تضرب محمداً فتقطع هذه الشأفة^(٣) ، فقد أمكنك الله منه ؟ قال : وهل رأيته ؟ قال : نعم ! إنه إلى جنبك ، قال : والله ما رأيته !** أحلف^(٤) أنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة تعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك .

أمر المسلمين بعد الهزيمة

وكان رسول الله ﷺ لما انكشف المسلمون لم يبق معه إلا ثفير^(٥) ، فأحرق به أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وانطلقوا به إلى الشعب وما للمسلمين لواء قائم ولا فئة ولا جمع ، وإن كتائب المشركين لتحوشهم^(٦) مقبلة ومدبرة في الوادي يلتقون ويفترقون : ما يرون أحداً من الناس يردهم ، ثم رجعوا نحو معسكرهم واشتوروا^(٧) في المدينة وفي طلب المسلمين ، فبينما هم على ما هم فيه إذ طلع رسول الله ﷺ إلى أصحابه : فكأنهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً .

ما نال المشركون من المسلمين

وكان ابن قميئة — لما قتل مصعب بن عمير وسقط اللواء من يده — ابتدره رجلان من بني عبد الدار : سويط بن حرملة وأبو الروم فأخذاه أبو الروم فلم يزل في يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون . ويقال : بل دفعه رسول الله

(١) في (خ) « صفوان بن أمية بن شهاب » وما أثبتناه من (المغازي) ج ١ ص ٢٣٨ .

(٢) ترحت : في (خ) « قرحت » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو دعاء من الترح ، وهو الحزن .

(٣) الشأفة : قرحة تخشن فتستأصل بالكي (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٩ .

(٤) في (المغازي) « أحلف بالله » ج ١ ص ٢٣٨ .

(٥) تصغير ثَفَر . (٦) بأخْلَوْنَهُمْ من حوالهم من كل جانب .

(٧) في (الواقدي) ج ١ ص ٢٣٨ : « نحو معسكرهم ، وتآمروا في المدينة وفي طلبنا » .

ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . واقتتل الفريقان على الاختلاط من الصفوف ، ونادى المشركون بشعارهم [يا للزى ، يا آل هُبَل]^(١) فأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً ، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا . ولم يُزل ﷺ شبراً واحداً بل وقف في وجه العدو ، وأصحابه تثوب إليه مرة منهم طائفة ، وتفرق عنه مرة ، وهو يرمي عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا .

من ثبت مع رسول الله ﷺ من المسلمين في أحد

وثبت معه خمسة عشر رجلاً^(٢) : سبعة من المهاجرين هم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والزبير بن العوام ، ومن الأنصار سبعة : الحباب بن المنذر ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ . ويقال : ثبت سعد بن عباد ، ومحمد بن مسلمة : فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

المبايعون على الموت

وبايعه يومئذ على الموت ثمانية : ثلاثة من المهاجرين هم : علي ، والزبير ، وطلحة ، وخمسة من الأنصار هم : أبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، فلم يقتل منهم أحد يومئذ ، ورسول الله ﷺ يدعوهم في أخرهم [حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من دون المهراس]^(٣) ويقال : ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع^(٤) .

(١) زيادة من المرجع السابق .

(٢) كذا في (خ) و (ط) ، ورواية (ابن سعد) ج ٢ ص ٤٢ ، و (الواقدي) ج ١ ص ٢٤٠ « أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار » .

(٣) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٢٤٠ ، والمهراس : ماء بجبل أحد (انظر المرجع السابق) .

(٤) غير مودّع : غير متروك ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ آية ٣/الضحى .

خبر المدافعين عن رسول الله ﷺ

ويقال : إن رسول الله ﷺ لما لحمه القتال^(١) وخلص إليه ، ذب عنه مصعب ابن عمير ، وأبو دجانة حتى كثرت به الجراحة ، فجعل ﷺ يقول : من رجل يشري^(٢) نفسه ؟ فوثب فتية من الأنصار خمسة ، منهم عمارة بن زيادة بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاء^(٣) فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله . فقال ﷺ لعمارة بن زياد : أدن مني ، إليّ إليّ ! حتى وسّده رسول الله ﷺ قدمه — وبه أربعة عشر جرحاً — حتى مات . وجعل ﷺ يومئذ يذمر^(٤) الناس ويحضهم على القتال . وكان رجال من المشركين قد أذلّقوا^(٥) المسلمين بالرّمي ، منهم حبان بن العرقة وأبو أسامة الجشمي ، فجعل النبي ﷺ يقول لسعد بن أبي وقاص : لزم فداك أبي وأمي .

خبر حبان بن العرقة وأم أيمن

ورمى حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أم أيمن — وقد جاءت تسقي الجرحى — فأنكشف عنها فاستغرب^(٦) في الضحك ، فشق ذلك على النبي ﷺ ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له فقال : لزم ، فوقع السهم في نحر حبان فوق مستلقياً وبدت عورته ، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : استقاد^(٧) لها سعد ! أجاب الله دعوتك وسدد رميتك .

وكان مالك بن زهير^(٨) — أخو أبي سلمة^(٩) الجشمي — هو وحبان بن العرقة قد أكثرا^(١٠) في المسلمين القتل بالنبل ، فرمى سعد بن أبي وقاص مالكا أصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فقتله ، ورمى رسول الله ﷺ يومئذ عن قوسه حتى صارت شظايا فأخذها قتادة بن النعمان فلم تزل عنده .

(١) كذا في (المغازي) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) أي يبيع نفسه للموت . (٣) رجعت . (٤) يحرض .

(٥) في (خ) « أولقوا » ، وأذلّق : أسرع في الرمي وأضعفوا (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣١٤ .

(٦) في (خ) « استغربت » . (٧) أي انتصف . (٨) في (خ) « أخا » .

(٩) كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) « أبي أسامة » ج ١ ص ٢٤١ .

(١٠) في (خ) « أكثروا » .

خبر عين قتادة

وأصيب عينُ قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فجاء رسول الله ﷺ فأخذها وردّها فعاتت كما كانت ، ولم تضرب عليه بعدها . وكان يقول بعد ما أَسَنَ : هي أقوى عيني ! وكانت أحسنهما .

مباشرته ﷺ القتال

وباشر ﷺ القتال ورمى بالنبل حتى فئت نبله ، وتكسرت سية^(١) قوسه . وقبل ذلك ما انقطع وتره وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سية القوس ، فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتر^(٢) له فقال : يا رسول الله ، لا يبلغ الوتر ، فقال مدّه يبلغ ! قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحق ، لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثاً على سية القوس ، ثم أخذ ﷺ قوسه فمازال يرام القوم — وأبو طلحة يستره مُترساً عنه — حتى تحطمت القوس .

خبر أبي طلحة

وكان أبو طلحة قد نثر كنانته — وفيها خمسون سهماً — بين يدي النبي ﷺ — وكان رامياً وكان صبيّاً^(٣) — فقال رسول الله ﷺ : صوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً ، فلم يزل يرم بها ورسول الله ﷺ من خلفه بين رأسه ومنكبه ينظر إلى مواقع النبل حتى فئت نبله وهو يقول : نحري دون نحرك جعلني الله فداك . فإن كان ﷺ ليأخذ العود من الأرض فيقول : ارم أبا طلحة ! فيرمي بها سهماً جيداً .

سبب تسميته أبا رهم المنحور

ورمى يومئذ أبو رهم الغفاريّ بسهم فوقع في نحره ، فبصق عليه رسول الله ﷺ فبرأ ، وسمي بعد ذلك المنحور .

(١) سية القوس : طرفه .

(٢) يوتر للقوس : يشد وترها .

(٣) رفع الصوت جهرة .

المتعاقدون من قريش على قتل رسول الله ﷺ

وكان أربعة من قريش قد تعاقدوا وتعاهدوا على قتل رسول الله ﷺ وعرفهم المشركون بذلك ، وهم : عبد الله بن شهاب ، وعُتْبة بن أبي وقاص ، وعمرو بن قميئة ، وأبي بن خلف [وزاد بعضهم ^(١)] وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي .

خبر ما أصاب رسول الله ﷺ من الجراحة يوم أحد

ورمى عتبة يومئذ رسول الله ﷺ بأربعة أحجار فكسر رباعيته ، أشطى ^(٢) باطنها اليمنى السفلى ، وشج في وجنتيه حتى غاب حلق المغفر ^(٣) في وجنته ، وأصيبت ركبتاه : جُحشتا ^(٤) ، وكانت حُفر حفرها أبو عامر كالخنادق يكيد بها المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ واقفاً على بعضها ولا يشعر به . والثبت أن الذي رمى وجنته ﷺ ابن قميئة ، والذي رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص . وأقبل ابن قميئة — وهو يقول : دلوني على محمد ، فوالذي يحلف به ^(٥) لئن رأيته لأقتله — فعلاه بالسيف ، ورماه عتبة بن أبي وقاص مع تجليل ^(٦) السيف — وكان عليه درعان . فوقع ﷺ في الحفرة التي أمامه على جنبه فجحشت ركبتاه ، ولم يصنع سيف ابن قميئة شيئاً إلا وَهَنَ الضربة بثقل السيف فقد وقع لها ﷺ وانتهض ، وطلحة يحملها من ورائه ، وعليّ أخذ ييده حتى استوى قائماً . ويقال : الذي شج رسول الله ﷺ في جبهته ابن شهاب ، والذي أشطى رباعيته وأدمى شفتيه عتبة ابن أبي وقاص ، والذي دَمَّى وجنتيه حتى غاب الحلق في وجنته ابن قميئة وسال الدم من شجته التي ^(٧) في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ ، وكان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم من وجه رسول الله ﷺ ، وهو ﷺ يقول :

(١) ذكره ابن الأثير في (الكامل) ج ٢ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢) الرباعية : إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم من أعلى وأسفل ، وأشطى : كُسرت فصارت لها شظية .

(٣) من أدوات الحرب لوقاية العنق والعاتقين .

(٤) جحشت الركبة : أصيب إصابة كالخدش أو أشد .

(٥) كناية عن اللات والعزى ، وهو من أيمان الشرك .

(٦) في (خ) « تجليل » وجلل السيف : إذا علاه .

(٧) في (خ) « الذي » .

كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم ؟ وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ ^(١) وقال : اشتد غضب الله ^(٢) على قوم دمّوا فإ ^(٣) رسول الله ، اشتد غضب الله على قوم دمّوا وجه رسول الله ، اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله ، وقال : اللهم لا تحولّ الحول على أحد منهم ! فما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه ﷺ : فمات عتبة ، وقتل ابن قميصة في المعركة . ويقال بل رمي بسهم فأصاب مصعب ابن عمير رضي الله عنه قتله ، فقال ﷺ : ما له أقماه الله ؟ فعمد إلى شاة يحتلبها فنطحته بقرنها وهو معتقلها فقتلته فوجد ميتاً بين الجبال . وكان عدو الله قد رجع إلى قومه فأخبرهم أنه قتل رسول الله ﷺ [وهو رجل من بني الأدرم ^(٤) من بني فهر] وأقبل عبد الله بن حميد بن زهير — حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال — يركض فرسه مقنعاً في الحديد يقول : أنا ابن زهير ! دلوني على محمد ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه . فقال له أبو دجانة : هلم إلى من يقي نفس محمد بنفسه . وضرب فرسه عرقبها ^(٥) ثم علاه بالسيف فقتله ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ويقول : اللهم ارض عن أبي خرشة كما أنا عنه راض ، وكان أبو دجانة قد ترّس عنه ﷺ بظهره ، وثبّل يقع فيه وهو لا يتحرك ، رضي الله عنه .

نزع الحلق من وجنته ﷺ

ولما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب أقبل أبو بكر رضي الله عنه يسعى ، فوافاه طلحة بن عبيد الله ، وبكر ^(٦) أبو عبيدة بن الجراح فأخذ بشنيتيه حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيتيه ، ثم أخذ الحلقة الأخرى [فكان أبو عبيدة في الناس أترم ^(٧)] ويقال : إن الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ عقبة ابن وهب بن كلدّة ، ويقال : أبو اليسر ، وأثبت ذلك : عقبة بن وهب ، فيما ذكره الواقدي ^(٨) . وقال غيره : الصحيح أن أبا عبيدة بن الجراح وعقبة بن وهب

(١) الآية ١٢٨ / آل عمران ، وفي (خ) « عليهم الآية » .

(٢) في (خ) « غضب علي » .

(٣) أي فم رسول الله ﷺ .

(٤) هم بني تيم الأدرم .

(٥) أي قطع عرقوبها .

(٦) بكر : أسرع .

(٧) في (خ) « وكان أترم » وما أثبتناه من (المغازي) ج ١ ص ٢٤٧ ، والرم هو سقوط الثنية أو انكسار السن من أصلها (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤٠٢ .

(٨) المغازي ج ١ ص ٢٤٧ .

عالجها حتى طارت ثنيتا أبي عبيدة في معالجته لهما ، فكان أحسن أهتم تُخلق . ولما نزعنا جعل الدم يسيل ، فجعل مالك بن سنان [وهو والد أبي سعيد الخدري] يملج الدم بفيه ثم ازدرده^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فليُنظر إلى مالك بن سنان . وقيل له : تشرب الدم ؟ فقال نعم ! أشرب دم رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : من مسَّ دمه دمي لم تصبه النار .

مسح فاطمة الدم عن وجهه ﷺ

وخرجت فاطمة عليها السلام في نساء ، فلما رأت الذي بوجه رسول الله ﷺ اعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، وذهب علي رضي الله عنه يأتي بماء وقال لفاطمة : أمسكي هذا السيف غير ذميم فأتي بماء في مجنه^(٢) فأراد النبي ﷺ أن يشرب منه — وكان قد عطش — فلم يستطع ، ووجد ريحاً من الماء كرها فقال : هذا ماء آجن^(٣) ، فمضمض منه فاه للدم الذي فيه ، وغسلت فاطمة عن أبيها الدم ، ورأى ﷺ سيف علي مختضباً فقال : إن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وسيف أبي دجانة غير مذموم .

النساء يحملن الطعام ويسقين الجرحى

وخرج محمد بن مسلمة يطلب مع النساء ماء — وكن قد جئن أربع عشرة امرأة منهن فاطمة عليها السلام ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ، ويداوونهم^(٤) . ومنهن أم سليم بنت ملحان ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على ظهورهما القُرب ، ومنهن حمنة بنت جحش وكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، ومنهن أم أيمن تسقي الجرحى — فلم يجد محمد بن مسلمة عند النساء ماء . وكان رسول الله ﷺ قد عطش عطشاً شديداً ، فذهب محمد إلى قناة حتى استقى من حِسي^(٥) ، فأتي بماء عذب فشرب منه رسول الله ﷺ ودعا له

(١) ملج : امتصَّ ورضع ، ازدرد : ابتلع ، تقول ملج الصبي أمه إذا رضعها (النهاية) ج ٤ ص ٣٥٣ .

(٢) المجن : الترس . (٣) الماء الآجن : الماء المتغير الطعم واللون (النهاية) ج ١ ص ٢٦ .

(٤) في (خ) : و « يداوين » .

(٥) الحِسي : حُفيرة قرية من القفر ، قيل إنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ، فإذا =

بخير . وجعل الدم لا ينقطع ، وجعل النبي ﷺ يقول : لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن .

دواء جرح رسول الله ﷺ

فلما رأت فاطمة الدم لا يرقا^(١) — وهي تغسله وعلي يصب الماء عليها بالحنّ ، أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ، ويقال : داوته بصوفة محترقة . وكان ﷺ بعد مداوي الجرح في وجهه بعظم بآل حتى يذهب أثره . ومكث يجدّ وهن ضربة ابن قمئة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر .

قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف

وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى [إذا]^(٢) دنا من رسول الله ﷺ اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه فقال ﷺ : استأخروا عنه ! وقام وحرّبه في يده فرماه بها بين سابعة^(٣) البيضة والدرع قطعته^(٤) هناك ، فوقع عن فرسه وكُسّر ضلع من أضلاعه ، فاحتملوه فمات — لما ولّوا [قافلين]^(٥) — بالطريق ، وفيه نزلت : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(٦) وكان أبي بن خلف قدّم المدينة في فداء ابنه وقد أسر يوم بدر ، فقال : يا محمد ! إن عندي فرساً أجّلها فرقا^(٧) من ذرة كل يوم أقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله . ويقال : قال ذلك بمكة فبلغ رسول الله ﷺ كلمته بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله . وكان ﷺ في القتال لا يلتفت وراءه ، فكان يقول لأصحابه : إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي فإذا رأيتموه فآذوني ، فإذا بأبي يركض على فرسه ، وقد رأى رسول الله ﷺ فعرّفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته :

= أمطرت نشفها الرمل فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته (النهاية) ج ١ ص ٣٨٧ .

(١) في (خ) « يرق » . (٢) زيادة للسياق .

(٣) السابغ والسابعة والتسبعة : ما توصل به من حلق الدروع فتستر العنق . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤١٤ .

(٤) في (خ) فقطعه . (٥) زيادة للإيضاح . (٦) الآية ١٧/ الأنفال .

(٧) أجّلها : أي أعلفها . (النهاية) ج ١ ص ٢٨٩ ، والفرق : مكّال بالمدينة يسع ثلاثة أصع ، (ترتيب

القاموس) ج ٣ ص ٤٧٩ .

يا محمد ، لا نجوئُ إن نجوئُ ! فقال القوم : يا رسول الله ! ما كنت صانعاً حين يغشاك ، فقد جاءك ! وإن شئت عطف عليه بعضنا . فأبى ﷺ ، ودنا أُبيّ ، فتناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، [ويقال : من الزبير بن العوام] ، ثم انتفض [بأصحابه ^(١)] كما ينتفض البعير ، فتطأير عنه أصحابه — ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذ جد الجد — ثم أخذ الحربة فطعنه بها في عنقه وهو على فرسه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، ويقول له أصحابه : أبا عامر ! والله ما بك بأس ، ولو كان هذا الذي بي بأهل [ذي] ^(٢) المجاز لما تواروا أجمعون ! أليس قال : لأقتلنك ؟ فاحتملوه ، وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ، ولحق رسول الله ﷺ بعُظم أصحابه في الشعب . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : مات أُبيّ بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ — بعد هُويي ^(٣) من الليل — إذا نار تأجج لي فهبتها ، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها يصيح : العطش ! وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ، هذا أُبيّ بن خلف . فقلت : ألا سحقاً ^(٤) ويقال : مات بسرف ^(٥) ويقال : لما تناول النبي ﷺ الحربة من الزبير حمل أُبيّ على رسول الله ليضربه ، فاستقبله مصعب بن عمير يحول بنفسه دون رسول الله ، فضرب مصعب وجه أُبيّ ، وأبصر رسول الله ﷺ فرجة بين سابغة البيضة والدروع فطعنه هناك ، فوقع وهو يخور .

قتل عثمان بن عبد الله المخزومي

وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق يريد رسول الله ﷺ ، وعليه لأمة ^(٥) كاملة — ورسول الله ﷺ موجه إلى الشعب — وهو يصيح : لا نجوئُ إن نجوئُ ! فوقف رسول الله ﷺ وعثر بعثمان فرسه في تلك

(١) زيادة للإيضاح والسياق .

(٢) الهوى : الساعة من الليل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٠٢ . ورابغ موضع بين المدينة ، والجحفة (معجم ما استعجم) ج ١ ص ٦٢٥ .

(٣) سحقاً : بعد أشد البعد وسحق الله فلاناً أي أبعد ، (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٢٠ .

(٤) موضع على ستة أميال من مكة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢١٢ .

(٥) اللأمة : أدوات الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع (المعجم الوسيط) ج ٣ ص ٨١٠ .

الحفرة فيقع ، ويخرج الفرس عاثراً^(١) فأخذه المسلمون فعمروه . ومشى الحارث بن الصمة إليه فاضطربا ساعة بسيفهما ، ثم ضربه الحارث على رجله فبرك ، ودفع عليه وأخذ درعه ومغفره وسيفه — ولم يُسمع بأحد^(٢) سلب يومئذ غيره — فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أحانه^(٣) . وكان عبد الله بن جحش أسره ببطن نخلة ، فافتدى من رسول الله ﷺ ، وعاد إلى مكة حتى قدم فقتله الله بأحد .

ذبح عبيد بن حاجر

[ويرى مصرعه]^(٤) عبيد بن حاجر العامري [فأقبل] يعدو فضرب الحارث ابن الصمة فجرحه على عاتقه ، فاحتمله أصحابه . ووثب أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري إلى عبيد فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحاً ، ولحق برسول الله ﷺ .

سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ

وكان سهل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ فقال عليه السلام : نبلوا سهلاً فإنه سهل . ونظر ﷺ إلى أبي الدرداء رضي الله عنه والناس منهزمون فقال : نعم الفارس عويمر غير أفة^(٥) . ويقال : لم يشهد أبو الدرداء أحداً . ولقى أبو أسيرة بن الحارث بن علقمة رجلاً فاختلفا ضربات^(٦) حتى قتله أبو أسيرة ، فأقبل خالد بن الوليد على فرس أدهم أغر فطعن أبا أسيرة من خلفه : خرج الرمح من صدره فمات .

قتال طلحة بن عبيد الله

وقاتل طلحة بن عبيد الله عن رسول الله ﷺ قتالاً شديداً — حين انهزم عنه أصحابه وكرّ المشركون فأحدقوا به من كل ناحية — وصار يذب بالسيف من بين

(١) عار الفرس : انفلت فذهب على وجهه (هامش ط) ص ١٤١ .

(٢) في (خ) « بأخذ » .

(٣) أحانه : أهلكه .

(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ١ ص ٢٥٣ .

(٥) في (خ) « رسول الله » .

(٦) أغر أفة : غير جبان (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢١ .

(٧) في (خ) « في ضرباته » .

يديه ومن ورائه وعن يمينه وعن شماله : يدور حوله يترس بنفسه حول رسول الله ، وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ، وإن هو إلا جنة بنفسه لرسول الله حتى انكشفوا ، فجعل ﷺ يقول لطلحة : قد أوجب^(١) . وكان طلحة أعظم الناس غناء عن رسول الله ﷺ يومئذ .

ورمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ ، فاتفق طلحة بيده عن وجهه المقدس فأصاب خنصره فشل خنصره . وقال حين رماه : حس^(٢) ! فقال ﷺ : لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون ! من أحب أن ينظر إلى رجل يمشى في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قضى نجه .

ولما جال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا ، أقبل رجل من بني عامر بن لؤي — يقال له : شيبة بن مالك المضرب — يصيح : دلوني على محمد ! فضرب طلحة عرقوب فرسه فاكتسعت^(٣) به ، ثم طعن حذقه وقتله . وأصيب يومئذ طلحة في رأسه : ضربه رجل من المشركين ضربة وهو مقبل وأخرى وهو معرض عنه ، فنزف الدم حتى غشي عليه ، فضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله ؟ قال : خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله كل مصيبة بعده جلل^(٤) .

قتال علي والحباب بن المنذر

وكان علي بن أبي طالب يذب عن رسول الله ﷺ من ناحية ، وأبو دجانة مالك بن خرشة بن لؤذان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصاري يذب من ناحية ، وسعد ابن أبي وقاص يذب طائفة . وانفرد علي بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف — فضرب به وقد اشمولوا عليه — حتى أفضى إلى آخرهم ، ثم

(١) قد أوجب لنفسه الجنة .

(٢) حس : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضى وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما (النهاية) ج ١ ص ٣٨٥ .

(٣) في (خ) « فانعكست » ، وهي رواية الواقدي في (المغازي) ج ١ ص ٢٥٥ ومعناها : سقطت من ناحية مؤخرها ، ورمت به إلى الأرض .

(٤) جلل : هينة قليلة .

كُرَّ فيهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء . وكان الحباب بن المنذر الجموح يحوش المشركين كما تحاش الغنم ، واشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ، ثم برز والسيوف في يده واقتروا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم وإنهم ليهربون^(١) منه . وكان يومئذ معلماً بعصابة خضراء في مغفره .

خبر عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مشركاً

وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال : من يارز ؟ وارتجز فقال :

لم يبق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب^(٢)

وفي رواية : « وناشي يشرب أرحام الشيب » فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ! ثم ارتجزه فقال :

لم يبق إلا حسبي وديني وصارم تقضي به يميني

فقال له عبد الرحمن : لولا أنك أبي لم أنصرف . فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : شيم شيفك ، وارجع مكانك ، ومتعنا بنفسك .

خبر شماس بن عثمان

كان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي لا يرمي رسول الله ﷺ [ببصره]^(٣) يميناً ولا شمالاً إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه ، حتى غشي رسول الله ﷺ فترس بنفسه دونه حتى قتل رحمه الله ، فذلك قول النبي ﷺ : ما وجدت لشماس شيباً إلا الجنة^(٤) .

(١) في (خ) « ليهزموك » ، وما أثبتاه من (المغازي) ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) ذكر الواقدي هذا الخبر بغير الشعر ، وذكره (ابن هشام) ج ٢ ص ٢٠٣ ضمن أخبار غزوة بدر ، والبيت في (ابن هشام) هكذا :

لم يبق غير شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

وفي (خ) « إلا صارم » .

والشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجري .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) الجنة : كل ما وقى من سلاح وغيره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٤٧ .

أول من أقبل بعد الهزيمة

وكان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن محرز ، [ويقال : قيس ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة] مع طائفة من الأنصار ، فصادفوا المشركين فدخلوا في حومتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قتلوا ، ولقد ضاربهم قيس حتى قتل نفراً فما قتلوه إلا بالرماح : نظموه ، ووجد به أربع عشرة ضربة قد جافته^(١) وعشر ضربات في بطنه .

خبر الداعين إلى القتال

وكان عباس بن عباد بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك ابن امرئ القيس بن مالك الأغر ، وأوس بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان يرفعون أصواتهم ، فيقول عباس : يا معشر المسلمين ! الله ونيبكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ، فيوعدكم النصر فما^(٢) صبرتم . ثم نزع مغفرة وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك فيهما ؟ قال : لا ، أنا أريد الذي تريد . فخالطوا القوم جميعاً ، وعباس يقول : ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ومنا عين تطرف ؟ فيقول خارجة : لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة ، فقتل سفيان بن عبد شمس السلمي عباساً ، وأخذت^(٣) خارجة الرماح ، فجرح بضعة عشر جرحاً ، وأجهز عليه صفوان بن أمية . وقتل^(٤) أوس بن أرقم رضي الله عنهم .

خبر أبي دُجانة وخبر السيف

وقال رسول الله ﷺ يومئذ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قالوا : وما حقه ؟ قال : يضرب به العدو . فقال عمر رضي الله عنه : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنه . ثم عرضه بذلك الشرط ، فقام الزبير رضي الله عنه ، فقال : أنا ، فأعرض عنه حتى وجدا^(٥) في أنفسهما . ثم عرضه الثالثة ، فقال ذو المشهرة أبو دجانة :

(١) جافته : أصابت جوفه (المرجع السابق) ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) في (خ) « ما » . (٣) في (خ) « وأخذ » . (٤) في (خ) « وقيل » .

(٥) وجدا : غضبا (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠١٣ .

أنا يا رسول الله آخذه بحقه . فدفعه إليه ، فصدق به حين لقي العدو ، فأعطي السيف حقه ، فما قاتل أحد أفضل من قتاله . لقد كان يضرب به حتى إذا كَلَّ عليه شحذه على الحجارة ، ثم يضرب به العدو حتى رده كأنه منجل ، وكان حين أعطاه السيف لبس مشهرة فأغْلِمَ بها ، وكان قومه يعلمون — لما بلوا منه — أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية . فخرج يمشي بين الصفيين واختال في مشيته ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : إن هذه لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن ، ويقال : كان يعلم رأسه بعصابة حمراء .

خبر رُشيد الفارسي

ولقي رُشيد الفارسي مولى بني معاوية^(١) رجلاً من المشركين قد ضرب سعداً مولى حاطب جَزَلَه^(٢) باثنتين ، فضربه على عاتقه فقتله ، فاعترض له أخوه يعدو^(٣) فقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : أحسنت يا أبا عبد الله وكُنَّاه يومئذ ولا ولد له .

خبر عمرو بن ثابت

وكان عمرو^(٤) بن ثابت بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاري شاكاً في الإسلام حتى كان يوم أحد فأسلم وقاتل حتى أثبت فوجد وهو بآخر رمق فقالوا : ما جاء بك ؟ قال : الإسلام ! آمنت بالله ورسوله ، ثم أخذت سيفي وحضرتُ ، فرزقني الله الشهادة . ومات ، فقال رسول الله ﷺ : إنه لمن أهل الجنة .

خبر مخيريق

وكان مُخِيرِيق من أحبار يهود ، فقال يوم السبت : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أن محمداً لنبي ، وأن نصره عليكم لحق ! ثم أخذ سلاحه وحضر أحداً

(١) في (خ) « بني معوفة » وما أثبتناه من (المغازي) ج ١ ص ٢٦١ .

(٢) في (المغازي) « ضربة جزلة » ج ١ ص ٢٦١ .

وجزله جزلاً : أي قطعه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٢١ .

(٣) في (المغازي) ج ١ ص ٢٦١ « وأقبل يعدو كأنه كلب » .

(٤) في (خ) « عمر » .

مع النبي ﷺ فقتل . وقال حين خرج : إن أحببت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراد : فهي عامة صدقات رسول الله ﷺ . وقال فيه عليه السلام : مخيريق خير يهود .

خبر عمرو بن الجموح وولده وما كان من أمر امرأته

وخرج عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة وهو أعرج ، وهو يقول : اللهم لا تردني إلى أهلي !! فقتل شهيداً ، واستشهد ابنه خلاد بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حرام [بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي]^(١) ، أبو جابر بن عبد الله ، فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام — زوجة عمرو بن الجموح — على بغير لها تريد بهم المدينة ، فلقيتها عائشة رضي الله عنها — وقد خرجت في نسوة تستروح الخبر ، ولم يضرب الحجاب يومئذ — فقالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك؟ قالت : أما رسول الله ﷺ فصالح ، وكل مصيبة بعده جليل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . قالت عائشة : مَنْ هؤلاء؟ قالت : أخي وابن أخي خلاد وزوجي عمرو بن الجموح ، قالت : فأين تذهين بهم؟ قالت : إلى المدينة أقبرهم فيها ، ثم قالت : حَلْ^(٢) ، تزجر بغيرها فبرك ، فقالت عائشة : لما عليه^(٣) ، قالت : ما ذاك به ، لربما حمل ما يحمل البعيران ، ولكنني أراه لغير ذلك . وزجرته فقام^(٤) فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع ، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال : فإن الجمل مأمور ، هل قال شيئاً^(٥)؟ قالت^(٦) : إن عَمراً لما وَجَّهَهُ إلى أحد قال : اللهم لا تردني إلى أهلي خزيان^(٧) وارزقني الشهادة ! فقال رسول الله ﷺ : فلذلك الجمل لا يمضي ، إن منكم

(١) زيادة من نسبه .

(٢) كلمة لزجر الإبل (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٦٩٨ .

(٣) أي برك للذي عليه من الحمل .

(٤) في (خ) بعد قولها : « قام » ، و « برك » ولا معنى لها . ومناسبتها في رواية (الواقدي) « قام ، فلما وجهت به إلى المدينة برك » ج ١ ص ٢٦٥ .

(٥) الضمير في قوله : « قال » عائذ على الشهيد .

(٦) في (خ) « قال » وفي (الواقدي) ج ١ ص ٢٦٦ « خرباً » ولعل الصواب ما أثبتناه .

يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره : منهم عمرو بن الجموح . يا هند ! مازالت الملائكة مظلمة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن . ثم مكث عليه السلام حتى قبرهم . ثم قال يا هند ! قد تراققوا في الجنة ، عمرو بن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد الله ، قالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني معهم ^(١) .

أول قتيل من المسلمين يوم أحد

وقال جابر بن عبد الله : كان أبي أول قتيل قُتل من المسلمين يوم أحد ، قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبي الأعور السلميّ ، فصلى عليه رسول الله عليه السلام قبل الهزيمة .

خبر أم عمارة وقتالها يوم أحد

وكانت أم عمارة [نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف ^(٢)] بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار [امرأة غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول [بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار] ^(٣)] — : قد شهدت أحداً هي وزجها وابنها ، ومعها شئ ^(٤) لتسقي الجرحى . فقاتلت وأبليت بلاءً حسناً يومئذ — وهي حاجزة ثوبها على وسطها — حتى جرحت اثني عشر جرحاً ، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف . وذلك أنها كانت بين يدي رسول الله عليه السلام هي وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن مبذول ، وزوجها غزية بن عمرو — يذبون عنه ، فلما انهزم المسلمون جعلت تبأشر القتال وتذب عن رسول الله عليه السلام بالسيف ، وترمي بالقوس . ولما أقبل ابن قميصة — لعنه الله — يريد النبي عليه السلام كانت فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف ، وضرِبته هي ضربات . فقال رسول الله عليه السلام : لَمَقَام نسيبة بنت

(١) في المرجع السابق « عسى أن يجعلني معهم » .

(٢) في (خ) مكان « عوف » « خنساء » وهو خطأ في نسبها .

وما أثبتناه من (الإصابة) ترجمة ١٢٤٠ ج ١٣ ص ٢٥٧ .

(٣) زيادة من (الاستيعاب) ج ٣ ص ٢٥٩ ترجمتها رقم (٣٥٩٠) .

(٤) يقال : شئ الماء على الشراب ، وشتت العين الدمع (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٩٦ .

كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ، وقال : ما التفتُ يمينا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني . وقال لابنها عبد الله بن زيد : بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أملك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيك [يعني زوج أمه] خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل بيت ، قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك في الجنة ، قال : اللهم ^(١) اجعلهم رفقاؤني في الجنة ، قالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا .

خبر حنظلة « غسيل الملائكة »

وخرج حنظلة بن أبي عامر [بن عمرو بن صيفي بن مالك بن أمية ^(٢)] بن ضبيعة بن زيد بن ^(٣) عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس] هو حنظلة الغسيل — إلى رسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف بأحد ، فلما انكشف المشركون ضرب فرس أبي سفيان بن حرب فوق [على ^(٤)] الأرض وصاح ، وحنظلة يريد ذبحه ، فأدركه الأسود بن شعوب ^(٥) فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه في الرمح وقد أثبتته ثم ضربه الثانية فقتله ، ونجا أبو سفيان . فقال رسول الله ﷺ : إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن [أبي ^(٦)] عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة . قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء . فلما أخبر النبي ﷺ بذلك أرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

خبر هند بنت عتبة

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف — زوجة أبي سفيان بن حرب — أول من مثل بقتلى المسلمين ، وأمرت نساء المشركين أن

(١) في (خ) مكان « اللهم » ما نصه : « أبو مالك بن الأوس اجعلهم » والصواب : ما أثبتناه ، وانظر (المغازي) ج ١ ص ٢٧٣ .

(٢) في (خ) « زيد بن مالك بن عوف » وهو خطأ ، والتصويب من (ط) .

(٣) في (خ) « فوق الأرض » .

(٤) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ١ ص ٢٧٣ ، ولكن في (ابن هشام) ج ٣ ص ٦٠ « شداد »

ابن الأسود بن شعوب الليثي . وفي (الكامل) ج ٢ ص ١٥٨ . بنحوه

(٦) في (خ) « بن عامر » .

يمثلن بهم ، فجذغن الأنوف والآذان ، فمثلن بالجميع إلا حنظلة الغسيل .

أول من دخل المدينة بعد الهزيمة

ولما صاح إبليس : إن محمداً قد قتل . تفرق الناس ، فممنهم من ورد المدينة ، فكان أول من دخلها بهذا الخبر أبو عبادة سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد بن عامر ابن زريق الأنصاري ، ثم ورد بعده رجال . فجعل النساء يقلن : عن رسول الله تفرون . وجعل ابن أم مكتوم يقول : عن رسول الله تفرون !! وحثت أم أيمن في وجوه بعضهم التراب وتقول : هاك المغزل ، إغزل به ، وهلم سيفك !! وقيل : إن المسلمين لم يعدوا الجبل — وكانوا في سفحه — لم يجاوزوه^(١) . وأقبل [أبو] أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو يقول : يوم بيوم بدر . وقتل رجلاً من المسلمين فضربه علي رضي الله عنه فقتله . وقال النبي ﷺ يومئذ : أنا ابن العواتك^(٢) . وقال أيضاً :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

خبر أنس بن النضر

ومر أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار — وهو عم أنس بن مالك — بنفر من المسلمين قعود فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله ! قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! ثم جالد بسيفه حتى قُتل رضي الله عنه ، فوجد به سبعون ضربة ، وما عرف حتى عرفته أخته .

(١) في (خ) « لم يجاوزوه » .

(٢) في (خ) ، وفي (الواقدي) ج ١ ص ٢٧٩ « أمية » وما أثبتناه من (ابن هشام) ج ٣ ص .

(٣) العواتك : جمع عاتكة : وهي التي تكثر من الطيب حتى تُحمر بشرتها . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٥٨٣ ، وقال ابن الأثير في (النهاية) ج ٣ ص ١٨٠ : « والعواتك : ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ : إحدها : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم عبد مناف بن قصي .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، وهي أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأوقس بن مرة بن هلال ، وهي أم وهب أبي أمية أم النبي ﷺ .

فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة . وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

خبر خارجة بن زيد

ومرَّ مالك بن الدُّخشم على خارجة بن زيد أبي زهير وهو قاعد ، في حُشوته ثلاثة عشر جرحاً ، كلها قد خلصت إلى مقتل فقال : أما علمت أن محمداً قد قتل ! فقال خارجة : فإن^(١) كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، لقد بلغ [محمد]^(٢) ، فقاتل عن دينك . ومرَّ على سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري أحد النقباء — وبه اثنا عشر جرحاً كلها خلص إلى مقتل — فقال : علمت أن محمداً قد قتل !! فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، فقاتل عن دينك فإن الله حي لا يموت ، وقال منافق : إن رسول الله قد قتل فارجعوا إلى قومكم فإنهم داخلو البيوت .

خبر ثابت بن الدحداحة وأصحابه:

آخر من قتل يوم أحد

وأقبل ثابت بن الدحداحة^(٣) (ويقال : ابن الدحداح) بن نعيم بن غنم بن إلياس بن بكير والمسلمون أوزاع^(٤) قد سَقَطَ في أيديهم فصاح : يا معشر الأنصار !! إلهي إلهي ، أنا ثابت بن الدحداحة ، إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم . فنهض إليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتفيه فيها : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الأنصار رضي الله عنهم ، فيقال : إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين . ووصل رسول الله ﷺ إلى الشعب فلم يكن هناك قتال .

خبر وحشي ومقتل حمزة

وكان وحشي عبداً لابنة الحارث^(٥) بن عامر بن نوفل ، ويقال : لجبير بن

(١) في (خ) « وإن » وما أثبتته رواية (الواقدي) ج ١ ص ٢٨٠ وهو أجود .

(٢) زيادة للإيضاح . (٣) في (خ) « الدحداجة » و « الدحداح » .

(٤) الأوزاع : الجماعات والضروب المتفرقون (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٢٩ .

(٥) في (خ) « الحرب » وما أثبتته من (الواقدي) ج ١ ص ٢٨٥ .

مطعم ، فقالت له ابنة الحارث : إن أبي قتل يوم بدر ، فإن قتل أحد الثلاثة فأنت حر : إن قتل محمداً ، أو حمزة ، أو علياً ، فأني لا أرى في القوم كفواً لأبي غيرهم . فكمعن لحمزة رضي الله عنه إلى صخرة ، وقد اعترض له سباع بن عبد العزى (واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم) — وهو ابن أم أثمار — فاحتمله ورمى به وبرك عليه فشحطه شحط^(١) الشاة . ثم قام حتى بلغ المسيل فزلت رجله عن جرف ، فهز وحشي حربته وضرب بها خاصرة حمزة خرجت من مثانته فلحق بربه . فأتاه وحشي فشق بطنه وأخرج كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة فقال لها : ماذا لي إن قتل قاتل أبيك ؟ قالت : سلب^(٢) ! فقال : هذه كبدة حمزة ! فمضغتها ثم لفظتها ، ونزعت ثيابها وحليها فأعطتها وحشياً ، ووعدته إذا جاء مكة أن تعطيه عشرة دنانير ، وقامت معه حتى أراها مصرع حمزة فقطعت مذاكيره ، وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت مسكتين ومعضدين وخدمتين^(٣) حتى قدمت بذلك مكة وكبده معها .

وفي المسند للإمام أحمد قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقرت بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أكلت منها شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : ما كان الله ليُدخل من حمزة النار . وفي رواية ابن سعد^(٤) : إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً . ويروى أن هنداً لما أخرجت كبدة حمزة لاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فهجاها حسان بن ثابت لما بلغه ذلك من قولها^(٥) .

(١) شحط القتل في الدم : اضطرب (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٧٤ .

(٢) السلب : كل ما مع القتل من سلاح وثياب ودابة ، والمراد هنا كل ما تملك من الحلي والذهب وغيره . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٤١ .

(٣) المسكة وجمعها المسك : السوار تجعله المرأة في يديها . والمعضدة والمعضد : الدمليج يكون كالسوار ، تجعله على عضدها بين الكتف والمرفق . والخدمة وجمعها الخدم : الخللخال تجعله في رجلها . هامش (ط) ص ١٥٣ .

(٤) (الطبقات الكبرى) ج ٣ ص ١٣ .

(٥) قالت : نحن جزيناكم يوم بدر
ولا أخى وعمه وبكري
ما كان عن عتبة لي من صبر
شغيت نفسي وقضيت نذري
والحرب بعد الحرب ذات سر
شغيت وحشي غليل صدري
=

موقف رسول الله ﷺ على مقتل حمزة

وجعل رسول الله ﷺ يقول : ما فعل عمي ؟ ويكرر ذلك ، فخرج الحارث ابن الصمة فأبطأ ، فخرج علي رضي الله عنه فوجد حمزة رضي الله عنه مقتولاً ، فأخبر النبي ﷺ فخرج يمشي حتى وقف عليه فقال : ما وقفت موقفاً أغبط إلي من هذا ! فطلعت صفية بنت عبد المطلب^(١) رضي الله عنها فقال ﷺ : [يا زبير]^(٢) أغن عني أملك . هذا وحمزة يحفر له فقال : إن في الناس تكشفاً . فقالت : ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله ﷺ ، فلما رآته قالت : يا رسول الله ، أين ابن أُمي حمزة ؟ قال : هو في الناس ، قالت : لا أرجع حتى أنظر إليه . فجعل الزبير يُجلسها حتى دفن حمزة رضي الله عنه . وقال رسول الله ﷺ : لولا أن يحزن نساءنا لتركناه للعافية^(٣) حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير .

بكاء رسول الله ﷺ على حمزة

ويقال : لما أُصيب حمزة رضي الله عنه جاءت صفية بنت عبد المطلب تطلبه فحالت بينها وبينه الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : دعوها ، فجلست عنده ،

= فشكر وحشي عليّ عمري حتى ترم أعظمي في قبري
فأجابها هند بنت أئانة بن عباد بن عبد المطلب فقالت :
خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثي وعلّي صقري
إذا رام شيب وأبوك غدري فخصبنا منه ضواحي البحر
وندرك السوء فشر نذر

(عيون الأثر) ج ١ ص ١٨ .

فقال حسان :

أشرت لكاع وكان عادتها لوماً إذا أشرت مع الكفر

(ابن هشام) ج ٣ ص ٣٦ - ٣٧ .

(١) أخت حمزة ، وعمّة النبي ﷺ ، وأم الزبير بن العوام .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) العافية : طلاب الرزق من الدواب والطير (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦١٢ .

فجعلت إذا بكت بكى رسول الله ﷺ ، وإذا نشجت نشج^(١) . وكانت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله ﷺ كلما بكت يبكي ، وقال : لن أصاب بمثلك أبداً . ثم قال : أبشرا ! أتاني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

المثلة بجمزة

ورأى ﷺ به مثلاً شديداً فأحزنه ذلك المثل ، ثم قال : لئن ظفرتُ بقريش لأمثلن بثلاثين منهم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾^(٢) [فعفا رسول الله] فلم يمثل بأحد^(٣) ، وجعل أبو قتادة الأنصاري يريد أن ينال من قريش ، لما رأى من غم رسول الله ﷺ في قتل حمزة وما مثل به ، ورسول الله ﷺ يشير إليه أن اجلس — وكان قائماً — فقال ﷺ : احتسبتك عند الله ، ثم قال : يا أبا قتادة : إن قريشاً أهل أمانة ، من بغاهم العوائر كبه^(٤) الله فيه ، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم ، لولا أن تبطر^(٥) قريش لأخبرتها بما لها عند الله ، فقال أبو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا ، فقال ﷺ : صدقت ، بثس القوم كانوا لنبيهم .

مقتل عبد الله بن جحش وخبره

وقال عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر^(٦) بن صبرة بن مرة بن كبير^(٧) ابن غنم بن دودان^(٨) بن أسد بن خزيمة الأسدي : يا رسول الله ! إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله فقلت : اللهم إني أقسم عليك تلقى العدو غداً فيقتلونني ويقرؤنني ويمثلون بي ، فألقاك مقتولاً قد صنع هذا بي ، فتقول : فيم^(٩) صنع بك هذا ؟ فأقول : فيك . وأنا أسألك أخرى : أن تلي تركتي من

(١) نشج نشيجاً : تردد البكاء في صدره من غير انتحاب (المرجع السابق) ص ٩٢١ .

(٢) الآية ١٢٦ / النحل . (٣) هذه رواية (الواقدي) ج ١ ص ٢٩٠ .

(٤) في (خ) « أكبه » . (٥) البطر : تقول بطر فلان النعمة : استخفها فكفرها .

(٦) في (خ) « رثاب بن نعمان » ، « ابن كثير » ، « داود » ، « قيم » .

بعدي . فقال : نعم . فخرج حتى قُتل ومُثل به . ودفن هو وحمزة^(١) رضي الله عنه في قبر واحد . وولي تركته رسول الله ﷺ فاشترى لابنه^(٢) مالا بخير ، فأقبلت أخته حمزة بنت جحش . فقال لها رسول الله ﷺ : يا حمن ! احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ! ثم قال لها : احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : أخوك ، قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها : احتسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : مصعب بن عمير ، قالت واحزنانه !! وفي رواية أنها قالت : واعقره !! فقال ﷺ : إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد ! ثم قال لها : لم قلت هذا ؟ قالت : يا رسول الله ، ذكرت يتم بنيه فراعتي . فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يحسن عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة فولدت له محمد بن طلحة ، فكان أوصل الناس لولدها . وكانت حمزة خرجت يومئذ إلى أحد مع النساء يسقين الماء .

طلوع رسول الله ﷺ على أصحابه في الشعب

وطلع رسول الله ﷺ على أصحابه في الشعب بين سعد بن عباد وسعد بن معاذ يتكفأ في الدرع [وكان ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفوفاً]^(٣) — وقد بدن وظاهر بين درعين — وكان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله ، فما صلى الظهر يومئذ بأصحابه إلا جالساً . وقد حمله طلحة رضي الله عنه — حين انتهى إلى الصخرة — حتى ارتفع عليها . ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه ، فلما رأوهم ولوا في الشعب ظناً أنهم من المشركين ، حتى جعل أبو دجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه ، فرجعوا أو بعضهم . وكانوا الذين ثبتوا معه ﷺ — وطلعوا وهو بينهم إلى الشعب — أربعة عشر : سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار .

سرور المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ

فسرّوا برسول الله ﷺ حتى كأنهم لم تصبهم في أنفسهم مصيبة ، وبينما هم

(١) حمزة : خال عبد الله بن جحش . (٢) في (المغازي) « لأمه » ج ١ ص ٢٩١ .

(٣) زيادة للبيان ، وهي صفة مشية النبي ﷺ وذلك أنه كان « إذا مشى كأنما ينحط من صلب » راجع (صفة الصفوة لابن الجوزي) ج ١ ص ١٥٦ صفة رسول الله ﷺ و ص ٢١٣ من هذا الكتاب .

على ذلك ردّ المشركون فإذا هم فوقهم ، وإذا كئائبهم قد أقبلت ، فندبهم النبي ﷺ يحضهم على القتال ، فعدوا إليهم فانكشفوا ، ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾^(١) . وأبو سفيان في سفح الجبل فقال ﷺ : ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا^(٢) .

خبر النعاس

وألقى الله النعاس على من مع النبي ﷺ وهم سَلَمٌ^(٣) لمن أرادهم ، لما بهم من الحزن فناموا ثم هبوا من نومهم كأن لم تصبهم قبل ذلك نكبة . وقال معتب ابن قشير ، ويقال : بشير بن مليل بن زيد بن العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ! فأنزل الله تعالى : ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ﴾ [إلى آخر الآيات]^(٤) قال أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم^(٥) بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري : لقد رأيتني يومئذ — في أربعة عشر رجلاً من قومي — إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمانة ، فما منهم إلا رجل يغط غطيظاً حتى إن الجحف^(٦) لتناطح . ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر به حتى أخذه بعد ما تثلم : وإن المشركين لتحتنا . وقال أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري : ألقى علينا النعاس ، فكنت أنعس حتى سقط سيفي من يدي . وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ ، فكل^(٧) منافق يتكلم بما في نفسه ، وإنما أصاب النعاس أهل اليقين والإيمان .

(١) في (خ) « الرسل الآية » ١٤٤ / آل عمران .

(٢) في (خ) « ما انكشفوا » ، وما أثبتته رواية (الواقدي) ج ١ ص ٢٩٥ .

(٣) السَلَمُ : الاستسلام والتسليم ، والأسر من غير حرب (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٤٦ .

(٤) الآيات من ١٥٣ - ١٥٥ / آل عمران .

(٥) في (خ) « ابن غزيه » وهو خطأ ، ونسبه في (الإصابة) هكذا : « كعب بن عمرو بن عباد بن سواد بن

غنم الأنصاري أبو اليسر » راجع (الإصابة) ترجمة رقم ٧٤١٦ ج ٨ ص ٣٠١ .

(٦) الجحف : تقول : جحف فلان مع فلان جحفاً : مال .

(٧) في (خ) « وكل » وما أثبتته من (المغازي) ج ١ ص ٢٩٦ .

خبر أبي سفيان ومقاتله وردّ عمر

ولما تحاجزوا أراد أبو سفيان بن حرب الانصراف ، وأقبل على فرس حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته : أعل هبل ! ثم صاح : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، وحنظلة بحنظلة^(١) ، فقال عمر رضي الله عنه : أجيئه يا رسول الله ؟ فقال : بلى ، فأجيئه ! فقال أبو سفيان : أعل هبل ! فقال عمر : الله أعلى وأجل ! فقال أبو سفيان : إنها قد أنعمت فعال^(٢) عنها ، ثم قال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر رضي الله عنه : هذا رسول الله ، وهذا أبو بكر ، وهذا عمر . فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال . فقال عمر : لا سواء ! قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، قال أبو سفيان : إنكم لتقولون ذلك ، لقد خبنا إذاً وخسرنا ! لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال عمر : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب فعال^(٣) عنها قم إلّي يا ابن الخطاب أكلمك ، فقام عمر ، فقال أبو سفيان : أنشدك بدينك ، هل قتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال أنت عندي أصدق من ابن قميثة ، ثم قال أبو سفيان ورفع صوته : إنكم واجدون في قتلاكم عنتاً ومثلاً ، إلا أن ذلك لم يكن عن رأي سراتنا ، أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إذ^(٤) كان ذاك فلم نكرهه ثم نادى : ألا إن موعدكم بدر^(٥) الصفراء على رأس الحول ، فقال رسول الله ﷺ : قل نعم ! فقال عمر رضي الله عنه : نعم .

انصراف المشركين ومخافة رسول الله ﷺ من مباغطة المدينة

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل ، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فتهلك الذراري والنساء ، فبعث سعد

(١) يريد حنظلة ولده ، وحنظلة غسيل الملائكة .

(٢) في (خ) « فقال » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٢٩٧ وعالي عنها : تجاف عنها ولا تذكرها بسوء ، يعني أهتهم . (النهاية) ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٣) في (خ) « إذا » .

(٤) كذا في (خ) و (الواقدي) ج ١ ص ١٩٧ . أما في (ط) « بدرأ الصفراء » .

ابن أبي وقاص لينظر : إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن ، وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهي الغارة . ثم قال عليه السلام : والذي نفسي بيده لئن ساروا إليه لأسيرن إليهم ثم لأنجزنهم ، فذهب سعد يسعى إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل ، بعد ما تشاوروا نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ألا يفعلوا فإنهم لا يدرون ما يغشاهم ، فعاد فأخبر النبي ﷺ .

قدوم أبي سفيان مكة

وقدم أبو سفيان مكة فلم يصل إلى بيته حتى أتى هُبَل فقال : قد أنعمت ونصرتني وشفيت نفسي من محمد وأصحابه ، وحلق رأسه .

أول من قدم إلى مكة بخبر أحد

فكان أول من قدم مكة بخبر أحد وانكشف المشركين عبد الله بن [أبي]^(١) أمية بن المغيرة فكره أن يأتيهم بهزيمة أهلهم ، فقدم الطائف وأخبر أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهزموا . ثم قدم وحشي مكة فأخبرهم بمصاب المسلمين وقد سار أربعاً على راحلته ، ووقف على الثنية التي تطل الحجون فنادى : يا معشر قريش ! أبشروا ، قد قتلنا أصحاب محمد مقتلة لم يقتل مثلها في زحف قط ، وجرحنا محمد فأثبتناه بالجراح ، وقُتِل حمزة . فسروا بذلك .

قتل المسلمين وقتلى المشركين

وقتل من المسلمين بأحد أربعة وسبعون^(٢) : أربعة من قريش وسائرهم من الأنصار ، ويقال : خمسة من قريش . وقتل من المشركين أربعة وعشرون ، وأسر من المشركين أبو عزة عمرو^(٣) بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، ولم يؤسر منهم غيره فقال : يا محمد ، من علي ! فقال رسول الله ﷺ : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك تقول : خَدَعْتُ [وفي رواية سَحَرْتُ] محمداً مرتين ، ثم أمر به عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، ويقال :

(٢) رواية (الواقدي) ج ١ ص ٣٣٠ « سبعون » .

(١) في (خ) « بن أمية » .

(٣) في (خ) « عمر » .

إن المشركين لما انصرفوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعة ، ثم حلوا وتركوا أبا عزة نائماً مكانه حتى ارتفع النهار ، ولحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد ، وكان الذي أخذه عاصم بن ثابت ، فأمره النبي ﷺ فضرب عنقه .

صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أحد

ولما انصرف المشركون أقبل المسلمون على أمواتهم ، فكان حمزة رضي الله عنه فيمن أتى به أولاً ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : رأيت الملائكة تغسله ، لأن حمزة كان جُنُباً ذلك اليوم . ولم يُغسل ﷺ الشهداء ، وقال : لقوهم بدمائهم وجراحهم ، فإنه ليس أحد يُجرح في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة جرحه لونه لون الدم وريحه ريح مسك ، ثم قال : ضعوهم ، أنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة . فكان حمزة أول من كبر عليه رسول الله ﷺ ، ثم جمع إليه الشهداء . فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهداء ، حتى صلى عليه سبعين مرة ، ويقال : كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلي عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ، ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلي عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات . ويقال : كبر عليهم تسعاً وسبعاً وخمساً . وقيل : لم يُصلِّ عليهم . أخرجه أبو داود^(١) من حديث جابر وأنس وابن عباس رضي الله عنهم : وهو مذهب مالك ، والليث بن سعد والشافعي ، وأحمد ، وداود^(٢) : ألا يصلى على المقتول في المعركة . وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشافعية : يصلى عليهم .

(١) في سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٩٨ حديث رقم ٣١٣٥ : « حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، ... أن أنس بن مالك حدثهم أن شهداء أحد لم يغسلوا ، ودفنوا بدمائهم ولم يُصلِّ عليهم » وفي تعليق ابن القيم على أبي داود : « وقد ورد في الصلاة على قتلى أحد من المسلمين عدة أحاديث : منها ما أخرجه الشيخان عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً يصلي أهل أحد صلاته على الميت ، ومنها حديث أنس أن النبي ﷺ صلى على حمزة ، ومنها حديث أبي مالك الغفاري قال : كان قتلى أحد يؤتى منهم بتسعة عاشرهم حمزة ، فيصلي عليهم رسول الله ﷺ ثم يحملون ، ثم يؤتى بتسعة ، وحمزة مكانه ، حتى صلى عليهم رسول الله ﷺ . وفي (عون المعبود) ج ٨ ص ٣١١ .

قال الحافظ : والخلاف في الصلاة على قتيل الكفار مشهور ، قال الترمذي : قال بعضهم : يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحاق ، وقال بعضهم لا يصلى عليه ، وهو قول المدنيين والشافعية وأحمد . والحديث سكت عنه المنذري .

(٢) صاحب مذهب مستقل ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية توفي ببغداد سنة ٢٧٠ هـ [هامش (ط)] .

خبر دفن القتلى ودفن حمزة

وقال ﷺ للمسلمين ، احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر . وقدموا أكثرهم قرآنًا ، فكانوا يقدمون أكثرهم قرآنًا في القبر ، ولما واروا حمزة رضي الله عنه أمر رسول الله ﷺ ببردة تمدُّ عليه وهو في القبر ، فجعلت البردة إذا خُمِّروا^(١) رأسه بدت قدماه ، وإذا خُمِّروا رجله ينكشف وجهه ، فقال ﷺ : غطوا وجهه ، وجعل على رجله الحرمل^(٢) . فبكى المسلمون وقالوا : يا رسول الله ! عم رسول الله لا نجد له ثوباً ؟ فقال : تفتح الأرياف والأمصار فيخرج إليها الناس ثم يبعثون إلى أهلهم ، إنكم بأرض حجاز^(٣) جردية [الجردية التي ليس بها شيء من الأشجار]^(٤) والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . والذي نفسي بيده لا يصبر أحد على لوائها وشدتها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .

مصعب بن عمير

ومر ﷺ على مصعب بن عمير وهو مقتول في بردة^(٥) فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة منك ولا أحن لئمة منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة . ثم أمر به فقبر .

وكان كثير من الناس حملوا موتاهم إلى المدينة فدفنوه ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : ردّوا القتلى إلى مضاجعهم . فلم يرِدْ أحدٌ إلا رجل واحد أدركه المنادي ولم يدفن ، وهو شماس بن عثمان المخزومي .

موقف المسلمين للشاء على الله

ولما فرغ ﷺ من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج ، والمسلمون حوله : عامتهم جرحى ، ولا مثل لبني^(٦) سلمة وبني عبد الأشهل ومعه أربع عشرة امرأة ،

(١) خُمِّروا : غَطُّوا .

(٢) الحرمل : نبات صحراوي .

(٣) الحجاز : سُمِّيَ بذلك لأنه يُحتجز بالجلال ، (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢١٨ .

(٤) هذه الزيادة من نص (الراقي) ج ١ ص ٣١١ .

(٥) البردة : كساء مخطط يلحف به . (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٨ .

(٦) في (خ) « ولا مثل نبي » ، وما أثبتاه عبارة (الواقدي) ج ١ ص ٣١٤ .

فلما كانوا بأصل الحرة قال : اصطفوا فنشني على الله ، فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت . اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف ، والغنى يوم الفاقة ، عائداً بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا . اللهم توفنا مسلمين . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين . اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك ، اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق . آمين .

دخول رسول الله ﷺ إلى المدينة

وأقبل حتى طلع على بني عبد الأشهل وهم سيكون على قتلاهم فقال : لكن حمزة لا بواكي له : فخرج الناس ينظرون إلى سلامته ، فقالت أم عامر الأشهلية : كل مصيبة بعدك جلل^(١) وجاءت أم سعد بن معاذ [وهي كبشة بنت رافع بن معاوية]^(٢) بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر ، [وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج]^(٣) تعدو نحو رسول الله ﷺ وقد وقف على فرسه ، وسعد ابن معاذ أخذ بعنان الفرس ، فقال سعد : يا رسول الله : أمي، فقال: مرحباً بها ، فذنت حتى تأملت رسول الله ﷺ وقالت : أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوت^(٤) المصيبة^(٥) . فعزاها ﷺ بعمر بن معاذ ابنها ثم قال : يا أم سعد : أبشري وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً — وهم اثني عشر رجلاً — وقد شفّعوا في أهلهم ، قالت : رضينا برسول الله ، ومن يكي عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت : ادع يا رسول الله لمن خلفوا . قال : اللهم اذهب حُزن قلوبهم ، وأجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا . ثم قال : خَلْ أبا عمرو الدابة . فخلى سعد الفرس ، فتبعه الناس فقال : يا أبا عمرو ، إن الجراح في أهل دارك فاشية ، وليس منهم مجروح

(١) جلل : هيئة ، قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل .

(٢) زيادة من النسب .

(٣) أشوت المصيبة : قلت ، والشوّة : القليل من الكثير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٢ .

إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان : اللون لون الدم والريح ريح المسك ، فمن كان مجروحاً فليقرّ في داره وليداو جرحه ، ولا يبلغ معي بيتي ، عزمة مني . فتأدى فيهم سعد ، عزمة من رسول الله ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل ، فتخلف كل مجروح . فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح ، وإن فيهم لثلاثين جريحاً ، ومضى سعد مع رسول الله ﷺ حتى جاء بيته فما نزل عن فرسه إلا حملاً ، واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ حتى دخل بيته ، فلما أذن بلال بصلاة المغرب خرج على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى ثم عاد إلى بيته .

خبر البكاء على حمزة

ومضى سعد بن معاذ إلى نسائه فساقيهن حتى لم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ ، فبكين حمزة رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ، والناس في المسجد يوقدون النيران يتكمدون^(١) بها من الجراح . وأذن بلال رضي الله عنه حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ﷺ ، فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل ، ثم ناداه الصلاة يا رسول الله ، فهب ﷺ من نومه وخرج ، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل ، وسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة . فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهن ، فرجعن بعد ليل مع رجالهن . وصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم رجع إلى بيته ، وقد صَفَّ له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشي وحده حتى دخل ، وباتت وجوه الأوس والخزرج على بابه يحرسونه فَرَقاً^(٢) من قريش أن تكرر ، ويقال : إن معاذ بن جبل رضي الله عنه جاء بنساء بني سلمة ، وجاء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بنساء بلحارث [بن الخزرج]^(٣) فقال ﷺ : ما أردتُ هذا ! ونهاهن الغد عن النوح أشد النهي .

شماتة المنافقين

وجعل عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون يشمتون معه ويُسرّون بما أصاب

(١) الكمادة : خرقه تُسَخَّن وتوضع على الورم أو موضع الوجع (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٩٨ .

(٢) فَرَقاً : خوفاً . (٣) زيادة للإيضاح .

المسلمين ، ويظهرون أقبح القول : فيقول ابن أبي لابنه عبد الله — وهو جريح قد بات يكوي الجراحة بالنار — ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي ! عصاني محمد وأطاع ولدان ، والله لكأني كنت أنظر إلى هذا . فقال ابنه : الذي صنع الله لرسوله^(١) وللمسلمين خير .

ما قالت اليهود والمنافقون شماتة بقتلي أحد

وأظهرت اليهود القول السيء فقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبي قط ! أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه ! وجعل المنافقون يُخذلون عن رسول الله ﷺ أصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه ، ويقولون : لو كان من قُتل منكم عندنا ما قُتل . وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن ، فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل من سمع ذلك منه من يهود والمنافقين . فقال عليه السلام : يا عمر ، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، ولليهود ذمة فلا أقتلهم ، قال : فهؤلاء المنافقون ! قال : أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؟ قال : بلى يا رسول الله ! وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف ، فقد بان لنا أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم عن هذه النكبة ! فقال : نُهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يا ابن الخطاب ، إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن .

ما نزل من القرآن في غزوة أحد

ونزل في غزوة أحد من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ من سورة آل عمران إلى آخرها^(٢) ، وكان قد نزل قبل أن يخرج ﷺ إلى حد قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ (١٢٤) بلى إن تصبروا وتيقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين (١٢٥) وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿ ٣ ﴾ . فلم يصبروا وانكشفوا ، فلم يُمدد رسول الله ﷺ بِمَلَكٍ واحدٍ يوم أحد .

(٢) قال ابن هشام : ستون آية .

(١) في (خ) « ولرسوله » .

(٣) في (خ) تبدأ الآيات بقوله تعالى : « إلى ممدكم بثلاثة آلاف » وهكذا نص (الواقدي) ج ١

ص ٣٢٠ ، وما أثبتناه أجود .

خبر معاوية بن المغيرة وكان هو الذي مثل بحمزة

وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قد انتهزم ومضى على وجهه ونام قريباً من المدينة ، فلما أصبح دخلها ، وأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما رآه قال : ويحك أهلكتنى وأهلكت نفسك ، وأدخله بيته . ثم سأل فيه رسول الله ﷺ فأجله ثلاثاً فإن وجد بعدهن قتل . فجهزه عثمان . وخرج بعد ثلاث فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر بالجماء^(١) فرمياه حتى قتلاه ، وكان هو الذي مثل بحمزة رضي الله عنه .

غزوة حمراء الأسد

ثم كانت غزوة حمراء الأسد^(٢) يوم الأحد صبيحة أحد . وذلك أن عبد الله ابن عمرو بن عوف المزني^(٣) أوفى باب النبي ﷺ ليلة الأحد ، وبلال على الباب بعد ما أذن وهو ينتظر خروج النبي ﷺ ، فلما خرج أخبره المزني أنه أقبل من أهله حتى كان بجلل إذا قريش قد نزلوا ، فسمع أبا سفيان وأصحابه يشتمون^(٤) ليرجعوا حتى يستأصلوا من بقي ، وصفوان يأبى ذلك عليهم . فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما ذلك ، فقالا : أطلب العدو يا رسول الله ، ولا يقتحمون على الذرية ، فلما صلى الصبح يوم الأحد — ومعه وجوه الأوس والخزرج ، وقد باتوا في المسجد على بابهِ — أمر بلالا فنادى : إن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس .

خروج جرحى أحد للغزوة

فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلها جريح فقال : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تطلبوا عدوكم . فقال أسيد بن حضير — وبه سبع جراحات

(١) الجماء : جبل بالمدينة ، على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف .

(٢) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله ﷺ يوم أحد في طلب المشركين . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٣٠١ .

(٣) هذه رواية (الواقدي) في (المغازي) ج ٢ ص ٣٣٤ وقد ذكر (ابن هشام) ج ٣ ص ٤٤ ، و (الكامل) ج ٢ ص ١٦٤ و (الطبري) ج ٢ ص ٥٣٤ ، ذكروا خلاف ذلك في أمر بدء هذه الغزوة .

(٤) هذه اللفظة عامة ، وقد أكثر (المقرئ) من استعمالها .

يريد أن يداويها — سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، وأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء ، ولحق برسول الله ﷺ ، وجاء سعد بن عبادة قومه ، وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعاً . وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً — بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً^(١) ، وبخراش بن الصمة عشر جراحات — حتى وافوا رسول الله ﷺ فقال لما رأيهم : اللهم ارحم بني سلمة .

اللواء

ودفع رسول الله ﷺ لواءه إلى أبي بكر ، وقيل : لعلي رضي الله عنهما ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأقام على حرسه عبّاد بن بشر .

خبر عبد الله ورافع ابني سهل

وكان عبد الله ورافع ابنا سهل بن رافع بن عدي بن زيد بن أمية بن زيد الأنصاريان ، رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة فخرجا يزحفان ، فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره عقبة ومشى عقبة^(٢) . فدعا لهما رسول الله ﷺ لما أتياه وقال : إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكز من خيل وبغال وإبل ، وليس ذلك بخير لكم ، ولم يخرج أحد لم يشهد أحداً سوى جابر بن عبد الله ، واستأذنه رجال لم يخرجوا أحداً فلم يأذن لهم .

خروج رسول الله ﷺ

ولما اجتمع الناس ركع رسول الله ﷺ ركعتين في المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد — وعليه الدرع والمغفر — فركب ، وإذا بطلحة رضي الله عنه ، فقال : يا طلحة ، سلاحك . فأسرع ولبس سلاحه — وبه تسع جراحات — وأقبل فقال له ﷺ : أين ترى القوم الآن ؟ قال : هم بالسَّيَّالَة . قال : ذلك ظننت ، أما إنهم — يا طلحة — لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا .

(١) في (خ) « جريحاً » .

(٢) العقبة: المرة بعد المرة، ونص (الواقدي) ج ١ ص ٢٣٥-٢٣٦: «كان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشي الآخر عقبة» .

الطلّاع

وبعث ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم هم : سليط^(١) ونعمان ابنا سفيان بن خالد بن عوف بن دارم وآخر [من أسلم من بني عوير ، لم يُسم لنا]^(٢) فقتلوا ، ومضى ﷺ في أصحابه حتى عسكروا بجمراء الأسد . وكان عامة زادهم التمر . وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيراً حتى وافى الجمراء ، وساق جزراً لينحر ، وكان ﷺ يأمر في النهار فيُجمع الخطب ، فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل ناراً ، فقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رُويت من مكان بعيد . وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه ، فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم .

خبر معبد الخزاعي وانصراف المشركين

ولقى معبد بن أبي معبد الخزاعي — [وهو يومئذ مشرك ، وكانت خزاعة مسلماً للنبي ﷺ]^(٣) — رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصاب أصحابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى ، فوجد أبا سفيان وقريشاً بالروحاء وهم مُجمعون على الرجوع : فأخبرهم أن محمداً وقومه وأصحابه قد تركهم يتحرقون عليهم^(٤) مثل النيران ، وأنهم في طلبهم ، فانصرفوا سراعاً خائفين من الطلب لهم . وبعث أبو سفيان مع نفر من عبد القيس مرّ بهم يريدون المدينة أن يعلموا^(٥) رسول الله ﷺ أنهم أجمعوا الرجعة إليه ، فلما بلغوه ﷺ ذلك قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٧) . وبعث معبد الخزاعي رجلاً فأخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبي

(١) في (خ) «سليكا» . (٢) زيادة في المرجع السابق ص ٣٣٧ .

(٣) زيادة لليبان من (الواقدي) ج ١ ص ٣٣٨ .

(٤) في (خ) «عليكم» وهو نص (الواقدي) .

(٥) في (خ) «فاخشوهم الآية» وهي الآية ١٧٣ / آل عمران .

(٦) في (خ) «القرح الآية» . وهي الآية ١٧٢ / آل عمران ، وفي رواية (الواقدي) ج ١ ص ٣٤٠ =

سفيان ومن معه خائفين ، فانصرف ﷺ إلى المدينة بعد ثلاث .

سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن

ثم كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن : وهو جبل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة بنجد ، وذلك في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً : دعاه رسول الله ﷺ لهلal المحرم واستعمله على خمسين ومائة رجل ، وعقد له لواء ، وأمره أن يرد أرض^(١) بني أسد ، وأن يغير عليهم قبل أن تلاقي عليه جموعهم ، وأوصاه ومن معه بتقوى الله ، فسار . وكان الذي هيّج هذا أن رجلاً من طيء — يقال له الوليد بن زهير بن طريف — قدم المدينة ، وأخبر أن طليحة وسلمة ابني^(٢) خويلد تركهما قد سارا — في قومهما ومن أطاعهما — لحرب رسول الله ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك ، بعث أبا سلمة . وخرج الطائي معه دليلاً ونكّب بهم عن الطريق ، وسار بهم ليلاً ونهاراً حتى انتهوا بعد أربع إلى قطن ، فوجدوا سرّحاً فأخذوه وثلاثة رعاء ممالك ، ونذر بهم^(٣) القوم ففرقوا في كل وجه ، وورد أبو سلمة الماء وقد تفرقوا عنه ، فبعث في طلب النعم والشاء فأصابوا منها ولم يلقوا أحداً ، فانحدروا إلى المدينة . وأعطى أبو سلمة الطائي الذي دلهم رضاه من المغنم ، ثم أخرج صفيّاً لرسول الله ﷺ عبداً ، ثم أخرج الخمس ، وقسم ما بقي بين أصحابه فأقبلوا بها إلى المدينة . ويقال : كان بين المسلمين وبين القوم قتال قتل فيه رجل من المشركين ، واستشهد مسعود بن عروة .

غزوة بئر معونة

ثم كانت غزوة بئر معونة — وهي ماء لبني عامر بن صعصعة^(٤) ، وقيل : قرب حرة بني سليم — في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وسببها أن عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — أبا براء ملاعب ، الأسنة — قدم على رسول الله ﷺ وأهدى له فرسين وراحتين ، فقال : لا أقبل

= وردت الآيتان بالترتيب الطبيعي لهما .

(٢) في (خ) « بني » .

(١) في (خ) « أن برد الأرض » .

(٣) نذر بالشيء نذراً : علمه فحذره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٩١٢ .

(٤) راجع (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٠٢ .

هدية مشرك ، وردهما ، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يُعَدِّدْ ، وقال : يا محمد ، إنني أرى أمرك هذا حسناً شريفاً ، وقومي خلفي ، فلو أنك بعثت نفرأ من أصحابك معي لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك ، فإن هم اتبعوك فما أعزَّ أمرك ! فقال ﷺ : إنني أخاف عليهم أهل نجد . فقال عامر : لا تخف عليهم ، أنا لهم جارٌّ أن يعرض لهم أحد من أهل نجد .

خبر القراء وخروجهم إلى بئر معونة

وكان من الأنصار سبعون رجلاً شبيبةً ، يسمون القراء ، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا وصلّوا ، حتى إذا كان وجاء الصبح^(١) استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاءوا به إلى حُجْر النبي ﷺ ، فكان أهلهم يظنون أنهم في المسجد ، وأهل المسجد يظنون أنهم في أهلهم ، فبعثهم النبي ﷺ ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو بن حُنيْس بن حارثة بن لؤْذان بن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي : أحد النقباء ، وكتب معه كتاباً . فساروا ودليلهم المطلب من بني سليم ، حتى [إذا]^(٢) كانوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم — عسكروا بها وسرّحوا ظهرهم ، وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصّمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر ، وهو مبذول ، ابن مالك بن النجار ، وعمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد ابن ناشرة بن كعب بن جُدَيْي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة [جُدَيْي بضم الجيم وفتح الدال] الضمري ، وقَدَّموا حرام بن ملحان ، وهو مالك بن خالد بن زيد ابن حرام بن جندب^(٣) بن عامر بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر ، فلم يقرأوا الكتاب .

خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء

ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله ، واستصرخ بني عامر فأبوا — وكان أبو براء بناحية نجد — فاستصرخ قبائل من سليم — عُصِيَّة ورِعْلَا^(٤) — فنفروا معه

(١) أول النهار قبيل الفجر .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) في (خ) « جنيد » .

(٤) في (خ) « ورعل » .

حتى وجدوا القراء فقاتلوهم ، فقتلوا رضي الله عنهم إلا المنذر بن عمرو فإنهم أمّوه إن شاء ، فأبى أن يقبل أمانهم حتى يأتي مقتل حرام ، فلما أتى مصرعه قاتلهم حتى قتل ، وأقبل الحارث [بن الصمة]^(١) وعمرو بن أمية بالسرّح والخيّل واقفة ، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعد ما قتل منهم عدة . وأعتق عامر بن الطفيل عمرو ابن أمية عن أمّه وجزّ ناصيته .

وكان ممن قُتل يومئذ عامر بن فُهيرة : طعنه جبار بن سُلمى بن مالك بن جعفر ابن كلاب الكلبيّ بالرمح ثم انتزعه ، فذهب بعامر في السماء حتى غاب عنه وهو يقول : فُزْتُ والله ! فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر .

دعاء رسول الله على أصحاب الغدر

ولما بلغ رسول الله خبرُ بئر معونة « جاء معها في ليلة واحدة مصاب [خبيب ابن عدي]^(٢) ومرثد بن أبي مرثد وبعث محمد بن مسلمة ، فجعل يقول : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً . ودعا على قتلهم بعد الركعة من الصبح في صبح تلك الليلة التي جاء الخبر فيها . فلما قال : سمع الله لمن حمده ، قال : اللهم اشدّد وطأتك على مُضَرّ ، اللهم عليك ببني لحيان وزغبٍ ورعلٍ وذكوان ، وعُصيّة فإنهم عصوا الله ورسوله ، اللهم عليك ببني لحيان وعُضَل والقارة ، اللهم انج الوليد ابن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين . غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله . ثم سجد . فقال ذلك خمس عشرة ليلة ، ويقال : أربعين يوماً ، حتى نزلت : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾^(٣) .

حزن رسول الله ﷺ على القراء وما نزل فيهم من القرآن

ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة ، وأنزل الله فيهم قرآناً نسخ بعد ما قرئ مدة « بلغوا قومنا [عنا]^(٤) أنا لقينا ربنا فرضي عنا

(١) زيادة للبيان .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٣ ، و (الواقدي) ج ١ ص ٣٤٩ .

(٣) الآية ١٢٨ / آل عمران ، و في (خ) « شيء الآية » .

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٣ ، وبدون هذه الزيادة رواها (الواقدي) ج ١ ص ٣٥٠ .

ورضيها عنه .

هدية أبي براء إلى رسول الله ﷺ

وأقبل أبو براء فبعث ابن أخيه لبيد بن ربيعة بفرس هدية لرسول الله ﷺ فردّه وقال : لا أقبل هدية مشرك ، قال : فإنه قد بعث يستشفيك من وجع به [وكانت به الدبيلة]^(١) فتناول النبي ﷺ مَدْرَةً من الأرض ففعل فيها ثم ناوله وقال : دُفِّها^(٢) بماء ثم اسقها إياه . ففعل فبرأ . ويقال : بعث إليه بعُكَّة^(٣) عسل فلم يزل يلعبها حتى برأ ، وشق على أبي براء ما فعل عامر بن الطفيل .

مقتل المشركين

وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ بعد ما لقي بصدور قناة^(٤) رجلين من بني كلاب قد قدما على رسول الله فكساهما وأمنهما ، فقتلهما للذي أصابت بنو عامر من القراء . فقال له النبي ﷺ : بمس ما صنعت ! قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار ! لأدينهما . وأخرج ديتهما دية حرّين مسلمين ، فبعث بها وبسلبهما إلى عامر بن الطفيل .

غزوة الرجيع (سرية مرثد بن أبي مرثد)

ثم كانت غزوة الرجيع : وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز ، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وذلك أن بني لحيان جعلت فرائض لعَصَل والقارة [رحم من بني الهون بن خزيمه بن مدركة إخوة بني أسد بن خزيمه] على أن يقدموا على النبي ﷺ فيكلموه أن يخرج إليهم نفرأ يدعونهم إلى الإسلام ليقتلوا من قتل سفيان بن نبيح الهذلي^(٥) ، ويبيعوا سائرهم على قريش بمكة ، فقدم

(١) الدبيلة على وزن جُهَنَّة : داء في الجوف (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) داف الدواء : خلطه وأذا به بالماء هامش (ط) ص ١٧٣ .

(٣) العُكَّة : وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والصل ، وهو بالسمن أخص (النهاية) ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٤) في (خ) « بصدر قناة » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٥١ ، (وابن سعد) ج ٢ ص ٥٣ ،

وقناه : واد بالمدينة ، وأحد أوديتها الثلاثة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٤٠١ .

(٥) هذا هو سبب سرية عبد الله بن أنيس ، وهي لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من

مهاجره ﷺ (انظر ص ٢٥٦) .

سبعة نفر من عَضَل والقارة مُقرِّين بالإسلام ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً فاشياً ، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يُقرئونا القرآن ويفقهونا في الإسلام .

خروج مرثد وأصحابه إليهم ومقتلهم

فبعث معهم ستة وقيل عشرة ، وهو الأصح كما وقع في كتاب الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله ، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي [ويقال : عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح] فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل — يقال له الرجيع ، قريب من الهدّة — لقيهم^(١) مائة في أيديهم السيوف فقاموا ليقاتلوهم ، فقالوا : ما نريد قتالكم ، ولا نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمناً ، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم ، فاستأسر خبيب بن عدي الأنصاري ، وزيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي ، وأبي أبو سليمان عاصم بن ثابت ، ومرثد ، وخالد بن أبي البكير ، ومعتب ابن عبيد : أن يقبلوا جوارهم .

خبر عاصم بن ثابت حي الدبر

ورماهم عاصم حتى فئت نبلة ، ثم طاعنهم حتى كسر رُحمه ، ثم كسر غمده سيفه ، وقاتل حتى قتل . فبعث عليه الدبر^(٢) فحمته ، فلم يذن منه أحد إلا لدغت وجهه ، ثم بعث الله في الليل سيلاً فاحتمله فذهب به فلم يقدرُوا عليه . وذلك أنه كان قد نذر ألا يمسّ مشركاً ولا يمسّه مشرك . وكانوا يريدون أن يجزوا رأسه ليذهبوا به : إلى سلافة بنت سعد بن الشهيد لتشرب في قفة قحفة^(٣) الخمر ، فإنها نذرت إن أمكنها الله منه أن تفعل ذلك من أجل أنه قتل لها ابنين في يوم واحد .

خبر الأسرى يوم الرجيع

وقتلوا^(٤) معتباً ، وخرجوا بخبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مالك بن

(١) في (خ) « فلقبهم » .

(٢) الدبر : جماعة من النحل والزنابير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) القحفة : ما انفلق من الجمجمة (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧١٦ .

(٤) في (خ) « وقتل » .

مجدعة بن جَحْجَبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ،
وعبد الله بن طارق ، وزيد بن الدثنة ، وهم موثقون بأوتار قسيهم ، فنزع عبد
الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفه ، فقتلوه رجماً بالحجارة وقبروه بمجر الظهران .

خبر خبيب بن عدي بمكة

وقدموا مكة بخبيب وزيد فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب بثمانين مثقالاً ذهباً ،
ويقال : بخمسين فريضة^(١) ويقال : اشترته ابنة^(٢) الحارث بن عامر بن نوفل بمائة
من الإبل . [وكان حُجير بن أبي إهاب قد ابتاع خبيب بن عدي لزوج أخته عقبة
ابن الحارث بن عامر بن نوفل ، ليقتله بأبيه : قتل يوم بدر]^(٣) واشترى زيداً
صفوان بن أمية بخمسين فريضة ليقتله بأبيه . ويقال : أنه شرك فيه أناسٌ من قريش .
وحبس حُجير خبيباً — لأنه كان في ذي القعدة وهو شهر حرام — فأقام محبوساً
في بيت ماوية^(٤) ، مولاة بني عبد مناف ، وحبس زيد عند نسطاس مولى صفوان
ابن أمية ، ويقال : عند قوم من بني جُمَح ، فرأت ماوية خبيباً وهو يأكل عنباً من
قطيف مثل رأس الرجل في يده ، وما في الأرض يومئذ حبة عنب ، فعلمت أنه رزق
رزقه الله ، فأسلمت بعد ذلك ، وكان يجهر بالقرآن فيسمعه النساء فيكين ، فلما
أعلمته ماوية — بعد انسلاخ الأشهر الحرم — بقتله ، ما اكثرت لذلك ، وطلب
حديدة فأتته بموسي مع ابنها أبي حسين^(٥) ، مولى بني الحارث بن عامر بن نوفل
ابن عبد مناف بن قصي فقال له ممازحاً له : وأبيك إنك لجريء ! أما خشيت أمك

(١) الفريضة : ما فُرض في السائمة من الصدقة ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة غير الزكاة ، (ترتيب
القاموس) ج ٣ ص ٤٧٣ و (النهاية) ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٢) في (خ) « اشتراه ابنه الحارث » ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٢٥٧ .

(٣) ما بين القوسين من (الواقدي) ج ١ ص ٣٥٧ ومكانه في (خ) فهو هكذا ، وكان خبيب قد قتل عقبة
ابن الحارث بن عامر بن نوفل فأرادوا قتله به « وهذا خطأ كله وفي (ابن سعد) و (الواقدي) أنه اشتراه
« لابن أخته » وهذا خطأ أيضاً ، بدليل ما قاله ابن حجر في (الإصابة) ج ٧ ص ٢٠ ترجمة رقم ٥٥٨٥
« مات عقبة بن الحارث في خلافة ابن الزبير » .

(٤) في (الواقدي) « في بيت امرأة يقال لها ماوية » وهو أجود .

(٥) في (خ) « أبي الحسن بن الحارث » وهو خطأ « هكذا قال محقق (ط) ، وفي (ابن هشام) ج ٣
ص ٩٦ . « قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها » . وفي (ابن الأثير) ج ٢ ص ١٦٧ « ندب صبي
لها ... » راجع (صحيح البخاري) ج ٧ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

غدري حين بعثت معك بحديدة ، وأنتم تريدون قتلي ؟ فقالت ماوية : يا خبيب ، إنما أمتك بأمان الله ، فقال : ما كنت لأقتله ! ثم أخرجوه في الحديد إلى التنعيم^(١) ومعه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة ومعه زيد بن الدثنة .

مقتل خبيب

فصلي خبيب ركعتين أتمهما من غير أن يطول فيهما — وكان أول من سن الركعتين عند القتلى^(٢) — ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم أوثقوه رباطاً وقالوا : ارجع عن الإسلام ونخلي سبيلك . فقال : لا إله إلا الله ! والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً ! قالوا : أفتحب أن محمداً في مكانك وأنت جالس في بيتك ؟ فقال : والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي . فجعلوا يقولون : يا خبيب ارجع ! قال : لا أرجع أبداً . قالوا : أما اللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك ! قال : إن قتلي في الله لقليل^(٣) ، فجعلوا وجهه من حيث جاء ، فقال : ما صرفكم وجهي عن القبلة ؟ ثم قال : اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم ليس ها هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام ، فقال رسول الله ﷺ — وهو جالس مع أصحابه وقد أخذته غمية^(٤) — : وعليه السلام ورحمة الله ، ثم قال : هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام . ثم أحضروا أبناء من قتل بيدر — وهم أربعون غلاماً — فأعطوا كل غلام رمحاً فطعنوه برماحهم ، فاضطرب على الخشبة ، وقد رفعوه إليها . وانفلت فصار^(٥) وجهه إلى الكعبة فقال : الحمد لله^(٦) فطعنه أبو سروع — واسمه عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي — حتى أخرجها من ظهره ، فمكث ساعة يوحد ويشهد أن محمداً رسول الله ثم مات رضي الله عنه ، وتولى قتل زيد نسطاس ، وقد روي أن غزوة الرجيع كانت قبل

(١) التنعيم : موضع بمكة في الجبل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وقيل أربعة (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) وكذلك فعلهما حجر ابن الأدير حين قتله معاوية وقد صلى هاتين الركعتين أيضا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وتفصيل الخبرين في (الروض الأنف) ج ٣ ص ٣٢٥ . (٣) في (خ) « لقتل » .

(٤) الغميمة : كالقشية . (٥) في (خ) « وصار » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٦١ .

(٦) وفي المرجع السابق : « الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضى لنفسه ولنبيه وللمؤمنين » .

غزوة بني النضير

ثم كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجر النبي ﷺ ، ويقال : كانت في جمادى الأولى^(١) سنة أربع ، وروى عقيل ابن خالد وغيره عن ابن شهاب قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

سببها ، وغدر اليهود برسول الله ﷺ

سببها أن عمرو بن أمية الضمري لما قتل الرجلين من بني عامر خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين في ديتهما — لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر ، وكان ذلك يوم السبت — فصلى في مسجد قباء ومعه رهط من المسلمين . ثم جاء بني النضير ومعه دون العشرة من أصحابه^(٢) فيجدهم في ناديهم ، فجلس يكلمهم أن يعينوه في الكلايين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقالوا : نفعل ، اجلس حتى نطعمك ، ورسول الله ﷺ مستند إلى بيت ، فخلا بعضهم إلى بعض ، وأشار عليهم حُيي بن أخطب أن يطرحوا عليه حجارة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش لي طرح عليه صخرة ، وهياً الصخرة ليرسلها على رسول الله ﷺ وأشرف بها ، فجاء الوحي بما همُّوا به ، فنهض ﷺ سريعاً كأنه يريد حاجة ومضى إلى المدينة . فلما أبطأ لحق به أصحابه — وقد بعث في طلب^(٣) محمد بن مسلمة — فأخبرهم بما همّت به يهود ، وجاء محمد بن مسلمة فقال : اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم : [إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم]^(٤) أن اخرجوا من بلده ، فإنكم قد نقضتم العهد بما همتم به من الغدر ، وقد أجّلتهم عشراً ، فمن رُؤي بعد ذلك ضربت عنقه .

أمر إجلاء بني النضير

فأخذوا يتجهزون في أيام ، ثم بعث حُيي بن أخطب مع أخيه جُدي^(٥) بن

(١) في (خ) « الأول » .

(٢) في (خ) « وأصحابه » . (٣) في (خ) « طلبه » .

(٤) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٣٦٦ . (٥) في (خ) « حدى » .

أخطب إلى النبي ﷺ : إنا لا لانخرج ، فليصنع ما بدا له . وقد غره عبد الله بن أبي بآن أرسل إليه سويداً وداعساً بأن يقيم بنو النضير ولا يخرجوا : فإن معي من قومي وغيرهم [من العرب]^(١) ألفين ، يدخلون معكم فيموتون من آخرهم دونكم . فلما بلغ جدى رسالة أخيه حُيِّ كُبر رسول الله ﷺ ومن معه وقال : حاربت يهود . ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير .

مسير رسول الله ﷺ إليهم وحصارهم

وسار رسول الله ﷺ في أصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير وقد قاموا على جُدُر^(٢) حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، ولم يأتهم ابن أبي واعتزلتهم^(٣) قريظة فلم تمنهم بسلام ولا رجال ، وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا ، فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء — وقد تمام أصحابه — رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه ، وعليه الدرع والمغفر وهو على فرس . واستعمل علياً رضي الله عنه على العسكر ، ويقال : بل استعمل أبا بكر رضي الله عنه . وبات المسلمون محاصريهم يكبرون حتى أصبحوا . وأذن بلال رضي الله عنه بالمدينة ، فغدا رسول الله ﷺ في أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس في فضاء بني خَطْمَة ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قتال بني النضير

وحُمِلَتْ مع رسول الله ﷺ قبة آدم أرسل بها سعد بن عبادَة ، فضر بها بلالٌ ودخلها رسول الله ﷺ ، فرمى عَزْوَكَ — من اليهود — فبلغ نبلة القبة ، فحولت حيث لا يصلها النبل . ولزم النبي ﷺ الدرع وظل محاصريهم ست ليالٍ من ربيع الأول . وحينئذ حُرِّمَت الخمر ، على ما ذكره أبو محمد بن حزم . وفُقد علي رضي الله عنه في بعض الليالي فقال النبي ﷺ : إنه في بعض شأنكم ! فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ : وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غِرَّةً من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً ، فشَدَّ عليه علي رضي الله عنه فقتله ، وفر اليهود ، فبعث معه

(١) زيادة من (الواقدي) ج ١ ص ٣٦٦ . (٢) في (خ) « جذر » .

(٣) في (خ) « اعتزلهم » .

النبي ﷺ أبا دجانة وسهل بن حنيف ، في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوه ، وأتوا برؤوسهم فطرحوا في بعض البثر^(١) . وكان سعد بن عباد رضي الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين .

تحريق نخلهم وشرط إجلائهم

وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وحُرِّقَتْ ، واستعمل على ذلك أبا ليلى المازني وعبد الله بن سلام فشق على يهود قطع النخل ، وبعث حُيَّ بن أخطب إلى النبي ﷺ بأنه يخرج ومن معه . فقال عليه السلام : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ولكم [دماؤكم و]^(٢) ما حملت الإبل إلا الحلقة^(٣) ، فلم يقبل حُيَّ ، وحالفت عليه طائفة ممن معه وأسلم منهم يامين بن عمير بن كعب [ابن عم عمرو ابن جحاش]^(٤) وأبو سعد بن وهب ونزلاً فأحرزا أموالهما ، ثم نزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة ، وجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير . ويقال : خمسة أوسق من تمر حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة ، فسّر رسول الله ﷺ بقتله .

كيف كان جلاؤهم

وأقام على حصار يهود خمسة عشر يوماً حتى أجلاهم وَوَلَّى إخراجهم محمد ابن مسلمة . وكانوا في حصارهم يخرجون بيوتهم [بأيديهم]^(٥) مما يليهم ، والمسلمون يخرجون مما يليهم ويحرقون ، حتى وقع الصلح ، جعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية ، وشقوا سوق المدينة والنساء في الهوداج عليهن الحرير والديباج وحلي الذهب والمعصفرات وهن يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير تجلداً — وكبارهم يومئذ حُيَّ بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق — وقد صف لهم الناس وهم يمرون ، فكانوا على ستائة بعير ، فنزل أكثرهم بخير فدانت لهم ، وذابت طائفة منهم إلى الشام ، فكان ممن صار منهم إلى خير أكابرهم كحبي بن أخطب ، وسلام ابن أبي الحقيق ، وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .

(١) في (خ) « البيار » والبقار : جمع بقر .

(٣) الحلقة : السلاح كله .

(٤) في (خ) « كعب بن عمرو بن جحاش » ، وهو خطأ ، وما أثبتناه من سياق ترجمته في (الإصابة) ج ١٠ ص ٣٣٣ برقم ٩١١٢ .

(٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٨ .

أموال بني النضير

وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة : فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة^(١) ، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً . وقال عمر رضي الله عنه : ألا تخمّس ما أصبّت . فقال ﷺ : لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين — بقوله : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾^(٢) كهيئة ما وقع فيه السهمان للمسلمين . وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله ﷺ جعلها حبساً لنوائبه ، وكان ينفق على أهله منها : كانت خالصة له ، فأعطى من أعطى منها ، وحبس ما حبس ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يُدخل منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني المطلب^(٣) ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح . واستعمل على أموال بني النضير أبا رافع مولاه ، وكانت صدقاته منها ومن أموال مخيريق .

المهاجرون والأنصار

وكان رسول الله ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة تحول المهاجرون فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم السهمان ، فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلا بقرعة ، فكان المهاجرون في دُور الأنصار وأموالهم .

خير قسمة أموال بني النضير

على المهاجرين دون الأنصار

فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الأنصار كلها — الأوس والخزرج — فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزلهم إياهم في منازلهم ، وأثرهم على أنفسهم ، ثم قال : إن أحببت قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بني النضير ، وكان

(٢) آية ٧ / الحشر ، وفي (خ) « ... القرى ، الآية » .

(١) البيضة ، من أدوات الحرب .

(٣) في (خ) « بني عبد المطلب » .

المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : يا رسول الله ، بل تقسمه للمهاجرين ، ويكونون في دورنا كما كانوا . ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وقسم ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خناس (ويقال خنساء) بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ، وأبو دجانة سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة الأنصاري . وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ، وكان سيفاً له ذكر . ووسّع ﷺ في الناس من أموال بني النضير ، وأنزل الله تعالى في بني النضير « سورة الحشر » .

وفي جمادى الأولى^(١) مات عبد الله بن عثمان عن رقية .

زواج رسول الله ﷺ بأم سلمة

وفي شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها .

غزوة بدر الموعد

ثم كانت غزوة بدر الموعد لئلا ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً . وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى : موعدٌ بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي فيه فنقتل . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه — وقد أمره رسول الله ﷺ — : نعم ، إن شاء الله .

سوق بدر الصفراء وكراهية أبي سفيان

الخروج إلى الموعد

وكانت بدر^(٢) الصفراء مجتمعاً للعرب في سوق يقام لئلا ذي القعدة إلى ثمان

(١) في (خ) « الأول » .

(٢) « وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى ، والثانية : كلها موضع واحد » (معجم البلدان) ج ١ ص ٣٥٨ .

منه ، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحب ألا يوافي رسول الله ﷺ الموعد ، وكان يُظهر أنه يريد الغزو في جمع كثيف ، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع ويسير في العرب ، فتأهب المسلمون له .

رسالة أبي سفيان نعيم بن مسعود لتخذيل المسلمين

وقدم^(١) نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فأخبر أبا سفيان^(٢) وقریشاً بتهيؤ المسلمين لحربهم . وكان عاماً^(٣) جذباً ، أعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين ، واعتل بجذب الأرض . وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو ، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده وحمله على بعير . فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى رعب^(٤) المسلمين ، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم تبق لهم نية في الخروج . واستبشر المنافقون واليهود وقالوا : محمد لا يغلب ! — من هذا الجمع — فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشي ألا يخرج معه أحد . وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما — وقد سمعا ما سمعا — وقالوا : يا رسول الله ، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، وقد وعدنا القوم موعداً ، ولا نحب أن نتخلف فيرون أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن في ذلك لخيبة . فسُر رسول الله ﷺ . ثم قال : والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد . فبصر الله المسلمين وأذهب ما كان رعبهم الشيطان ، وخرجوا بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحاً كثيراً .

خروج المسلمين إلى بدر

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار في ألف وخمسمائة ، فيهم عشرة أفراس ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة ، وقام السوق صبيحة الحلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة . وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجعوا من مجنة^(٥) ، [وذلك أن أبا سفيان بدا له الرجوع فقال : يا معشر قريش ، ارجعوا

(٢) في (خ) « أخبر أبا سفيان » مكررة .

(١) في (خ) « وقد » .

(٤) رعب : خوف .

(٣) في (خ) « عامة » .

(٥) مجنة : موضع على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران واسم سوق للعرب (معجم البلدان) ج ٥ ص ٥٨ .

فإنه لا يصلحنا إلا عام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامٌ جذب ، فأني راجع فارجعوا . فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة : « جيش السوق » . يقولون : إنما خرجتم تشربون السوق [^(١)] .

خبر مجدي بن عمرو ، وبني ضمرة

وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة [— ويقال : مخشي بن عمرو —] والناس مجتمعون في سوقهم ، والمسلمون أكثر ذلك الموسم فقال : يا محمد لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم ! . فقال رسول الله ﷺ : ما أخرجنا إلا موعداً أبي سفيان وقتال عدونا ، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم ^(٢) قبل أن نبرح منزلنا هذا . فقال الضمري : بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك .

معبد الخزاعي ينذر أهل مكة

وانطلق ^(٣) معبد بن أبي معبد الخزاعي سريعا — بعد انقضاء الموسم ^(٤) — إلى مكة ، وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم وأنهم ألفان ، وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ للضمري . فأخذوا في الكيد والنفقة لقتال ^(٥) رسول الله ﷺ ، واستجلبوا من حولهم من العرب وجمعوا الأموال ، وضربوا البعث على أهل مكة فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال ، ولم يقبل من أحد أقل من أوقية لغزو الخندق . وأُنزل الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(٦) يعني نعيم بن مسعود .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فكانت غيبته عنها ست عشرة ليلة . وذكر

(١) هذه زيادة من (المغازي) ج ١ ص ٣٨٨ ومن (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٣ وغيرهما من كتب السيرة ، وفي (خ) بعد قوله « مجنة » ، ويقال مخشي بأنه عام جذب وقام مجدي بن عمرو من بني ضمرة والناس مجتمعون .

(٢) في (خ) « جالدناكم » والمجالد : المضاربة بالسيف .

(٣) في (خ) « فانطلق » وهذه أجود .

(٤) في (خ) « فأخذوا للكيد والنفقة للقتال ... » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ١ ص ٣٨٩ .

(٥) آية ١١٣ / آل عمران ، وفي (خ) إلى قوله « فَاخْشَوْهُمْ » .

أبو محمد بن حزم أن بدر الموعد بعد ذات الرقاع^(١) .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع

اليهودي ، وسبب ذلك

ثم كانت سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق حتى قتل سحر ليلة الاثنين لأربع خلون من ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً ، وقيل : كان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث . وكان سبب ذلك أن أبا رافع كان قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله ﷺ — فإنه كانت له رياسة قريظة بعد يوم بعث^(٢) — فبعث ﷺ عبد الله ابن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن زيد بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري^(٣) — وكانت أمه بختير يهودية أَرْضَعَتْهُ — وبعث معه أربعة هم : عبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، والأسود بن الخزاعي ، ومسعود بن سنان ، وأمرهم بقتله ، ونهى عن قتل النساء والولدان ، فأتوها إلى خير ونزلوا على أم عبد الله [ابن عتيك]^(٤) ليلاً — وقد تلقتهم بتمر وخبز — فكمنا^(٥) حتى هدأت الرجل ، واستفتحوا على أبي رافع . فقالت امرأته : ما شأنكم ؟ فقال لها عبد الله بن عتيك — وكان يرطن باليهودية — : جئت أبا رافع بهدية . ففتحت له فدخل بمن معه — وأبو رافع نائم — فعلوه بأسيا فهم وقد صاحت المرأة ، واتكأ عبد الله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلغ الفراش ، وهلك . فنزلوا ، ونسي أبو قتادة الأنصاري قوسه فرجع فأخذها ، [فوقع من الدرجة]^(٦) فانكفت رجله فاحتملوه . وقام الصائح وأتت يهود ، فخرج منهم أبو

(١) وكذلك أوردها (ابن هشام) بعد ذات الرقاع وأيضاً (الطبري) في التاريخ و (ابن الأثير) في الكامل و (ابن كثير) في البداية والنهاية .
(٢) في (خ) « بعث » .

(٣) هذا نسبه إلى الأوس ، ولا شك أنه من الخزرج ، يقول (ابن عبد البر) في (الاستيعاب) ج ٦ ص ٢٩٧ : « لأن الرهط الذي قتلوا ابن أبي الحقيق خزرجيون ، والذين قتلوا كعب بن الأشرف أوسيون ، كذا قال ابن اسحق وغيره ، ولم يختلفوا في ذلك » .

(٤) زيادة للإيضاح .
(٥) في (خ) « فأكمنوا » .

(٦) زيادة للبيان : وقد اختلف فيمن وقع من الدرجة ، يقول (ابن هشام) ج ٣ ص ١٠٢ . « وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة ... إلخ » .

ذئيب^(١) الحارث في آثار القوم ومعه جمع ، فنجاهم الله منهم . وقد كمنوا يومين حتى سكن الطلب ، ثم أقبلوا إلى المدينة ورسول الله ﷺ على المنبر ، فقال : أفلحت الوجوه ! فقالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ! قال : أقتلتموه ؟ قالوا : نعم ، كلنا يدعي قتله . وأروه أسيافهم فقال : هذا قتله ، هذا أثر الطعام في سيف عبد الله ابن أنيس . فكانت غيبتهم عشرة أيام . ويقال : كانت هذه السرية في رمضان سنة ست^(٢) .

تعليم زيد بن ثابت كتابة اليهود

وفي هذه السنة الرابعة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لؤذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك النجار الأنصاري رضي الله عنه أن يتعلم كتاب يهود ، وقال : لا آمن أن يبدلوا كتابي . وولد الحسين بن علي رضي الله عنهما — في قول بعضهم — لليل خلون من شعبان .

غزوة ذات الرقاع

ثم كانت غزوة ذات الرقاع : وسميت بذلك لأنها كانت عند جبل فيه بُقَع حمراء وبيضاء وسوداً كأنها رقاع ، وقيل : سميت بذلك لأنها رقعوا راياتهم ، ويقال أيضاً : ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع . وأصح الأقوال ما رواه البخاري من طريق أبي موسى قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة^(٤) — ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه — فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، وكنا^(٥) نُلَفُّ على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لِمَا كنا

(١) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ١ ص ٣٩٣ ، « الحارث أبو زينب » . وهو الصواب .

(٢) ذكر المؤلف سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ، وجعلها في ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً — أي في السنة الرابعة من الهجرة — وهذا التاريخ من رواية موسى بن عقبة . ومقتل سلام بن أبي الحقيق كان بعد غزوة الأحزاب ، وغزوة الأحزاب عند موسى بن عقبة ، وعند ابن حزم كانت سنة أربع ، فهذا تاريخ صحيح عند ابن عقبة يجعل الغزوة والسرية في سنة أربع على الترتيب ، ولكن المقرئ أخذ تاريخ السرية من موسى بن عقبة وصححه واعتمده فجعله في سنة أربع ، ثم جعل غزوة الأحزاب في سنة خمس ، ولا أدري لم فصل هذا الفصل بينهما وصحح واحدة — وهي السرية — من تاريخ موسى بن عقبة ، ورد الغزاة إلى سنة خمس من رواية غيره ؟ .

(٣) في (خ) « مع رسول الله » ، وما أثبتناه من رواية البخاري ج ٣ ص ٣٥ . (٤) في (خ) « غزوة » .

(٥) في (خ) « فكنا » .

نعصب من الخرق على أرجلنا^(١) .

ما فيها من دلائل النبوة

وفي هذه الغزاة ظهر من أعلام النبوة : ظهور بركة الرسول ﷺ في أكل أصحابه من ثلاث بيضات حتى شبعوا ولم تنقص ، وسبق جمل جابر بعد تخلفه ، وبُراء الصبي مما كان به ، وقصة الأشاءتين^(٢) ، وقصة غُورث [بن الحارث]^(٣) وقصة الجمل لما برك يشكو .

الخروج إلى الغزوة

وخرج رسول الله ﷺ ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً ، وقدم صرار^(٤) يوم الأحد لخمس بقين منه ، وغاب خمس عشرة ليلة . وسببها أن [قادماً — قدم يجلب له]^(٥) من نجد إلى المدينة — أخبر أن بني أتمر بن بغيض ، وبني سعد بن ثعلبة بن زبيان بن بغيض ، قد جمعوا لحرب المسلمين ، فخرج ﷺ في أربعمائة ، وقيل : في سبعمائة ، وقيل : ثمانمائة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبث السرايا في طريقه فلم يروا أحداً ، ثم قدم محالهم وقد ذهبوا إلى رؤوس الجبال وأطلوا على المسلمين ، فخاف الفريقان بعضهم من بعض .

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، فكان أوّل ما صلاها يومئذٍ ، وقد خاف أن يغيروا عليه وهم في الصلاة ، فاستقبل القبلة وطائفة خلفه وطائفة مواجهة للعدو ، فصلّى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدين ثم ثبت قائماً فصلوا خلفه ركعتين وسجدين ثم سلموا ، وجاءت الطائفة الأخرى فصلّى بهم ركعة وسجدين ،

(١) وتتمه رواية البخاري : « وحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، قال : ما كنتُ أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه .

(٢) في (خ) « الأشأتين » وأشاء النخل : صفاره ، أو عامته ، أشاءة (ترتيب القاموس) ج ١ ص ١٥١ .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٥) في (خ) « قدماً قادماً يجلب » ، والجلب : ما يُجلب لبيع .

والطائفة الأولى مقبلة على العدو ، فلما صلى بهم ركعة ثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم ركعة وسجدين ثم سلم . هكذا ذكر ابن إسحاق والواقدي وغيرهما من أهل السير ، وهو مُشكل .

تحقيق القول في صلاة الخوف متى كانت

فإنه قد جاء في رواية الشافعي وأحمد والنسائي عن أبي سعيد : أن رسول الله ﷺ حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهم جمعاً ، وذلك قبل نزول صلاة الخوف . قالوا : وإنما نزلت صلاة الخوف بعُسفان ، كما رواه أبو عيَّاش الزُّرقي قال : كنا مع النبي ﷺ بعُسفان فصلى بنا الظهر ، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد ، فقالوا : لقد أصبنا منهم غفلة ، ثم قالوا : إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم . فنزلت — يعني صلاة الخوف — بين الظهر والعصر ، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين ، وذكر الحديث . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي^(١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ نازلاً بين ضُجَّنان^(٢) وعُسفان مُحاصِر المشركين ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هي أهم إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، أجمعوا أمرهم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة . فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين ، وذكر الحديث . رواه النسائي^(٣) والترمذي^(٤) وقال : حسن صحيح . وقد عُلِمَ بلا خلاف أن غزوة عُسفان كانت بعد الخندق فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها بل بعد خيبر . ويؤيد هذا أن أبا موسى الأشعري وأبا هريرة رضي الله عنهما شهداها : أما أبو موسى الأشعري فإنه قدم بعد خيبر ، وقد جاء في الصحيحين عنه : أنه شهد غزوة ذات الرقاع ، وأنهم كانوا يَلْقَوْنَ على أرجلهم الخرق لما نقت ، فسميت بذلك ، وأما أبو هريرة ، فعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة : هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال : عام غزوة

(١) (مسند الإمام أحمد) ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠ . (أبو داود) ج ٢ ص ٢٨ حديث رقم ١٢٣٦ .

(٢) (عون المعبود) ج ٤ ص ١٠٤ حديث رقم ١٢٢٤ . (سنن النسائي) ج ٣ ص ١٦٧ .

(٣) ضُجَّنان : « جليل على بريد من مكة ... » ، وقال الواقدي : ضُجَّنان ومكة خمسة وعشرون ميلاً .

(٤) (معجم البلدان) ج ٣ ص ٤٥٣ وفي (خ) « صحنان » .

وعُسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٢٢ .

(٣) (سنن الترمذي) ج ٢ ص ٣٩ باب ٣٩٣ حديث رقم ٥٦١ .

نجيد ، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف . أخرجه^(١) الإمام أحمد وأبو داود والنسائي . وإنما جاء أبو هريرة مسلماً أيام خيبر .

وكذلك قال عبد الله بن عمر ، قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فذكر صلاة الخوف . وإجازة^(٢) عبد الله في القتال كانت عام الخندق . وقد قال البخاري : إن ذات الرقاع بعد خيبر ، واستشهد بقصة^(٣) أبي موسى وإسلام أبي هريرة .

وقال ابن إسحق : إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين ، وقد قال بعض من أرخ : إن غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة ، فواحدة كانت قبل الخندق ، وأخرى بعدها .

وقد قيل : إن قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله ﷺ كانت في غزوة ذات الرقاع . وفي ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك .
وبعث ﷺ جعال بن سراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين .

خبر الريثة : عباد بن بشر وعمار بن ياسر

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة منهن جارية وضيفة كان زوجها يحبها ، فلما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة حلف زوجها ليطلبن محمداً ، ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمداً ، أو يهريق فيهم دماً ، أو يتخلص صاحبتة .
فبينما رسول الله ﷺ في مسيرة في عشية ذات ربح فنزل في شعب فقال : من رجل يكلأنا^(٤) الليلة ؟ فقام عمار بن ياسر وعباد بن بشر فقالا : نحن يا رسول الله نكلأك : وجعلت الريح لا تسكن ، وجلسا على فم الشعب . فقال أحدهما لصاحبه : أي الليل^(٥) أحب إليك [أن أكفيكه ، أوله أم آخره]^(٦) ؟ قال : [بل]^(٧) اكفني

(١) في (خ) « أرجه » . (٢) في (خ) « وإجازة » . (٣) في (خ) « بقضية » .

(٤) يكلأنا : يرعانا ، وفي التنزيل : ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٩٣ .

(٥) في (خ) « الليلة » . (٦) ما بين الأقواس لفظ مضطرب في (خ) والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٢ ونحوه مع اختلاف يسير في (الواقدي) ج ١ ص ٣٩٧ . (٧) زيادة للسباق .

أوله . فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي ، وأقبل عدو الله يطلب غيرة وقد سكنت الريح . فلما رأى سواده من قريب قال : يعلم الله إن هذا لربيعة القوم : ففوّق له سهماً فوضعه فيه ، فانتزعه [فوضعه ^(١)] ، ثم رماه بآخر فوضعه فيه ، فانتزعه فوضعه ، ثم رماه الثالث فوضعه فيه . فلما غلبه الدم ركع وسجد ، ثم قال لصاحبه : اجلس فقد أتيت : فجلس عمار ، فلما رأى الأعرابي أن عماراً قد قام علم أنهم قد نذروا به . فقال عمار : أي أخي ؟ ما منعك أن توقظني في أول سهم رمى به ؟ قال : كنت في سورة أقرأها — وهي سورة الكهف — فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها . ولولا إني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي . ويقال : بل هو عُمارة بن حزم ، وأثبتهما عباد بن بشر .

خبر فرخ الطائر

وجاء رجل بفرخ طائر ، فأقبل أبواه ، أو أحدهما حتى طرح نفسه في يد الذي أخذ فرخه ، فعجب الناس من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ! والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه .

خبر صاحب الثوب الخلق

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً وعليه ثوب مُنخرق فقال : أما له غير هذا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، إن له ثوبين جديدين في العيبة ^(٢) ، فقال له : خذ ثوبيك . فأخذ ثوبيه فلبسهما ثم أدبر فقال ﷺ : أليس هذا أحسن ؟ ما له ضرب الله عنقه ! فسمع ذلك الرجل ، فقال : في سبيل الله يا رسول الله ! فقال ﷺ : في سبيل الله . فضربت عنقه بعد ذلك في سبيل الله .

(١) زيادة للسياق .

(٢) العيبة : وعاء من خوص ونحوه . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٩ .

خبر البيضات

وجاءه غلبة^(١) بن زيد الحارثي بثلاث بيضات وجدها في مِفْحَص^(٢) نعام ، فأمر جابر بن عبد الله بعملها ، فوثب فعملها وأتى بها في قصعة ، فأكل ﷺ وأصحابه منه بغير خبز ، والبيض في القصعة كما هو ، وقد أكل منه عامتهم .
خبر غورث

وقيل : إن حديث غورث بن الحارث كان في هذه الغزاة^(٣) ، وقيل : كان في غزوة ذات الرقاع التي بعد الخندق — لما أخرجنا في الصحيحين^(٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، قال : كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، قال : فجاء رجل من المشركين — وسيف رسول الله ﷺ مُعلقٌ بشجرة — فأخذ سيف نبي الله ﷺ^(٥) فاخترطه^(٦) ، فقال لرسول الله ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك^(٧) ! قال : فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلقه . قال : فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان . واللفظ لمسلم .

تحريم الخمر

قال البلاذري : وفي سنة أربع من الهجرة حُرِّمت الخمر .

غزوة دومة الجندل

ثم كانت غزوة دُومة الجندل . خرج إليها رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين

(١) في (خ) « غلبة » والتصويب من (الواقدي) ج ١ ص ٣١٩ .

(٢) المفحص : ما تفحصه النعام والقطا من الأرض لتتخذ منه مجئاً للبيض والفرخ .

(٣) في (خ) « وقيل كان في هذه الغزوة » مكررة .

(٤) صحيح البخاري : ج ٣ ص ٣٦ ، صحيح مسلم : ج ٦ ص ١٢٩ .

(٥) في (خ) « فأخذ السيف » وهذا نص مسلم .

(٦) اخترط السيف : استله (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٣٩ .

(٧) في (خ) « قال الله » نص مسلم .

من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً في ألف من المسلمين ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري .

سبب غزوة دومة الجندل

وسببها أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو إلى أدنى الشام ، وقيل له : إنها طرف من أفواه الشام فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً من [الضافطة]^(١) ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، ويريدون أن يدنوا^(٢) من المدينة . فندب الناس وسار مغيذاً^(٣) للسير ، ونكّب عن طريقهم ، فكان يسير الليل^(٤) ويكمن النهار ، ومعه دليل من بني عذرة يقال له : مذكور . فلما كان بينه وبين دومة الجندل يوم أو ليلة ، هجم على ماشيتهم [ورعاتهم فأصاب منها ما أصاب]^(٥) ، وفرّ باقيهم ، فنفق أهل دومة لما بلغهم الخبر ، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً ، فأقام أياماً وبث سراياه ، فعادت بإيل ولم يلق أحداً ، وعاد إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر . ووادع في طريقه عيينة بن حصن الفزاري .

زواجه بأم سلمة ثم بزینب بنت جحش ونزول آية الحجاب

وفي ليالٍ بقين من شوال تزوج أم سلمة ، وقيل : تزوجها سنة اثنين بعد بدر ، وقيل : قبل بدر .

وفي ذي القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش . وقيل : تزوجها سنة ثلاث ، ويقال : سنة خمس ، وقيل : تزوجها سنة ثلاث مع زينب أم المساكين . ونزلت آية الحجاب . وفي هذه السنة أمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود ، وفيها رَجِم اليهودي واليهودية ، وفي جمادى الآخرة تحسف القمور وصلى صلاة الخسوف . وزلزلت^(٦) المدينة . وسابق بين الخيل ، وقيل : في سنة ست ،

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ ، والضافطة من الناس ، من يجلب الميرة والمتاع إلى المدن .

(٢) في (خ) « يدلو » . (٣) في (خ) « مفدا » . (٤) في (خ) « بالليل » .

(٥) في (خ) مكان ما بين القوسين « فأصاب منها » والتتمة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) في (خ) « زلزل » .

وجعل بينها سباً ومحلاً .

غزوة المريسيع « بني المصطلق »

ثم كانت غزوة المريسيع ، ويقال : غزوة بني المصطلق وهم بنو جذيمة بن كعب ابن خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق . والمريسيع ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو من يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد^(١) . وكانت في سنة ست من الهجرة ، وقيل : سنة خمس . خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين ليلتين خلتا من شعبان ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وقال ابن هشام : استعمل أبا ذر ، ويقال : نميلة بن عبد الله الليثي ، [ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر رضي الله عنه]^(٢) ، وقيل : إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد .

سبها

وسبها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب [بن الحارث بن عائد^(٣)] بن مالك بن جذيمة [بن سعد]^(٤) بن كعب بن خزاعة سيد بني المصطلق ، جمع لحرب رسول الله ﷺ من قومه ومن العرب [جمعاً]^(٥) كبيراً ، فتهاجروا^(٦) ليسيروا إليه ، وكانوا ينزلون ناحية الفرع ، فبلغ خبرهم رسول الله ﷺ فبعث بُرَيْدَةَ بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم ابن مازن بن الحارث بن سلامان بن سلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي — يعلم علم ذلك ، فأثاه بخبرهم . فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، فأسرعوا الخروج ، وقادوا ثلاثين فرساً منها : عشرة للمهاجرين ، وعشرون للأنصار ، ولرسول الله ﷺ فرسان هما : لَزَازٌ والظَّرِب . وخرج كثير من المنافقين ليصيبوا من غرض الدنيا ولقرب السفر عليهم .

(١) بُرْدُ : جمع يريد ، والبريد ، فرسخان أو اثنا عشر ميلاً (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٢٤٤ . والميل أربعة

الآف ذراع ، والفرسخ : ثلاثة أميال (تقويم البلدان) ص ١٥ .

(٢) ما بين القوسين مكرر في (خ) . (٣) زيادة من النسب . (٤) زيادة للسباق .

(٥) في (خ) « فتهاجروا » .

إسلام رجل من عبد القيس

فلقي ﷺ في طريقه رجلاً في طريقه من عبد القيس فأسلم ، وسأل : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال له النبي ﷺ : الصلاة في أول وقتها . فكان بعد ذلك لا يؤخر الصلاة إلى الوقت الآخر .

فأصاب عيناً من المشركين فضرب عنقه بعد أن عرض عليه الإسلام فأبى .

الانتها إلى المريسيع ولقاء العدو

وانتهى ﷺ إلى المريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل] وقد بلغ القوم مسير رسول الله ﷺ وقتله عندهم ، ففرق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء^(١) العرب ، وضرب له ﷺ قبة من آدم ، وكان معه من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فصاف أصحابه وقد تهيأ الحارث للحرب ، ونادى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في الناس : قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا ورموا بالنبل ، فرمى المسلمون ساعة بالنبل ثم حملوا على المشركين حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ، وقتل منهم عشرة وأسير سائرهم ، وسُبيَت النساء والذرية ، وغنمت الإبل والشاء ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد يقال له : هشام بن صُبابَة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو^(٢) ، فقتله خطأ .

شعار المسلمين

وكان شعارهم : يا منصورُ أمِثْ أمِثْ . وقيل : بل أغار عليهم ﷺ وهم غارُون ونعمهم تسقي على الماء . والحديث الأول أثبت .

وكان من خير الرجل الذي قتل : أنه خرج هشام بن صُبابَة في طلب العدو ، فرجع في ريح شديدة فوجد رجلاً [من رهط عبادة بن الصامت يقال له أوس] فقتله وهو يظنه مشركاً ، فأمر رسول الله ﷺ أن تُخرج ديته ، [ويقال : قتله رجل من بني عمرو بن عوف] فقدم أخوه مقيس بن صبابَة من مكة مسلماً فيما يُظهر يطلب دية أخيه ، فأمر له النبي ﷺ بالذِّية فقبضها ، ثم عدا على قاتل أخيه

(١) أخلاط من قبائل مختلفة . (٢) في (خ) « العدو » .

فقتله ، ثم ارتدّ ولحق بقريش وقال شعراً ، فأهدر ﷺ دمه ، حتى قتله نيلة [ابن عبد الله الليثي]^(١) يوم الفتح .

الأسرى والغنائم

وأمر ﷺ بالأسرى فكتّفوا ، واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب ، وأمر بما وجد في رحالهم من متاع وسلاح فجمع ، وسيقت النعم والشاء ، واستعمل عليها شقران : موله . واستعمل على المقسم — مقسم الخمس وسهمان المسلمين — محمية ابن جزء^(٢) بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زيد الأصغر الزبيدي ، فأخرج رسول الله ﷺ الخمس من جميع المغنم فكان يليه محمية بن جزء^(٣) ، وكان يجمع إليه الأخماس . وكانت الصدقات على حدّتها ، أهل الفيء بمعزل عن الصدقة ، [وأهل الصدقة]^(٤) بمعزل عن الفيء . فكان يعطي من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف ، فإذا احتلم اليتيم نُقل إلى الفيء وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد ، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً ، وخلى بينه وبين أن يكتسب لنفسه . وكان رسول الله ﷺ لا يمنع سائلاً : فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال^(٥) : إن شئتما أعطيتكما منه ، ولا حظّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب .

قسمة الغنائم

وفُرق السبي فصار في أيدي الرجال ، وقَسَمَ المتاع والنعم والشاء ، وعُدلت الجزور بعشر من الغنم ، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد ، وأسهم للفرس سهمان ولصاحبه سهماً ، وللراجل سهماً ، وكانت الإبل ألفي بعير وخمسة آلاف شاة ، وكان السبي مائتي أهل بيت .

خبر جويرية بنت الحارث وزواج رسول الله

بها ، وبركتها على أهلها

وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس

(١) زيادة البيان . (٢) في (خ) « جز » .

(٣) في (خ) « بمعزل عن الصدقة بمعزل عن الفيء » . (٤) في (خ) « وقال » .

أو ابن له ، فكاتبها على تسع أواق من ذهب ، فبينما النبي ﷺ على الماء إذ دخلت عليه تسأله في كتابتها وقالت : يا رسول الله ، إني امرأة مسلمة وتشهدت وانتسبت ، وأخبرته بما جرى لها واستعانتها في كتابتها ، فقال : أو خير من ذلك ، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ! قالت : نعم . فطلبها من ثابت فقال : هي لك يا رسول الله . فأدى ما عليها وأعتقها وتزوجها ، وخرج الخير إلى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم ، فقالوا : أصهار النبي ! فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي . وكانت جويرية رضي الله عنها عظيمة البركة على قومها .

فداء أسرى بني المصطلق

ويقال : إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق ، ويقال : جعل صداقها عتق أربعين من قومها ، وقيل : كان السبي : منهم من من عليه رسول الله ﷺ بغير فداء ، ومنهم من افتدى ، وذلك بعد ما صار السبي في أيدي الرجال ، فافتديت المرأة والذرية بست فرائض ، وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم ، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها ، قال الواقدي : وهذا الثبت . وقيل : إن الحارث افتدى ابنته جويرية من ثابت بن قيس بما افتدى به امرأة من السبي ثم خطبها النبي ﷺ إلى أبيها فأنكحها : وكان اسمها برة ، فسمها^(١) جويرية^(٢) . قال الواقدي : وأثبت هذا عندنا حديث عائشة أن النبي ﷺ قضى عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها .

خبر العزل

وسئل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة عن العزل فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ؟ ما من نَسمة كائنة يوم القيامة إلا وهي كائنة . فقال رجل من اليهود لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقد خرج تجارية يبيعها في السوق : لعلك تريد يبيعها وفي بطنها منك سَخلة^(٣) ؟ فقال : كلا ، إني كنت أعزل عنها . فقال : تلك الموعدة الصغري ! فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك قال : كذبت يهود .

(٢) في (خ) « جويرة » .

(١) في (خ) « فسمها » .

(٣) السخلة : وليدة الغنم ، والمراد هنا كناية عن الحمل .

خبر جهجاه و سنان على الماء

وبينا المسلمون على ماء المريسيع إذ أقبل سنان بن وبر الجهني — وقيل : هو سنان بن ثيم الله ، وهو من جهينة بن سود بن أسلم — حليف الأنصار — ومعه فتیان من بني سالم يستقون . [وعلى ^(١) الماء جمع من المهاجرين والأنصار . فأدلى دلوه ، وأدلى جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام الغفاري — أجير عمر بن الخطاب رضي الله عنه — دلوه .

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا ، فضرب جهجاه سناناً فسال الدم ، فنادى : يا للخزرج ! وثارت الرجال ، فهرب جهجاه وجعل ينادى في العسكر : يا لقريش ! يا لكنانة ! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة ، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه .

تحريض عبد الله بن أبيي وما كان من مقاتله في ذلك

وكان عبد الله بن أبيي جالساً في عشرة من المنافقين فغضب وقال : والله ما رأيت كالיום مذلة ! والله إن كنت لكارهاً لوجهي هذا ، ولكن قد غلبوني . قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا ، وأنكروا منتنا ، والله ما صرنا وجلايب ^(٢) قريش هذه إلا كما قال القائل : « سَمْنٌ كُلُّكَ يَا كُلُّكَ » ، والله لقد ظننت أنني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر لا يكون لذلك مني غير ^(٣) ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرُ منها الأذل . ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، ونزلوا منازلكم ، وآسيتموهم ^(٤) في أموالكم حتى استغنوا . أما والله لو أمسكتهم [عنهم ما ^(٥) بأيديكم لتحولوا ^(٦) إلى غير بلادكم ، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم

(١) زيادة للسياق .

(٢) كان يخلو للمنافقين تسمية المهاجرين بجلابيب كناية عن فقرهم .

(٣) في (خ) « لا يكون ذلك متى غير » ، يريد لا يكون متى لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص .

(٤) من المساواة . (٥) زيادة للبيان . (٦) في (خ) « لعلوا » .

أنفسكم — أغراضاً^(١) للمنايا فقتلتم دونهم^(٢) ، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا .

إبلاغ زيد بن أرقم رسول الله مقالة عبد الله بن أبي

وكان زيد بن أرقم حاضراً — وهو غلام لم يبلغ أو قد بلغ — فحدث رسول الله ﷺ بذلك ، وعنده نفر من المهاجرين والأنصار ، فتغير وجهه ثم قال : يا غلام ، لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه . قال : لعله أخطأ سمعك ! قال : لا يا نبي الله . قال : فلعله شبه عليك ؟ قال : لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله . وشاع في العسكر ما قاله ابن أبي ، حتى ما كان للناس حديث إلا هو . وأتب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم ، فقال — في جملة كلام — : وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه ، حتى تعلموا أنني كاذب أم غيري . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! مر عباد بن بشر فليأتك برأسه . فكره ذلك وقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . وبلغ الخبر ابن أبي ، فحلف بالله ما قال من ذلك شيئاً ، ثم مشى^(٣) إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ما قال .

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين

وأسرع رسول الله ﷺ عند ذلك السير ، ورحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها . فأقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهو في فيء شجرة عنده غليم أسيود يغمز ظهره^(٤) فقال : يا رسول الله ! كأنك تشتكي ظهرك ! فقال : تقحمت بي الناقة^(٥) الليلة . فقال عمر : يا رسول الله ، إيدن لي أن أضرب عنق ابن أبي في مقالته . فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً قتل أصحابه .

طلوع رسول الله على العسكر ومقالة سعد بن عباد

ويقال : لم يشعر أهل العسكر إلا برسول الله ﷺ قد طلع على راحلته وكانوا في حر شديد ، وكان لا يروح حتى يُرد ، إلا أنه لما جاءه ابن أبي رحل في تلك

(١) في (خ) « أغراضاً » ، « دونه » .

(٢) الغمز باليد : النخس ، وبالعين والجفن والحاجب : الإشارة ، وبالرجل : السعي بالشر ، والغمازة : الجارية الحسنة الغمز للأعضاء (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤١٧ .

(٣) تقحمت الدابة براكبها : شردت به ، وربما طوّحت به في هذه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧١٧ .

الساعة ، فكان أوّل من لقيه سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ويقال : أسيد بن حُصَيْر . فقال : خرجت يا رسول الله في ساعة ما كنت تروح فيها ! قال : أو لم يبلغك ما قال صاحبكم ابن أبيّ ، زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل ؟ قال : فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت ، فهو الأذل وأنت الأعرز ، يا رسول الله ! ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ، ما بقيت عليهم إلا خريزة واحدة عند يوشع اليهودي لهتوجوه ، فما يرى إلا قد سلبته ملكه .

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

وبينا رسول الله ﷺ يسير من يومه ذلك — وزيد بن أرقم يعارضه براحلته يريد وجهه ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته فهو مغدّ في المسير — إذ نزل عليه الوحي فسُرّي^(١) عنه ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم حتى ارتفع عن مقعده عن راحلته وهو يقول : وفّت^(٢) أذنك يا غلام وصدّق الله حديثك ! ونزل في ابن أبيّ : ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾^(٣) وكان عبادة بن الصامت قبل ذلك قال لابن أبيّ : إيت رسول الله ﷺ يستغفر لك ، فلوى رأسه معرضاً ، فقال له عبادة : والله لينزلن في لئي رأسك قرآن يُصلى به . ومرّ عبادة بن الصامت بابن أبيّ — عشية راح رسول الله ﷺ من المريسيع ، وقد نزل فيه القرآن — فلم يُسلم عليه ، ثم مرّ أوس بن حوّلّي فلم يسلم عليه ، فقال : إن هذا الأمر قد تمالأما عليه . فرجعا إليه فأنبأه^(٤) وبكتاه بما صنع ، وبما نزل القرآن إكذاباً لحديثه . فقال : لا أعود أبداً .

حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي عن أبيه وخبره

وجاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ فقال : يا رسول الله ، إن كنت تريد أن تقتل^(٥) أبي فيما بلغك عنه فمُرني به ، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم

(١) سُرّي عنه : كُشف عنه .

(٢) وفّت أذنه : ظهر صدقه في أخباره عما سمع ، وأوفى الله بأذنه : أظهر صدقه في إخباره عما سمعت أذنه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ١٠٤٧ .

(٣) سورة المنافقون كلها .

(٤) في (خ) « فأنبأه » .

(٥) في (خ) « يقتل » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٤٢١ .

من مجلسك هذا . والله لقد علمت الخرج ما كان فيها^(١) رجل أبر بوالده^(٢) مني ، وإني لأخشى — يا رسول الله — أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار ، وعفوك أفضل ، ومثلك أعظم . فقال رسول الله ﷺ : ما أردت قتله ، وما أمرت به ، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا . فقال : يا رسول الله ! إن أبي كانت هذه البحيرة قد استقوا^(٣) عليه ليتوجوه ، فجاء الله بك فوضعه ورفعنا بك ، ومعه قوم يطيفون به^(٤) يذكرونه أموراً قد غلب الله عليها . وقال عبد الله في ذلك شعراً .

سير رسول الله

ولما خرجوا من المريسيع قبل الزوال لم يُنخ^(٥) أحد إلا لحاجة أو لصلاة ، ورسول الله ﷺ يستحث راحلته بالسوط في تراقبها^(٦) حتى أصبحوا ، ومثوا يومهم حتى انتصف النهار ، ثم راحوا مردين^(٧) ، فنزل من الغد ماء يقال له : بقعاء .

الريح التي أُنذرت بموت كهف المنافقين رفاعة بن التابوت

فأخذتهم ريح شديدة — اشتدت إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار — حتى أشفقوا منها ، وسألوا رسول الله ﷺ عنها ، وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم تهج هذه الريح إلا من حدث . فقال ﷺ : ليس عليكم بأس منها ، فما بالمدينة من نقب^(٨) إلا عليه ملك يحرسه ، وما كان ليدخلها

(١) في (خ) « ما كان فيها ما كان رجل » ، « بوالدي » .

(٢) البحيرة : تصغير بحرة وهي الأرض والبلدة ، استقوا : أجمعوا أمرهم .

(٣) أطافوا به : أحاطوا به .

(٤) في (خ) « مراقبها » والتراقي جمع ترقة ، وهو عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين ، وفي التنزيل ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لَهَا مِنْ رَاقٍ ﴾ ٢٦ ، ٢٧ / القيامة .

(٥) رد الفرس : رَدَّيَا ، وَرَدَّيَاتَا : رجم الأرض بحوافره ، في سوره وعفوه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٤٠ .

(٦) رد الفرس : رَدَّيَا ، وَرَدَّيَاتَا : رجم الأرض بحوافره ، في سوره وعفوه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٤٠ .

(٧) النقب : الطريق إلى الجبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٤٢١ .

عدو حتى تأتوها ، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة : فلذلك عصفت الريح . وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً ، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت^(١) [أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفياً للمنافقين]^(٢) ، مات ذلك اليوم . وكانت هذه الريح أيضاً بالمدينة حين دُفن عدو الله فسكنت .

جزع المنافقين لموته

وقال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبي : أبا حباب ! مات خليلك . قال : أي أخلائي ؟ قال : من موته فتح للإسلام وأهله ! رفاعة بن زيد^(١) بن التابوت ، قال : يا ويلاه ! كان والله وكان وكان ، وجعل يذكر . فقال له عبادة : اعتصمت والله بالذنب الأبر ! قال : من خبرك يا أبا الوليد بموته ؟ قال : رسول الله أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة ، فأسقط في يديه وانصرف كئيباً حزيناً . فلما دخلوا المدينة وجدوا عدو الله مات في تلك الساعة .

خبر ناقة رسول الله التي فقدت ، ومقالة المنافق

وفقدت ناقة رسول الله ﷺ — القصواء — من بين الإبل وهي سارحة ، فتطلبها المسلمون في كل وجه ، فقال زيد بن اللصيت [القينقاعي]^(٣) وكان منافقاً : أفلا يخبره الله بمكان ناقته ! فأنكر القوم ذلك عليه ، وأسمعوه كل مكروه ، وهموا به ، فهرب إلى رسول الله ﷺ متعوذاً به وقد جاءه الوحي بما قال ، فقال — والمنافق يسمع — : إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقال : ألا يخبره الله بمكانها ؟ فلعمري أن محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة ! ولا يعلم الغيب إلا الله ، وإن الله قد أخبرني بمكانها ، وأنها في هذا الشعب : مقابلكم ، قد تعلق زمامها بشجرة ، فاعمدوا عمدها . فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله ﷺ .

(١) في (خ) « زيد بن رفاعة بن التابوت » وهي رواية الواقدي ج ٢ ص ٤٢٣ ، وفي (الطبري) ج ٢ ص ٦٠٧ « رفاعة بن زيد بن التابوت » ، وفي (عيون الأثر) ج ٢ ص ٩٤ « رفاعة بن زيد بن التابوت » .

(٢) زيادة من نسبه ، وفي (خ) اللصيب .

حماية النقيع لخيّل المسلمين

ولما مرّ رسول الله ﷺ بالنقيع^(١) رأى سعة وكلاً وغدراً^(٢) كثيرة ، فأمر حاطب بن أبي بلتعة أن يحفر به بئراً ، وأمر بالنقيع أن يحمي ، واستعمل عليه بلال ابن الحارث المزني ، قال : وكم أحمي منه يا رسول الله ؟ قال : أقم رجلاً صيتاً — إذا طلع الفجر — على هذا الجبل فحيث انتهى صوته ، فاحمه لخيّل المسلمين وإبلهم التي يغزون عليها . قال : يا رسول الله ، أفرأيت ما كان من سوائم^(٣) المسلمين ؟ فقال : لا يدخلها . قال : أرايت المرأة والرجل الضعيف يكون له الماشية اليسيرة وهو يضعف عن التحول ؟ قال : دعه يرعى .

وسبق ﷺ يومئذ بين الخيل والإبل ، فسبقت القصواء الإبل وعليها بلال ، وسبق فرسه الظرب وعليه أبو أسيد الساعدي .

بدء حديث الإفك

وكان حديث الإفك^(٤) ، وذلك أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً ليس معه ماء ، وسقط عقد عائشة رضي الله عنها من عنقها ، فأقام ﷺ بالناس حتى أصبحوا ، وضجر^(٥) الناس وقالوا : حبستنا عائشة . فضاق بذلك أبو بكر رضي الله عنه وعاتب عائشة عتاباً شديداً .

نزول آية التيمم

ونزلت آية التيمم فقال رسول الله ﷺ : كان من قبلكم لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم ، وجعلت لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة . ونزلت آية التيمم عند طلوع الفجر ، فمسح المسلمون أيديهم بالأرض ، ثم مسحوا أيديهم إلى

(١) النقيع : من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه ، وه نقيع الخضضات (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٠١ .

(٢) غدر : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤٥ .

(٣) السوائم : جمع سائمة ، وهي الإبل الراعية .

(٤) الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والإفراء ، وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفاجأك ، وأصله الكذب بكونه إفكاً لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك (التفسير الكبير للفخر الرازي) ج ٢٣ ص ١٧٢ .

(٥) وضجى : (خ) (ضحي) .

المنالك ظهراً وبطناً . وكانوا يجمعون مع رسول الله ﷺ بين الصلاتين في سفره .

مسابقة رسول الله عائشة

ثم صاروا ونزلوا حوضاً دمثاً^(١) طيباً ذا أراك ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة ! هل لك في السباق ؟ قالت : نعم ! فتحرّمت ثيابها ، وفعل ذلك النبي ﷺ ، ثم استبقا ، فسبق ﷺ عائشة رضي الله عنها ، فقال : هذه بتلك السبقة التي كنتِ سبقتني . وكان جاء إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه ، ومع عائشة شيء فقال : هلميه ! فأبت وسعت ، وسعى في أثرها ، فسبقته .

خرج أبو داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، وعن أبي سلمة عن عائشة أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر : فسابقته فسبقته على رجلي ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني ، فقال : هذه بتلك السبقة^(٢) . وخرجه أبو حبان به ولفظه : سابقني النبي ﷺ فسبقته فلبشنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني النبي ﷺ فسبقني ، فقال : هذه بتلك . وكانت هذه الغزوة قبل أن يضرب الحجاب .

تخلف عائشة ومجيء صفوان وحديث الإفك

وكان يرحل بعير عائشة رضي الله عنها أبو مؤببة^(٣) ورجل آخر ، وكانت تقعد في هودج^(٤) ، فحمل الهودج وهو يظنها فيه — لحفة النساء يومئذ من قلة أكلهن — وساروا وقد ذهبت عائشة لحاجتها وتجاوزت العسكر ، وفي عنقها عقد من جزع ظفار^(٥) فانسل من عنقها ولا تدري به ، فرجعت تلتمسه حتى وجدته ، ثم عادت وليس في العسكر أحد ، فاضطجعت ونامت ، فجاء صفوان بن المعطل ابن ريضة^(٦) بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج^(٦) بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة

(١) دِمْتُ المكان وغيره : سَهْلٌ ولان (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) سنن أبي داود ج ٣ ص ٦٥ الحديث رقم ٢٥٧٨ .

(٣) في (خ) « مؤببة » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٢٧ « مؤببة » وما أثبتته من (ط) .

(٤) الهودج : مركب للنساء ، (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٤٣ .

(٥) ظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجذعُ الظفاري (أي الخرز) (معجم البلدان)

ج ٤ ص ٦٠ وفي (خ) « أظفار » .

(٦) في (خ) « فاتح » ، في (ط) « ريضة » . ونسبه في (الاستيعاب) ج ٥ ص ١٤٢ ترجمة رقم ١٢٢٣ : =

ابن سليم السلمي ثم الذكواني أبو عمرو — وكان في السَّاقَة^(١) — فاسترجع لما رآها ، فاستيقظت وخمرت^(٢) وجهها بملحفها . فلم يكلمها ، وأناخ بعيره وولى عنها حتى ركبت ، وقاد بها حتى أتى العسكر . فقال أصحاب الإفك — وكبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول — ما قالوا ، حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ فتغير لعائشة وهي لا تشعر ، حتى أعلمتها أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي ، وكانت أمها خالة أبي بكر رضي الله عنه . فأُتت أبويها لتستيقن الخبر ، فوجدت عندهما العلم بما قاله أهل الإفك . فبكت ليلتها حتى أصبحت .

استشارة رسول الله ﷺ أصحابه في فراق عائشة

واستشار رسول الله ﷺ علياً وأسامة في فراق عائشة . فقال أسامة : هذا الباطل والكذب ، ولا نعلم إلا خيراً . وقال علي : لم يضيّق الله عليك ، والنساء كثير ، وقد أحلّ الله لك وأطاب ، فطلقها وأنكح غيرها . وخلا ﷺ ببريرة وسأها فقالت : هي أطيب من طيب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلا خيراً ، والله يا رسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله بذلك ، ألا إنها جارية ترقد عن العجين حتى تأتي الشاة فتأكل عجيناها . وسأل زينب بنت جحش فقالت : حاشي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلها ، وإني لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق . وسأل أم أيمن فقالت : حاشي سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيراً .

خطبة النبي ﷺ في أمر الإفك

واختلاف الأوس والخزرج

ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من يعذرني ممن يؤذيني في أهلي ؟ ويقولون لرجل ، والله ما علمت على ذلك الرجل إلا خيراً ، وما كان يدخل بيتاً من بيوتي إلا معي ، ويقولون عليه غير الحق ! فقام سعد بن معاذ فقال : أنا أعذرك

= « صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزامي بن معارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سليم السلمي ثم الذكواني ، يكنى أبا عمرو » .

(١) السَّاقَة : مؤخرة الجيش (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٤٦٤ .

(٢) خمرت : غطت .

منه يا رسول الله ، إن يك من الأوس آتيك برأسه ، وإن يك من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك يمضي لك . فقام سعد بن عباد — وقد غضب منه — فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر^(١) على قتله . فقال أسيد بن حضير : كذبت ، والله ليقتلنه وأنفك راغم . وكادت تكون فتنة ، فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى الأوس والخزرج أن اسكتوا ، ونزل عن المنبر ، فهدأهم وخفضهم حتى انصرفوا .

دخول رسول الله ﷺ على عائشة وحديثهما

ودخل على عائشة — وقد مكث شهراً قبل ذلك لا يوحى إليه في شأنها — فتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغني كذا وكذا ، فإن كنت بريئة يبرئك الله ، وإن كنت ألمت بشيء مما يقول الناس فاستغفري الله عز وجل ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . فقالت لأبيها : أجب عني رسول الله . قال : والله ما أدري ما أقول وما أجيب به عنك ! فقالت لأُمها : أجيبني عني . فقالت : والله ما أدري ما أجيب به . فقالت : إني والله قد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع في أنفسكم فصدقتم به ! فلكن قلت لكم إني بريئة^(٢) لا تصدقوني ، ولكن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أنه منه بريئة لتصدقنني ، وإني والله ما أجد لي مثلاً إلا أبا يوسف إذ يقول : ﴿ فصر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾^(٣) ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر ، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد^(٤) الله ، فيقال لنا في الإسلام ! وأقبل عليها مغضباً فبكت .

نزول القرآن ببراءة عائشة

فغشي رسول الله ﷺ ما كان يغشاه وسجى^(٥) بثوبه ، وجمعت وسادة من آدم تحت رأسه ، ثم كشف عن وجهه وهو يضحك ويمسح جبينه وقال : يا عائشة ، إن الله قد أنزل براءتك . فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي

(٣) آية ١٨ / يوسف .

(٥) سَجَّى : غَطَّى .

(٢) في (خ) « بريئة » .

(١) في (خ) « يقتله ولا يقدر » .

(٤) في (خ) « لا يعبد » .

تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴿^(١)﴾ فخرج ﷺ إلى الناس مسروراً ، فصعد المنبر وتلا على الناس ما نزل عليه في براءة عائشة رضي الله عنها. ويقال : كان نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة .

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضوا في الإفك مع ابن أبي : مسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش . فضربهم رسول الله ﷺ الحد . قال الواقدي : وقيل : لم يضربهم ^(٢) ، وهو أثبت .

إصلاح رسول الله ﷺ بين الأوس والخزرج

ومكث رسول الله ﷺ أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عباد ومن معه ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعد بن عباد طعاماً فأصابوا منه وانصرفوا . فمكث أياماً ، ثم أخذ بيد سعد بن عباد ونفر معه ، فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن معاذ ، فتحدثوا ساعة ، وقرب لهم سعد بن معاذ طعاماً ، فأصابوا [منه] ^(٣) ، ثم خرجوا ، فذهب من أنفسهم ما كانوا يتقاولا من ذلك القول .

(١) آية ١٦ / النور وفي (خ) إلى قوله : « عصبه منكم » .

(٢) « قال الماوردي وغيره : اختلفوا هل حد النبي ﷺ أصحاب الإفك ، على قولين : أحدهما أنه لم يحد أحداً من أصحاب الإفك لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة ، ولم يتعمده الله أن يقيمها بإخباره عنها ، كما لم يتعمده بقتل المنافقين ، وقد أخبره بكفرهم » .

« قلت : وهذا فاسد مخالف لنص القرآن ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ أي على صدق قولهم ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ .

« والقول الثاني : أن النبي ﷺ حد أهل الإفك : عبد الله بن أبي ومسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ، وفي ذلك قال شاعر من المسلمين :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنة إذ قالوا هجيراً ومنطج

وابن سلول ذاق في الحد خزيه كما خاض في إفك من القول يُفصح

« قلت : المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حد حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع

بحد عبد الله بن أبي » راجع (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ص ٤٥٩٢ .

(٣) زيادة للسياق .

مقالة عبد الله بن أبي في جعيل بن سراقه

وكان عبد الله بن أبي بن سلول [وسلول أمه ، وإنما هو أبي بن مالك بن الحارث ابن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عمرو بن الخزرج] لما قال — وذكر جعيل ابن سراقه الغفاري . ويقال : الضمري ، وجهجاه بن مسعود ، ويقال : ابن سعيد ابن حرام بن غفار الغفاري ، وكانا من فقراء المهاجرين — قال : ومثل هذين يكثران على قومي ، وقد أنزلنا محمداً في ذروة كنانة وعزها ؟ والله لقد كان جعيل يرضى أن يسكت فلا يتكلم ، فصار اليوم يتكلم ! .

مقالته في صفوان

ثم كان من كلامه — في صفوان بن المعطل بن ربيعة بن الخزاعي بن محارب ابن مرة بن فالج^(١) بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة^(٢) بن سليم السلمي — ما كان ، ورميه بالإفك . قال حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري رضي الله عنه :

أمسى الجلابيبُ قد عَزَّوا وقد كثَروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد^(٣)
وفي أبيات أخر .

خبر صفوان بن المعطل في ضرب

حسان بن ثابت

فجاء صفوان بن المعطل — بعدما قدموا المدينة — إلى جعيل بن سراقه فقال : انطلق بنا نضرب حسان ، فوالله ما أراد غيرك وغيري ، ولنحن أقرب إلى رسول الله منه ، فأبى جعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله ﷺ وخرج صفوان مصلاً بالسيف ، حتى ضرب حسان بن ثابت في نادي قومه . فوثب الأنصار فأوثقوه رباطاً ، وولي ذلك منه ثابت بن قيس بن شماس [بن زهير]^(٤) بن مالك بن

(١) في (خ) «فالج» ، «بهثة» ، وسبق تصويب نسبه من الاستيعاب تحت رقم ١٢٢٣ .

(٢) وفي (ديوان حسان) ص ١٦٠ : «أمسى الخلايبسُ قد عَزَّوا وقد كثَروا» .

(٣) زيادة من نسبه .

امريء القيس بن مالك الأغر الأنصاري — فمرّ به عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان ابن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري^(١) فخلّى عنه . وجاء به وبحسان إلى رسول الله ﷺ ، فقال حسان : يا رسول الله شهر علي السيف في نادي قومي ، ثم ضربني لأنّ أموت ولا أراي إلا ميتاً من جراحتي ! فقال [ﷺ] لصفوان : ولم ضربته وحملت السلاح عليه ؟ وتغيظ ﷺ . فقال : يا رسول الله ، آذاني وهجاني وسفّة عليّ^(٢) وحسدني على الإسلام ! فقال لحسان : أسفّعت على قوم أسلموا ؟ .

حبس صفوان وما كان من أمر سعد في إطلاقه

ثم قال : احبسوا صفوان ، فإن مات حسان فاقتلوه به . فخرجوا بصفوان ، وبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فأقبل على قومه من الخزرج فقال : عمدتم إلى رجل من قوم رسول الله ﷺ تؤذونه ، وتهجون به بالشعر ، وتشتمون به ، فغضب لما قيل له ، ثم أسرتموه أقبح الأسر ورسول الله ﷺ بين أظهركم ؟ قالوا : فإن رسول الله ﷺ أمرنا بحبسه وقال : إن مات صاحبكم فاقتلوه . قال سعد : والله إن أحب الأمرين إلى رسول الله ﷺ العفو ، ولكن رسول الله ﷺ قد قضى لكم بالحق ، وإن رسول الله ﷺ يحب أن يترك صفوان ، والله لا أبرح حتى يطلق . فقال حسان : ما كان لي من حق فهو لك . وأتى قومه ، فغضب قيس بن سعد [بن عبادة]^(٣) وقال : عجبا لكم ! ما رأيتم كالليوم ! إن حسان قد ترك حقه وتأبون أنتم ؟ ما ظننت أحداً من الخزرج يردُّ أبا ثابت في أمر يهواه : فاستحيا القوم وأطلقوا صفوان من الوثاق ، فذهب به سعد إلى بيته فكساه حلة ، ثم خرج به إلى المسجد ليصلي فيه ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : صفوان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ! قال : من كساه ؟ قالوا : سعد ابن عبادة . قال : كساه الله من ثياب الجنة .

عفو حسان عن حقه قبل صفوان

ثم كلّم حسان حتى أقبل في قومه إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ،

(١) في (خ) « كرر الناسخ من قوله » فمرّ به عمارة ... إلى قوله « بن النجار الأنصاري » ، و (خ) بعده « وجاء به وثابت » وفي (الواقدي) « ثم جاء به وثابت » ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) من السفاعة .

(٣) زيادة للإيضاح .

كل حق لي قبل صفوان بن معطل فهو لك . قال : أحسنت وقبلت ذلك . وأعطى حسان أرضاً براحاً^(١) وهي بيرا ، وسيرين أخت مارية . وأعطاه سعد بن عباد حائطاً كان يجذ^(٢) مالا كثيراً ، عوضاً بما عفا من حقه . ويروى أن حسان — لما حبس صفوان — أرسل إليه رسول الله ﷺ فقال : يا حسان أحسن فيما أصابك . فقال : هو لك يا رسول الله ! فأعطاه بيرا^(٣) وسيرين^(٤) عوضاً .

خبر عبد الله بن رواحة ، وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه

وكان جابر بن عبد الله رفيق عبد الله بن رواحة في غزوة المريسيع ، فأقبلا حتى انتهيا إلى وادي العقيق في وسط الليل ، والناس معرسون ، فتقدم ابن رواحة إلى المدينة فطرق أهله ، فإذا مع امرأته إنسان طويل . فظن أنه رجل ، وندم على تقدّمه ، واقتحم البيت رافعاً سيفه يريد أن يضربهما ، ثم فكر وادكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت وصاحت ، فقال : أنا عبد الله ، فمن هذا ؟ قالت : هي رحيلة^(٥) سمعنا بقدمكم^(٦) فدعوتها تمشطني فباتت عندي . فبات وأصبح . فخرج يلقي^(٧) رسول الله ﷺ وهو سائر بين أبي بكر الصديق ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ابن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري رضي الله عنهما ، فالتفت ﷺ إلى بشير فقال : يا أبا النعمان ، إن وجه عبد الله ليخبرك أنه كره طروق أهله . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : خبرك

(١) في (خ) « أرض أبرحا » .

(٢) جد النخل : قطع ثمره (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) في (خ) « براحا » .

(٤) أخت مارية القبطية أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وفي (المغازي) ج ٢ ص ٤٣٨ وما بعدها . وحدثني

سعيد بن أبي زيد الأنصاري قال : حدثني من سمع أبا عبيدة بن عبد الله بن زمة الأسدي يخبر أنه سمع حمزة

بن عبد الله بن عمر أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : حسان حجاز بين

المؤمنين والمنافقين ، لا يحبه منافق ولا يفضّه مؤمن . وقال حسان يمدح عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان لا تُزنُ بريّة وتُصبِحُ غرثي من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد جاء عنى قلته فلا رفعت سوطي لئلي أنامل

والغرثي : الجماعة ، والغوافل : جمع غافلة والمعنى أنها كافة عن أعراض الناس . (ديوان حسان بن

ثابت) ص ٢٢٨ باختلاف يسير .

(٥) في (خ) « تلقي » .

(٦) في (خ) « نقدمكم » .

(٧) اسم امرأة كانت معها .

النهي عن طروق النساء ليلاً

فأخبره ، فقال ﷺ : لا تطرُقوا النساء ليلاً . فكان ذلك أول ما نهى عنه رسول الله ﷺ .

وكان قدومه ﷺ من المريسيع إلى المدينة لهُلال رمضان ، فغاب شهراً إلا ليلتين .

الخلاف في تاريخ غزوة بني المصطلق

تنبيه : قد اختلف في غزوة المريسيع . فذهب الواقديّ — كما تقدم — إلى أنها كانت في شعبان سنة خمس ، وقال ابن إسحق : في شعبان من السنة السادسة ، وصححه جماعة . وفيه إشكال ، فإنه وقع في الصحيحين وغيرهما أن المقاتل لسعد ابن عبادَة سعد بن معاذ ، كما تقدم عند خطبة رسول الله ﷺ بسبب أهل الإفك . ولا يختلف أحد في أن سعد بن معاذ مات إثر قريظة ، وقد كان عقب الخندق ، وهي في سنة خمس على الصحيح ، ثم حديث الإفك لا يشك أحد من علماء الآثار أنه في غزوة بني المصطلق هذه ، وهي غزوة المريسيع ، وقد اختلف الناس في الجواب عن هذا . فقال موسى بن عقبة — فيما حكاه البخاري عنه^(١) — إن غزوة المريسيع كانت في سنة أربع ، وهذا خلاف الجمهور . ثم في الحديث ما ينفي ما قال ، لأنها قالت : « وذلك بعد ما نزل الحجاب » . ولا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله ﷺ بزينة بنت جحش ، وقد سأل ﷺ زينب عن شأن عائشة في ذلك فقالت : « أحمي سمعي وبصري » قالت عائشة : « وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ » . وقد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه ﷺ بزينة كان في ذي القعدة سنة خمس ، فبطل ما قال موسى بن عقبة ، ولم ينحل الإشكال . وقال ابن إسحاق : إن المريسيع كانت في سنة ست ، وذكر فيها حديث الإفك ، إلا أنه قال عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله [بن عتبة]^(٢) ، عن عائشة ، فذكر الحديث — قال : فقام أسيد بن الحضير فقال : « أنا أعذرُك منه » ،

(٢) زيادة للبيان من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٨٧

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٧ .

ولم يذكر سعد بن معاذ .

قال الحافظ أبو محمد علي بن^(١) أحمد بن سعيد بن حزم : وفي مرجع الناس من غزوة بني المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا ، وأنزل الله تعالى في ذلك من براءة عائشة رضي الله عنها ما أنزل . وقد روينا من طرق صحاح أن سعد بن معاذ كانت له في شيء من ذلك مراجعة مع سعد بن عبادة . وهذا عندنا وهم^(٢) ، لأن سعد ابن معاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك ، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة ، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة — بعد سنة وثمانية أشهر من موته ، وكانت المقاتلة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة . وذكر ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، وغيره : أن المقاتل لسعد بن عبادة إنما كان أسيد بن الحضير ، وهذا هو الصحيح ، والوهم لم يعرف^(٣) منه أحد من بني آدم . والله أعلم .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق : وتسمى الأحزاب . وهي الغزاة التي ابتلى الله سبحانه فيها عباده المؤمنين وزلزلهم ، وثبت الإيمان في قلوب أوليائه ، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق وفضحهم وقرعهم . ثم أنزل تعالى نصره ونصر عبده ، وهزم الأحزاب ، وأعز جنده ، ورد الكفرة بغيظهم ، ووقى المؤمنين شر كيدهم ، وحرّم عليهم شرعاً وقدرأ أن يغزو المؤمنين بعدها ، بل جعلهم المغلوبين ، وجعل حزبه هم الغالبين بمنّه وفضله .

بدؤها

وكان من خبرها : أن رسول الله ﷺ عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس ، وقيل : كانت في شوال منها ، وقال موسى بن عقبة : كانت في سنة أربع ، وصححه ابن حزم . وقال ابن إسحاق في شوال سنة خمس ، وذكرها

(٢) الزهم بالتحريك : القَلَط .

(١) في (خ) « باب » .

(٣) في (خ) « يصر » والمعنى : لم يَحُلْ ولم يَرَأ .

البخاري قبل غزوة ذات الرقاع^(١) . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

سببها

وسبب ذلك أنه ﷺ لما أجلى بني النضير ساروا إلى خير ، وبها من يهود قوم أهل عدد وجلد ، وليست لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير فخرج [سلام ابن أبي الحقيق ، و]^(٢) حيي بن أخطب ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس الوائلي من الأوس ، وأبو عامر الراهب^(٣) . في بضعة عشر رجلا إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ . فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمداً ، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله . فنشطت قريش لذلك ، وتذكروا أحقادهم بيد ، فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلاً : أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد .

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتعاقدوا — وقد ألصقوا أكبادهم^(٤) بالكعبة ، وهم بينها وبين أستارها — : ألا يخذل بعضهم بعضاً ، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقي منهم رجل . ثم قال أبو سفيان : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا [نختلف] فيه^(٥) نحن ومحمد ، أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوم ونسقي الحجيج ، ونعبد الأصنام ! .

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) زيادة من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ ، وهذا الذي عليه أكثر الرواة ، ولكن المقرئ قدّم مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق على غزوة الأحزاب فعلى هذا التقديم ليس يصح أن يذكر سلام بن أبي الحقيق في عداد أصحاب الأحزاب ، لأن مقتله عند المقرئ في سنة أربع ، وكانت الغزوة في سنة خمس ، راجع (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٣) كذا في (خ) ، ومكانه في (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ « أبو عمار الوائلي » .

(٤) في (خ) « أكابدهم » وهذه عادتهم في إعظام اليمين .

(٥) في (خ) « أخبرونا عما أصبحنا فيه ومحمد » وهو نص (الواقدي) ج ٢ ص ٤٤٢ ، وما أثبتناه أجود ، وهو نص (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٧ وما بين القوسين زيادة منه .

خبر اليهود في نصرة المشركين

فقلت يهود : اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتحرون البُذُن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه .
فأنزل الله تعالى في ذلك ^(١) : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ .

الخروج إلى القتال

واتعدوا لوقت وقته ، وخرجت يهود إلى غطفان ، وجعلت لهم ثمر خير سنة إن هم نصروهم . وتجهزت قريش ، وسيرت تدعو العرب إلى نصرها ، وألبوا ^(٢) أحابيشهم ^(٣) ومن تبعهم .

الأحزاب ومنازلهم

وأنت يهود بني سليم فوعدهم السير معهم ، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جرية ^(٤) بن لوزان بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان [ويقال له ابن اللقيطة : يعني لا تعرف له أم] ^(٥) الفزاري .

وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في

(١) الآية ٥١ / النساء ، والآيات التي نزلت في شأنهم من أول الآية ٥١ إلى آخر الآية ٥٥ / النساء .

راجع أسباب النزول للواحدي ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) في (خ) « وألبوا » .

(٣) نسبة إلى حُبَشَى ، وهو جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك ، يقال به سُميت أحابيش قريش ، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمه اجتمعوا عنده وحالفوا قريشاً وتحالفوا بالله : إنا ليد واحدة على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشي مكانه (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٤) في (خ) « جوثة » .

(٥) كذا في (خ) وهو خطأ ، وصوابه : من هامش (ط) ص ٢١٨ . « أن اللقيطة هي أم حصن بن حذيفة بن بدر وإخوانه وهم خمسة ، واسمها « نضيرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة » ، يقال في خبر تلقيها باللقيطة أخبار ، أجودها أن حذيفة بن بدر التقطها في جوار قد أضر بهن السنة الجذب ، فضمها إليه ، ثم أعجبه فخطبها إلى أبيها فتزوجها » .

دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم ألف بعير وخمسمائة بعير . ولاقتهم سليم بمر الظهران في سبعمائة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس [حليف حرب بن أمية وهو ^(١) أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين . وكان أبو سفيان بن حرب قائد جيش قريش . وخرجت بنو أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي . وخرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن . وخرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن رحيلة بن عائذ بن مالك بن حبيب بن نبيح بن ثعلبة بن قنفذ ابن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث ^(٢) بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان ^(٣)] وقال ابن إسحق : هو مسعر بن رحيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة ^(٤) بن عبد الله بن هلال بن خلادة بن أشجع . وخرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث [بن عوف] ^(٥) بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ ابن مرة بن عوف [بن سعد] ^(٥) بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وقيل : لم يحضر بنو مرة . وكانوا جميعاً عشرة آلاف ، [وأقبلت قريش في أحايishها ومن تبعها من بني كنانة] ^(٦) حتى نزلت وادي العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس فسرحت قريش ركبها في عضة ^(٧) وادي العقيق ، ولم تجد لخليها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها ، وهو الذرة ، وسرحت غطفان إبلها إلى الغاية في أثلها وطرقاتها ^(٨) . وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكادت خيل غطفان وإبلها تهلك من الهزال ، وكانت المدينة إذ ذاك جدية .

(١) زيادة البيان من (ابن سعد) ج ٢ ص ٦٦ .

(٢) في (خ) « آيث » . (٣) في (خ) « غيلان » .

(٤) في (خ) (سحمة) والتصويب من (ابن هشام) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٥) زيادة من نسبه . (٦) زيادة للسباق (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣١ بتصرف .

(٧) العضة : كل شجر له شوك . (المعجم الوسيط) ج ٣ ص ١٢٨ .

(٨) الأثل : شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يُعمر جيد الخشب كثير الأغصان (المعجم الوسيط)

ج ١ ص ٦ . والطرفاء : جنس من النبات منه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية ومنه الأثل (المرجع

السابق) ج ٢ ص ٥٥٥ .

مشورة رسول الله ﷺ حين بلغه خبر خروج الأحزاب وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خزاعة عندما خرجت من مكة : أتى ركبهم رسول الله ﷺ — في أربع ليال — حتى أخبروه ، فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم : أيرز من المدينة ، أم يكون فيها ويخندق عليها ، أم يكون قريباً والجبل وراءهم ؟ فاختلفوا . وكان سلمان الفارسي يرى رسول الله ﷺ بهم بالمقام بالمدينة — ويريد^(١) أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها — فأشار بالخندق فأعجبهم ذلك ، وذكروا يوم أحد ، فأحبوا الثبات في المدينة . وأمرهم رسول الله ﷺ بالجِد ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتفقوا ، وأمرهم بالطاعة .

خبر حفر الخندق

وركب فرساً له — ومعه عدة من المهاجرين والأنصار — فارتاد موضعاً ينزله ، وجعل سلعاً^(٢) خلف ظهره وعمل في [حفر]^(٣) الخندق لينشطهم ، وندب الناس وخبرهم بدنو عدوهم ، وعيّن حفر الخندق في المراد^(٤) وعسكر بهم إلى سفح سلع ، فبادر المسلمون في العمل ، وقد استعاروا من بني قريظة آلة كثيرة — من مساحي وكرازين ومكاتل^(٥) — ، للحفر في الخندق . ووكل رسول الله ﷺ بكل جانب من الخندق قوماً يحفرونه . وكان الشباب ينقلون التراب ، ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم المكاتل ، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها وقد ملأوها حجارة من جبل سلع : وهي أعظم سلاحهم ، يرمون بها .

وكان رسول الله ﷺ يحمل التراب في المكاتل والقوم يرتجزون^(٦) ، ورسول الله ﷺ يقول :

هذا الجمال لا جمال خبير هذا أبر ربنا وأطهر

(١) هذا الحرف في (خ) يُقرأ ما بين « يريد » ، « يدبر » والأقرب للمعنى ما أثبتناه .

(٢) سلع جبل قرب المدينة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) في (خ) « المزاد » .

(٥) المساحي والكرازين والمكاتل : المجارف والفؤوس والقفف .

(٦) ترتجزون : يترنمون بالرجز من أوزان الشعر .

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجعل المسلمون إذا رأوا من الرجل فتوراً ضحكوا منه ، وتنافس الناس في سلمان الفارسي ، فقال المهاجرون : سلمان منا — وكان قوياً عارفاً يحفر الخنادق — وقالت الأنصار : هو منا ونحن آخرته^(١) . فقال ﷺ : سلمان منا أهل البيت . ولقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه^(٢) قيس بن أبي صعصعة فلبط به^(٣) فقال ﷺ : مروه فليتوضأ وليغتسل به ، ويكفأ الإناء خلفه ، ففعل فكأنما حلّ من عقال . وجعل لسلمان خمس أذرع طولاً وخمساً في الأرض ففرغها وحده وهو يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . وحفر رسول الله ﷺ وحمل التراب على ظهره . وفي حديث سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي : أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال :

بسم الله وبه هُدينا ولو عبدنا غيره شِقِينَا
حبذا رباً وحبذا ديناً^(٤)

وكان بنو سلمة في ناحية يحفرون ويرتجزون ، فعزم رسول الله ﷺ على كعب ابن مالك ألا يقول شيئاً ، وعزم على حسان بن ثابت ، وقال : لا يفضب أحد مما قاله صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسان فإنهما يجدان ذلك^(٥) .

(١) في (خ) « إخوته » ، وآخرته : آخر من نزل بهم بعد طوافه البلاد .

(٢) عانه : أصابه بالعين من الحسد (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٤١ .

(٣) لبط به : سقط على الأرض من قيام (المرجع السابق) ص ٨١٣ .

(٤) قال محقق (٢) : « هذا كلام لم أجده فيما بين يدي من أصول الكتب ، ولا أدري ما هو » ونقول : روى

ابن كثير في (البداية والنهاية) ج ٤ ص ٩٦ ، ص ٩٧ ما نصه :

« وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان (بسنده) عن أبي عثمان عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال :

بسم الله وبه هُدينا ولو عبدنا غيره شِقِينَا
يا حبذا رباً وحبذا ديناً

قال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٥) قال محقق (ط) :

« هذا خبر ناقص مضطرب ، ولم أعرف أصله ولا كيف ساقه » ونقول : روى (الواقدي) في

(المغازي) ج ٢ ص ٤٤٧ ما نصه : « حدثني أيوب بن النعمان عن أبيه عن جده ، عن كعب بن مالك =

تغيير اسم جعيل وتسميته عمراً

وكان جعيل بن سُراقَة رجلاً صالحاً « وكان ذميماً قبيحاً ، وكان يعمل في الخندق ، فغير رسول الله ﷺ اسمه يومئذ وسماه عمراً ، وجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً

سبب النهي عن أن يروّع المسلم أو يؤخذ سلاحه

وكان زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاريّ فيمن ينقل التراب ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه نعم الغلام ! . وغلبته عيناه فنام في الخندق — وكان القرّ شديداً — فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو لا يشعر ، فلما قام فزع . فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا رقاد ! نمت حتى ذهب سلاحك ! ثم قال : من له علم بسلاح هذا الغلام ؟ فقال عمارة : يا رسول الله ، هو عندي . فقال : فردّه عليه . ونهى أن يروّع المسلم ، و [لا]^(١) يؤخذ متاعه [جاداً ولا]^(٢) لاعباً .

ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين ، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة ، إذ^(٣) لم يجدا مكاتل — لعجلة المسلمين — وكانا لا يتفرقان في عمل ولا مسير ولا منزل . وقال رسول الله ﷺ : هو يعمل في الخندق :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

= قال : جعلنا يوم الخندق نرتجز ونحفر ، وكنا — بني سلمة — ناحية فعزم رسول الله ﷺ على ألا أقول شيئاً فقلت : هل عزم على غيري ؟ قالوا : حسان بن ثابت قال : فعرفت أن رسول الله ﷺ إنما نهانا لوجدنا له وقتله على غيرنا ، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق . وقال رسول الله ﷺ يومئذ : لا يفضب أحدٌ مما قال صاحبه ، لا يريد بذلك سوءاً ، إلا ما قال كعب وحسان ، فإنهما يجدان ذلك . والظاهر لنا أن المقرئ قد اختصر رواية الواقدي اختصاراً أدخل بمعناها ، والله تعالى أعلم .

- (١) زيادة للسياق من (الإصابة) ج ٤ ص ٤٢ عند ترجمة زيد بن ثابت رقم ٢٨٧٤ ، ونص (الواقدي) ج ٢ ص ٤٤٨ : « ونهى رسول الله ﷺ أن يروّع المسلم أو يؤخذ متاعه لاعباً جاداً » والقرّ : البرد . قال في (النهاية) ج ١ ص ٢٤٥ : « أي لا يأخذ على سبيل الهزل ثم يجسه ، فيصير ذلك جدّاً » .
(٢) في (خ) « إذا » .

[فَأَنْزَلْنَاهُ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قِينَ]^(١)
 [إِنْ الْأُولَى قَدْ بَغَا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا]^(٢)

يردد ذلك .

خبر نبوءته ﷺ عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضرب بالكرزین فصادف حجراً فصل^(٣) الحجر ، فضحك رسول الله ﷺ ، فقيل : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ قال : أضحك من قوم يؤثي بهم من المشرق في الكبول^(٤) ، يساقون إلى الجنة وهم كارهون . وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمعول فصادف حجراً صلباً ، فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة ، فقال ﷺ : إني رأيت في الأولى قصور اليمن ، ثم رأيت في الثانية قصور الشام ، ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن . وجعل يصفه لسلمان فقال : صدقت ! والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته ! وأشهد أنك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي ، يا سلمان لتفتحن الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ويهرب كسرى فلا يكون كسرى بعده .

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن ، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام .

البركة في طعام جابر

ورأى جابر بن عبد الله رضي الله عنه رسول الله ﷺ يحفر ، ورآه خميصاً^(٥) ، فأثي امرأته فأخبرها ما رأى من حَمَص رسول الله ﷺ فقالت : والله ما عندنا شيء إلا هذه الشاة ومُدٌّ من شعير ، قال : فاطحني وأصلحي . فطبخوا بعضها ، وشووا

(١) زيادة من (البخاري) ج ٣ ص ٣٢ .

(٢) صلّ الحجر : صوتٌ صوتاً ذا رنين (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٢٠ .

(٣) الكبول : جمع كبُل : وهو القيد من أي شيء كان ، (المرجع السابق) ج ٢ ص ٧٧٤ .

(٤) يقال : حمص الجوع فلاناً : أضعفه وأدخل بطنه في جوفه فهو حميص .

بعضها ، وخبزوا الشعير ، ثم أتى جابر رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! قد صنعت لك طعاماً ، فأت أنت ومن أحببت من أصحابك . فشبك ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال : أجيئوا جابراً يدعوكم . فأقبلوا معه ، فقال جابر في نفسه : والله إنها الفضيحة ! . وأتى المرأة فأخبرها فقالت : أنت دعوتهم أو هو ؟ فقال : بل هو دعاهم ! قالت : دعهم فهو أعلم . وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه ، وكانوا فرقاً : عشرة عشرة . ثم قال لجابر : اغرفوا وغطوا البرمة ، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه . ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها^(١) نقصت شيئاً ، ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئاً ، فأكلوا حتى شبعوا ، وأكل جابر وأهله^(٢) .

عرض الغلمان وإجازتهم

وعرض رسول الله ﷺ الغلمان وهو يحفر الخندق ، فأجاز من أجاز ورد من رد . فكان ممن أجاز : [عبد الله]^(٣) بن عمر [بن الخطاب]^(٤) ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وما منهم إلا ابن خمس عشرة سنة . وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم أمرهم^(٥) فرجعوا إلى أهلهم .

عدة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، وزعم ابن إسحاق أنه إنما كان في سبعمائة ، وهذا غلط . وقال ابن حزم : وخرج رسول الله — يعني في الخندق — في ثلاثة آلاف ، وقد قيل : في تسعمائة فقط ، وهو الصحيح الذي لا شك فيه ، والأول وهم^(٥) .

اجتهاد رسول الله ﷺ في العمل يوم الخندق

ومن شدة اجتهاده ﷺ في العمل : كان يضرب مرة بالمعول ومرة بالمسحاة يغرف بها التراب ، ومرة يحمل التراب في المكتل ، وبلغ يوماً منه التعب مبلغاً فجلس ، ثم اتكأ

(١) في (خ) « يروها » .

(٢) راجع (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) ج ٨ ص ٣٠٢ باب معجزته ﷺ في الطعام وبركته فيه .

(٣) زيادة للإيضاح . (٤) في (خ) « أمرهم » .

(٥) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧١ : « وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بالجبل من خلفه ، وبالخندق أمامهم » وقال ذلك أيضاً (الطبري) ج ٢ ص ٥٧٠ .

على حجر بشقه الأيسر فنام ، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه يمنعان الناس من أن يروا به فينبهوه ، ثم فزع ووثب فقال : أفلا أفرعتموني ! وأخذ الكرزين يضرب به وهو يقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار^(١) والمهاجرة ، اللهم العن عضلاً والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة^(٢) . وفرغ حفر الخندق في ستة أيام .

مواقف المسلمين

وعسكر فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق أمامه . ودفع لواء المهاجرين إلى زيد ابن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد . وضرب له قبة من أدم . وعاقب بين ثلاث من نسائه ، وكانت عائشة أياماً ، ثم أم سلمة ، ثم زينب بنت جحش ، وبقية نسائه في الآطام .

خبر حيي بن أخطب وأبي سفيان

وكان حيي بن أخطب يقول — لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم — : إن قومي قريظة معكم ، وهم أهل حلقة وافرة ، وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً . فلما دَنَوْا قال له أبو سفيان : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد .

عهد بني قريظة

فأتى بني قريظة — وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة صالح قريظة والنضير ومن معهم من يهود ألا يكونوا معه ولا عليه ، ويقال : صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه^(٣) ، ويقيموا على معاقلهم^(٤) الأولى التي بين الأوس والخزرج — فأتى

(١) في (خ) « لي الأنصار » .

(٢) يقول محقق (ط) : هكذا رَوَى ! وقد روى الثقات ، ولم يذكر هذا الكلام من قوله : « اللهم العن ... إلخ » ، وهو كلام هالك ليس بشيء . ونقول : قوله ﷺ : اللهم العن عضلاً والقارة ، فهم كلفوني أنقل الحجارة » ذكره (ابن حجر) في (فتح الباري) ج ٧ ص ٣٩٤ هكذا :

والعن عضلاً والقارة هم كلفونا نقل الحجارة

وذكره أيضاً في (المطالب العالية) ج ٤ ص ٢٢٨ برقم ٤٣٣٢ .

(٣) في (خ) « دهمه منهم » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٤ وما أثبتاه من (ط) .

(٤) معاقلهم الأولى : أي الديارات التي كانت في الجاهلية ، أو على مراتب آبائهم (ترتيب القاموس) ج ٣

ص ٢٨٧ .

كعب بن أسد ، وكان صاحب عقد بني قريظة وعهدا^(١) ، فكرهت قريظة دخول حيي بن أخطب إلى دارهم ، فإنه يحب الرياسة والشرف عليهم ، وكان يشبهه بأبي جهل في قريش^(٢) . فلقبه عزال^(٣) بن سمّوأل أول الناس ، فقال له حيي : قد جئتكم بما تستريح به من محمد ، هذه قريش قد دخلت وادي العقيق ، وغطفان بالزغابة ! فقال عزال^(٣) : جئتنا والله بذل الدهر ! فقال : لا ثقل هذا ! ثم أتى كعب بن أسد فقال له : إنك امرؤ مشئوم ، وقد شأمت^(٤) قومك حتى أهلكتهم ، فارجع عنا ! فما زال به حيي حتى لان له ونقض العهد ، وشقوا الكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ (بينه و)^(٥) بينهم ، واستدعى رؤسائهم — وهم : الزبير ابن باطا ، ونبّاش بن قيس ، وعزال بن سمّوأل ، وعقبة بن زيد ، وكعب ابن زيد — وأعلمهم بما فعل من نقض العهد ، فلحمه^(٦) الأمر لما أراد الله بهم من هلاكهم .

نقض بني قريظة العهد ومجاهرتهم بالعداوة

فبينما رسول الله ﷺ في قبته ، — والمسلمون على خندقهم يتناوبونه ، معهم بضع وثلاثون فرساً ، والفرسان يطوفون على الخندق — إذ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بني قريظة وتسميته (حوارّي رسول الله)

وبعث الزبير بن العوام رضي الله عنه إليهم لينظر . فعاد بأنهم يصلحون حصونهم ، ويدربون^(٧) طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم ، فقال ﷺ : إن لكل نبي

(١) في (خ) في هذا المكان « حي بن أخطب » وهو تكرار لا معنى له .

(٢) في (خ) كان يشبهه في قريش بأبي جهل ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٥ « وله في قريش شبه أبو جهل ابن هشام » وما أثبتناه من (ط) .

(٣) في (خ) « عزال » (٤) في (خ) « شوم ، وقد شمت » (٥) زيادة لا بد منها .

(٦) في (خ) (لحمة) ولحمة الأمر : أحكمه (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨١٩ .

(٧) قد تكون من « الدّربة » وهي الجراءة على الأمر أو من « الدّرب » وهو باب السكة الواسع (ترتيب القاموس ج ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤) .

حوارياً ، وإن حوارى^(١) الزبير . ثم بعث سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، وأسيد ابن حضير لينظروا ما بلغه عن بني قريظة ، وأوصاهم — إن كان حقاً — أن يَلْحَنُوا له [أي يلغزوا] لئلا^(٢) يفت ذلك في عضد المسلمين ويورث وَهناً ، فوجدوهم مجاهرين بالعداوة والغدر ، فتسابوا ، ونال اليهود — عليهم لعائن^(٣) الله — من رسول الله ﷺ ، فسيبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم . فقال رسول الله ﷺ : ما وراءكم ؟ قالوا : عَضَلْ والقَارَة ! [يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع] . فكَبَّرَ ﷺ وقال : أبشروا بنصر الله وعونه .

رعب المسلمين يوم الأحزاب

وانتهى الخبر إلى المسلمين ، فاشتدَّ الخوف وعظمُ البلاء ، وَتَجَمَّ النفاق وَفَشِلَ الناس : وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴾^(٤) .

مقالة المنافقين

وتكلم قوم بكلام قبيح ، فقال معتب بن قشير^(٥) (ويقال له : ابن بشر ، ويقال له : ابن بُشير) بن حليل (ويقال : ابن مُليل) بن زيد بن^(٦) العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري : يعدنا محمد (أن نأكل)^(٧) كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته ! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ! .

-
- (١) في (خ) « حوارى » .
 (٢) في (٢) في (خ) « لعن لا » .
 (٣) لعله يقصد جهنم لَعْنَة ، وفي (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٢٩ : ٨٧٩ أنها تجمع على لعان ، ولَعْنَات .
 (٤) آية ١٠-١١ الأحزاب، وفي (خ) إلى قوله تعالى « الحناجر » .
 (٥) في (خ) « قريش » والتصويب من (الواقدي) ج ٢ ص ٤٥٩ .
 (٦) في (خ) بعد قوله « ابن مليل » ما نصه : « مجد الأزعر العطاف » وهو خطأ ، فإن مليلا هذا هو أخو الأزعر ، وكلاهما زيد بن العطاف .
 (٧) هذه رواية (ابن هشام) ج ٢ ص ١٢٣ وفي (خ) بدون هذه الزيادة وهي رواية (الواقدي) ص ٥٤٩ .

من أخبار يهود يوم الأحزاب

وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً ، وبعث حبي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف ، فيغيروا بهم ، فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فعظم البلاء . وبعث سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري — في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير ، ومعهم خيل المسلمين ، وكانوا يبيتون بالخنديق خائفين ، فإذا أصبحوا أمنوا . وكان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان إلا أن الله رد بني قريظة عن المدينة بأنها كانت تحرس . وبعث رسول الله ﷺ خوات ابن جبير بن النعمان بن أمية بن أمريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري لينظر غرة لبني قريظة فكمن^(١) لهم ، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم ، فأمكنه الله من الرجل وقتله ولحق بالنبي ﷺ فأخبره . وخرج نباش بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة ، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة ابن أسلم فرموهم حتى هزموهم ، ومر سلمة فيمن معه فأطاف بمحسون يهود فخافوه ، وظنوا أنه البَيَات .

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبعث بنو حارثة بأوس بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوتنا عورة ، وليس في دار من دور الأنصار مثل دارنا ، ليس بيننا وبين غطفان أحد يرُدُّهم عتاً ، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا . فأذن لهم ﷺ . فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال : يا رسول الله ! لا تأذن لهم ؟ إنا والله ما أصابنا وإياهم شِدَّة قط إلا صنعوا هكذا . فردهم . وقال ابن الكلبي : وأبو مليل^(٢) بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة شهد بداراً ، وهو الذي قال : « بيوتنا عورة » يوم الخندق . وقال ابن عبد البر :

(١) في (خ) « فأكمن » .

(٢) في (خ) « وابن مليل » والتصويب من (الإصابة) ج ١٢ ص ٣ ترجمة رقم ١٠٧٧ حيث يقول : « وأنا أخشى أن يكون هو الذي بعده ، وقع فيه تصحيف وتحريف وجوز ابن فتحون أن يكون هو الذي بعده » والذي بعده « هو : أبو مليل الأزعر .

أبو مليل سئيك بن الأعز^(١) .

حراسة رسول الله ﷺ ثلثة يخافها من الخندق

وكان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلثة في الخندق يحرسها^(٢) « فإذا آذاه البرد دخل قبة فادفأته عائشة رضي الله عنها في حضنها ، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلثة يحرسها ويقول : ما أخشى على الناس إلا منها ، فبينا هو ليلة في حضن عائشة قد دفيء وهو يقول : ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة ، فجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال ﷺ : عليك بهذه الثلثة فاحرسها ، ونام ، وقام ﷺ ليلته في قبة يصلي ، ثم خرج فقال : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ! ثم نادى : يا عباد ابن بشر ، قال : لبيك ! قال : معك أحد ؟ قال : نعم ، أنا في نفر حول قبتك . فبعثه يطيف بالخندق ، وأعلمه بخيل تطيف بهم . ثم قال : اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم ، واغلبهم لا يغلبهم غيرك .

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يتناوبون بينهم : فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يجيئون خيلهم ، ويتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى ، ويناوشون المسلمين ، ويقدمون رماهم فيرمون ، وإذا أبو سفيان في خيل يُطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا .

طلب المشركين مضيقاً من الخندق وردهم

وكان عباد بن بشر ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها . وكان أسيد بن حضير يحرس في جماعة ، فإذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق ، فرماهم حتى ولوا ، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا في قر شديد وجوع . وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة ، ومضيقاً

(١) (الاستيعاب) (لابن عبد البر) ج ١٢ ص ١٥٤ ترجمة رقم ٣١٨٦ ابن الأعرس .

(٢) الثلثة : الموضع الذي قد انظم أي انشق (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٩٩ في (خ) « يحرسها »

من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي .

شعار المهاجرين

وكان شعار المهاجرين : يا خيل الله . وجاء في بعض الليالي عمرو بن عبد [بن أبي القيس]^(١) في خيل المشركين ، ومعه مسعود بن رخیلة^(٢) بن نؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان في خيل غطفان ، فرماهم المسلمون . وليس رسول الله ﷺ درعه ومغفره ، وركب فرسه وخرج ، فصرفهم الله وقد كثرت فيهم الجراحة ، فرجع ﷺ ونام ، وإذا بضرار بن الخطاب وعيينة بن حصن في عدة فركب عليه السلام بسلاحه ثانياً ، فرماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات كثيرة .

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضي الله عنها : شهدت معه مشاهد — فيها قتال وخوف — المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية ، وفي الفتح ، وحين — لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق . وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة ، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري : فالمدينة تحرس حتى الصباح ، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفاً ، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً^(٣) . وقال محمد بن مسلمة وغيره : كان ليلنا بالخندق نهراً ، وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيعدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويعدو خالد بن الوليد يوماً ، ويعدو عمرو بن العاص يوماً ، ويعدو هبيرة بن أبي وهب^(٤) يوماً ، ويعدو عكرمة بن أبي جهل يوماً ، ويعدو ضرار بن الخطاب يوماً ، حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفاً شديداً .

رماة المشركين

وكان معهم رماة يقدمونهم إذا غدوا ، متفرقين أو مجتمعين بين أيديهم ، وهم :

(٢) وفي (المغازي) ج ٢ ص ٤٦٧ (مسعود بن رُحية) .

(٤) في (خ) (ابن أبي لب) وهو خطأ محض .

(١) في (خ) (وخيله)

(٣) في (خ) (لن)

جَبَّان بن العَرِقة وأبو أسامة الجشمي في آخرين ، فتناوشوا بالنبل ساعة ، وهم جميعاً في وجه واحد وجاه قبة رسول الله ﷺ ، ورسول الله قائم بسلاحه على فرسه .

إصابة سعد بن معاذ وهي الإصابة التي قتلته

فرمى حبان بن العرقه سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكله^(١) وقال : خذها وأنا ابن العرقه ! فقال رسول الله ﷺ : عَرَّقَ الله وجهه في النار ، ويقال : بل رماه أبو أسامة الجشمي .

اقتحام المشركين مضيقاً من الخندق وقتالهم وردهم

ثم أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جميعاً ، وجاءوا يريدون مضيقاً يقحمون خيلهم إلى النبي ﷺ حتى أتو مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون فلم تدخله خيولهم . وعبره عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وضرار بن الخطاب [هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو آكل السَّقْب بن حبيب بن عمرو ابن شيبان بن محارب^(٢) بن فهر بن مالك الفهري ، أسلم يوم الفتح] ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد — وقام سائرهم وراء الخندق ، فدعا عمرو بن عبد إلى البراز — وكان قد بلغ تسعين سنة ، وحرّم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه — فأعطى رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه سيفه وعمّمه وقال : اللهم أعنه عليه ! فخرج له وهو راجل^(٣) وعمرو فارساً ، فسخر به عمرو ، ودنا منه علي ، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي ، فولى أصحابه الأدبار . وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق ، فرمي بالحجارة حتى قتل . ومَرَّ عمر بن الخطاب والزبير في إثر القوم فتناوشوهم ساعة ، وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب ، فأخذها الزبير رضي الله عنه .

(١) الأكل : ويريد في وسط الذراع (المعجم الوسيط) ج ٣ ص ٧٧٨ ، وقال سعد رضي الله عنه حينئذ لبثت قليلاً يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

راجع : (عيون الأثر) ج ٢ ص ٢ ، (ابن هشام) ج ٣ ص ١٣٦ ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٦٩ (.. ما أحسن الموت إذا حان الأجل) ، وحمل : وهو حمل بن سعدانه بن حارثة الكلبي .

(٢) في (بخار) .

(٣) راجل : على رجله ، بغير فرس أو دابة .

تعبئة المسلمين

ثم وافى المشركون سَحَرًا ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، فقاتلوا يومهم إلى هوي من الليل : وما يقدر رسول الله ﷺ ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم .

تخلف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

وما قدر ﷺ على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء ، فجعل أصحابه يقولون : يا رسول الله ، ما صلينا ! فيقول : ولا أنا ما صليت ! حتى كشف الله المشركين ، ورجع كل من الفريقين إلى منزله . وأقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق ، فكرث خيل للمشركين يطلبون غرة — وعليها خالد بن الوليد — فناوشهم ساعة ، ففرق وحشي الطفيل بن النعمان [وقيل : الطفيل بن مالك بن النعمان]^(١) بن خنساء الأنصاري بمزراقه^(٢) فقتله كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد .

إقامة الصلاة التي شغلوا عنها

فلما صار رسول الله ﷺ إلى موضع قبته أمر بلالاً فأذن وأقام للظهر ، وأقام بعد لكل صلاة إقامة ، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها ، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف ، وذلك قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنُمُ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ .

وقال يومئذ رسول الله ﷺ : شغلنا المشركون عن صلاة الوسطى : صلاة

(١) قال في (الاستيعاب) ج ٥ ص ٢٣١ ترجمة رقم ١٢٧٥ « الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء . وقيل : الطفيل بن النعمان ابن خنساء الأنصاري السلمي ، من بني سلمة ، شهد العقبة ، وشهد بدرًا ، وأحد ، وجرح بأحد ثلاثة عشر جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق وقتل يوم الخندق شهيداً ، قتله وحشي ابن حرب »

« وذكر موسى بن عقبة في البدرين : الطفيل بن النعمان بن الخنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، رجليه » .

(٢) المزراق : الرمح القصير (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٩٢ .

(٣) الآيتان ٢٣٨ ، ٢٣٩ / البقرة ، وفي (خ) « قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالاً أو ركبانا ... » .

العصر ، ملاً الله أجوافهم وقبورهم ناراً . وفي حديث جابر : أن رسول الله ﷺ إنما شغل يومئذ عن صلاة العصر . وفي حديث أبي سعيد وعبد الله بن مسعود : أنه شغل يومئذ عن أربع صلوات : الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وفي مرسل سعيد بن المسيّب : أنه شغل عن الظهر والعصر . فاحتمل أن يكون كله صحيحاً ، لأنهم حوصروا في الخندق وشغلوا بالأحزاب أياماً . ومثّل حديث جابر في ذلك حديث علي رضي الله عنه : « وهو حديث ثابت من طرق عنه ، أن النبي ﷺ قال : شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ، ملاً الله قلوبهم وبطونهم — أو بيوتهم — ناراً .

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله : يشترونها ، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم ، فقال رسول الله ﷺ : إنما هي جيفة حمار ! وكره ثمنه ، فخلّى بينهم وبينه . وفي رواية : أن أبا سفيان بعث بدينه مائة من الإبل ، فأبى النبي ﷺ فقال : خذوه ، فإنه خبيث الدية خبيث الجنة .

اقتال الطليعتين من المسلمين

وخرجت طليعتان من المسلمين ليلاً فالتقيا — ولا يشعر بعضهم ببعض ، ولا يظنون. إلا أنهم العدو — فكانت بينهم جراحة وقتل ، ثم نادوا بشعار الإسلام : « تحمّ لا ينصرون » ، فكف بعضهم عن بعض ، وجاءوا ، فقال رسول الله ﷺ : جراحكم في سبيل الله ، ومن قتل منكم فإنه شهيد . فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم .

خير الفتى الذي ذهب إلى أهله

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهلهم ، فيقول رسول الله ﷺ : إني أخاف عليكم من قريظة . فإذا ألحوا يقول : من ذهب منكم فليأخذ سلاحه . وكان فتى حديث عهد بعرس ، فأخذ سلاحه وذهب ، فإذا امرأته قائمة بين البابين ، فهياً لها الرحم ليطلعنها فقالت : اكفف حتى ترى ما في بيتك ! فإذا بحية على فراشه ،

فركز فيها رحمه فاضطربت ، وخر الفتى ميتاً ، فقال رسول الله ﷺ — لما أخير بذلك — : إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام^(١) ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

جوع المسلمين وخبر البركة في الطعام

وكان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة ، وكان أهلهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ، فأرسلت عمرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجها بشير ابن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، وإلى أخيها عبد الله بن رواحة — فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه فقال : تعالني يا بنية ! ما هذا معك ؟ فأخبرته ، فأخذه في كفيه ونثره على ثوب بسط له ، وقال لجعل بن سراقه : اصرخ ، يا أهل الخندق أن هلم إلى الغداء : فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق وإنه ليفيض من أطراف الثوب . وأرسلت أم متعب^(٢) الأشهلية^(٣) بقبعة فيها حيس^(٤) إلى رسول الله ﷺ وهو في قبته مع أم سلمة ، فأكلت حاجتها ، ثم خرج بالقبعة فنادى مناديه : هلم إلى عشائه ! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي .

موادعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب ، وقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد . وأرسل إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف — وهما رئيسا غطفان — أن يجعل لهما ثلث تمر المدينة ويرجعان بمن معهما ، فطلبوا نصف التمر ، فأبى عليهما إلا الثلث ، فرضيا . وجاءا في عشرة من قومهما حتى تقارب الأمر ، وأحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح — وعباد بن بشر قائم على

(١) راجع : (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) ج ١ ص ٢٦٨ - ٢٧٢ حيث ذكر هذا الخبر بتامه .

(٢) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) « أم عامر الأشهلية » .

(٣) قال محقق (ط) « لم أجد لها ترجمة ولا خيراً » .

والخير بسنده وتامه في (الاستيعاب) ج ٣ ص ٢٤٧ برقم ٣٥٧٦ وترجمتها في (الإصابة) ج ٣ ص ٢٤٣ برقم ١٣٦٨ ، والخير بسنده وتامه في (المغازي) ج ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٤) القبة : حُفَة مطبوقة للسويق (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٥٤ .
والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يُنَدَّرُ من نواه وربما جعل فيه سويق (المرجع السابق) ج ١ ص ٤٧٩ .

رأس رسول الله ﷺ مقنع في الحديد — ، فأقبل أسيد بن حضير ، وعيينة مآد رجله ، فقال له : يا عين الهجرس^(١) ، أقبض رجلك ، أتمد رجلك بين يدي رسول الله ﷺ ؟ والله لولا رسول الله ﷺ لأنفذت حضنيك بالرمح ! ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف ، متى طمعتم بهذا منا ؟ فدعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما خفية ، فقالا^(٢) : إن كان هذا أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فسمع وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف . فقال رسول الله ﷺ : إني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقلت أريضهم ولا أقاتلهم . فقالا : يا رسول الله ، والله إن كانوا ليأكلون العلهز^(٣) في الجاهلية من الجهد ، ما طمعوا بهذا منا قط : أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرى ! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك ، وهذاننا بك ، نعطي الدنية ! لا نعطيهم أبداً إلا السيف . فقال ﷺ : شق الكتاب . فشقه سعد ، فقام عيينة والحارث ، فقال ﷺ : ارجعوا ، بيننا السيف : رافعاً صوته .

خبر نعيم بن مسعود الأشجعي في تخذيل الأحزاب

وكان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعي صديقاً لبني قريظة ، وقدم مع قومه من الأحزاب حين أجذب الجنب^(٤) وهلك الخف والكراع^(٥) ، فغذف الله في قلبه الإسلام . فأتى رسول الله ﷺ ليلاً فأسلم ، فأمره أن يخذل الناس : وأذن له أن يقول^(٦) . فتوجه إلى بني قريظة ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهناً من أشرافهم فقبلوا رأيه ، واستكتمهم مجيئهم إليهم . ثم جاء إلى أبي سفيان في رجال قريش ، وأعلمهم أن قريظة قد ندمت على ما كان منها ، وأنهم راسلوا محمداً بأنهم يأخذون^(٧) من أشراف قريش وغطفان

(١) الهجرس: القرد والثعلب، أو ولده، والدب، ويقال: فلان هجرس: لئيم (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٣ .

(٢) في (خ) (فقال) .

(٣) العلهز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ، ونبات ينبت في بلاد بني سليم . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٤) في (خ) (أجذب الجنب) وما أثبتناه من (المغازي) ج ٢ ص ٤٨٠ .

(٥) كناية عن هلاك الأفعال .

(٦) أي يقول ما يشاء في الحيلة والخدعة .

(٧) في (خ) (يأخذوا) .

سبعين رجلاً يسلمونهم^(١) إليه ليضرب أعناقهم ، حتى يرد بني النضير إلى ديارهم ، ويكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه ، وأشار عليهم ألا يجيبوا قريظة إلى إعطاء الرهن ، وسألهم كتمان أمره ثم جاء إلى غطفان وأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشاً عنهم ، وحذرهم أن يدفعوا إليهم رهناً ، فأرسلت يهود غزال^(٢) ابن سموأل إلى قريش بأن الثواء قال طال ولم يصنعوا شيئاً ، والرأي أن يتواعدوا على يوم تزحف فيه قريش وغطفان وهم ، ولكنهم لا يخرجون لذلك معهم حتى يرسلوا إليهم برهائن من أشrafهم ، فإنهم يخافون : إن أصابكم ما تكرهون رجعتكم وتركتمونا . فلم يرجعوا إليهم بجواب . وجاء نعيم إلى بني قريظة وقال لهم : إني عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم يطلب منه الرهان فلم يرد عليه شيئاً ، فلما ولي رسولكم قال : لو طلبوا مني عناقاً^(٣) ما رهنها ! فلا تقاتلوا معه حتى تأخذوا الرهن ، فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً — وانصرف أبو سفيان — تكونوا على موادعتكم الأولى .

فلما كانت ليلة السبت بعث أبو سفيان بعكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة أن يخرجوا غداً لينجزوا محمداً جميعاً ، فقالوا : إن غداً السبت ، لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهاناً من رجالكم لئلا تبرحوا ، فإننا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد ، ولا طاقة لنا به . فتحققت قريش صدق ما قال لهم نعيم : وأرسلت غطفان إلى بني قريظة بمسعود بن ربيعة في رجال بمثل ما راسلهم أبو سفيان ، فأجابوهم بمثل^(٤) ما أجابوا به عكرمة ، فتحققت غطفان وبني قريظة ما قاله نعيم ، ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم .

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حبي بن أخطب ، فأثنى بني قريظة فلم يجد منهم موافقة له ، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش

(١) في (خ) (يسلموهم) . (٢) في (خ) (غزال) .

(٣) العناق : الأنتى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٢ .

(٤) في (خ) (مما) مكررة .

وغطفان رهانا عندهم .

دعاء رسول الله ﷺ على الأحزاب وهبوب الريح عليهم

وكان رسول الله ﷺ قد دعا على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم . وكان دعاؤه عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ، فعرف السرور في وجهه ، فلما كان ليلة السبت ، بعث الله الريح على الأحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله ، ولا يقرّ لهم قدراً ولا بناء . وقام رسول الله ﷺ يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل . وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف . وكان ﷺ إذا حزّبه الأمر أكثر من الصلاة .

خبر الريح وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لينظر ما فعل القوم وما يقولون . فدخل عسكرهم في ليلة شديدة البرد فإذا هم مصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدراً ولا بناءً ، وهم يشثرون^(١) في الرحيل حتى ارتحلوا . وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس جريدة^(٢) . ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا ، فأخبرهم النبي ﷺ بذلك . فلما كان السحر لحق عمرو وخالد بقريش ، ولحقت كل قبيلة بمحلتها^(٣) .

مدة حصار الخندق

فكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوماً ، وقيل : عشرين يوماً ، وقيل : قريباً من شهر . وأصبح ﷺ بعد رحيل الأحزاب ، فأذن للمسلمين في الانصراف ، فلهقوا بمنازلهم .

كتاب أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ورد رسول الله ﷺ

وكتب أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ كتاباً فيه : « باسمك اللهم . فأني أحلف

(١) هذه اللفظة عامية ، واللفظة فيها (يتشاورون) .

(٢) جريدة : خيل لا رجالة فيها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١١٦ . (٣) المحلة : منزل القوم .

باللات والعزى ، لقد سرتُ إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود^(١) أبداً حتى نستأصلكم^(٢) ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنك فلکم منا يوم كيوم أحد » وبعث به مع أبي أسامة الجُشمي ، فقرأه أبي بن كعب على رسول الله ﷺ في قبته ، وكتب إليه : « من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب . أما بعد ، فقد يما غرك بالله الغرور . أما ما ذكرت — أنك سرتُ إلينا في جمعكم ، وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا — فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : من علمك الذي صنعنا من الخندق ؟ فإن الله ألهمني لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك ، وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ذلك .

ويقال : كان في كتاب أبي سفيان : « ولقد علمتُ أبي لقيت أصحابك ناجياً^(٣) » وأنا في غير لقريش فما خص أصحابك منا شعره ، ورضوا منا بمدافعتنا بالراح ، ثم أقبلتُ في غير قريش حتى لقيت قومي — فلم تلقنا — فأوقعت بقومي ولم أشهدا من وقعة ، ثم غزوتكم في عقر داركم ، فقتلتُ وحرقتُ [يعني غزوة السويق] . ثم غزوتك في جمعنا يوم أحد ، فكانت وقعتنا فيكم مثل وقعتكم بنا بيدر . ثم سرنا إليكم في جمعنا ومن تألب إلينا يوم الخندق ، فلزمت الصياصي وخندقتم الخنادق » .

ما نزل من القرآن في شأن الخندق

وأُنزل الله تعالى — في شأن الخندق يذكر نعمته وكفايته عدوهم ، بعد سوء الظن منهم ، ومقالة من تكلم بالنفاق — قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ ﴾^(٤) .

(١) في (خ) « ألا نعود إليك » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٢ وما أثبتناها من (ط) .

(٢) في (خ) « نستأصلهم » وفي (الواقدي) « نستأصلك » .

(٣) في (خ) (باسا) .

(٤) الآيات من ١ إلى ٢٧ / الأحزاب ، « لم تروها ، الآيات » .

ذكر من قتل من المسلمين

وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر ، ثلاثة من بني الأشهل هم : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، واثنان من بني جشد ابن الخزرج ثم من بني سلمة هما : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن عتمة^(١) ، وواحد من بني النجار ثم من بني دينار [هو]^(٢) : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب^(٣) فقتله .

من قتل من الكفار

وقتل من المشركين ثلاثة نفر هم^(٤) : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة بن مخزوم ، وعمرو بن عبد ود قتل على رضي الله عنه . ولم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق .

غزوة بني قريظة

ثم كانت غزوة بني قريظة : خرج إليهم رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحصرها خمساً وعشرين ليلة ، وقيل : خمسة عشر يوماً ، وقيل : شهراً .

سببها

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق دخل بيت عائشة رضي الله عنها^(٥) فاغتسل ودعا بالمجمر ليتبخر ، وقد صلى الظهر ، فأتاه جبريل عليه السلام وقت الظهر — على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة ، وعلى ثناياه النقع — فوقف عند موضع الجنائز فنادى : عذيرك^(٦) من محارب . فخرج رسول الله ﷺ

(١) في (خ) « غنمة » وهي رواية (الواقدي) ، وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ١٥٥ « ابن غنيمة »

(٢) زيادة للسياق .

(٣) قال ابن هشام : سهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به ويقول (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٦ في شأن كعب بن زيد . وقتله ضرار بن الخطاب .

(٤) هكذا في (ابن هشام) ج ٣ ص ١٥٥ ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٦ « عثمان بن منبه » .

(٥) في (خ) « عنه » .

(٦) أي هات من ينصرك .

فرعاً ، فقال : ألا أراك وضعت الأمة ولم تضعها الملائكة بعد ؟ لقد طردناهم إلى
حمراء الأسد ، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمززل بهم
حصونهم . [ويقال : جاءه على فرس أبلق]^(١) .

الخروج إلى قريظة

فدعا رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فدفع إليه لواءه ، وكان اللواء على
حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ، وبعث بلالاً رضي الله عنه فأذن في الناس :
إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة .

وعن قتادة قال : بعث رسول الله ﷺ يومئذ منادياً ، يا خيل الله اركبي .
ولبس الدرع والمغفر والبيضة ، وأخذ قناة بيده ، وتقلد الترس ، وركب فرسه .
وحف به أصحابه وقد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وكانت ستة وثلاثين فرساً ،
وكانت له ﷺ ثلاثة أفراس معه . وقيل : خرج ﷺ وهو راكب على حمار
عري^(٢) . وسار فمر بنفر من بني النجار قد صفوا وعليهم السلاح ، فقال : هل
مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم ! دحية الكلبي ، مر على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة
من إستبرق ، فأمرنا بلبس السلاح ، فأخذنا سلاحنا وصففنا ، وقال لنا : هذا رسول
الله يطلع عليكم الآن ! فقال : ذلك جبريل .

وصول علي إلى حصن بني قريظة وسفاهة يهود

وانتهى إلى بني قريظة ، وقد سبق علي في نفر من المهاجرين والأنصار ، وغرز
الراية عند أصل الحصن ، فاستقبلهم يهود يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجه ،
فسكت المسلمون وقالوا : السيف بيننا وبينكم . فلما رأى علي رسول الله ﷺ
رجع إليه ، وأمر أبا قتادة الأنصاري أن يلزم اللواء .

مسيره ﷺ إليهم وما قاله

وسار ﷺ إلى يهود ، وقال يومئذ : الحرب خدعة . وتقدمه أسيد بن حضير
فقال : يا أعداء الله ! لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعاً ، إنما أنتم بمزلة ثعلب

(٢) عري : لا سرج عليه .

(١) ذكره (الواقدي) ج ٢ ص ٤٩٧ .

في جحر . قالوا : يا ابن الحضير ، نحن مواليك دون الخزرج ! وخاروا . فقال : لا عهد بيني وبينكم ولا إل^(١) . ودنا عليه السلام منهم وقد ترس عنه أصحابه . فقال : يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت ! أتشتموئي ؟ فجعلوا يلحفون : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ! .

تقدم الرماة وبدء المراماة

وتقدمت الرماة من المسلمين ، وقال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص : يا سعد ، تقدم فارمهم . فرماهم والمسلمون ساعة ، ويهود تراميهم ، ورسول الله صلى الله عليه وآله واقف على فرسه فيمن معه . ثم انصرفوا إلى منازلهم ، وباتوا وقد بعث إليهم سعد بن عبادة بأحمال تمر فأكلوا ، وقال عليه السلام وهو يأكل منه : نعم الطعام التمر .

واجتمع المسلمون عنده عشاء ، ومنهم من صلى ومنهم من لم يُصَلِّ حتى جاء بني قريظة ، فما عاب على أحد من الفريقين .

تعبئة المسلمين حول الحصن

ثم غدا سحراً وقَدَّم الرماة وعباً أصحابه ، فأحاطوا بحصون يهود وراموهم بالنبل والحجارة وهم يرمون من حصونهم حتى أمسوا ، فباتوا حول الحصون .

مفاوضة يهود للصلح

فنزل نبّاش بن قيس وكلم رسول الله صلى الله عليه وآله : على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير : له الأموال والحلقة ، ويحقن دماءهم ، ويخرجون من المدينة بالنساء والذراري ، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة . فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن ينزلوا عن حكمه ، وعاد نبّاش إليهم بذلك .

مشورة كعب بن أسد اليهودي

فأشار عليهم كعب بن أسد بأن يدخلوا في الإسلام ، وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته ، فلم يقبلوا رأيه . فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا

(١) الإل : العهد والقرابة قال تعالى ﴿ لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ﴾ ٨ / التوبة .

فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا ، فأبوا ذلك . فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبييتونهم فقالوا : لا نحل السبت . واختلفوا وندموا على ما صنعوا .

ذكر من أسلم من يهود بني قريظة

ونزل منهم [ثعلبة بن سَعِيه ، وأسيد بن سَعِيه ^(١)] ، وأسد بن عبيد ، وأسلموا . وأمنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ونزل عمرو بن سَعْدِي ، [وكان أُمِّي أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ] ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فبات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب ^(٢) فلم يُدر أين هو ! وقيل : [إنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب !] ^(٣) .

خبر أبي لبابة في مشورة اليهود

فلما اشتد عليهم الحصار طلبوا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فدخل عليهم فقالوا له : ما ترى ؟ إن محمداً أُمِّي إلا أن ننزل عن حكمه ! قال : فانزلوا . وأوماً إلى حلقة ، وهو الذبح . ثم نزل — والناس ينتظرونه — وقد ندم على ما كان منه . فمر على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى سارية ، وبلغ رسول الله ﷺ ما صنع وذهابه ، فقال : دعوه حتى يُحدث الله فيه ما يشاء ، ولو جاءني استغفرت له ، وأما إذ ^(٤) لم يأتني وذهب فدعوه . فكان كذلك خمس عشرة ليلة ، — وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على القتال ، وأنزل فيه : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ ^(٥) .

(١) في (خ) « ثعلبة بن أسيد ابنا سعيد » وهو خطأ ، وصوبه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٠٣ هكذا : « ثعلبة وأسيد ابنا سعية ، وأسد بن عبيد عمهم » : وفي (ابن هشام) ج ٣ ص ١٤٤ « قال ابن اسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد ابن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هذيل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك . هم بنو عم القوم » .

(٢) في (خ) ونزل عمرو بن سعدي فلم يدرى أين هو ، وسياقه مضطرب فاستوفيناه من (المرجع السابق) ذات الجزء والصفحة .

(٣) في (خ) « وقيل وجدت رُمته » وتمام السياق من المرجع السابق . ج ٣ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) في (خ) « إذا » . (٥) ١٠٢ / التوبة ، وفي (خ) « ... يتوب عليهم ، الآية » .

ويقال نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

ويقال نزلت فيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٢) . والأول أثبت .

نزول بني قريظة على حكم رسول الله وكتافهم وما وجد عندهم

ثم نزلت يهود على حكم رسول الله ﷺ فأمر بأسراهم فكتفوا رباطاً — وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة — ونحوا ناحية ، وأخرج النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام . وجمعت أمتعتهم وما وُجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب ، فوُجد فيها ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع ، وألفا رمح ، وألف وخمسمائة ترس وجحفة ، وأثاث كبير وآنية كثيرة ، وخمر وجرار سكر ، فهريق ذلك كله ولم يخمس . ووجد من الجمال النواضح عدة ، ومن الماشية شيء كثير ، فجمع ذلك كله .

طلب الأوس حلفاءهم بني قريظة

وطلب الأوس من رسول الله ﷺ أن يهب لهم بني قريظة فإنهم حلفاؤهم ، كما وهب لابن أبيي [بني] ^(٣) قينقاع حلفاءه .

تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة

فقال : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وسعدٌ يومئذ في المسجد في خيمة رُفيدة ، ويقال : كعبية ^(٤) بنت سعد بن سعد بن كعب بن عبد الأسلمية ، وكانت تداوي الجرحى ، وتلم الشعث ، وتقوم على الضائع الذي لا أحد له ، وكان لها خيمة في المسجد ، وكان رسول الله ﷺ جعل سعد بن معاذ فيها منذ جُرح . فخرجت

(٢) ٤١ / المائدة وفي (خ) ... بأفواههم، الآية.

(١) ٢٧ / الأنفال وفي (خ) ... والرسول، الآية.

(٤) في (خ) « كعبية » .

(٣) زيادة للإيضاح .

الأوس فحملوه على حمار . وجعلوا وهم حوله يقولون له : يا أبا عمرو ! إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع من حلفائه ، وأكثروا في هذا وشبهه ، وهو لا يتكلم ، ثم قال : قد أن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فقال الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري : واقوماه ! وقال غيره منهم نحو ذلك . ثم رجع إلى الأوس فنعى لهم قريظة . فلما جاء سعد إلى رسول الله ﷺ والناس حوله قال : قوموا إلى سيدكم ! فقاموا له على أرجلهم صفين يحياه كل منهم . [ويقال : إنما عني ﷺ بقوله : « قوموا لسيدكم » الأنصار دون قريش] . وقالت الأوس الذين حضروا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله قد ولاك فأحسن فيهم ، واذكر بلاءهم عندك . فقال سعد : أترضون بحكمي لبني قريظة ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم ، ثم قال : فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه المواسي ، وتسبى النساء والذرية ، وتقسم الأموال . فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة^(١) .

خبر بني قريظة بعد حكم سعد وما جرى في قتلهم

فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث ، وقد اختلف في اسمها ، فقيل : كَيْسَةُ بنت الحارث بن كرز بن [ربيعة]^(٢) بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز ، وأمر بأحمال التمر فنثرت على بني قريظة ، فباتوا يكذمونها كذم الحُمُر^(٣) . وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل ، وبالإبل والغنم فترك^(٤) هناك ترعى الشجر ، ثم غدا ﷺ إلى المدينة في يوم الخميس السابع من ذي الحجة والأسرى معه ، وأتى إلى السوق ، فأمر بخدود فخذت^(٥) ،

(١) والأرقعة السموات .

(٢) زيادة من نسب عبد الله بن عامر بن كرز .

(٣) الكدم : أثر العَضُ (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٨ والحُمُر : جمع حمار .

(٤) في (خ) « فبركت » .

(٥) الخدود : جمع خد : كالأخدود وهو الحفرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٢٠ .

وحفر فيها هو وأصحابه ، وجلس معه عليه أصحابه ، ودعا^(١) رجال بني قريظة فكانوا يخرجون أرسالاً تضرب أعناقهم .

مقالة حيي بن أخطب عند قتله

ولما جيء بعدو الله حيي بن أخطب [بن سعيه بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن ناخوم من بني إسرائيل من سبط لاوي ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران أخي موسى صلى الله عليه]^(٢) ، قال له رسول الله ﷺ : ألم يَكُنَّ الله منك يا عدو الله ؟ فقال : بلى ! والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولقد التمتست العز في مظائنه ، وأبى الله إلا أن يَمَكِّنَكَ مني ، قَلَقْتُ كُلَّ مَقْلَقٍ ، ولكنه من يَخْذُلُ الله يَخْذُلُ . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ! لا بأس بأمر الله ، قَدَّرَ وكتابٌ ، ملحمة كتبت على بني إسرائيل ! فأمر فضربت عنقه .

أمر رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأسرى

ثم أتى بعزال^(٣) بن سمّوأل ، ونباش بن قيس ، فضربت أعناقهما ، وقد جابذ^(٤) نباش الذي جاء به ، حتى قاتله ودق أنفه فأرعفه ، فقال ﷺ للذي جاء به : لم صنعت به هذا ؟ أما كان السيف كفاية ! ثم قال : أحسنوا إسمارهم ، وقيلوهم واسقوهم ، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح . وكان يوماً صائفاً ، فقيلوهم وسقوهم وأطعموهم ، فلما أبردوا راح رسول الله ﷺ فقتل من بقي منهم .

إسلام رفاعة بن سمّوأل

وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي

(١) في (خ) « دعى » .

(٢) في (خ) في مكان ما بين القوسين في نسب حيي بنت أخطب : « بنرية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيمة بن نجم بن أشرس بن سهيت بن السكون وفيه خلط كثير ، وما أثبتناه من (الاستيعاب) ج ١٣ ص ٦٢ ترجمة صفية بنت حيي رقم ٣٤٠٥ وانظر أيضاً ترجمتها في (الإصابة) ج ١٣ ص ١٤ رقم ٦٤٧ .

(٣) في (خ) « يغزل » .

(٤) جابذ : من الجَبَذ وهو الجذب . وليس مقلوبة ، بل لغة صحيحة (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥١٧ .

ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية رسول الله ﷺ في رفاة بن سمأل فقال : هو لك ؟ فأسلم .

كراهة بعض الأوس قتل قريظة، ثم تفريق الأسرى في الأوس

وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا : يا رسول الله ، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان جلفهم . فقال سعد بن معاذ : ما كرهه من الأوس أحد فيه خير ، فمن كرهه فلا أرضاه الله . فقام أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، لا تبقيَنَّ دار من دور الأوس إلا فرقتهم فيها . ففرقهم في دور الأنصار فقتلوه . وضرب رسول الله ﷺ عنق كعب بن أسد بين يديه .

قتل بنانة اليهودية وسببه

وأمر بينانة امرأة الحكم القرظي — وهي من السبي — فقتلت ، لأنها ألفت من حصن الزبير بن باطا رحي^(١) بإشارة زوجها على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئه ، فشَدَخَتْ رأس خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن امرئ القيس بن مالك الأغر ، فمات .

قتل كل من أنبت ، وبكاء نساء يهود

وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت منهم ، وترك من لم ينبت ، وتمادى القتل فيهم إلى الليل فقتلوا على شَعَل السعف ، ثم رُدَّ عليهم التراب في الخنادق . وكان من شك فيه منهم أن يكون بلغ ، نظر إلى مؤثره : فإن كان أنبَتَ قتل ، وإلا ترك في السبي . وكانوا ستائة ، [وقيل : ما بين الستائة إلى السبعمائة . وقيل : كانوا سبعمائة وخمسين] ، ولما قتلوا صاحت نساءهم وشَقَّتْ جيوبها ، ونشرت شعورها ، وضربت خدودها ، وملأت المدينة .

(١) في (خ) بعد قوله « باطا » باقي الخير لم يظهر في التصوير الميكروفيلمي ، وتماه من (الوقدي) ج ٢ ص ٥١٧ .

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثابت بن قيس بن شماس رسول الله ﷺ في الزبير بن باطا فقال : هو لك . فلم يرض بالحياة وطلب أن يلحقوه بأحبته ، فضرب الزبير بن العوام عنقه . وطلب ثابت بن قيس أهله وولده فرثوا إليه إلى الحلقة ، فكانوا مع آل ثابت بن قيس .

إسلام ريحانة بنت زيد

وأخذ رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد لنفسه صفياً وعزلها حتى تُسلم ، فما زال بها [ثعلبة بن سعية]^(١) حتى أسلمت ، فبعثها إلى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس حتى حاضت ثم طهرت . فجاءها وخيرها : أيعقُبها ويتزوجها أو تكون في ملكه يطؤها بالملك ؟ فاختارت أن تكون في ملكه ، وقيل : أعتقها وتزوجها .

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر بالمتاع فبيع في من يزيد ، وبيع السبي ، وقسمت النخل أسهماً ، وكانت الخيل ستاً وثلاثين فرساً ، فأسهم : للفرس سهمان ، ولصاحبه سهم ، وللراجل سهم . وقاد رسول الله ﷺ ثلاثة أفراس فلم يضرب إلا سهماً واحداً . وأسهم لخالد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، وقد قُتل تحت الحصن : طُرحت عليه رحي ، فشدخته شدخاً شديداً . وأسهم لأبي سنان بن محصن [واسمه وهب بن عبد الله ، ويقال : عبد الله بن وهب ، ويقال : عامر ، ولا يصح ، ويقال : اسمه وهب بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، وعلى هذا فهو أخو عكاشة بن محصن ، وهو أصح ما قيل فيه . وبات ورسول الله ﷺ يحاصروهم ، وكان يقاتل مع المسلمين . وكان المسلمون ثلاثة^(٢) آلاف ، فكانت سهمان الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً : للفرس سهمان ولصاحبه سهم . وأسهم يومئذ على الأموال فجزئت خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، فخرجت السهمان ، وكذلك الرثة^(٣) والإبل والغنم والسبي ،

(١) في (خ) « ابن سعد » . (٢) في (خ) « ثلاثة ، ثلاثة » مكررة .

(٣) الرثة : ردى المتاع (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٣٢٨ .

ثم فضُّ أربعة أسهم على الناس .

ترك فيء رسول الله ﷺ للنساء

وأخذ^(١) فيء رسول الله ﷺ النساء اللاتي حضرت القتال ولم يسهم لهن ، وهن : صفية بنت عبد المطلب ، وأم عمار ، وأم سليط ، وأم العلاء الأنصارية ، والسميرة بنت قيس الأنصارية ، وأم سعد بن معاذ ، وهي : كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر ، وهو ثُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج .

أمر السبي

ولما بيعت السبايا والذرية بعث رسول الله ﷺ بطائفة إلى الشام مع سعد بن عبادة^(٢) ، يبيعهم ويشتري بهم سلاحاً وخيلاً . واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما طائفة . فكان يوجد عند العجائز المال ولا يوجد عند الشَّوَاب ، فربح عثمان مالاً كثيراً لأنه صار في سهم العجائز . ويقال : لما قسم ﷺ جعل الشَّوَاب على حدة ، والعجائز على حدة ، وخير عبد الرحمن وعثمان فأخذ عثمان العجائز . واشترى أبو الشحم اليهودي امرأتين — مع كل واحدة ثلاثة أطفال — بخمسين ومائة دينار ، وجعل يقول : أَلَسْتُمْ على دين يهود ؟ فتقول المرأتان : لا نفارق دين قومنا حتى نموت عليه ، وهن يكيان . وكان السبي ألفاً من النساء والصبيان ، فأخرج رسول الله ﷺ خُمسه قبل بيع المغنم ، فجزأ السبي خمسة أجزاء : فأخذ خُمساً ، فكان يعتق منه ويهب منه ، ويخدم منه من أراد ، وكذلك صنع بما أصاب من رثتهم : قسمت قبل أن تباع . وكذلك النخل عزل خُمسه ، وكل ذلك يسهم عليه خمسة أجزاء ويكتب في سهم منها [لله]^(٣) ، ثم يُخرج السهم ، فحيث طار سهمه أخذه ولم يتخير . وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي ، وهو الذي قسم المغنم بين المسلمين .

(١) كذا في (خ)، و (ط)، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٢ « وأخذى » .

(٢) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٣ ، وفي باقي كتب السيرة : « سعد بن زيد الأشهلي » .

(٣) غير بينة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٢٣ .

النهي عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

ونهى رسول الله ﷺ أن يفرق في القسَم والبيع بين النساء والذرية ، وقال : لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا ، فقليل : يا رسول الله ! وما بلوغهم ؟ قال : تحيض الجارية ويحتمل الغلام . وكان يفرق يومئذ بين الأختين إذا بلغتا ، وبين الأم وابنتها إذا بلغت . وكانت الأم وولدها الصغار تباع من المشركين من العرب ، ومن يهود المدينة وتيماء وخيبر ، يخرجون بهم . وإذا كان الولد صغيراً ليس معه أم لم يبع من المشركين ولا من يهود إلا من المسلمين . فكانت أموال بني قريظة أول فيء وقع فيه السهمان والخمس .

موت سعد بن معاذ ، وبكاء أمه ،

وحزن رسول الله ﷺ على سعد ثم دفنه

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة ، رجع إلى خيمة رُفيدة بنت سعد الأسلمية — وكان قد كوى جرحه بالنار فانتفخت يده ، وسال الدم فحمله أخرى فانتفخت يده ، فسأل الله أن يقيه حتى يقاتل بني قريظة — فانفجر جرحه ومات بعد ما عاده النبي ﷺ فحمل إلى منزله . وغسله الحارث بن أوس ابن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسلمة بن سلامة بن وقش بحضرة رسول الله ﷺ ، وأم سعد تبكي وتقول :

[ويل أم سعد سعداً صرامةً وحداً
وسودداً ومجداً وفلرساً محلاً
سُدَّ به مسداً يقدّها ما قدّاً]^(١)

فقال رسول الله ﷺ : كل البواكي يكذبون إلا أم سعد . ثم كفّن في ثلاثة أثواب وحمل في سرير . فحمل رسول الله ﷺ [جنازته]^(٢) وهو بين عمودي سريريه حتى رُفع من داره إلى أن خرج ، ومشى أمام جنازته ، ثم صلى عليه ونزل في قبره أربعة نفر : الحارث بن أوس بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وأبو نائلة ،

(١) وردت هذه الندبة بروايات كثيرة في كتب السيرة ، وما أثبتناه هو أجودها .

(٢) الجنازة : سرير الميت أو الميت نفسه .

وسلمة بن سلامة ، ورسول الله ﷺ واقف على قدميه على قبره . ولما وضع في لحدّه تغير وجهه وسبح ثلاثاً ، فسبح المسلمون ثلاثاً حتى ارتج البقيع^(١) ، ثم كبر ثلاثاً وكبر أصحابه حتى ارتج البقيع ، فسئل عن ذلك فقال : تضايق على صاحبكم قبره ، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعدٌ ، ثم فرّج الله عنه . وجاءت أم سعد تنظر إليه في اللحد وقالت : احتسبك عند الله . وعزّاها^(٢) رسول الله ﷺ على قبره . وجلس ناحية والمسلمون يردون تراب القبر حتى سوّو ورش الماء عليه ، ثم وقف ﷺ فدعا ، ثم انصرف .

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بني النضير

وسار حُسيل بن نورة الأشجعي يومين حتى قدم خيبر ، فأعلم سلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، ويهود بني النضير ، ويهود خيبر . بأن رسول الله ﷺ قد قتل مقاتلة قريظة صبراً بالسيف ، وسبي النساء والذرية ، فقال سلام بن مشكم — وكانت له رئاسة بني النضير بعد يوم بعث^(٣) — : هذا كله عمل حيي بن أخطب ، لا قامت يهودية بالحجاز أبداً ! وصاح نساؤهن وأقمن المآتم ، وفزعت اليهود إلى سلام ليروا رأيه . فأشار عليهم يسيروا معه ، ويهود تيماء وفدك ووادي القرى — ولا يجلبوا معهم أحداً من العرب — حتى يغزوا محمداً في عقر داره ، فوافقوا على ذلك .

زواجه ﷺ زينب بنت جحش

وفي هذه السنة الخامسة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، في قول طائفة .

فرض الحج

وفيهما فرض الحج ، وقيل : سنة ست ، وقيل : سنة سبع ، وقيل : سنة ثمان ، وقيل غير ذلك .

(١) البقيع : بقيع الغرقد ، وهو مدافن أهل المدينة .

(٢) في (خ) « وعزّاها » . (٤) في (خ) « يغاث » .

سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان

ابن خالد بن نبيح الهزلي

ثم كانت سرية عبد الله بن أنيس بن أسعد^(١) بن حرام بن حبيب بن مالك ابن غنم بن كعب بن تيم بن نفثة بن إلياس^(٢) بن يربوع بن البرك بن وبرة [ويعرف بالجهني وليس بجهني ، ولكنه من وبر قضاة وجهينة أيضاً من قضاة]^(٣) — إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهزلي ، ثم اللحياي .

خروجه إليه وسببه

خرج إليه يوم الاثنين لخمس خلون من الحرم على رأس أربعة وخمسين شهراً^(٤) ، فغاب اثنتي عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من الحرم . وقد بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهزلي ثم اللحياي نزل عرنة وما حولها في ناس فجمع لحربه ، وضوى إليه بشر كثير من أفناء العرب . فبعث عبد الله بن أنيس وحده ليقتله ، وقال له : انتسب إلى خزاعة .

صفة ابن نبيح

(فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه)^(٥) ، قال : إذا رأيته هبته ، وفترت منه ، وذكرت الشيطان ، وآية (ما بينك وبينه)^(٦) أن تجد له قشعيرة إذا رأيته ، وأذن له أن يقول ما بدا له ، وكان أنيس^(٧) لا يهاب

(١) في (خ) « ابن إسحاق » .

(٢) في (خ) « أنيس » . (٧) مابين القوسين في (خ) بعد قوله « الهزلي ثم اللحياي » وهذا هو حق مكانه .

(٣) وهي رواية (الواقدي) في ج ٢ ص ٥٣١ ، وذكر في (تلقيح الفهوم) ص ٥٦ ، « خرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وذكره أيضاً (ابن سعد) ج ٢ ص ٥٠ وهو الصواب .

(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ .

(٥) في (خ) « وآية ذلك تجد » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ : « آية بينك وبينه » وما أثبتته من (ط) فهو أدل على السياق .

(٦) كذا في (خ) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٢ و (ابن سعد) ج ٢ ص ٥١ « وكنت لا أهاب الركال » ولعلها في (خ) « وكان ابن أنيس » وكلمة « ابن » ساقطة من الناسخ .

الرجال . فأخذ سيفه وخرج ، حتى (إذا)^(١) كان يبطن عرّة لقي سفيان يمشي : ووراءه الأحابيش ، فهابه ، وعرفه بالثّعت الذي نعت له رسول الله ﷺ . وقد دخل وقت العصر ، فصلى وهو يمشي يوميء إيماءً برأسه ، فلما دنا منه قال : من الرجل ؟ قال : رجل من خزاعة ، سمعت لجمعك لحمد فجتك لأكون معك . ومشى معه يحادثه ويُشّده ، وقال : عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث ، فارق الآباء وسفه أحلامهم ! فقال سفيان : لم يلق محمد أحداً يشبهني ! حتى انتهى إلى خبائه وتفرّق عنه أصحابه . فقال : هلمّ يا أخا خزاعة .

قتل سفيان بن خالد

فدنا منه وجلس عنده حتى نام الناس ، فقتله وأخذ رأسه واختفى في غار ، والحيل تطلبه في كل وجه ، ثم سار الليل وتوارى في النهار إلى أن قدم المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد فقال : أفلح الوجه ! قال : أفلح وجهك يا رسول الله ! ووضع الرأس بين يديه ، وأخبره الخبر ، فدفع إليه عصا وقال : تخصّر^(٢) بهذه في الجنة ، فإن المتخصّرين^(٣) في الجنة قليل ، وكانت عنده حتى أدرجت في أكفانه بعد موته .

غزوة القرطاء

ثم كانت غزوة القرطاء من بني بكر^(٤) بن كلاب ، بناحية ضريبة بالبكرات ، وبين ضريبة والمدينة سبع ليال . خرج فيها محمد بن مسلمة لعشر خلون من المحرم ، فغاب تسع عشرة ليلة ، وقدم لليلة بقيت من المحرم . وكان في ثلاثين رجلاً ، فسار الليل وكمن^(٥) [حتى إذا]^(٦) كان بالشربة^(٧) لقي ظُعناً من محارب ، فأغار عليهم . وقتل نفرأ منهم وفرّ سائرهم ، واستاق نعماً وشاءً ، ومضى . وقدم عباد ابن بشر عيناً لينظر بني بكر بن كلاب . فلما أتاها بخبرهم شنّ الغارة عليهم ، وقتل منهم عشرة ، واستاق النعم ، والشاء ، وقدم المدينة ، وهي خمسون ومائة بعير ،

(١) زيادة السياق .

(٢) اختصر فلان : أمسك المخصّرة واختصر بها : اعتمد عليها . والمخصرة : ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها .

(٣) المعجم الوسيط (ج ١ ص ٢٣٧ . (٤) في (خ) « من بني أبي بكر »

(٥) زيادة للسياق (٦) في (خ) « وأكمن »

(٧) الشربة : قال الأصمعي : الشربة وادي الرمة يقع بين عدنة والشربة (معجم البلدان) ج ٣ ص ٣٣٣ وضربة قرية في طريق مكة من البصرة من نجد (المرجع السابق) ج ٣ ص ٤٥٧ وهي في (خ) « الشربة » .

وثلاثة آلاف شاة ، فخمّس رسول الله ﷺ وقسم ما بقي ، فعُدّل الجزور بعشر من الغنم .

غزوة بني لحيان

ثم كانت غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، بناحية عُسفان^(١) . خرج فيها رسول الله ﷺ لهُلال ربيع الأول سنة ست في مائتي رجل ، ومعهم عشرون فرساً ، يريد بني لحيان ليأخذ بثأر أصحاب الرجيع ، فعسكر من ناحية الجُزف في أول نهاره ، وأظهر أنه يريد الشام ، ثم راح مبرداً حتى انتهى إلى حيث كان مصاب عاصم بن ثابت وأصحابه بين أجم وعسفان بطن عُران^(٢) ، وبينها وبين عسفان خمسة أميال . وقد هرب بنو لحيان ، فأقام يوماً أو يومين وبث السرايا فلم يقدر على أحد . فأتى عسفان في مائتي راكب من أصحابه ، ثم بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كراً . وقال الواقدي^(٣) : بعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس فبلغ كراع الغميم ورجع . ولم يلق أحداً . فقال ﷺ : إن هذا يبلغ قريشاً فيذعرهم ، ويخافون أن نكون نريدهم . وكان خبيب بن عدي يومئذ في أيديهم ، فخافوا أن يكون قد جاء ليخلصه . وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقد غاب أربع عشرة ليلة وكان يخلفه على المدينة ابن أم مكتوم .

دعاء رسول الله ﷺ

وقال في منصرفه إلى المدينة : آتبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة على الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال . اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خير ، مغفرة منك ورضواناً ، وهذا أول ما قال هذا الدعاء^(٤) .

وصحّح جماعة أن غزوة بني لحيان هذه كانت بعد قريظة بستة أشهر ، وأنها كانت في جمادى الأولى . وصحّح ابن حزم أنها في الخامسة .

(١) قال السكري : عُسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة المنورة والجحفة على ثلاث مراحل ، غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً (معجم البلدان) ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) في (خ) « عُشان » . (٣) في (المغازي) ج ٢ ص ٥٣٦ .

(٤) ذكره النووي في (الأذكار) ص ١٩٨ ، ١٠٣ ، وابن سيد الناس في (عيون الأثر) ج ٣ ص ٨٣ وغيرها .

غزوة الغابة

وكانت غزوة الغابة . ويقال : غزاة ذي قَرْد [ويقال : قُرْد بضمّتين] ، وهو ماء على بريد من المدينة ، في ربيع الأول . وقال ابن عبد البر^(١) : كانت بعد لحيان بليلال . وقال البخاري : كانت قبل خيبر بثلاثة أيام^(٢) ، وفي مسلم نحوه^(٣) ، وفيه نظرٌ لإجماع أهل السير على خلافه^(٤) .

سببها

وسببها : أن لقاح رسول الله ﷺ — وكانت عشرين لقحة^(٥) : منها ما أصاب في ذات الرقاع : ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد — وكانت ترعى البيضاء فقربوها إلى الغابة ، وكان الراعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب . فاستأذن أبو ذر جُنْدُب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صَعِير بن حرام بن غفار الغفاري ، رسول الله ﷺ في الخروج إلى لقاحه ، فقال : إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تُغَيِّرَ^(٦) عليك ، ونحن لا نأمن عُيَيْنَةَ بن حصين وذويه . وهو في طرف من أطرافهم ، فلما ألح عليه أبو ذر رضي الله عنه قال : لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك ، وجئت تنوكاً على عصاك .

ليلة السرح

فلما كانت ليلة السرح ، جعلت سَبَّحَة فرس المقداد بن عمرو لا تقرُّ ضرباً

(١) في (خ) « أبو عبيد البر » .

(٢) (صحيح البخاري) ج ٣ ص ٤٨ ، فتح الباري ج ٧ ص ٤٦٠ .

(٣) (شرح صحيح مسلم للنووي) ج ١٢ ص ١٧٣ وما بعدها .

(٤) يقول (ابن جرير الطبري) : « وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع إما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقَّع ابن إسحاق لغزوة ذي قَرْد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر » (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٥٩٦ .

(٥) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٨٣٤ .

(٦) في (خ) « غيَّره » والتصويب في (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٨ .

بيديها وصهيلاً ، فيقول أبو معبد : والله إن لها لشأناً ! فينظر آريها^(١) فإذا هو مملوء علفاً . فيقول : عطشي ! فيعرض الماء عليها فلا تريده ، فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه وخرج ، حتى صلى مع رسول الله ﷺ الصبح فلم ير شيئاً . ودخل النبي ﷺ بيته ، ورجع المقداد إلى بيته ، وفرسه لا تَقْرُ ، فوضع سرجه وسلاحه واضطجع . فأتاه آتٍ فقال : إن الخيل قد صُبِّحَ بها^(٢) ! .

غارة ابن عيينة على السرح

وكانت لقاح رسول الله ﷺ قد رُوِّحت وعَطُنَتْ وحُلِبَتْ عَتَمَتُهَا^(٣) ، وأحدق عبد الرحمن بن عيينة بن حصن في أربعين فارساً من بني عبد الله بن غطفان ، [وذكر ابن الكلبي أن الذي أغار على سرح المدينة عبد الله بن عيينة بن حصن] . وهم نيامٌ . فأشرف لهم ابن أبي ذرٍّ فقتلوه وساقوا اللقاح . فجاء أبو ذر إلى النبي ﷺ فأخبره فتبسّم .

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سلمة بن عمرو [بن]^(٤) الأكوع — [واسمه سِنَان]^(٥) بن عبد الله ابن قشير بن خزيمه بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي قد غدا إلى الغابة للقاح رسول الله ﷺ [بفرسٍ لطلحة بن عبد الله]^(٦) لأن يبلّغه^(٧) لبها ، فلقي غلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه — وكان في إبله فأخطأوا مكانها ، فأخبره أن لقاح رسول الله ﷺ قد أغار عليها ابن عيينة في أربعين فارساً . وأنهم رأوا إمداداً بعد ذلك أمدُّ به ابن عيينة ، فرجع سلمة إلى المدينة وصرخ على ثنية الوداع بأعلى صوته ! يا صباحاه ! ثلاثاً ، ويقال نادى : الفَرَزَعُ الفَرَزَعُ ! ثلاثاً .

(١) الآريّ : محبس الدابة ومربطها ومعلقها (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٤ .

(٢) صُبِّحَ بها : أغير عليها صباحاً (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٠٥ .

(٣) رُوِّحت : رُدت إلى مكان مبيتها وعطنت : سعت ورجعت إلى مأواها ، والعَتَمَةُ : ثلث الليل الأول ، وهو ووقت حليها ، فسَمِّي اللبن باسم وقت حلبه .

(٤) زيادة لا بد منها . (٥) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٢ .

(٦) هذه الكلمة في (ط) « لبينه » وما أثبتناه من (خ) وهي في (الواقدي) ج ٢ ص ٥٣٩ على لسان سلمة ابن الأكوع : « لأن أبلغه لبها » ، ومع ذلك يقول محقق (ط) : « ولم أجد الكلمة في خبر من أخبار سلمة بن الأكوع » وللاحق : فإن رسم هذه الكلمة في (خ) « يلعنه » .

ووقف على فرسه حتى طلع رسول الله ﷺ في الحديد مُقَنَّعاً ، فوقف واقفاً .
[وقيل : ركب فرساً غُزياً لأبي طلحة يقال له مندوب ، فلما انصرف قال : إن وجدناه لبحراً]^(١) .

نداء الفرع ليلة السرح

[ونودي يا خيل الله اركبي ! وكان أول ما نودي بها]^(٢) ، فكان^(٣) أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو وعليه السلاح شاهراً سيفه . فعقد له لواء على رحله وقال : امض حتى تلحقك الخيول ، إنا على أثرك . فخرج حتى أدرك أخريات العدو ، فظفر له بفرس . وأدرك مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري فتطاعنا برمحيهما ، ثم قر مسعدة . فنصب مقداد اللواء ، ولحقه أبو قتادة — معلماً بعمامة صفراء على فرس له — فتسايرا ساعة ، فاستحث أبو قتادة فرسه حتى غاب ، وقد أدرك مسعدة فقتله .

وخرج سلمة بن الأكوع على رجله يعدو ، يسبق الخيل ، حتى لحق العدو فرماهم بالنبل والخيل تكرر عليه وهو يقول :

خذها وأنا ابنُ الأكوع اليومَ يومَ الرُّضْغِ

[حتى انتهى إلى ذي قرد وقد استنفذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة ، قال سلمة : .

وصول رسول الله ﷺ إلى ذي قرد

فلحقنا]^(٤) رسول الله ﷺ والخيول عشاءً ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان

(١) ما بين القوسين زيادة في (خ) ولعلها خطأ من الناسخ وحذفها أولى ، لأن خبر أبي طلحة ليس في هذه الغزوة . (٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٠ و (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨ .

(٣) في (خ) « وكان » والصواب ما أثبتناه من : (تاريخ الطبري) ج ٢ ص ٦٠١ ، (زاد المعاد) ج ٢ ص ٢٧٨ ، (المغازي) ج ٢ ص ٥٣٩ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من : (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٨ ، وسياقه مضطرب في (خ) فبعد قوله : « اليوم يوم الرضع » ما يأتي : « حتى لحقهم رسول الله ﷺ والخيول عشاءً ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله ﷺ بذئ قرد » راجع (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١ و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤١ .

المقداد أمير الفرسان [وقيل : بن أميرهم سعد بن زيد الأشهلي ^(١)] . فقال سلمة : يا رسول الله ! إن القوم عطاش ، وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا ، فلو بعثني في مائة رجل استنقذت ما بين أيديهم من السرح ، وأخذت بأعناق القوم ! فقال : ملكت فأسنجح ^(٢) ! ثم قال : [إنهم الآن ^(٣) ليقرّون ^(٤)] في غطفان . وذهب الصريح إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد ، فلم تزل الخيل تأتي ، والرجال على أقدامهم ، و [على ^(٥) الإبل ، والقوم يعتقبون البعير والحمار ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد ، فاستنقذوا عشر لقاح — منها جمل أبي جهل — وأفلت القوم بعشر ^(٦)] .

ذكر القتل

وكانت راية رسول الله ﷺ العقاب يحملها سعد ، وكان قد أدرك محرز ، نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة — القوم بهيفاً ^(٧) ، فطاعنهم ساعة ^(٨) بالرمح فقتله مسعدة بن حكمة . وأقبل عباد بن بشر

(١) في (خ) « مسعدة بن زيد » والصواب ما أثبتناه من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨١ . و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤١ ، يقول (ابن سعد) والثابت عندنا أن رسول الله ﷺ أمر على هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي ، ولكن الناس نسبوها إلى المقداد لقول حسان بن ثابت :

سرّ أولاد اللقيطة أنا
سيلم غداة قواريس المقداد

راجع (ديوان حسان) ص ٣٢٦ .

(٢) الإسجاح : حُسن العفو ، أي ملكت الأمر على فأحسن العفو عني ، وأصله السهولة والرفق ، وهو مثل يُضرب لذلك : (مجمع الأمثال للميداني) ج ١ ص ٤٦٠ ، ج ٢ ص ٢٤٨ مثل رقم ١٦٢٩ .

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٨٤ (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٤) من القرى ، وهو ما يقدم للضيف .

(٥) زيادة من (ط) ورواية (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤٢ ، (وزاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ بدون هذه الزيادة .

(٦) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ : « قلت : وهذا غلط بين ، والذي في الصحيحين : أنهم استنقذوا اللقاح كلها » ولفظ مسلم في صحيحه ج ١٢ ص ١٧٩ (بشرح النووي) « حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، وخلقوا بيني وبينه » .

(٧) في (خ) و (الغازي) « بهيفاً » وهو خطأ قد صححه محقق (الغازي) وصوابه : « بهيفاً » وهيفاً : موضع على ميل من بئر المطلب (وفاء الوفا) ج ٢ ص ٣٨٧ ، وقد ذكر محقق (ط) في (المستدرک) أن هذا الموضع لم يذكره أحد من أصحاب كتب البلدان .

(٨) في (خ) « ساعد » هكذا مشكولة وهو خطأ ، وما أثبتناه من (الغازي) ج ٢ ص ٥٤٨ .

على أوبار بن عمرو بن أوبار^(١) وقاتله ، فقتله عباد ، وقيل : بل قتله عكاشة بن محصن .

دعاء رسول الله ﷺ لأبي قتادة

ودعا رسول الله ﷺ لأبي قتادة لما أدركه فقال : اللهم بارك له في شعره ، وبشره . وقال : أفلح وجهك ! فقال : ووجهك يا رسول الله ! ثم قال : قتلت مسعدة ؟ قال : نعم ! قال : ما هذا بوجهك ؟ قال : سهم رميت به يا رسول الله ! قال : فاذن مني ! فدنا منه فبصق عليه فما ضرب عليه قط ولا قاح^(٢) فمات أبو قتادة ، وهو ابن سبعين سنة ، وكأنه ابن خمس عشرة^(٣) سنة ، وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ فرس مسعدة وسلاحه وقال : بارك الله لك فيه .

أصحاب الخيل

واستعمل ﷺ يومئذ على الخيل سعد بن زيد الأشهلي وقدمه أمامه ، فلحق القوم وناولهم ساعة : هو والمقداد بن عمرو ، ومعاذ بن ماعص ، وأبو قتادة ، وسلمة بن الأكوع ، فحمل سعد على حبيب بن عيينة بن حصن فقتله وأخذ فرسه ، وقيل : قتل حبيب بن عيينة المقداد . وكان شعار المسلمين يومئذ : أمّ أمّ .

صلاة الخوف

وصلى رسول الله ﷺ يومئذ صلاة الخوف : فقام إلى القبلة وصفّ طائفة خلفه ، وطائفة مواجهة العدو ، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدة ثم انصرفوا . وقاموا مقام أصحابهم ، وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجدة وسلم ، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان ، ولكل رجل من الطائفتين ركعة .

(١) كذا في (خ) ، وفي (خ) « أنار » وفي المغازي ج ١ ص ٥٤٣ « أنار » .

(٢) كذا في (خ) وفي (المغازي) ج ٢ ص ٥٤٥ القحيح : المدة لا يخالطها دم ، قاح الجرح يقيح (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٧٢١ وفي (ط) « قاح » بالفاء ، وقد ذكر محقق (ط) أن هذا صوابها .

(٣) في (خ) « خمسة عشر سنة » .

تاريخ الغزوة

وكانت غزاة ابن عيينة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ست .
فخرج ﷺ يوم الأربعاء ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأقام بذئ قرد
يوماً وليلة . وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ،
ويقال : كانوا سبعمائة .

حراسة المدينة وإمداد سعد بن عباد المسلمين

وأقام سعد بن عباد — في ثلاثمائة من قومه — يحرسون المدينة خمس ليال حتى
رجع ﷺ ليلة الاثنين . وأمدّ المسلمين سعد بن عباد رضي الله عنه بأحمال تمر ،
وبعشر جزائر بذئ قرد : وبعث بذلك مع ابنه قيس بن سعد ، فقال رسول الله
ﷺ : يا قيس ! بعثك أبوك فارساً ، وقرى المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو !
اللهم ارحم سعداً وآل سعد ! ثم قال : نعم المرء سعد بن عباد ! فقالت الأنصار :
يا رسول الله ، هو بيننا وسيدنا وابن سيدنا . كانوا يطعمون في المحل^(١) ، ويحملون
الكل^(٢) ، ويقرون الضيف ، ويعطون في النائبة ، ويحملون عن العشيرة^(٣) . فقال :
خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا في الدين .

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبي ذر

ورجع ﷺ إلى المدينة ليلة الاثنين وقد غاب عنها خمس ليال . فأقبلت امرأة
أبي ذر على ناقته القصواء . — وكانت في السرح — فدخلت عليه فأخبرته من أخبار
الناس ، ثم قالت : يا رسول الله ! إني نذرت إن نجاني الله عليها أن انحرها فأكل
من كبدها وسنامها ! فتبسم وقال : تبس ما جزيتها ! أن حملك الله عليها ونجأك
[بها]^(٤) ثم تنحريها ! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة
من إيلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله .

(١) المخل : مَحَل المكان : أجذب (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٧٥٦ .

(٢) الكَل : الفقير المُعْدَم . (٣) من الحمالة : وهي الدية والغرامة .

(٤) زيادة من ابن هشام ج ٣ ص ١٧٩ ، و في (خ) (والمغازي) بدونها .

خبر الهدية

وقيل لرسول الله ﷺ : هذه لقحتك السمراء على بابك ، فخرج مستبشراً ، فإذا رأسها بيد ابن أخي عيينة بن حصن ، فلما نظر عرفها ، فقال : أيم بك^(١) ؟ فقال : يا رسول الله ! أهديت إليك هذه اللقحة ، فتبسم وقبضها منه ، وأمر له بثلاثة أواق فضة ، فتسخط ، فصلى عليه السلام الظهر وصعد المنبر فحمد الله ، ثم قال : إن الرجل أهدى لي الناقة من إبلي ، أعرفها كما أعرف بعض أهلي ثم أتبيه عليها ، فيظل يتسخط علي ! ولقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قريشي أو أنصاري . وفي رواية^(٢) : أو ثقفي أو دوسي .

بعض تاريخ الغزوة

ووقع في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع في هذه القصة قال : فرجعنا إلى المدينة فلم نلبث إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر . وذهب قوم إلى غزوة المريسيع كانت في شعبان ، بعد غزوة الغابة هذه^(٣) .

يا خيل الله اركبي

وفي غزوة الغابة نودي عندما جاء الفزع : يا خيل الله اركبي : ولم يكن يقال قبلها .

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه — الأسدي — إلى الغمر : وهو ماء لبني أسد على ليلتين من قيد^(٤) في ربيع الأول سنة ست . فخرج في أربعين رجلاً يغذ السير ، فنذر به القوم فهربوا ، وانتهى إلى علياء بلادهم فلم يلق أحداً . وبث سرياه فظفروا

(١) يريد : أي شيء بك ؟ (٢) عن أبي هريرة ، ذكرها (الواقدي) ج ٢ ص ٥٤٩ .

(٣) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٧٩ : « وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية ، وقد وَهَمَ فيها جماعة من أهل المغازي والسير ، فذكروا أنها قبل الحديبية » .

(٤) قيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٨٢ .

بنعم فاستاقوا مائتي بعير وعادوا .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة — موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرين ميلاً — يريد بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة^(١) : وهم مائة رجل ، في ربيع الأول ، فسار في عشرة حتى وردوا ليلاً وناموا ، فأحاط بهم المائة رجل من بني ثعلبة ففزعوا ، وراموهم ساعة بالنبل ، ثم حملت الأعراب بالرماح عليهم فقتلوهم ، وسقط محمد بن مسلمة جريحاً ، فحمل بعد ذلك إلى المدينة .

سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

ثم كانت سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست . خرج في ليلة السبت ومعه أربعون رجلاً ، فغاب ليلتين ، وكانت بلاد بني ثعلبة وأثمار قد أجذبت ، فتبع بنو محارب وثلعة وأثمار سحابة وقعت بالمرض إلى تغلمين ، [والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة] ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة بطن هيفاء^(٢) : [موضع على سبعة أميال من المدينة] . فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة رضي الله عنه بمن معه بعدما صلوا صلاة المغرب : فمشوا ليلهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصباح^(٣) ، فأغاروا على القوم فأعجزوهم هرباً ، وأخذوا رجلاً ، واستاقوا نعماً ، ووجدوا رثة من متاع ، وعادوا ، فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة ، وقسم باقيها . وأسلم الرجل وترك لحاله .

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى العيص : على أربع ليال من المدينة ، في جمادى الأولى منها ، ومعه سبعون ومائة راكب ، ليأخذوا عيراً لقريش قد أخذت طريق العراق . ودليلها فرات بن حيان العجلي . فظفر بها زيد ، وأسر أبا العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص ، ووجد فضة كثيرة لصفوان .

(١) في (خ) « ثعلب » (٢) في (خ) « هيفا » (٣) عماية الصباح : بقيه الظلمة في آخر الليل .

ابن أمية . وقدم المدينة ، فأجازت زينب [بنت رسول الله]^(١) عليها السلام زوجها أبا العاص .

إسلام أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ : المؤمنون يد على من سواهم ، يجبر عليهم أديانهم ، وقد أجرنا من أجات : ورد عليه كل ما أخذ من المال . فعاد إلى مكة وأدى إلى كل ذي حق حقه ، وأسلم . ثم قدم المدينة مهاجراً ، فرد رسول الله ﷺ عليه زينب بذلك النكاح .

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة رضي الله عنها

وأفلت المغيرة بن معاوية فتوجه إلى مكة ، فأخذه خوات بن جبير أسيراً — وكان في سبعة نفر مع سعد بن أبي وقاص — فدخلوا به المدينة بعد العصر ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : احتفظي عليك بهذا الأسير ، وخرج . فلَهتْ عائشة مع امرأة بالحديث ، فخرج وما شعرت به .

خبر دعاء رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها

فدخل النبي ﷺ فلم يره وسألها ، فقالت : غَفَلْتُ عنه ، وكان ها هنا آنفاً ! فقال : قطع الله يدك . وخرج فصاح بالناس ، فخرجوا في طلبه حتى أخذوه وأتوا به . فدخل ﷺ على عائشة وهي تقلب يدها فقال : مالك ؟ قالت : أنظر كيف تقطع يدي ! قد دعوت عليّ بدعوتك ! فاستقبل ﷺ القبلة ورفع يديه ثم قال : اللهم إنما أنا بشر أغضب وأسف كما يغضب البشر ، فأيا مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعلها له رحمة^(٢) .

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وكانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف — ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة ، بناحية نخل من طريق العراق — في جمادى الآخرة منها ، ومعه خمسة عشر

(١) زيادة للإيضاح .

(٢) راجع ج ٢ من هذا الكتاب باب « وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لم سب من أمته أجراً » .

رجلاً يريد بني ثعلبة ، فأصاب لهم نَعَمًا وشاءَ . وقدم من غير قتال بعشرين بعيراً ، ثم غاب أربع ليال .

سرية زيد بن حارثة إلى حسمي وسبها

وكانت سرية زيد أيضاً إلى حسمي وراء وادي القرى ، في جمادى الآخرة هذا . وسبها أن دَحِيَّة الكلبي أقبل من عند قيصر ملك الروم بجائزة وكسوة ، فلقيه بحسمي الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد في جمع من جذام ، فأخذوا ما معه . ودخل المدينة بِسَمَل^(١) ثوب ، [ويقال : بل نفر إليه النعمان بن أبي جَعَال في نفر من بني الضَّبَّيب فخلص له متاعه بعد حرب] . فبعث رسول الله ﷺ زيداً على خمسمائة رجل ومعه دحية ، فكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً ، حتى هجم مع الصبح على الهنيد وابنه فقتلها ، واستاق ألف بعير وخمسة آلاف شاة ، ومائة ما بين امرأة وصبي . فأدركه بنو الضَّبَّيب — وقد كانوا أسلموا وقرأوا من القرآن — وحدثوه أن يرد عليهم ما أخذ . ثم قدم زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه على رسول الله ﷺ المدينة ، فذكر له ما صنع زيد بن حارثة ، ورضوا بأخذ ما أصاب لهم من الأهل والمال ، وأغضوا عَمَّن قتل . فبعث معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه سيفه أمارة — ليرد عليهم زيد ما أخذ منهم — فرد جميع ذلك بعد ما فرقه فيمن معه ، وقد وَطَّئُوا النساء .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الإسلام

وكانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى كلب بدومة الجندل في شعبان منها^(٢) ، ليدعوا كلباً إلى الإسلام ، ومعه سبعمائة رجل . فأقعده بين يديه ، ونقض عمامته بيده الكريمة ، ﷺ ، ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها ، ثم قال : هكذا فاعتم يا ابن عوف ! ثم قال ﷺ : اغد باسم الله وفي سبيل الله . فقاتل من كفر بالله . لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً .

(١) ثوب سمل : بال تخلق .

(٢) من سنة ست .

الخمس المهلكات

ثم بَسَطَ يده فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اتَّقُوا خَمْسًا قَبْلَ أَنْ تَحُلَّ بِكُمْ : مَا تُقْضَى^(١) مَكْيَالُ قَوْمٍ إِلَّا أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ^(٢) ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ عَدُوَّهُمْ ، وما منع قوم الزكاة إِلَّا أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَطَرُ السَّمَاءِ : وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يَسْقَوْا ، وما ظهرت الفاحشة في قوم إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ ، وما حكم قوم بغير آيِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَلْبَسَهُمْ شِيعًا^(٣) وَأَذَاقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ .

إسلام الأصبغ ملك كلب ، وزواج عبد الرحمن ابن عوف تماضر ابنته

فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل ، ودعا أهلها ثلاثة أيام إلى الإسلام وهم يأبون إِلَّا محاربتَه . ثم أسلم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضبضم الكلبي : وكان نصرانياً وهو رأس القوم ، فكتب عبد الرحمن بن عوف بذلك إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث ، وأنه أراد أن يتزوج فيهم ، فكتب إليه أن تزوج تماضر ابنة الأصبغ ، فتزوجها ، فهي أول كلبية تزوجها قرشي ، فولدت له أبا سلمة ، [العقية]^(٤) . [وهي أخت النعمان بن المنذر لأمه] . وأقبل بعدما فرض الجزية على من أقام على دينه .

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر^(٥)

(١) كذا في (خ) و (ط) وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦١ « ما يقضى » .

(٢) السنين جمع سنة ، وهي القحط والجذب .

(٣) أي مختلفين المتباعدين ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ من الآية ٦٥ / الأنعام .

(٤) هكذا رسم هذه الكلمة في (خ) والسياق مستقيم بدونها وحذفها أولى .

(٥) في (خ) « بني عبد الله سعد بن بكر » والذي أثبتناه من : (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٢ ، و (ابن سعد)

ج ٢ ص ٨٩ .

وكانوا بفدك^(١) في شعبان منها ، ومعه مائة رجل . وقد أجمعوا [يعني بني سعد ابن بكر]^(٢) على أن يمدوا يهود خيبر . فسار ليلاً وكمن نهاراً ، حتى [إذا]^(٣) انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له : الهمج ، وجد عيناً لبني سعد قد بعثوه إلى خيبر — لتجعل لهم يهود من ثمرها كما جعلوا لغيرهم ، حتى يقدموا عليهم — فدلهم على القوم بعد ما أمّنوه . فسار عليّ حتى أغار على نعيمهم وضمّمها ، وفرت رعاتها فأنذرت القوم . وقد تجمّعوا مائتي رجل ، وعليهم ويز بن عليّ^(٤) ، فتفرقوا . وانتهى عليّ بمن معه فلم ير منهم أحداً ، وساق النعم : وهي خمسمائة بعير وألفا شاة ، فعزل الخمس وصفى رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى (الحفدة)^(٥) ، ثم قسم ما بقي ، وقدم المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة^(٦) ، وسببها

ثم كانت سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية ، بناحية وادي القرى : على سبع ليال من المدينة ، في رمضان سنة ست ، وسببها أن زيداً خرج في تجارة إلى الشام ، [ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ]^(٧) ، فخرج عليه — دوين وادي القرى — ناس من بني بدر من فزاراة فضربوه ، ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه ، وأخذوا ما كان معه ، ثم تحامل حتى قدم المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ في سرية إلى بني فزاراة ، فكان يكمن نهاره ويسير ليله ، ونذرت بهم بنو بدر فاستعدّوا ، فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة أخطأ بهم دليلهم الطريق ، حتى صبحوا القوم فأحاطوا بهم ، فقتل سلمة بن الأكوع رجلاً منهم ، وأخذ [سلمة بن]^(٨) سلامة بن وقش ، [ويقال : بل سلمة بن الأكوع ، واسم

(١) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة . (معجم البلدان) ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٢) زيادة للبيان والإيضاح .

(٣) في (خ) « وبرب عليم » والتصويب من : (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ و (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٢ .

(٤) كذا في (خ) ، و (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٣ : « الجفدة » مضبوطة .

(٥) قال (الميداني) في (مجمع الأمثال) ج ٢ ص ٣٢٣ : قال الأصمعي : هي امرأة فزارية ، وكانت تحت مالك بن حذيفة بن بدر وكان يعلّق في بيتها خمسون سفياً لخمسين فارساً كلهم محرّم ، ذكره تعليقاً على المثل رقم ١٦٤ وهو : « أمتّع من أمّ قرفة » وفي (جبهة الأمثال) (لأبي هلال العسكري) : رقم ١٢٤٤ « أعزّ من أم قرفة » ج ٢ ص ٦٦ .

(٦) زيادة للبيان والإيضاح من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٠ .

(٧) زيادة لا بد منها .

الأكوع سنان] ، جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وأمها أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وغنموا . ثم قدموا المدينة ، ففرع زيد بن حارثة الباب ، فقام إليه رسول الله ﷺ يَجْرُ ثوبه عريانا حتى اعتنقه وقَبَّلَهُ ، وسأله ، فأخبره بما ظَفَره الله .

وقتل في هذه السرية عبد الله بن مسعدة ، وقيس بن النعمان بن مسعدة بن حكمة بن مالك [بن حذيفة]^(١) بن بدر ، أحد بني قرفة . وأم قرفة قتلها قيس ابن المحسر [اليعمري]^(٢) قتلاً عنيفاً : ربط بين رجلها حبلاً ، ثم ربطها بين بعيرين [ثم زجرهما فذهبا فقطعاها]^(٣) وهي عجوز كبيرة . فأمر رسول الله ﷺ برأسها فدير به في المدينة ليُعلم قتلها ، ويصدق قول رسول الله ﷺ في قوله لقريش : « أرأيتم إن قتل أم قرفة ؟ فيقولون : أيكون ذلك ؟ » وكان زوجها مالك بن حذيفة ابن بدر . وأخذ رسول الله ﷺ من سلمة بن الأكوع ابنة أم قرفة ، فوهبها لحزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهي مشركة وهو مشرك ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن ، وكانت جميلة .

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودي بخير

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم^(٤) بخير ، وكان من يهود ، في شوال سنة ست . وكان قد بعثه رسول الله ﷺ قبل ذلك في رمضان في ثلاثة نفر ينظر إلى خير وما تكلم به يهود ، فوعى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيام ، فقدم لليال بقين منه ، فأخبر رسول الله ﷺ بما ندبه إليه .

خبر أسير بن زارم

وكان أسير قد تأمَّر على يهود بعد أبي رافع ، فقام فيهم يريد حرب رسول الله ﷺ ، وسار في غطفان فجمعها ليسير إلى المدينة ، فقدم بخبره خارجة بن حثيل

(١) زيادة من النسب .

(٢) في (ابن هشام) ج ٤ ص ١٩٥ : « قيس بن المسحر اليعمري » وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٥٦٥ « قيس بن المحسر » .

(٣) زيادة تمام المعنى من المرجع السابق ومن (الطبراني) ج ٢ ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

(٤) وفي بعض كتب السيرة « رازم » وفي (ابن هشام) « اليسير بن رازم » ج ٤ ص ١٩٦ .

الأشجعي^(١) . فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلاً ، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه . فقدموا خيبر ، وبعثوا إلى أسير فأمنهم حتى يأتوه^(٢) ، فيما جاءوا فيه ، فأتوه وقالوا له : إن رسول الله قد بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك . فطمع في ذلك ، وخرج في ثلاثين من يهود ، ثم ندم في أثناء الطريق حتى عُرف ذلك منه .

غدره لليهودي

وهمّ بعبد الله بن أنيس — وكان فيمن خرج مع ابن رواحة — ففطن عبد الله بغدره وبادر ليقته ، فشجّه أسير ثم قُتل . ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم ، إلا رجلاً واحداً قرّ منهم ، ولم يُصب أحد من المسلمين . وقدموا المدينة — وقد خرج رسول الله ﷺ يتحسب أخبارهم — فحدثوه الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين — ونفث في شجة عبد الله بن أنيس فلم تفتح^(٣) بعد ذلك ولم تؤذ ، وكان العظم قد نُقل . ومسح على وجهه ودعا له ، وقطع له قطعة من عصاه فقال : أمسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها ، فإنك تأتي يوم القيامة متَّخصراً . فجعلت معه في قبره تلي جلده ، ويروى أن النبي ﷺ كان قد قال له : يا عبد الله ! لا أرى أسير بن زارم ! أي اقتله .

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سرية كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب بن فهر بن مالك القرشيّ الفهريّ — لما أغير على لقاح النبي ﷺ بذئ الجدر — في شوال سنة ست — وهي على ستة أميال من المدينة ، وذلك أن نفرًا من عرينة ثمانية قدموا على النبي ﷺ [فأسلموا ، واستوبأوا المدينة . وطحلوا ، فأمر بهم رسول الله ﷺ^(٤)] إلى لقاحه — وكان سرح المسلمين بذئ الجدر ناحية

(١) في (الواقدي) « ابن حسيل » و في (خ) ، (ط) « حثيل » . ويقول محقق (ط) عن « خارجة » « ولا رأيت أحداً .

(٢) كذا في (ط) و في (خ) ، (الواقدي) « تفتح » بالقاف .

(٣) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٣ واستوبأوا : استوخوا (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٥٤ وطحل الماء : فسد وأتنت (المرجع السابق) ج ٣ ص ٥٨ .

قباء قريباً من غير ترعى هناك — فكانوا فيها حتى^(١) صحوا وسمنوا — وكانوا أستاذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم — فغدوا على اللقاح فاستاقوها ، فيدركهم يسار مولى النبي ﷺ ومعه نفر فقاتلهم ، فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، وانطلقوا بالسرح . فأقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف على حمار لها حتى تمرّ بيسار فتجده تحت شجرة ، فلما رآته وما به رجعت إلى قومها فأخبرتهم ، فخرجوا نحو يسار حتى جاءوا به إلى قباء ميتاً . فبعث رسول الله ﷺ في إثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري ، فخرجوا في طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحرة ، وأصبحوا لا يدرون أين يسلكون ، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فأخذوها ، فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت : مررت بقوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذا . ودلتهم على موضعهم فأتوهم . فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم .

عقاب الأسرى

وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة — وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الغابة^(٢) — فأتوه بهم . فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمل^(٣) أعينهم ، وصلبوا بالزُّغابة .

النهي عن المثلة

فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤) فلم تسمل بعد ذلك عين ، ولا بعث ﷺ بعد ذلك بعثاً إلا نهاهم عن المثلة . وروى جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده : لم يقطع رسول الله ﷺ لساناً قط ، ولم يسمل عيناً ولم يزد على قطع اليد والرجل .

(٢) في (خ) « بالغابة » .

(١) في (خ) « حتى إذا » ، وحذف « إذا » أولى للسياق .

(٣) سمل العين : فقاها (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦١٧ .

(٤) في (خ) « فساداً ، الآية » ، والآية ٣٣ / المائدة .

اللقاح

ولما ظفر المسلمون باللقاح خلّفوا عليها سلمة بن الأكوع ومعه أبو رهم الغفاري . وكانت خمسة عشرة لقحة غزراً . فلما أقبل النبي ﷺ من الرغبة إذا اللقاح على باب المسجد تحان^(١) ، فلما نظر إليها تفقد منها لقحة يقال لها الحناء ، وقد نحرها القوم ، فردّها إلى ذي الجدر فكانت هناك ، وكان لبنها يروح به سلمة ابن الأكوع إلى رسول الله ﷺ ، كل ليلة وطّب^(٢) لبن .

عمرة الحديبية

ثم كانت عمرة الحديبية [على مقربة مكة]^(٣) . وذلك أن رسول الله ﷺ رأى في النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت ، وعرف مع المعرفين^(٤) ، فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتبأوا للخروج .

إسلام بسر بن سفيان وشرأوه الهدي لرسول الله ﷺ

وقدم عليه بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي في ليال من شوال مسلماً ، فقال له : يا بسر ! لا تبرح حتى تخرج معنا ، فإنّا إن شاء الله معتمرون . فأقام وابتاع بُدناً لرسول الله ﷺ ، فكان يبعث بها إلى ذي الجدر حتى حضر خروجه ، فأمر بها فجلبت إلى المدينة ، وسلمها إلى ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم^(٥) بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي ليقدمها إلى ذي الحليفة .

سلاح المسلمين وهديهم

وخرج المسلمون لا يشكون في الفتح — للرؤيا المذكورة — ، وليس معهم

- (١) هذه الكلمة غير منقوطة في (خ) ولعلها « تحان » تفاعل من الحنين ، وتحان القوم : اشتاق بعضهم إلى بعض (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٠٣ .
- (٢) الوطّب : « سقاء اللبن » وهو جلد الجذع فما فوقه (المرجع السابق) ج ٢ ص ١٠٤١ .
- (٣) ما بين القوسين في (خ) كان بعد قوله « وطب اللبن » ، وهذا حق مكانه . والحديبية في الحل وبعضها في الحرم ، وعند مالك بن أنس أنها جيمها في الحرم . (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
- (٤) عُرِف : وقف بعرفة في الحج .
- (٥) في (خ) « وائلة بن تيم » و ما أثبتناه من (ط) .

سلاح إلا السيوف في القُرْب . وساق قوم الهدي^(١) : منهم أبو بكر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن عباد ، رضوان الله عليهم .

كلام عمر في أمر السلاح

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أتخشى يا رسول الله علينا من أبي سفيان ابن حرب وأصحابه ولم تأخذ للحرب عُدتها ؟ فقال : ما أدري ، ولست أحب أحمل السلاح معتمراً . وقال سعد بن عباد رضي الله عنه : لو حَمَلْنَا يا رسول الله السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم رياءً كنا معدين لهم ! فقال ﷺ : لستُ أحملُ السلاح ، إنما خرجت معتمراً .

يوم الخروج

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . وخرج من المدينة يوم الاثنين لهُلال ذي القعدة . هذا هو الصحيح ، وإليه ذهب الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحق ، والواقدي^(٢) ، واختلف فيه على عروة بن الزبير ، فعنه : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان ، وكانت الحديبية في شوال^(٣) . وعنه أنها كانت في ذي القعدة من سنة ست .

بدء الجهاز للعمرة

قال الواقدي : فاغتسل في بيته ، ولبس ثوبين من نسج صحار^(٤) ، وركب راحلته القِصواء من عند بابه ، وخرج المسلمون . فصلى الظهر بذي الحليفة ، ثم دعا بالبدن فجُلَّت^(٥) ، ثم أشعر^(٦) منها عدة — وهي موجّهات إلى القبلة — في

(١) الهدى : ما يهدى إلى الحرم من النعم . (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٩٧٨ .

(٢) في (المغازي) ج ٢ ص ٥٧٣ .

(٣) قال ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ : « وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان ، وكانت في شوال ، وهذا وهم ، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان » .

(٤) صَحَار : قرية باليمن ينسب الثوب إليها (النهاية) ج ٢ ص ١٢ .

(٥) من الجَلَل : وهو البسط أو الأكسية التي تلبسها فتصان به (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٥١٨ .

(٦) أشعر البَدَنَة : أغلَمَها ، وهو أن يشق جلدها ، أو يطعنها حتى يظهر الدم (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٧٢٠ .

إشعار الهدي وتقليده

ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار ما بقي ، وقلد^(١) نعلأ نعلأ ، وهي سبعون بدنة : منها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر . وأشعر المسلمون بدنهم ، وقلدوا النعال في رقابها . وبعث بسر بن سفيان عيناً له ، وقدم عباد بن بشر طليعة في عشرين فرساً ، ويقال : أميرهم سعد بن زيد الأشهلي .

إحرام رسول الله ﷺ من ذي الحليفة

ثم صلى ركعتين وركب من باب المسجد بذی الحليفة^(٢) ، فلما انبعثت به راحلته مستقبلة القبلة أحرم فلبى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وأحرم عامة الناس بإحرامه .

عدد المسلمين

وسلك طريق البيداء^(٣) ، وخرج معه من المسلمين ألف وستائة ، ويقال : ألف وأوبعمائة ، ويقال : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً ، ويقال : ألف وثلاثمائة^(٤) .

عدد النساء

وأربع نسوة : أم سلمة أم المؤمنين ، وأم عمار ، وأم منيع — أسماء بنت عمرو ابن عدي [بن سنان بن نائي]^(٥) بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وقال بعضهم : كانوا سيعمائة . قال ابن حزم :

(١) قلَّدْتُهَا وِلَادَةً : جعلتها في عنقها ، ومنه تقليد البدنة شيئاً يعلم به أنها هذئ . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٦٧٤ .

(٢) في (خ) « بالحدبية » .

(٣) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب . (معجم البلدان) ج ١ ص ٥٢٣ .

(٤) راجع : (فتح الباري) ج ٧ ص ٤٤٣ الحديث رقم ٤١٥٣ ، ٤١٥٤ ، ٤١٥٥ . و (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ص ٦٠٩٤ و (تفسير الطبري) ج ٢٦ ص ٨٧ و (زاد المعاد) ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٥) في (خ) مكان ما بين القوسين « بين أبي بن عمرو ، وهو خطأ ، و ما أثبتناه من (ط) .

وهذا وهم شديد البتة ، قال : والصحيح بلا شك ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة .

مقالة بني بكر ومزينة وجهينة

ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب بني بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم ، فتشاعلوا بأبنائهم وأموالهم ، وقالوا فيما بينهم : أريد محمد أن يغزو بنا^(١) إلى قوم معدّ في الكراع والسلاح ؟ وإنما محمد وأصحابه أكلة جزور^(٢) ! لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً ! قوم لا سلاح معهم ولا عدد ! .

هدية بني نهد

ثم قدم ناجية بن جندب مع الهدى في فتیان من أسلم ، ومعهم هدي للمسلمين . ولقي بالروحاء طائفة من بني نهد ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وبعثوا إليه بلبن من نعمهم فقال : لا أقبل هدية من مشرك .

رد هدية المشركين

ورّده ، فابتاعه المسلمون منهم . وابتاعوا ثلاثة أضب^(٣) فأكل منها قوم أجلة . وسأل المحرمون رسول الله ﷺ عنها فقال : كلوا ، فكل صيد البر لكم حلال في الإحرام تأكلونه إلا ما صدمت أو صيد لكم .

الصيد في الحرم

ورأى أبو قتادة بالأبواء حماراً وحشياً — وكان محلاً^(٤) فحمل عليه فقتله ، فأكل منه رسول الله ﷺ . وجاءه يومئذ الصّعب بن جثامة بن قيس الليثي بحمار وحشيّ أهده له فردّه ، وقال : إنا لم نرده إلا أنا حُرّم .

(١) في (خ) « أريد محمداً يغزونا » ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٧٤ .

(٢) كناية عن قلة العدد ، فإن أكلة الجزور عادة لا يتجاوزون العشرة .

(٣) أضب : جمع ضب ، وهو حيوان من جنس الزواحف تأكل الأعراب لحمه (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٥٣٢ .

(٤) مُجَلّ : غير مُحَرَّم .

هدية إيماء بن رحضة

وأهدي له إيماء بن رحضة بن خربة الغفاري مائة شاة وبعيرين يحملان لبناً :
بعث بهما مع ابنه خفاف بن إيماء ففرق ذلك وقال : بارك الله فيكم . وأهدي له
من ودان لواء [وهو حب أبيض كالحمص] وعتراً^(١) وضغائيس^(٢) ، فجعل يأكل
الضغائيس والعتر وأعجبه ، وأدخل منه على أم سلمة .

خبر كعب الذي آذاه القمل وهو مُحْرِم

ورأى بالأبواء كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي
ورأسه يتهافت قملاً وهو محرم ، فقال : هل تؤذيك هوائك يا كعب ؟ قال : نعم
يا رسول الله ! قال : فاحلق رأسك . وفيه نزلت : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ
بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ ﴾^(٣) ، فأمره رسول الله
ﷺ أن يذبح شاة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستين مسكيناً : لكل مسكين
مُدَّين ، أي ذلك فعل أجزأه . ويقال : إن كعب بن عجرة أهدي بقرة قلدها
وأشعرها .

ما عطب من الهدى

وعطب^(٤) من ناجية بن جندب بعير من الهدى ، فجاء بالأبواء إلى رسول الله
ﷺ وأخبره ، فقال : انحرها^(٥) ، واصبغ قلائدها في دمها ، ولا تأكل أنت ولا
أحد من أهل رفقتك منها ، وخل بين الناس وبينها .

نزول الجحفة

ولما نزل الجحفة لم يجد بها ماء ، فبعث رجلاً في الروايا إلى الخرار ، فرجع

(١) العتر : نبت أو شجر صغار فإذا طال وقطع خرج منه شبه اللبن (النهاية) ج ٣ ص ١٧٧ و (ترتيب
القاموس) ج ٣ ص ١٤٦ .

(٢) الضغائيس : صغار الفئاء ، جمع ضغيبوس (المرجع السابق) ص ٧٨ .

(٣) آية ١٩٦ / البقرة ، وفي (خ) وفيه نزلت ، ففدية

(٤) عطب البعير والفرس : انكسر (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٥) الضمير هنا عائد على البدنة وهي البعير .

بها وقال : يا رسول الله ! ما أستطيع أن أمضي رعباً ! فبعث رجلاً آخر بالروايا ، فرجع وذكر كما ذكر الأول : فبعث آخر وخرج السقاء معه ، فاستقوا وأتوا بالماء . ثم أمر بشجرة يقيم^(١) ما تحتها .

خطبة رسول الله ﷺ

وخطب الناس فقال : إني كائن لكم فرطاً^(٢) ، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم^(٣) تضلوا : كتاب الله وسنة نبيه .

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ فراعهم ذلك ، وتشاوروا . ثم قَدَّمُوا عكرمة بن أبي جهل — ويقال : خالد بن الوليد — على مائتي فارس إلى كراع الغميم ، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش ، وأجلبت ثقيف معهم : ووضعوا العيون على الجبال ، وهم عشرة رجال يوحى بعضهم إلى بعض بالصوت : فعل محمد كذا كذا ، حتى ينتهي ذلك إلى قريش ببلد^(٤) . وخرجوا إلى بلدح وضربوا بها القباب والأبنية ، ومعهم النساء والصبيان ، فعسكروا هناك ، وقد أجمعوا على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة ومحاربتة .

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة ، ومشورة المسلمين

ورجع بسر بن سفيان من مكة وقد علم خبر القوم ، فلقى رسول الله ﷺ من وراء عسفان وأخبره الخبر . واستشار رسول الله ﷺ^(٥) الناس : هل يمضي لوجهته ويقا تل من صدّه عن البيت أو يخالف الذين استنفروا إلى أهلهم فيصيبهم ؟

(١) وفي حديث فاطمة « أنها قمّت البيت حتى أغرّت » أي كسّته ، والقمامة : الكُناسة . (النهاية) ج ٤ ص ١١٠ . (٢) فرط : سبق ، وأكثر ما يستعمل في السبق إلى الماء (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٧٣ .

(٣) في (خ) « لن » وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٧٧ .

(٤) بلدح : وإد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج ١ ص ٤٨٠ .

(٥) زيادة للبيان .

فأشار أبو بكر رضي الله عنه أن يمشوا لوجوههم ، ويقاتلوا من صدهم . وقال المقداد بن عمرو : يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما^(١) مقاتلون » . والله يا رسول الله ! لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل . وقال أسيد بن الحضير : يا رسول الله ! نرى أن نصمد لما خرجنا له ، فمن صدنا قاتلناه . فقال : إنا لم نخرج لقتال أحد ، إنما خرجنا عماراً .

بديل بن ورقاء وخبر قریش

ولقيه بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جری بن عامر بن مازن ابن عدي بن عمرو بن ربيعة [وهو الحلي]^(٢) الخزاعي — في نفر من خزاعة ، منهم الحليس بن علقمة الحارثي ، من بني الحارث بن عبد مناة ، فقال : يا محمد ! لقد اغتررت بقتال قومك حلائب^(٣) العرب ، والله ما أرى معك أحداً له وجه ، مع أي أراكم قوماً لا سلاح معكم ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : عَضَضْتُ بِيْظِرِ اللات ! فقال بديل : أما والله لولا يدك لك عندي لأجبتك ، فوالله ما أتهم أنا ولا قومي ألا أكون أحب أن يظهر محمد . إني رأيت قریشاً مقاتلتك عن ذرارها وأموالها ، قد خرجوا إلى بلدح فاضطربوا^(٤) الأبنية ، معهم العوذ المطافيل^(٥) ، وترفدوا على الطعام^(٦) يطعمون الخزير^(٧) من جاءهم ، يتقوون به على حربك ، قر رأيك^(٨) . وكانت قریش قد ترفدوا وجمعوا أموالاً يطعمون بها من ضوى إليهم من الأحاييش . وكان يطعم في أربعة أمكنة : في دار الندوة لجماعتهم ، وكان صفوان ابن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحويطب بن عبد العزى ، كل منهم يطعم في داره .

(١) في (خ) « معكم » . (٢) في (خ) « عمرو بن ربيعة » .

(٣) استحلب القوم : اجتمعوا للتصيرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٩١ . (٤) اضطرب البناء : أقامه .

(٥) العوذ : جمع عائد ، وهي الناقة حديثة عهد بالنجاح (المعجم الوسيط) ج ٢ ص ٦٣٥ ، المطافيل : جمع

مُطْفَل وهي ذات الطفل من الإنسان والحيوان (المرجع السابق) ص ٥٦٠ .

(٦) ترفدوا : تعاونوا (المرجع السابق) ج ١ ص ٣٥٩ .

(٧) الخزير : لحم يقطع قطعاً صغيراً ثم يطبخ بماء كثير وملح ، فإذا اكتمل نضجه ذُر عليه الدقيق وعُصِد به ،

ثم أدم بإدغام ماء (المرجع السابق) ص ٢٣١ .

(٨) رَ : فعل الأمر من « رأى » .

دنا خالد بن الوليد في المشركين للقاء المسلمين

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى المسلمين ، فصَفَّ خيله فيما بينهم وبين القبلة ، فقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر في خيله ، فقام بإزائه وصف أصحابه . وحانت صلاة الظهر ، فأذن بلال وأقام ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه مستقبل القبلة وهم خلفه ، يركع بهم ويسجد . ثم قاموا ، فكانوا على ما كانوا عليه من التعبئة . فقال خالد بن الوليد : قد كانوا على غرة ، لو كُنَّا حملنا عليهم أصبنا منهم ! ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم ! .

صلاة الخوف

فنزّل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَحِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١) فحانت العصر ، فأذن بلال وأقام ، فقام رسول الله ﷺ مواجهاً للقبلة والعدو أمامه فكبر وكبّر الصفان جميعاً ، ثم ركع فرقع الصفان جميعاً ، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه ، وقام الآخرون يحرسونه . فلما قضى رسول الله ﷺ السجود بالصف الأول ، قام وقاموا معه ، وسجد الصف المؤخر السجدين ، ثم استأخر الصف الذي يلونه ، وتقدم الصف المؤخر فكانوا يلون رسول الله ﷺ ، فقاموا جميعاً . ثم ركع ﷺ فرقع الصفان جميعاً ثم سجد وسجد الصف الذي يلونه ، وقام الصف المؤخر يحرسونه مقبلين على العدو . فلما رفع رأسه من السجدين ، سجد الصف المؤخر السجدين اللتين بقيتا عليهم ، واستوى ﷺ جالساً فتشهد ثم سلم .

(١) الآية ١٠٢ / النساء ، وفي (خ) « ... فلتقم الآية » .

الخلاف في أول صلاة الخوف

وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول : هذه أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ في الخوف . وقال سفيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي : أنه كان — يعني ابن عباس — مع النبي ﷺ يومئذ ، فذكر أن النبي ﷺ صلى هكذا . وذكر أبو عياش أنها أول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف — يعني ابن عباس : وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ أول صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، ثم صلاها بعد بعسفان ، بينهما أربع سنين . قال الواقدي^(١) : وهذا أثبت عندنا .

مسير المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله ﷺ قال : تيامنوا في هذا العَصَل^(٢) ، فإن عيون قريش بمر الظهران أو بضجنان ، فأياكم يعرف ثنية ذات الحنظل ؟ فقال بريدة بن الحصيب : أنا يا رسول الله ! فقال : اسلك أماننا . فأخذ بريدة في العَصَل ، قبل جبال سراوع قبل المغرب ، فسار قليلاً^(٣) وحرار . فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي فسار بهم قليلاً ، ثم لم يدر أين يتوجه . فسار بهم عمرو بن [عبد]^(٤) نهم الأسلمي حتى بلغها .

خبر الثنية وأن من جازها غفر له

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما مثل هذه الثنية إلا مثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ﴾^(٥) ثم قال : لا يجوز هذه الثنية أحد إلا غُفر له . فجعل الناس يسرعون .

(١) (المغازي) ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٢) في (خ) « تنامنوا » والعَصَل : الأعواج في صلاة ، والمراد هنا الرمل المتوى . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٢٤٠ ، (النهاية) ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٣) في (خ) « ليلاً » والتصويب من (الواقدي) ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٤) زيادة من (المرجع السابق) ص ٥٨٤ ، ونهم : اسم صنم .

(٥) آية ٥٨ / البقرة ، والحطة : طلب المغفرة (المعجم الوسيط) ج ١ ص ١٨٢ .

طعام المسلمين

فلما نزل من الثنية قال : من كان معه ثَقْل [أي دقيق] فليصطنع^(١) . فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : وأينما كان معه ثَقْل ؟ إنما كان عامة زنادنا القم . فقالوا : يا رسول الله ! إنا نخاف من قريش أن ترانا ! فقال : إنهم لن يروكم ، إن الله سيُعِينكم^(٢) عليهم . فأوقدوا النيران ، واصطنع من أراد أن يصطنع : فلقد أوقدوا خمسمائة نار .

الغفران ، وخبر الرجل المحروم من غفران الله

فلما أصبحوا صلى رسول الله ﷺ الصبح ثم قال : والذي نفسي بيده ، لقد غفر الله للركب أجمعين ، إلا رُؤَيْكِباً واحداً على جمل أحمر التفت عليه رجال^(٣) القوم : ليس منهم . فطلب في العسكر فإذا به ناحية ، وهو من بني ضمرة من أهل سيف البحر^(٤) ، قد أوى إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال له سعيد — وقد قيل له ما قال فيه رسول الله ﷺ — : ويحك ! اذهب إلى رسول الله يستغفر لك ! فقال : بعيري أهم إلي من أن يستغفر . وكان قد أضل بعيره . فقال سعيد : تحول عني ، لا حياك الله ! فانطلق يطلب بعيره ، فبينما هو في جبال سُراوع^(٥) إذ زلقت نعله فتردى فمات وأكلته السباع .

أهل اليمن

وقال يومئذ : أناكم أهل اليمن كأنهم قطع السحاب ، هم خير من على الأرض .

الدنو من الحديدية ، وخبر راحلة رسول الله ﷺ

وسار حتى^(٦) دنا من الحديدية — وهي طرف الحرم ، على تسعة أميال من

(١) من الصنيع ، وهو الطعام في سبيل الله .

(٢) في (خ) « رجال » .

(٣) (الواقدي) ج ٢ ص ٥٨٥ .

(٤) علم مرتجل لاسم موضع (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٥) سيف البحر : ساحله .

(٦) في (خ) ، (الواقدي) و « وسار فلما » وفي (ط) و (ابن سعد) « وسار حتى » .

مكة ، ف وقعت يد راحلته ﷺ على ثنية تهبط على غائط^(١) ، فبركت ، فقال المسلمون : حل حل [يزجورنها] — فأبت أن تنبث ، فقالوا : خلأت القصواء^(٢) ! فقال : إنها ما خلأت ، ولا هو لها بعادة ، ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لا يسألوني اليوم خُطَّةَ فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجروها فقامت ، فولى راجعاً حتى نزل بالناس على ثمد من ثمد^(٣) الحديبية [ظنون] قليل الماء .

خبر جيشان الماء من الثمد

واشتكى الناس قلة الماء ، فانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن ، وإنهم ليغترفون بأنيتهم جلوساً على شفير البئر . وكان الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب ، وقيل : ناجية بن الأعجم ، وقيل : خالد بن عبادة^(٤) الغفاري ، وقيل : البراء بن عازب .

مقالة المنافقين في دليل النبوة

وكان على الماء نفر من المنافقين ، الجذ بن قيس ، وأوس [بن خولي]^(٥) ، وعبد الله بن أبي ، فقال أوس بن خولي : ويحك يا أبا الحباب ! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه ! أبعث هذا شيء ؟ فقال : إني قد رأيت مثل هذا . فقال أوس : قبحك الله وقبح رأيك ! فأقبل ابن أبي^(٦) يريد رسول الله ﷺ ، فقال : أي أبا الحباب ! أين رأيت مثل ما رأيت اليوم ؟ فقال : ما رأيت مثله قط ! قال : فلم قلت ما قلت ؟ فقال عبد الله بن أبي : أستغفر الله . فقال ابنه : يا رسول الله ! استغفر له ! فاستغفر له .

(١) الغائط : من الغوط ، وهو المطمئن الواسع من الأرض (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ٤٢٨ .

(٢) خلأت الناقة خَلْفًا : حَرَنَتْ : (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٤٨ .

(٣) الثمد : مكان اجتماع الماء ، ثمد الماء : قَلَّ (المرجع السابق) ص ١٠٠ .

(٤) في (خ) « عبادة » .

(٥) ظاهر العبارة يوهم أن أوس بن خولي من المنافقين ، وهو ليس منهم ، وما بين القوسين زيادة للبيان .

(٦) في (خ) « فأقبل أبي » .

المطر والصلاة في الرحال

ومطر المسلمون بالحديبية مراراً وكثرت المياه ، ومطروا مطراً ما ابتلت منه أسفل النعال ، فنودي : إن الصلاة في الرحال . وصلى رسول الله ﷺ الصبح في الحديبية في إثر سماء^(١) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

الأنواء

قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مطرنا برحمة الله وبرزق الله ويفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي^(٢) . وكان ابن أبي قال : هذا نوء الخريف ، مطرنا بالشعرى .

الهدايا

وأهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية إلى رسول الله ﷺ غنماً وجزوراً ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عباد جزراً ، وكان صديقاً له . فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أن عمراً أهداها له فقال : وعمرو قد أهدى إلينا ما ترى فبارك الله في عمرو ! ثم أمر بالجزر^(٣) تنحر وتقسم في أصحابه ، وفرق الغنم فيهم من آخرها . فدخل على أم سلمة بعضها ، وأمر ﷺ للذي جاء بالهدية بكسوة .

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله ﷺ

ولما اطمأن بالحديبية ، جاءه بديل بن ورقاء وركب من خزاعة — وهم عيبة^(٤) نصح رسول الله ﷺ بتهامة ، منهم المسلم ومنهم الموادع ، لا يخفون عليه بتهامة

(١) السماء : من أسماء المطر .

(٢) في (خ) « أصبح من عبادي مؤمناً وكافراً » وما أثبتناه هو رواية (البخاري) ج ٣ ص ٤٢ وفي

(المغازي) باب غزوة الحديبية ، وأحمد في (المسند) ج ٤ ص ١١٧ و (أبو داود) ج ٤ ص ٢٢٧

حديث رقم ٣٩٠٦ ، (النسائي) ج ٣ ص ١٦٤ ، باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

(٣) في (خ) « الجزور » .

(٤) المعنى : أن بيننا صدوراً سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا .

شيئاً — فسلموا ، ثم قال بديل : جنناك من عند قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ، وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل — [النساء^(١) والصبيان] — يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبید خضراؤهم^(٢) . فقال ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه . وقريش قوم قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم ، فإن شاءوا مآذنتهم مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيننا وبين الناس — والناس أكثر منهم — ، فإن ظهر أمری على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو يقاتلوا وقد جموا^(٣) . والله لأجهدن على أمری هذا إلى أن تنفرد سالفتي^(٤) أو ينفذ الله أمره ! فعاد بديل وركبه إلى قريش ، وقد تواصلوا ألا يسألوا بديلاً عما جاء فيه . فلما رأى أنهم لا يستخبرونه قال : إنا جئنا من عند محمد . أتحبون أن نخبركم ؟ فقال عكرمة بن أبي جهل ، والحكم بن أبي العاص : لا ، والله ما لنا حاجة بأن نخبرونا عنه ، ولكن أخبره عنا : أنه لا يدخلها علينا عامه هذا حتى لا يبقى منا رجل .

سماع المشركين مقالة بديل

فأشار عليهم عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف [واسمه قسي]^(٥) بن منبه بن بكر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان — أن يسمعوا كلام بديل ، فإن أعجبهم قبلوه ، وإلا تركوه ، فقال صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام : أخبرنا بالذي رأيتم والذي سمعتم . فأخبروه بمقالة النبي ﷺ ، فقال عروة بن مسعود : فإن بديلاً قد جاءكم بخطه رشد ، لا يردها أحد إلا أخذ شراً منها ، فاقبلوها منه ، وابعثوني حتى آتيكم بمصدقها ، وأكون لكم عيناً .

بعثة قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ

فبعثوه . فقال : يا محمد ! إني تركت قومك على أعداد^(٦) مياه الحديبية قد

(١) في (خ) « والنساء » . (٢) الياؤهم : دماؤهم وجماعتهم .

(٣) جموا : استراحوا .

(٤) السالفة : ناحية مُقدم العنق « كناية عن الموت » (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٩٨ .

(٥) في (خ) « قسي » .

(٦) الأعداد : جمع عد وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٦٩ .

استنفروا لك ، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم ، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : إما أن تجتاح قومك — فلم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك — أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فأني لا أرى معك إلا أوباشاً^(١) من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم ، فغضب أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال : امصص بيظير اللات ! أنحن نخذله ؟ فقال : أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك ! وطفق عروة يمس لحية رسول الله وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك قائم على رأسه بالسيف ، فقرع يد عروة [وهو عمه] وقال : اكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك ، فلما فرغ عروة من كلامه ، ورد عليه رسول الله ﷺ كما قال لبديل بن ورقاء ، عاد إلى قريش فقال : يا قوم ، قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي ، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرائيه من محمد في أصحابه ، والله ما يشدون^(٢) إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى امرئ فيفعل ، وما يتنحّم وما ييصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده ، وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء . وقد حذرت القوم ، واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم ، وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم ، والله لقد رأيت نسيات^(٣) معه ، إن كنّ ليسلمنه أبداً على حال ، قرّوا رأيكم . وقد عرض عليكم خطة ، فمادوه^(٤) يا قوم . اقبلوا ما عرض فأني لكم ناصح ، مع أي أخاف ألا تنصروا عليه . رجل أتى هذا البيت معظماً له مع الهدى ينحره وينصرف ! فقالوا : لا تكلم بهذا يا أبا يعفور ! لو غيرك تكلم بهذا ! ولكن نرده في عامنا هذا ويرجع إلى قابل .

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ

ثم جاء مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبد الحارث بن الحارث ابن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر — فلما طلع قال رسول الله ﷺ : إن هذا رجل غادر (وفي رواية : هذا رجل فاجر) وجاء ،

(١) الأوباش والأوشاب بمعنى ، وهم الأخلاط من الناس وغيرهم .
(٢) أي يحدون إليه النظر . (٣) تصغير نسوة ، للتقليل والتعظيم . (٤) أي اجعلوا بينكم وبينه مدة هدنة .

فكلمه بنحو مما كلم به أصحابه ، وعاد بذلك إلى قريش .

بعثة الحليس سيد الأحاييش

فبعثوا الحليس بن علقمة بن عمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث ابن عبد مناة بن كنانة الحارثي الكناني سيد الأحاييش ورأسهم ، فقال ﷺ : هذا من قوم يعظمون الهدى ، (وفي رواية يتألهون)^(١) ، ابعثوا الهدى في وجهه ، فبعثوه ، فلما رأى الهدى يسيل في الوادي — : عليه القلائد ، قد أكل أوباره (من طول الحبس عن محله^(٢)) ، يرجع الحنين ، واستقبله القوم في وجهه يلبون ، وقد أقاموا نصف شهر فقتلوا وشعثوا^(٣) — رجع ، ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى . وقال لقريش : إني قد رأيت ما لا يحل صده ! رأيت الهدى في قلائده قد أكل أوباره معكوفاً^(٤) عن محله ، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت ! أما والله ما على هذا حالناكم ولا عاقدناكم : على أن تصدوا عن بيت الله من جاء له معظماً لحرمة مؤدياً لحقه ، والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ! والذي نفسي بيده ، لتخلن بينه وبين ما جاء به ، أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد ! قالوا : كل ما رأيت مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به . وفي رواية الزبير بن (بكار)^(٥) أنه لما رجع قال : يا قوم ! الهدى ! البدن ! القلائد ! الدماء ! فقالت قريش : ما نعجب منك ، ولكن نعجب منا إذ أرسلناك ، إنما أنت أعرابي جلف .

بعثة رسول الله ﷺ خراش بن أمية إلى قريش

وبعث رسول الله ﷺ إلى قريش خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي — على جملي لرسول الله ﷺ يقال له الثعلب — ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمراً . فعقر الجمل عكرمة بن أبي جهل ، وأرادوا قتله ، فمنعه من هناك من قومه ، فرجع . فأراد النبي ﷺ أن يبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخاف على نفسه وأشار بعثمان رضي الله عنه .

(١) يتعبدون . (٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ٩٦ . (٣) التفل : ترك التطيب ، والشعث ، تلبذ الشعر من الطول .

(٤) معكوفاً : محبوساً . (٥) ما بين القوسين بياض في (خ) .

بعثة عثمان بن عفان

فبعثه ليخبرهم : إنا لم نأت^(١) لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمة ، ومعنا الهدي ننحره وننصرف . فأبوا على عثمان أن يدخل عليهم رسول الله ﷺ ورحب به أبان بن سعيد بن العاص وأجاره ، وحمله من بلدح^(٢) إلى مكة وهو يقول : أقبل وأدبر ولا تخف أحداً ، بنو سعيد أعزّة الحرم ! فبلغ عثمان من بمكة ما جاء فيه ، فقالوا جميعاً : لا يدخل محمد علينا أبداً .

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوب حراسة المسلمين بالحدودية ثلاثة : أوس بن خولي ، وعباد بن بشر ، ومحمد بن مسلمة . فبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلاً ليصيبوا من المسلمين غرة ، فظفر بهم محمد بن مسلمة ، وجاء بهم رسول الله ﷺ فبلغ النبي ﷺ — بعد إقامة عثمان بمكة ثلاثاً — أنه قتل ، وقتل معه عشرة رجال مسلمون قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ﷺ ليروا أهليهم . وبلغ قريشاً حبس أصحابهم ، فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة ، فرماهم المسلمون ، وأسروا منهم اثني عشر فارساً . وقتل من المسلمين زُئيم ، وقد اطلع الثنية من الحدودية ، فرماه المشركون فقتلوه .

بدء الصلح

فبعثت قريش سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر^(٣) ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص (ليصالحوه)^(٤) .

تحرك المسلمين إلى منازل بني مازن

بعد خبر مقتل عثمان ، والبيعة

وأم رسول الله ﷺ منازل بني مازن بن النجار ، وقد نزلت في ناحية من

(١) في (خ) «إنه لم يأت» . (٢) بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب (معجم البلدان) ج ١ ص ٤٨٠ .

(٣) في (خ) «فهم» . (٤) زيادة من (ط) ، ورواية (للوأدي) ج ٢ ص ٦٠٢ بدون هذه الزيادة .

الحديبية جميعاً ، فجلس في رحالهم . وقد بلغه قتل عثمان رضي الله عنه ، ثم قال : إن الله أمرني بالبيعة . فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا ، فما بقي لهم متاعٌ إلا وطفوه ، ثم لبسوا السلاح ، وهو معهم قليل . وقامت أم عمارة إلى عمرو كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدت سكيناً في وسطها . وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ بيده ، فبايعهم على ألا يفروا ، وقيل بايعهم على الموت . ويقال : أول من بايع سنان بن أبي سنان وهب بن محصن فقال : يا رسول الله ، أبايعك على ما في نفسك . فكان رسول الله ﷺ يبايع الناس على بيعة سنان ، فبايعوه (إلا) ^(١) الجذ بن قيس اختبأ تحت بطن بعير .

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ في الصلح والأسرى

فلما جاء سهيل بن عمرو ، قال رسول الله ﷺ : سَهِّلْ أمرهم ! فقال سهيل : يا محمد ! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك ، وما كان من قتال من قاتلك — لم يكن من رأي ذوي رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به — وكان من سفهائنا . فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة . قال : إني غير مرسلهم حتى ترسلوا ^(٢) أصحابي . قال : أنصفتنا . فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشَّيْمِ بن عبد مناف التيمي فبعثوا بمن كان عندهم ، وهم : عثمان وعشرة من المهاجرين ، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم الذين أسروا .

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

وكان ﷺ يبايع الناس تحت شجرة خضراء ، وقد نادى عمر رضي الله عنه : إن روح القدس نزل على الرسول وأمر بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا . فلما رأى سهيل بن عمرو ومن معه ، ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا إلى القضية ^(٣) . ولما جاء عثمان رضي الله عنه بايع تحت الشجرة . وقد كان قبل ذلك — حين بايع الناس — قال رسول الله ﷺ : إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله ، فأنا أبايع له ، فضرب يمينه شماله .

(١) زيادة لا بد منها للسياق .

(٢) في (خ) « ترسل » .

(٣) القضية : حُكْم الصلح .

بعثة قريش إلى عبد الله بن أبي

وبعثت قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول : إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل ، فقال له ابنه : يا أبت ! أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن ! تطوف ولم يطف رسول الله ﷺ ! فأبى حينئذ وقال : لا أطوف حتى يطوف رسول الله . فبلغ رسول الله ﷺ كلامه ، فسرَّ به .

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله ﷺ

ورجع سهيل وحويطب ومكرز فأخبروا قريشاً بما رأوا من سرعة المسلمين إلى التنعيم^(١) فأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ، ويعود من قابل فيقيم ثلاثاً ، فلما أجمعوا على ذلك أعادوا سهيلاً وصاحبيه ليقروا هذا . فلما رآه النبي ﷺ قال : أراد القوم الصلح . وكلم رسول الله ، فأطالا الكلام وتراجعا ، وارتفعت الأصوات ، وكان ﷺ يومئذ جالساً متربعا ، وعباد بن بشر ، وسلمة ابن أسلم بن حريش مقتنعان بالحديد قائمان على رأسه . فلما رفع سهيل صوته قالا : اخفض صوتك عند رسول الله ! وسهيل بارك على ركبتيه^(٢) ، رافع صوته ، والمسلمون عند رسول الله ﷺ جلوس .

خبر الصلح وغضب عمر بن الخطاب

فلما اصطلحوا ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله ﷺ : بلى ! فقال : فعلام^(٣) نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعني . فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال : يا أبا بكر ! ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال : إلزم غرزه^(٤) ! فأبى أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ، ولن يخالف أمر الله ، ولن يضييعه الله . ولقي عمر رضي الله عنه من القضية أمراً كبيراً ، وجعل يردُّد على رسول

(١) التنعيم : موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسرف (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) في (خ) « ركبته » .

(٣) في (خ) « فعلى ما » . (٤) كناية عن لزوم الاتباع وعدم المخالفة .

الله ﷺ الكلام ، وهو يقول : أنا رسوله ولن يضيعني ! ويردد ذلك أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ! تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك ! . فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيناً .

كراهية المسلمين الصلح

وكان المسلمون يكرهون الصلح ، لأنهم خرجوا ولا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ أنه خلق رأسه ، وأنه دخل البيت فأخذ مفتاح الكعبة وعرف مع المعرفين ، فلما رأوا الصلح داخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون . فجعل الله عاقبة القضية خيراً — فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان أسلم — من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية — ، وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية ، فإن الحرب كانت قد حجزت بين الناس . فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، ودخل في تلك الهدنة صناديد قريش الذين كانوا يقومون بالشرك ، وما يُحدث عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأشباههما ، وفشا الإسلام في جميع نواحي العرب . وكانت الهدنة إلى أن نقضوا العهد اثنين وعشرين شهراً .

خبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو

وبينا الناس قد اصطلحوا والكتاب لم يُكتب ، أقبل أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري — وقد أفلت يرسف في القيد متوشح السيف خلال أسفل مكة ، فخرج من أسفلها حتى أتى رسول الله ﷺ وهو يكتأب أباه سهيلاً ، وكان سهيل قد أوثقه في الحديد وسجنه ، فخرج من سجن سهيل ، واجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط بالحديبية . ففرح المسلمون به وتلقوه حين هبط من الجبل فسلموا عليه وآووه ، فرفع سهيل رأسه فإذا بابنه أبي جندل ، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلبينه^(١) . فصاح أبو جندل بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم ، وجعلوا يكون لكلام أبي جندل . فقال حويطب بن عبد العزى لمكرز بن حفص : ما رأيت قوماً قط أشد حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد وبعضهم لبعض ! أما إني

(١) في (خ) « بلبته » .

أقول لك : لا تأخذ من محمد نصفاً^(١) أبداً بعد هذا اليوم حتى يدخلها عَنوة^(٢) !
فقال مكرز : وأنا أرى ذلك .

رد أبي جندل إلى أسر المشركين

وقال سهيل بن عمرو : هذا أول ما قاضيتك عليه ، ردّه ! فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد ! فقال سهيل : والله لا أكتبك على شيء حتى تردّه إلّاي . فردّه عليه ، وكلمه أن يتركه ، فأبى سهيل وضرب وجهه بغضن من شوك ، فقال رسول الله ﷺ : هبه لي أو أجره من العذاب ! فقال : والله لا أفعل . فقال مكرز وحويطب : يا محمد ، نحن نجيره لك . فأدخلاه فسطاطاً فأجاراه ، فكف عنه أبوه . ثم رفع رسول الله ﷺ صوته فقال : يا أبا جندل : اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا نَعْدِر .

عودة عمر إلى مقاتله

وعاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أليست برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : ألسنا على الحق ؟ قال : بلى ! قال : أليس عدونا على الباطل ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطي الدنيا في ديننا ؟ فقال : إني رسول الله ، ولن أعصيه ولن يضيعني . فانطلق إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأجابه بنحو ما أجاب به رسول الله ، ثم قال : ودع عنك ما ترى يا عمر . فوثب إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه ، وسهيل يدفعه ، وعمر يقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ! وإنما هو رجل ، ومعه^(٣) السيف يحرضه على قتل أبيه . وجعل يقول : يا أبا جندل ! إن الرجل يقتل أباه في الله ! والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله ، فرجل برجل . فقال له أبو جندل : مالك لا تقتله أنت ؟ قال عمر : نهاني رسول الله عن قتله وقتل غيره . قال أبو جندل : ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني .

(١) النصف : الإنصاف . (٢) العَنوة : القهر والإذلال . (٣) في (خ) «ومعك» والتصويب من ابن هشام .

مقالة المسلمين لرسول الله ﷺ في الصلح

وقال عمر ورجال معه : يا رسول الله ! ألم تكن حدثتنا أنك تدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة ، وتعرف مع المعرفين ؟ وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن ! فقال : قلت لكم في سفركم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال ﷺ : أما إنكم ستدخلونه ، وآخذ مفتاح الكعبة ، وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة ، وأعرف مع المعرفين ، ثم أقبل على عمر رضي الله عنه وقال : أنسيتم يوم أحد ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، وأنا أدعوكم في أحراكم ؟ أنسيتم يوم الأحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ والمسلمون يقولون : صدق الله ورسوله ، يا نبي الله ! ما فكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا . فلما دخل ﷺ عام القضية^(١) وحلق رأسه قال : هذا الذي وعدتكم . فلما كان يوم الفتح ، أخذ المفتاح وقال : ادعوا إليّ عمر بن الخطاب ! فقال : هذا الذي قلت لكم . فلما كان في حجة الوداع وقف بعرفة فقال : أي عمر ! هذا الذي قلت لكم . قال : أي رسول الله ! ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية .

فتح الحديبية وخبر أبي بكر

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد . لقد نظرتُ إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند النحر يقرب إلى رسول الله بدنة ، ورسول الله ﷺ ينحرفها بيده ! ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ! وأذكر إباءه أن يقرب يوم الحديبية بأن يكتبَ بسم الله الرحمن الرحيم ! وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله ! فحمدت الله الذي هداه للإسلام . فصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الذي هدانا به ، وأنقذنا به من الهلكة .

(١) في عمرة القضية : وسيأتي ذكرها بعد غزوة وادي القرى .

كتاب الصلح

فلما حضرت الدواة والصحيفة — بعد طول الكلام والمراجعة — دعا رسول الله ﷺ أوس بن خولي يكتب ، فقال سهيل : لا يكتب إلا ابن عمك علي ، أو عثمان بن عفان ، فأمر علياً فكتب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف الرحمن ، اكتب ما نكتب ، باسمك اللهم . فضاق المسلمون من ذلك ، وقالوا : هو الرحمن ، والله ما نكتب إلا الرحمن . قال سهيل : إذاً لا أقاضيه على شيء . فقال رسول الله ﷺ : اكتب ، باسمك اللهم . هذا ما اصطليح عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك ، أفرغب عن اسمك واسم أبيك ، محمد بن عبد الله ؟ فضج المسلمون منها ضجّةً هي أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات ، وقام رجال يقولون : لا نكتب إلا محمد رسول الله ! وأخذ أسيد بن حضير وسعد بن عباد رضي الله عنهما بيد الكاتب فأمسكها وقالوا : لا تكتب إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطي هذه الدنية في ديننا ؟ فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويوميء إليهم بيده : اسكتوا . وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون ، ويقول لمكرز : ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء ! فقال رسول الله ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب . فكتب .

نص كتاب الصلح

« باسمك اللهم ، هذا ما اصطليح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، اصطليحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلal^(١) ، وأن بيننا عيبة مكفوفة . وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده محمداً إليه . وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه ، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا من قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف في القرب » .

(١) الأسلال والإغلal : السرقة والخيانة . والعيبة : سبق شرحها ص ٢٨٥ تعليق رقم (٤) .

شهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن عبد الأخيف ، وكتب عليّ صدر الكتاب .

نسخة كتاب الصلح

ودخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وبني بكر في عهد قريش

فقال سهيل : يكون عندي : وقال رسول الله ﷺ : بل عندي ! ثم كتب له نسخة ، وأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول ، وأخذ سهيل نسخته . ووثب من هناك من خزاعة فقالوا : نحن ندخل في عهد محمد وعقده ، ونحن على من وراءنا من قومنا . ووثبت بنو بكر فقالوا : ندخل مع قريش في عهدها وعقدها ، ونحن على من وراءنا من قومنا . فقال حويطب لسهيل : بادأنا أحوالك بالعداوة ، وقد كانوا يستترون منا ، قد دخلوا في عقد محمد وعهده ! وقال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا^(١) قد دخلوا مع محمد ، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً فما نصنع بهم ؟ قال حويطب : نصنع بهم أن نصر عليهم حلفاءنا بني بكر ! قال سهيل : إياك أن تسمع هذا منك بكر ، فإنهم أهل شؤم ، فتقعوا بخزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، فينتقض العهد بيننا وبينه .

مدة الهدنة

وقال عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن دينار^(٢) ، عن ابن عمر قال : كانت الهدنة بين النبي ﷺ وبين أهل مكة بالحديبية أربع سنين ، خرّجه الحاكم وصححه ، وفي كتاب عمر^(٣) بن شيبة في أخبار مكة : كانت

(١) في (الواقدي) « ولحمنا » ج ٢ ص ٦١٢ . (٢) في (خ) « ابن دنبة » وما أثبتناه من (ط) .

(٣) في (خ) « ابن أبي شيبة » وصوابه: عمر بن شيبة، يزيد بن عبيدة بن رابطة الحميري، أبو زيد البصري، ثم البغدادي، الأديب، الإخباري، الشهير بابن شيبة، ولد سنة ١٧٣ هـ وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٢ هـ (هدية العارفين ج ٥ ص ٧٨) .

خبر أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنحر والحلق والإحلال

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، وانطلق سهيل وأصحابه ، قال : قوموا فانحروا واحلقوا وحلوا . فلم يجبه أحد إلى ذلك . فرددها ثلاث مرات ، فلم يفعلوا . فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب ، فاضطجع ، فقالت : مالك يا رسول الله ؟ مراراً ، وهو لا يجيبها ، ثم قال : عجباً يا أم سلمة ، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مراراً ، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك ، وهم يسمعون كلامي ، وينظرون في وجهي . فقالت : يا رسول الله ، انطلق أنت إلى هديك فانحره ، فإنهم سيقتدون بك ، فاضطجع^(١) بثوبه وخرج ، فأخذ الحربة ويمم هديه ، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته : بسم الله والله أكبر . ونحر .

نحر الهدي

فتوائب المسلمون إلى الهدي وازدحموا عليه ينحرونه ، حتى كاد بعضهم يقع على بعض ، وأشرك ﷺ بين أصحابه في الهدي ، فنحر البدنة عن سبعة ، وكان الهدي سبعين بدنة ، وقيل : مائة . وكان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية ، عرض له المشركون فردّوا وجوه البدن ، فنحر رسول الله ﷺ بدنه حيث حبسوه ، [وهي الحديبية] . وشرّد جمل أبي جهل من الهدي وهو يرعى — وقد قلد وأشعر ، وكان نجيباً مهرياً — فمرّ من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة . وخرج في إثره عمرو بن غنمة^(٢) بن عدي بن نابت السلميّ الأنصاري ، فأبى سفهاء مكة أن يُعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه ، فدفعوا فيه مائة ناقة ، فقال رسول الله ﷺ : لولا أننا سميناها في الهدي فعلنا . ونحره عن سبعة . ونحر طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان بدنان ساقوها . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً^(٣) في الحل ، وإنما يصلي في الحرم . وحضره من يسأل من لحوم البدن معترأ^(٤) ، فأعطاهم من لحومها وجلودها . وأكل المسلمون من هديهم وأطعموا المساكين ، وبعث ﷺ من الهدي بعشرين بدنة لتنحر عند المروة

(١) اضطجع بثوبه : أدخله من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر .

(٢) في (خ) «غنمه» . (٣) نازلاً في بناء بناءه . (٤) فقيراً .

مع رجل من أسلم ، فتحرها عند المروة وفرّق لحمها .
دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين والمقصرين

فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن ، دخل قبة له من آدم حمراء ، فيها الحلاق فحلّق رأسه ، ثم أخرج رأسه من قبته وهو يقول : رحم الله المحلقين ! قيل : يا رسول الله والمقصرين ! قال : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، ثم قال : والمقصرين . ورمى بشعره على شجرة كانت بجانبه من سمرّة خضراء ، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصون فيه^(١) . وأخذت أم عمارة طاقاتٍ من شعرٍ ، فكانت تغسلها للمريض وتسقيه حتى يبرأ ، وحلّق ناس وقصّر آخرون . وكان الذي حلّقه ﷺ^(٢) خراش بن أمية بن الفضل الكعبي ، فلما حلّقوا بالحديبية ونحروا ، بعث الله تعالى ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقفتها في الحرم .

خبر أم كلثوم بنت عقبة

وخرجت يومئذ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي عاتق [لم تتزوج] فقبل رسول الله ﷺ هجرتها ولم يُردّها إلى المشركين^(٣) ، وقدمت المدينة ، فتزوجها زيد بن حارثة .

إقامة المسلمين بالحديبية ، وما أصابهم من الجوع

وأقام ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ويقال : عشرين يوماً ، ثم انصرف . فلما نزل عُسفان أُرمل^(٤) المسلمون من الزاد ، وشكوا أنهم قد بُلغوا^(٥) من الجوع ، وسألوا أن ينحروا من إبلهم ، فأذن لهم ﷺ في ذلك ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! لا تفعل ، فإن يلك في الناس بقية ظهر يكن أمثل ، ولكن ادعهم بأزوادهم ، ثم ادع لهم فيها الله . فأمر ﷺ بالأنطاع فبسطت ، ثم

(١) يأخذ كل منهم حصته . (٢) زيادة للبيان .

(٣) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٠٨ في الكلام عن الفوائد الفقهية المستفادة من صلح الحديبية : « ومنها جواز صلح الكفار على ردّ من جاء منهم إلى المسلمين وألا يُرد من ذهب من المسلمين إليهم ، هذا في غير النساء ، وأما النساء فلا يجوز ردهن إلى الكفار ، وهذا موضع النسخ خاصة في هذا العقد بنص القرآن ، ولاسيما إلى دعوى النسخ في غيره بغير موجب » .

(٤) أُرمل المسافر : نفد زاده . (٥) بُلغوا : أدركتهم المشقة .

نادى مناديه : من كان عنده بقية زاد فليئثره على الأنطاع . فكان منهم من يأتي بالتمر الواحدة وأكثرهم لا يأتي بشيء ، ويؤتى بالكف من الدقيق والكف من السويق ، وذلك كله قليل . فلما اجتمعت أزوادهم وانقطعت موادهم مشى ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ، ثم قال : قربوا بأوعيتكم . فجاءوا بأوعيتهم ، فكان الرجل يأخذ ما شاء من الزاد حتى إن أحدهم ليأخذ ما لا يجد له محملاً .

المطر

ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل ، فلما ارتحلوا مطروا ما شاءوا وهم صائفون ، فنزل ونزلوا معه فشرّبوا من ماء السماء ، وقام ﷺ فخطبهم . فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان وذهب واحد معرضاً ، فقال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم خبر الثلاثة ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ! قال : أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه .

سؤال عمر وسكوت رسول الله ﷺ عن جوابه،

ونزول سورة الفتح

وبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير مع رسول الله ﷺ ، فسأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال : ثكلتك أمك يا عمر ! بدرت^(١) رسول الله ثلاثاً ، كل ذلك لا يجيبك ! وحرك بعيره حتى تقدم الناس ، وخشي أن يكون نزل فيه قرآن ، فأخذه ما قرب وما بعد : لمراجعته بالحديبية وكرهته القضية . وبينا هو يسير مهموماً متقدماً على الناس ، إذا منادي رسول الله ﷺ ينادي : يا عمر بن الخطاب ! فوق في نفسه ما الله به أعلم ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فسلم ، فردّ عليه السلام وهو مسرور ثم قال : أنزلت عليّ سورة هي أحب مما طلعت عليه الشمس . فإذا هو يقرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾^(٢) ، فأنزل الله في ذلك سورة الفتح ، فركض الناس وهم يقولون : أنزل على رسول الله ! حتى توافوا عنده وهو يقرأها . ويقال : لما نزل جبريل عليه

(١) في (خ) « نذرت » وأيضاً في (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٧ ، وفي (ط) بدرت : بمعنى عجلت إليه .

(٢) أول سورة الفتح .

السلام قال : نهثك^(١) يا رسول الله ! فلما هنأه جبريل هنأه المسلمون . وكان نزول سورة الفتح بكراع الغميم ، ويقال^(٢) : نزلت بضجنان . وعن قتادة عن أنس رضي الله عنهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ ، قال : خير . وقال غيره : الحديبية ، منحره وحلقه . وقيل : نزلت سورة الفتح منصرفه من خير .

خبر فرار أبي بصير من أسر المشركين

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية ، في ذي الحجة جاء أبو بصير عتبة بن أسيد [وقيل : عبيد بن أسيد] بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن [أبي]^(٣) سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي [وهو ثقيف] حليف بني زهرة — مسلماً ، قد انفلت من قومه ، وسار على قدميه سبعا^(٤) .

كتاب قريش في أمر أبي بصير

وكتب الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عوف الزهري إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع ثخنيس بن جابر من بني عامر ، واستأجراه ب بكرين لبون ، وحمله على بعير ، وخرج معه مولى يقال له : كوثر ، وفي كتابهما ذكر الصلح ، وأن يرد عليهم أبا بصير . فقدموا بعد أبي بصير بثلاثة أيام ، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : « قد عرفت ما شارطناك عليه — وأشهدنا بيننا وبينك — من رد من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا » .

رد أبي بصير إلى المشركين

فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما ، فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ! فقال : يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا العذر . وإن الله جعل لك ولن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً . فقال : يا رسول الله ! تردني إلى المشركين ، قال : انطلق يا أبا بصير ، فإن الله سيجعل لك مخرجاً . ودفعه إلى العامري وصاحبه . فخرج

(١) في (الواقدي) « يهنئك » .

(٢) وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٦١٨ .

(٣) زيادة من نسبه . (٤) في (الواقدي) « سبعا » .

معهما ، وجعل المسلمون يُسَرُّون إلى أبي بصير ، يا أبا بصير ، أبشر ! فإن الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل ، فافعل وافعل : يأمرونه بالذين معه فانتها به عند صلاة الظهر إلى ذي الحليفة . فصلى أبو بصير في مسجداه ركعتين صلاة المسافر . ومعه زاد له من تمر يحمله ، ثم أكل منه ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه ، فقدموا سفرة فيها كسر وأكلوا جميعاً .

قتله العامري

وقد علق العامري سيفه في الجدار ، وتحادثوا ، فقال أبو بصير : يا أخا بني عامر ! ما اسمك ؟ قال : حُنَيْس . قال : ابن من ؟ قال : ابن جابر . قال : يا أبا جابر ، أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم ! قال : ناولينه أنظر إليه إن شئت . فنأوله ، فأخذ أبو بصير بقائم السيف — والعامري ممسك بالجفن — فعلاه به حتى برَدَ . وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة ، وأبو بصير في أثره فأعجزه ، حتى سبقه إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله جالس في أصحابه بعد العصر ، إذ طلع كوثر يعدو ، فقال : هذا رجل قد رأى دُعراً ! وأقبل حتى وقف فقال رسول الله ﷺ : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي ، وأفلت منه ولم أكذ ! .

مرجع أبي بصير إلى المدينة

وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري بباب المسجد ، ودخل متوشحاً سيفه ، فقال : يا رسول الله ! وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، وقد أسلمتني بيد العدو ، وقد امتنعت بديني من أن أقتن ، ويعبت بي أو أكذب بالحق . فقال عليه السلام : ويل أمه محشٌ حرب^(١) لو كان معه رجال ! وقدم سلب العامري ورحله وسيفه ليخمس رسول الله ﷺ فقال : إني إذا خمسته رأوا^(٢) أني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك . ثم قال : لكوثر : ترجع به إلى أصحابك ؟ فقال : يا محمد ! ما لي به قوة ولا يدان ! فقال ﷺ لأبي بصير : اذهب حيث شئت .

(١) يقال حش الحرب إذا أسعرها وهيجه .

(٢) أي قريش .

خروج أبي بصير إلى العيص

فخرج حتى أتى العيص ، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق غير قريش إلى الشام ، وعندما خرج لم يكن معه إلا كف تمر فأكله ثلاثة أيام ، وأصاب حيتاناً قد ألقتها البحر بالساحل فأكلها ، وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبره . فتسللوا إليه . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي كتب إليهم بقول رسول الله ﷺ لأبي بصير : ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال ، وأخبرهم أنه بالساحل . فاجتمع عند أبي بصير قريب من سبعين مسلماً ، فكانوا بالعيص . وضيقوا على قريش ، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر عليهم غير إلا اقتطعوها ، ومر بهم ركب يريدون الشام ، معهم ثمانون بعيراً ، فأخذوا ذلك ، وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين ديناراً ، وكانوا قد أمروا عليهم أبا بصير ، فكان يصلى بهم ويقرئهم ويجمعهم ، وهم له سامعون مطيعون ، ففاظ قريشاً صنيع أبي بصير وشق عليهم ، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير إليه ومن معه : فلا حاجة لنا بهم . فكتب ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه ، فجاءه الكتاب وهو يموت ، فجعل يقرأه ، ومات وهو في يده فدفنوه . وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون فيهم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، فمات بعقب قدمه فبكته أم سلمة رضي الله عنها .

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أم كلثوم بنت عقبة^(١) بن أبي معيط قد أسلمت بمكة ، فكانت تخرج إلى بادية أهلها [لها بها أهل] ، فتقيم أياماً بناحية التنعيم ثم ترجع . حتى اجتمعت على المسير مهاجرة ، فخرجت كأنها تريد البادية على عادتها ، فوجدت رجلاً من خزاعة فأعلمته بإسلامها ، فأركبها بعيره حتى أقدمها المدينة بعد ثمانى ليال ، فدخلت على أم سلمة رضي الله عنها ، وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة ، وتخوفت أن يردها رسول الله ﷺ . فلما دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة أعلمته ، فرحب بأم كلثوم وسهّل ، فذكرت له هجرتها ، وأنها تخاف أن يردها .

(١) في (خ) «عتبة» .

ما نزل فيها من القرآن

فأنزل الله فيها آية الممتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلِيسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمٍ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) .

طلب قريش رد أم كلثوم

فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ، ولا يرد من جاءه من النساء ، وقدم أخوها من غَدٍ قدومها — الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط — فقالا : يا محمد ! ف^(٢) لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه . فقال : قد نُقِضَ ذلك . فانصرفا إلى مكة فأخبرا قريشاً ، فلم يبعثوا أحداً ، ورضوا بأن تحبس النساء .

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

ويقال : إن أميمة بنت بشر الأنصارية ، ثم من بني عمرو بن عوف ، كانت تحت حسان بن الدحاح^(٣) [أو ابن الدحاح] وهو يومئذ مشرك ، ففرت من زوجها بمكة وثبت^(٤) رسول الله ﷺ تريد الإسلام ، فهم أن يردّها إلى زوجها ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ﴾^(٥) . ثم زوجها رسول الله ﷺ سهل بن حنيف ، فولدت له عبد الله بن سهل .

طلاق الكوافر

وأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ ﴾^(٥) فطلق عمر بن الخطاب امرأتين هما : قريية بنت أبي أمية ، [بن المغيرة]^(٦) ، فتزوجها معاوية بن أبي

(١) الآية ١ / الممتحنة ، وفي (خ) « ... فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ، الآية » . (٢) ف : فعل الأمر من أوفى .

(٣) في (خ) هكذا : « كانت ثابت بن الدحاح » والصواب « كانت تحت » حيث أن ثابت بن الدحاح رضي

الله عنه قد استشهد بأحد (ابن سيد الناس) ج ٢ ص ٢٩ .

(٤) في (خ) « أنت » . (٥) من الآية ١٠ / الممتحنة .

(٦) في (خ) « قريية بنت أمية » وما بين القوسين زيادة من (ط) ، وفي (الواقدي) « زينب بنت أمية » .

سفيان ، والأخرى أم كلثوم بنت جَرْوَل بن مالك بن المسيَّب بن ربيعة بن أصرم
ابن حبيش بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم
ابن حذيفة . وطلق عياض بن غنم الفهري أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب .
فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فولدت له عبد الرحمن ابن أم الحكم ، وكلهم
يومئذ مشرك . ولم يُعلم أن امرأة من المسلمين لحقت بالمشركون .

بعثة الرسل إلى الملوك

وفي هذه السنة السادسة ، بعث رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك بكتبه ،
فأرسل حاطب بن أبي بلتعة [عمرو ، وقيل : راشد] بن معاذ اللخمي إلى المقوقس
بمصر .

* أرسل شجاع بن وهب [ويقال : ابن أبي وهب] بن ربيعة بن أسد ابن
صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي إلى الحارث
ابن أبي ثمر الغساني .

* وأرسل دحية بن خليفة بن قُروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن
الخرزج^(١) [وهو زيد مناة] بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن غُدرة
ابن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي ، إلى قيصر ملك الروم .

* وأرسل سَلِيطَ بن عمر بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل
ابن عامر بن لؤي القرشي العامري ، إلى هُوَذَةَ بن علي الحنفي ، وإلى ثمامة بن أنال
[وهما]^(٢) رئيسا اليمامة .

* وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي
السهمي ، إلى كسرى ملك فارس .

* وأرسل عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إلياس بن عبيد بن ناشرة^(٣)
ابن كعب الضمري ، إلى النجاشي ملك الحبشة .

* وأرسل العلاء بن الحضرمي [اسمه عبد الله] بن عباد [وقيل : عبد الله بن
عمار ، وقيل : عبد الله بن ضمار ، وقيل : عبد الله بن عبيدة بن ضمار] بن مالك

(١) في (خ) «الخرزج» . (٢) زيادة للسياق . (٣) في (خ) «عتيك بن باشرة» .

وقيل : العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف
ابن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصّدْف ، إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين .
وقيل : إن إرساله كان سنة ثمان .

ردود الملوك

* فأما المقوقس ، فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه أربع جوارى ،
منهن مارية [القبطية] .

* وأما قيصر [واسمه هرقل] ، فإنه قبل أيضاً الكتاب واعترف بالنبوة ، ثم
خاف من قومه فأمسك .

* وأما الحارث بن أبي سمر العسّاني ، فإنه لما أتاه الكتاب قال : أنا سائر إليه
[يعني محارباً] . فقال رسول الله ﷺ ، وقد بلغه ذلك عنه : بادْ ملكه .

* وأما النجاشي فإنه آمن برسول الله ﷺ واتبعه ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وأرسل ابنه في ستين من الحبشة ففرقوا في البحر . وبعث إليه رسول
الله ﷺ أن يزوجه بأُم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب — وكانت مهاجرة بالحبشة
مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصّر هناك — فزوجه إياها ، وقام بصداقتها :
أربعمائة دينار من عنده .

* وأما كسرى أبرويز هرمز ، فإنه مزق الكتاب ، فقال رسول الله ﷺ :
مزق الله ملكه ، فسَلَط عليه ابنه شيرويه فقتله .

* وأما هُوذة بن عليّ ، فبعث وفداً بأن يجعل له رسول الله ﷺ الأمر بعده
حتى يسلم ، وإلا قصده وحاربه ، فقال النبي ﷺ : اللهم اكفيه ! فمات بعد
قليل .

* وأما المنذر بن ساوي ، فإنه أسلم وأسلم أهل البحرين .

سحر ليبد بن الأعصم لرسول الله ﷺ

وفي محرم سنة سبع سحر ليبد بن الأعصم رسول الله ﷺ على ما ل جعله
له من بقي بالمدينة من اليهود والمنافقين .

غزوة خيبر

وكانت غزوة خيبر في صفر سنة سبع ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرد ، مشى ثلاثة أيام . وقيل : سميت بخيبر بن قانية بن هلال بن مهلهل بن عبيل بن عوض ابن لرم بن سام بن نوح^(١) : وكان عثمان بن عفان مصرّها .

أول الخروج إلى خيبر

ويقال : خرج رسول الله ﷺ لهُلال ربيع الأول . ونقل عن الإمام مالك أن خيبر كانت في سنة ست . وإليه ذهب أبو محمد بن حزم ، والجمهور على أنها كانت في سنة سبع ، وأمر أصحابه بالتهيؤ للغزو ، واستنفر من حوله يغزون معه . وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقال : لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، وأما الغنيمة فلا . وبعث منادياً فنادى : لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وقيل : أبا ذر ، وقيل : نائلة بن عبد الله الليثي .

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم ، لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون : محمد يغزونا !! هيهات هيهات^(٢) ! فعصى الله عليهم ، فخرج النبي ﷺ حتى نزل بساحتهم ليلاً .

دعاء رسول الله ﷺ لما أشرف خيبر

ولما أشرف على خيبر قال لأصحابه : قفوا ، ثم قال قولوا : اللهم ربّ السموات السبع وما أظلت ، وربّ الأرضين السبع وما أقلت ، [وربّ الشياطين وما أضلن]^(٣) ، وربّ الرياح وما ذرت ، فإنّا نَسْأَلُكَ خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها [وشر أهلها]^(٤) وشر ما فيها ! ثم قال :

(١) (معجم البلدان) ج ٢ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ . (٢) اسم فعل ماض بمعنى « بعد » .

(٣) زيادة في بعض كتب السيرة ، وفي (خ) و (الواقدي) ج ٢ ص ٦٤٢ بدون هذه الزيادة ، وذكره الإمام النووي في (الأذكار) ص ٢٠١ (باب ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها أو لا يريد) .

ادخلوا على بركة الله . وعُرِّسَ بمنزله ساعة .

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهود يقومون كل ليلة قبل الفجر ، ويصفون الكتائب ، وخرج كنانة ابن أبي الحقيق في أربعة عشر رجلاً إلى غطفان ، يدعوهم إلى نصرهم ولهم نصف ثمر خير سنة . فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديك ، حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأقعدتهم تحفق ، وفتحوا حصونهم ، [وغدوا إلى أعمالهم]^(١) ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل ، فلما نظروا المسلمين قالوا : محمد والخميس^(٢) !! وولّوا هارين إلى حصونهم ، ورسول الله ﷺ يقول : الله أكبر ! خربت خير ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قتال أهل النطاة

وقاتل يومه ذلك إلى الليل أهل النطاة^(٣) ، فلما أمسى تحول بالناس إلى الرجيع^(٤) . وكان يغدو^(٥) بالمسلمين على راياتهم . وكان شعارهم : يا منصور أمث . وأمر بقطع نخلمهم ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمئة عذق^(٦) ، ثم نادى بالنهي عن قطعها . ويروى أن رسول الله ﷺ لما نزل خير أخذته الشقيقة^(٧) ، فلم يخرج إلى الناس .

(١) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٠٦ . (٢) يعنون بالخميس الجيش المرجع السابق .

(٣) حصن من حصون خير التي ذكرها (ابن سعد) ج ٢ ص ١٠٦ وهي : حصن الصعب بن معاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قامة الزبير والشق ، وبه حصون منها حصن أبي وحصن التزار ، وحصون الكتيبة منها القموس والوطيح وسلام ، وهو حصن بني أبي الحقيق .

(٤) الرجيع : « هو الموضع الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين بعثهم الله ﷺ ، وهذا غير ذلك ، وذكر ابن إسحق في غزاة خير أنه عليه السلام حين خرج من المدينة إلى خير سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ... وهذا غير الأول لأن ذلك قرب الطائف وخير من ناحية الشام خمسة أيام عن المدينة ، فيكون بين الرجيعين أكثر من خمسة عشر يوماً » (معجم البلدان) ج ٣ ص ٢٩ .

(٥) العذق : النخلة يحملها (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٧٩ .

(٦) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٧٣٩ ، (زاد المعاد) ج ٤ ص ٨٧ فصل هديه ﷺ في علاج الصداع والشقيقة .

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدي : وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع فيئة^(١) ، وقد قاتل يومئذ ، وكان يوماً صائفاً^(٢) ، فدلى عليه مرحب^(٣) [اليهودي] فأتى رحي فهشمت البيضة ، وسقطت جلدة جبينه على وجهه ، وندرت عينه^(٤) ، فأتى به رسول الله ﷺ فرد الجلدة كما كانت ، وعصبتها بثوب ، وتحول إلى الرجيع خشية على أصحابه من البيات . فكان مقامه بالرجيع سبعة أيام ، يغدو كل يوم للقتال ، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقاثل أهل النطاة يومه^(٥) ، فإذا أمسى رجع إلى الرجيع ، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى . فجرح أول يوم خمسون من المسلمين .

اليهودي المستأمن

ونادى يهودي من أهل النطاة بعد ليل : أنا آمن وأبلغكم ؟ فقالوا : نعم ! فدخل على رسول الله ﷺ فذله على عورة يهود . فدعا أصحابه وحضتهم على الجهاد . فغدوا عليهم ، فظفرهم الله بهم ، فلم يك في النطاة شيء من الذرية ، فلما انتهوا إلى الشق وجدوا فيه ذرية ، فدفع رسول الله ﷺ إلى اليهودي زوجته .

حراة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسة ثوباً بين المسلمين ، حتى فتح الله حصن النطاة ، فوجد فيها منجنيق ، فنصب على حصن النزار^(٦) ، ففتحه الله ، ونازل المسلمون حصن ناعم في النطاة ، فنهى رسول الله ﷺ عن القتال حتى يأذن لهم . فعمد رجل من أشجع فحمل على يهود فقتله مرحب ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : لا تحل الجنة لعاصر . ثم أمر الناس بالقتال . وكان لليهود عبد حبشي اسمه يسار ، في ملك عامر اليهودي ، يرعى له غنماً ، فأقبل بالغنم حتى أسلم ، ورد الغنم لصاحبها ، وقاتل حتى قتل شهيداً .

(١) في (خ) « فة » والفيء : الظل . (٢) الصائف : شديد الحر . (٣) زيادة للإيضاح . (٤) ندر الشيء ندوراً : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء تظهر (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٣٤٧ . (٥) في (خ) « قومه » . (٦) في (خ) « البراز » .

الألوية ، وأول راية في الإسلام

وفرق رسول الله ﷺ الرايات ، ولم تكن راية قبل خير ، إنما كانت الألوية ، فكانت راية النبي ﷺ سوداء تدعى العقاب : من برد لعائشة رضي الله عنها ، ولواؤه أبيض ، ورفع رايةً إلى علي ، ورايةً إلى الحباب بن المنذر ، ورايةً إلى سعد ابن عبادة رضي الله عنهم .

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مدداً ليهود بغطفان في أربعة آلاف ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه أن يرجع وله نصف ثمر خير ، فأبى أن يتخلى عن حلفائه ، فبعث الله على غطفان الرعب ، فخرجوا على الصعب والذلول^(١) ، فذل عند ذلك عدو الله كنانة بن أبي الحقيق ، وأيقن بالهلكة .

حصن ناعم ورجوع المسلمين

وجثم^(٢) رسول الله ﷺ على الحصون ، وألحَّ على حصن ناعم بالرمي ، ويهود تقاتل . ورسول الله ﷺ على فرس يقال له الظرب ، وعليه درعان ومغفرٌ وبيضة ، وفي يده قناة وترس . وقد دفع لواءه إلى رجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً . فحث ﷺ المسلمين على الجهاد ، وسالت كتابت يهود : أمامهم الحارث أبو زينب يهذ^(٣) الناس هذا . فساقهم صاحب راية الأنصار حتى انتهوا إلى الحصن فدخلوه ، وخرج أسير يقدم يهود ، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً^(٤) . [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] ، فقال ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ، أبشر يا محمد بن مسلمة ! غداً — إن شاء الله تعالى — يقتل قاتل أخيك ، وتولِّي عادية يهود .

(١) كناية عن شدة الرعب . (٢) جثم : لزم مكانه . (٣) في (خ) « بهذا » ، والهد : الإسراع . (٤) في (الواقدي) ج ٢ ص ٦٥٣ بعد قوله « مهموماً » وقد كان سعد بن عبادة رجلاً مجروحاً فيستقيم بذلك السياق إذا قيل بعدها عبارة : [وخرج مع ذلك سعد بن عبادة] .

بعثة علي لفتح حصن ناعم

فلما أصبح رسول الله ﷺ أرسل إلى علي رضي الله عنه — وهو أرمَد — فقال [علي] ^(١) : ما أبصر سهلاً ولا جبلاً ! فذهب إليه فقال ﷺ : افتح عينيك ! ففتحهما ، ففعل فيهما ، فما رمد بعدها .

مقتل أبي زينب اليهودي

ثم دفع إليه اللواء ، ودعاه ومن معه بالنصر . وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب — أخو مرحب — فانكشف المسلمون وثبت علي ، فاضطربا ضربات قتله علي ، وانهمز اليهود إلى حصنهم .

خبر مرحب اليهودي ومقتله

ثم خرج مرحب فحمل علي وعليه وضربه ، فاتقاه بالثرس ، فأطن ترس علي رضي الله عنه ، فتناول باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن ، وبعث رجلاً يبشر النبي ﷺ بفتح حصن مرحب . ويقال : إن باب الحصن جُرب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وروي — من وجه ضعيف عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، فكان جهدهم أن أعادوا الباب . وعن أبي رافع : فلقد رأيتني في نفر مع سبعة — أنا ثامنهم — نجهد أن نقرب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه . وزعم بعضهم : أن حمل علي باب خير لا أصل له ، وإنما يروى عن رعا ع الناس . وليس كذلك ، فقد أخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع ، وأن سبعة لم يقلبوه . وأخرجه الحاكم من طرق منها : عن أبي علي الحافظ : حدثنا الهيثم بن خلف الدؤري ، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري [نسيب] ^(٢) السُّدِّي ، حدثنا المطلب بن زياد ، حدثنا الليث بن أبي سليم ، حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، عن جابر : أن علياً حمل الباب يوم خير ، وأنه جُرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً .

(١) زيادة للبيان .

(٢) زيادة من نسبه (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ٣٢٥ .

خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم

ويقال : إن مرحباً برز كالفحل الصؤول يدعو للبراز ، فخرج إليه محمد بن مسلمة فتجاولا ساعة ، وضرب محمد مرحباً فقطع رجله وسقط ، فمر به علي رضي الله عنه فضرب عنقه وأخذ سلبه ، فأعطى رسول الله ﷺ سلبه محمد بن مسلمة . وبرز أسير ، فخرج له محمد بن مسلمة فقتله محمد ، ثم برز ياسر ، وكان من أشدائهم ، فقال :

قد علمت خير أني ياسر شاكي السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر وأحجمت من صولتي المخاطر^(١)
إن حماي فيه موت حاضر

فقتله الزبير رضي الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أني زبار قرم لقوم غير نكسر فرار
وابن حماة المجد وابن الأخيار ياسر ! لا يغرك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الجرار^(٢)

(وفي رواية : « فإنهم مثل السراب الموار ») فقال رسول الله ﷺ : أبشروا !
قد ترجبت خير وتيسرت . وبرز عامر فقتله علي وأخذ سلاحه .

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

ولما قتل مرحب بعث رسول الله ﷺ جُعَيْل بن سراقه الغفاري يبشر محمود ابن مسلمة : أن الله قد أنزل فرائض البنات ، وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله ، فسر بذلك ، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب ، بعد ثلاث من سقوط الرحي عليه .

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

وكان الناس قد أقاموا على حصن النطاة عشرة أيام لا يفتح ، وجهدهم الجوع ،

(١) في (الطبري) ج ٣ ص ١١ « وأحجمت عن صولتي المغاور » .

(٢) في (خ) « فإنهم مثل الشراب الجار » وما أثبتناه من (الطبري) ج ٣ ص ١١ .

فبعثوا أسماء بن حارثة بن هند بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر ابن ثعلبة بن مالك بن أفضى الأسلمي إلى رسول الله ﷺ : نشكوا الجوع والضعف ، فادع الله لنا ! فقال : اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه ، أكثره طعاماً وأكثره وَدَكاً . ودفع اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، وندب الناس . فما رجعوا حتى فتح الله عليهم حصن الصعب .

خبر أبي اليسر في إطعام المسلمين

فقال رسول الله ﷺ : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر كعب ابن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : أنا يا رسول الله ! وخرج يسمى مثل الظبي ، فقال عليه السلام : اللهم متعنا به ! فأدرك الغنم وقد دخل أولها الحصن ، فأخذ شاتين من آخرها واحتضنهما ، ثم أقبل عدواً ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فذبحتا^(١) وقسمتا ، فما بقي أحد من أهل العسكر المحاصرين الحصن إلا أكل منها ، وكانوا عدداً^(٢) كثيراً .

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

وخرج من الحصن عشرون حمراً أو ثلاثون ، فأخذها المسلمون وانتحروها ، وطبخوا لحومها ، فمر بهم رسول الله ﷺ وهم على تلك الحال ، فسأل ، فأخبر خبرها ، وأمر فنودي : إن رسول الله ﷺ نهاكم عن لحوم [الحمر]^(٣) الإنسية فأكففتوا القدور .

النهي عن متعة النساء وكل ذي ناب ومخلب

و [نهاكم]^(٤) عن متعة النساء^(٥) ، وعن كل ذي ناب ومخلب . وذبح المسلمون فرسين قبل فتح حصن الصعب فأكلوا .

(١) في (خ) « قد لحقا » . (٢) في (خ) « عدداً » . (٣) زيادة للسياق . (٤) زيادة للسياق .

(٥) يقول (ابن القيم) في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٤٣ وما بعدها : « ولم تحرم المتعة يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح هذا هو الصواب » .

« وقال الشافعي : لا أعلم شيئاً حُرِّم ، ثم أبيح ، ثم حُرِّم إلا المتعة ، قالوا : نُسَخَّتْ مرتين ، وخالفهم في ذلك آخرون ، وقالوا : لم تحرم إلا عام الفتح » .

مقتل عامر بن سنان الأنصاري

وَقُتِلَ عامر بن سنان الأنصاري — عُمُ سلمة^(١) بن عمرو بن الأكوع [وسنان هو الأكوع] — وقد لقي يهودياً فبدره بضربة ، فاتقى عامراً بدرقته ، فنبأ سيف اليهودي عنه ، وضرب عامر رجل اليهودي فقطعها ، ورجع السيف عليه ، فنزف فمات . فقال أسيد بن حضير : حبط عمله . فقال رسول الله ﷺ : كذب من قال ذلك ، إن له لأجرين ، إنه جاهد^(٢) مجاهد ، وإنه ليعوم في الجنة عوم الدعموص^(٣) .

خبر حصن الصعب

ولما أقام المسلمون على حصن الصعب يومين ، عدا بهم الحباب بن المنذر في اليوم الثالث ومعه الراية ، فقاتلهم أشد قتال . وبكر رسول الله ﷺ فتراموا بالنبل ، وقد ترس المسلمون على رسول الله . ثم حملت اليهود حملة منكرة ، فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وهو واقف قد نزل عن فرسه ، ومدَّعَم^(٤) يمسك الفرس ، وثبت الحباب برايته يراميمهم على فرسه . فندب رسول الله الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب ، واشتد الأمر ، فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ، ورَمَوْا من أعلى جُدْره بالحجارة رمياً كثيراً فتباعد عنه المسلمون ثم كروا . فخرجت يهود وقاتلوا أشد قتال ، فقتل ثلاثة من المسلمين ، ثم هزمهم الله تعالى .

غنائم حصن الصعب

واقترح المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون . فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك كثيراً^(٥) فنأدى منادي رسول الله ﷺ : كلوا

(١) في (خ) « مسلمة » .

(٢) الجاهد : الجاد في أمره .

(٣) الدعموص : دوية أو دودة تكون في الغُدران إذا نشَّت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٨٧ . والغدران :

جمع غدير .

(٥) في (خ) « كثيراً » .

(٤) مدَّعَم : اسم عبد أسود .

واعلفوا ولا تحملوا [يعني لا تخرجوا به إلى بلادكم] . فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم ، وعلف دوابهم ، ولم يمنع أحد من شيء ، ولم يخمس . ووجدوا بزاً في عشرين عكماً^(١) محزمة من متاع اليمن^(٢) ، ووجدوا خوالي سكر^(٣) ، فأمر بالسكر فكسر خوابيه . ووجدوا آنية من نحاس وفخار كانت يهود تأكل فيها وتشرب ، فقال عليه السلام : اغسلوها واطبخوها ، وكلوا فيها واشربوا . وأخرجوا منها غنماً وبقراً وحمراً ، وآلة الحرب ، ومنجنيقاً ، ودبابات وعدة ، وخمسمائة قطيفة ، وعشرة أحمال خشب^(٤) ، فأحرق ، وشرب الخمر رجل من المسلمين يقال له : « عبد الله الحمار »^(٥) ، فخفقه رسول الله بنعليه ، وأمر من حضروه فخفقه^(٦) بنعالمهم . ولعنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ﷺ : فإنه يحب الله ورسوله ! ثم راح عبد الله كأنه أحدهم ، فجلس معهم .

فتح قلعة الزبير

وتحولت يهود إلى قلعة^(٧) الزبير ، فزحف رسول الله ﷺ إليهم وحصرهم — وكانوا في حصن منيع — مدة ثلاثة أيام حتى فتحه ، وكان آخر حصون النبطاة .

فتح حصون الشق

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأنفال والعسكر أن يحول من الرجيع إلى مكانه الأول بالشُّق ، وبه عدة حصون ، فنازلها حتى فتحها . ووجد في حصن منها صفية بنت حيي وابنة عمها ، ونُسَيَّات معها وذُراري ، يبلغ عدة الجميع زيادة على ألفين .

مصالحة كنانة بن أبي الحقيق على أهل الكتيبة

وصالح كنانة بن أبي الحقيق رسول الله ﷺ [على]^(٨) أهل الكتيبة فأمن

-
- (١) العكم : من قوله : عكم المتاع يعكمه ، شدة بثوب (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٦٦٤ .
 (٢) في (خ) « اليمن » .
 (٣) خوالي : جمع خابية وهي كالدق ، والسُّكر : كل ما يسكر .
 (٤) في (خ) ، (ط) « كشوب » وهو خطأ من الناسخ ، وما أثبتناه من (الواقدي) ج ٢ ص ٦٦٤ .
 (٥) كذا في (خ) ، (ط) وفي المرجع السابق « عبد الله الحمار » . (٦) في (خ) « فخفوه » . (٧) في (خ) « قطعة » .
 (٨) زيادة للسياق .

الرجال والذرية ، ودفعوا إليه الأموال من الذهب والفضة والحلقة والثياب إلا ثوباً على إنسان ، بعد ما حصرهم أربعة عشر يوماً . وقال مالك ، عن ابن شهاب : والكتيبة أكثرها عتوة ، وفيها صلح . وقال ابن وهب : قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : من أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عذقي . فوجد خمسمائة قوس عربية ، ومائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح .

ما كتبه ابن أبي الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

وسأل [رسول الله ﷺ]^(١) كنانة بن أبي الحقيق عن الأموال — وكان قد قال ﷺ حين صالحه برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئاً — فقال كنانة : يا أبا القاسم ! أنفقناه في حربنا فلم يبق منه شيء ! وأكد الأيمان ، فقال رسول الله : برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكم ؟ قال : نعم ! ثم قال ﷺ : وكل ما أخذت من أموالكم ، وأصبت من دمائكم ، فهو حل لي ولا ذمة لكم ؟ قال : نعم ! وأشهد عليه عدة من المسلمين ومن يهود . فذله سعية^(٢) ابن سلام بن أبي الحقيق على خربة ، فبعث عليه السلام الزبير في نفر مع سعية^(٣) حتى حفر ، فإذا كنز في مسك^(٤) جمل ، فيه حُلِي . فأُتِيَ به رسول الله ﷺ ، فأمر الزبير أن يعذب كنانة حتى يستخرج كل ما عنده ، فعذبه حتى جاءه بمال ، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود ، وعذب ابن أبي الحقيق الآخر ، ثم دفع إلى ولاة بشر بن البراء فقتل به ، وقيل ضرب عنقه ، واستحل ﷺ بذلك أموالهما ، وسبي ذراريهما . ووجد في المسك : أسورة الذهب ، ودمالج الذهب ، وخلاخل الذهب ، وأقراط ذهب ، ونظم من جوهر وزمرد ، وخواتم ذهب ، وفتح بجزع ظفار مجزع^(٥) بالذهب . [وذكر]^(٥) .

(١) زيادة للبيان .

(٢) كذا في (ط) ، وفي (خ) و (الواقدي) ج ٢ ص ٦٧٢ « ثعلبة » .

(٣) مسك الدابة : جلدتها بعد السلخ .

(٤) في (خ) « وفتح بجزع ظفار مجرع » ، والفتح . الدبلة ، وجزع الظفار : سبق شرحه في حديث الإفك .

(٥) كذا في (خ) ، والسياق مستقيم بدونها .

صفية بنت حبي : إسلامها ، وزواج رسول الله ﷺ بها

وكانت صفية بنت حبي تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فسباها رسول الله ﷺ ، وبعث بها مع بلال إلى رَحْله ، فمر بها وبابنة عمها على القتلى ، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً ، فكره رسول الله ﷺ ما صنع بلال وقال : ذهبت منك الرحمة ؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى !! فقال : يا رسول الله ! ما ظننت أنك تكره ذلك ، وأحببت أن ترى مصارع قومها ! فدفع ابنة عم صفية إلى دحية الكلبي ، وأعتق صفية وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها .

خبر الشاة المسمومة

التي أكل منها رسول الله ﷺ وقتلت بشر بن البراء

ثم إن زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب^(١) ، ذبحت عنزاً لها وطبختها وسمتها ، فلما صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله ، وجد زينب عند رحله ، فقدمت له الشاة هدية . فأمر بها فوضعت بين يديه ، وتقدم هو وأصحابه إليها ليأكلوا ، فتناول الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظماً ، وانتهم رسول الله ﷺ ثم ازدرد ، وقال : كفوا أيديكم ، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة ! فقال بشر بن البراء : والله يا رسول الله ، وجدت ذلك من أكلتي^(٢) التي أكلت ، فما منعني أن ألفظها إلا كراهية أنغص عليك طعامك . فلم يرم^(٣) بشر من مكانه حتى تغير ثم مات . ودعا رسول الله ﷺ زينب وقال : سممت الذراع ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال : الذراع ! قالت : نعم ! قال : وما حملك على ذلك ؟ قالت : قتلت أبي وعمي وزوجي ، ونلت من قومي ما نلت ، فقلت : إن كان نبياً فستخبره الشاة ، وإن كان ملكاً استرحنا منه ! فقيل : أمر بها فقتلت ثم صلبت^(٤) ، كما رواه أبو داود . وقيل : عفا عنها^(٥) .

(١) كذا في (خ) ، وفي سنن أبي داود ج ٤ ص ٦٤٨ ، ويرى بعض الرواة أن «زينب بنت الحارث» هذه هي ابنة أخي مرحب اليهودي ، راجع (مجمع الزوائد) ج ٦ ص ١٥٣ .

(٢) أكلتي : لقمتي . (٣) لم يرم : لم يفارق مكانه . (٤) (مجمع الزوائد) ج ٨ ص ٢٩٦ .

(٥) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ٦٤٧ وما بعدها ، (باب من سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات ، أيقاد منه؟) الأحاديث أرقام : ٥٤٠٨ ، ٥٤٠٩ ، ٥٤١٠ ، ٥٤١١ ، ٥٤١٢ ، ٥٤١٣ ، ٥٤١٤ وقال الخطابي في =

الاختلاف في قتل صاحبة الشاة المسمومة

وقد اختلفت^(١) الآثار في قتلها^(٢) : ففي صحيح مسلم أنه لم يقتلها ، وهو مروى عن أبي هريرة وجابر ، وفي أبي داود أنه قتلها . وعن ابن عباس : دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها فمات بها ، فقتلوا . وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها . وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيئاً ، فأمرهم رسول الله ﷺ فاحتجموا أو ساط رؤوسهم .

احتجام رسول الله ﷺ من سم الشاة

واحتجم ﷺ تحت كتفه اليسرى ، وقيل : على كاهله ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدَ بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةِ . وقال ﷺ في مرض موته : مازالت أكلة خيبر يصيبني منها عِدَادٌ^(٣) ، حتى كان هذا أو ان أن تقطع أبهرى^(٤) . ويقال : الذي مات مسموماً من الشاة بشر بن البراء ، وبشر أثبت .

مغاثم خيبر

واستعمل رسول الله ﷺ على مغاثم خيبر فروة بن عمرو بن وذقة^(٥) بن عبيد ابن عامر بن بياضة البياضي الأنصاري ، فلم يَخْمَسَ الطعام والأدم والعلف ، بل أخذ

= (معالم السنن) ج ٤ ص ٦٤٩ « وفي الحديث دليل على إباحة أكل طعام أهل الكتاب ، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم ، مع إمكان أن يكون في أموالهم الربا ونحوه من الشبهة » . (١) في (خ) « اختلف » .

(٢) وفي (الشفاء) للقاضي عياض ج ١ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ : « ... قال : فأمر بها فقتلت ، وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه قالت : أردت قتلك فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك ، فقالوا : نقتلها ، قال : لا . وكذلك روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب ، قال : فما عرض لها ، ورواه أيضاً جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرني به هذه الذراع ، قال : ولم يعاقبها ، وفي رواية ابن إسحق وقال فيه : فتجاوز عنها ، وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التي سمته ، وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر ، وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوا » .

(٣) العِدَاد : احتياج وجع اللدغ بعد سنة (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٧٠ .

(٤) الأُبْهُرُ : وريد العنق (المرجع السابق) ج ٩ ص ٢٣١ .

(٥) في (خ) « وذقة بن عميل » والصواب ما أثبتناه من كتب السيرة .

الناس منه حاجتهم . وكان من احتاج إلى سلاح يقاتل به أخذه من صاحب المغنم ثم رده^(١) إليه . فلما اجتمعت المغنم كلها جزأها رسول الله ﷺ خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال . وكان أول سهم خرج سهم النبي ﷺ ، لم يتخير في الأحماس . ثم أمر ببيع الأحماس الأربعة فيمن يزيد ، فباعها فروة ابن عمرو ، ودعا فيها ﷺ بالبركة فقال : اللهم ألق عليها التفاق ! — فتذاك الناس عليها حتى نفق في يومين ، وكان يظن أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرة . فأعطى رسول الله ﷺ من خمسه ما أراد الله : فأعطى أهله ، وأعطى رجالاً من بني عبد المطلب ونساء ، وأعطى اليتيم والسائل . وجمعت مصاحف فيها التوراة ، ثم رُدَّت على يهود .

الغلول من الغنائم

ونادى منادي رسول الله : أدوا الخياط والنخيطة^(٢) ، فإن الغلول عارٌّ وشنارٌ ، ونارٌ يوم القيامة ! فعصب فروة رأسه بعصابة ليستظل بها من الشمس ، فقال رسول الله ﷺ : عصابة من نار عصبت بها رأسك ! فطرحها . وسأل رجل أن يُعطى من الفيء شيئاً فقال ﷺ : لا يحل من الفيء خيط ولا نخيط لأحد ، ولا مُعطى . وسأله رجل عقلاً فقال : حتى تقسم الغنائم ثم أعطيك عقلاً ، وقتل^(٣) كبركرة يومئذ فقال ﷺ : إنه الآن ليحرق في النار على شملة غلها . وتوفي رجل من أشجع فلم يصل عليه ، وقال : إن صاحبكم غلٌ في سبيل الله : فوجد في متاعه خرز^(٤) لا يساوي درهمين . واشترى الناس يومئذ تبراً بذهب جزافاً^(٥) ، فنهى^(٦) رسول الله ﷺ عن ذلك . ووجد رجل في خربة مائتي درهم ، فأخذ منها رسول الله ﷺ الخمس ودفعها إليه .

(١) في (خ) « ردوه » .

(٢) الخياط والنخيطة : الخيط والإبرة ، (راجع مسند الحميدي) ج ٢ ص ٣٩٦ حديث رقم ٨٩٤ .

(٣) في (خ) « وقيل » . (٤) في (خ) « خزو » وما أثبتناه من (المغازي) ج ٢ ص ٦٨١ .

(٥) في (خ) « وأسرى الناس يومئذ يذهب جزافاً » وما أثبتناه من المرجع السابق ج ٢ ص ٦٨٢ .

(٦) في (خ) « فأنهى » وفي (ط) « فنهى » وفي (المغازي) « فلهى » .

النهي عن أشياء

وسُمع [ﷺ] ^(١) يومئذ يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره ^(٢) ، ولا يبع شيئاً من المغنم حتى يعلم . ولا يركب دابة من المغنم حتى إذا أدبرها ^(٣) ردّها . ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أحلقه ردّه ، ولا يأت ^(٤) امرأة من السبي حتى تستبرأ بحیضة ، وإن كانت حبلى حتى تضع الحمل . ومّر على امرأة مجح ^(٥) فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفلان . فقال : لعله يطؤها ؟ قالوا : نعم ! قال : كيف بولدها ؟ يرثه وليس بابه ، ويسترقه ، وهو يغذو ^(٦) في سمعه وبصره ! لقد هممت أن ألعنه لعنة تتبعه في قبره .

قدوم أصحاب السفينتين

وقدم أهل السفينتين من عند النجاشي بعد أن فتحت خير ، فبهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، في جماعة من ^(٧) الأشعرين يزيدون على سبعين . وذكر ابن سعد عن الواقدي بسنده ^(٨) : أنهم لما سمعوا خبر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، رجع ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمانى نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة ، وحُبس بمكة سبعة نفر . وشهد بداراً منهم أربعة وعشرون رجلاً . فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من الهجرة ، كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري ، فأسلم . وكتب إليه أيضاً أن يزوجه أم حبيبة [بنت أبي سفيان] ^(٩) — وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة — فزوجه إياها . وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمن بقي عنده من أصحابه

(١) زيادة للبيان .

(٢) الماء : المنى ، وزرع غيره ، الحمل الذي من غيره .

(٣) في (الواقدي) « براها » وأدبر الدابة : أنقل عليها الحمل . والدبرة : فرخة الدابة (ترتيب القاموس)

(٤) ج ٢ ص ١٤٦ .

(٥) في (خ) « نجيح » والمجح : الحامل المقرب التي دنا ولدها (النهاية) ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) في (المغازي) « يعدو » ج ٢ ص ٦٨٣ ، وفي (ط) « يغزو » ، وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٢٧ باب

النهي عن وطء الحبالى : « عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ رأى امرأة مجحة يعنى حبلى ... فقال لعله قد أَلَمَّ

بها قالوا نعم ، قال لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه قبره ، كيف يورثه وهو لا يحل له ؟ وكيف

يستخدمه وهو لا يحل له ؟ » .

(٧) في (خ) « في » .

(٨) (المغازي) ج ٢ ص ٦٨٣ .

(٩) زيادة للبيان من (ط) .

ويحملهم ، فحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ، فأرسلوا بساحل بولا وهو الجار^(١) . ثم ساروا حتى قدموا المدينة ، فوجدوا^(٢) رسول الله ﷺ بخير فأتوه ، فقال ﷺ : ما أدري بأيهما أنا أسر ؟ قدوم جعفر ، أو فتح خير !! ثم ضمه وقبل بين عينيه .

إشراك القادمين في غنائم خيبر

وهم المسلمون أن يدخلوا جعفرًا ومن قدم معه في سهمانهم ففعلوا ، وقدم الدوسيون ، فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ، ونفر من الأشعرين ، فكلّم رسول الله ﷺ أصحابه^(٣) فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ، فقالوا : نعم ، يا رسول الله .

الخمس وقسمته

وكان الخمس إلى رسول الله ﷺ من كل مغنم غنمه المسلمون ، شاهده أو غاب عنه . وكان لا يقسم لغائب في مغنم لم يشهده ، إلا أنه في بدر ضرب لثمانية لم يشهدوا ، وكانت خير لأهل الحديبية من شهدها أو غاب عنها . قال الله سبحانه : ﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ^(٤) ﴾ — يعني خير ، وقد تخلف عنها رجال ، ومات رجلان وأسهم ﷺ لمن تخلف منهم ومن مات ، وأسهم لمن شهد خير ولم يشهد الحديبية ، وأسهم لرسول كانوا يختلفون إلى أهل فذك ، وأسهم لثلاثة مرضى لم يحضروا القتال ، وأسهم للذين استشهدوا . وقيل : كانت خير لأهل الحديبية ، لم يشهدا غيرهم ، ولم يسهم فيها لغيرهم ، والأول أثبت . وأسهم لعشرة من يهود المدينة — غزاهم إلى خير — كسهمان المسلمين ، ويقال : أحذاهم^(٥) ولم يسهم لهم ، وأعطى ممالك كانوا معه ولم يسهم .

(١) الجار : « مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم ليلة ... » وهي فرضة تُرقأ لإلها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند (معجم البلدان) ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) في (خ) « فوجدوا » .

(٣) في (خ) « وأصحابه » .

(٤) الآية ٢٠ / الفتح .

(٥) في (خ) « أحذاهم » وأحذى : منح ووهب .

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأة ، منهن : أم المؤمنين أم سلمة ، وصفيّة بنت عبد المطلب ، وأم أيمن ، وسلمى امرأة أبي رافع مولاة النبي ﷺ وامرأة عاصم بن عدي ، [وولدت بخيبر سهلة بنت عاصم] ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب ، وأم منيع وهي أم شباث ، وكُعيبة بنت سعد الأسلمية ، وأم مطاوع الأسلمية ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حرام ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط ، وأميّة بنت قيس الغفارية ، فرضخ لهن^(١) من الفداء ولم يسهم لهن . وولدت امرأة عبد الله بن أنيس فأحذاها ومن ولدته .

خبر أفراس المؤمنين وسهمانها

وقاد رسول الله ﷺ في خيبر ثلاثة أفراس : لزار ، والظرب ، والسكب . وقاد المسلمون مائتي فرس ، وقيل : ثلاثمائة ، والأول أثبت . فأُسهم لمن له فرسان خمسة أسهم : أربعة لفرسيه وسهماً له^(٢) ، ولم يسهم لأكثر من فرسين لرجل واحد . ويقال : إنه لم يسهم إلا لفرس واحد ، وهذا أثبت . ويقال : إنه عَرَب العربي وهَجَن الهجين^(٣) يوم خيبر ، فأُسهم للعربي دون الهجين . وقيل : لم يكن في عهده عليه السلام هجين ، إنما كانت العِراب^(٤) حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت الأمصار ، ولم يُسمع أن رسول الله ﷺ ضرب لما كان معه من الخيل لنفسه إلا لفرس واحد ، فكان له ﷺ ثلاثة أسهم : لفرسه سهمان وله سهم .

إحصاء الناس بخيبر

وولي إحصاء الناس بخيبر زيد بن ثابت ، فقسم رسول الله ﷺ بينهم الغنائم :

- (١) رضخ له : أعطاه عطاء يسيراً .
- (٢) في (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ : « عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أُسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمين » .
- (٣) الهجين من الخيل : ما كانت أمه غير عربية ، وهو عيب يعاب به .
- (٤) العراب : من الخيل الأصيل .

وهم ألف وأربعمائة ، والخيل مائتا فرس . وكانت السهمان التي في النظاة والشق على ثمانية عشر سهماً . وكان من كان فارساً له في ذلك ثلاثة أسهم فوضى لم تُحد ولم تقسم ، إنما لها رؤوس مسمون ، لكل مائة رأس يقسم على أصحابه ما خرج من غلتها .

مساواة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، ساق^(١) يهود على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يبعث عبد الله بن رواحة يحرص^(٢) عليهم النخل ، ويقول إذا خرص ، إن شئتم [فلكم]^(٣) ، وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ، ونضمن لكم ما خرصت . وحرص عليهم أربعين ألف وسق^(٤) . فلما قتل ابن رواحة بمؤتة « خرص عليهم أبو الهيثم بن التيهان ، وقيل : جبار بن صخر ، وقيل : فروة بن عمرو .

شكوى اليهود من المسلمين وإنصافهم

وجعل المسلمون يقعون^(٥) في حرثهم وبقلمهم بعد المساواة ، فشكت يهود ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فنأدى عبد الرحمن بن عوف : الصلاة جامعة ، ولا يدخل اللجنة إلا مسلم ، فاجتمع المسلمون ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن يهود شكوا إلي أنكم وقعتم في حظائهم ، وقد أمناهم على دمائهم ،

(١) المساواة : « ما كان في النخل والكرم وجميع الشجر الذي يشمر بجزء معلوم من الثمرة للأجير ، وإليه ذهب الجمهور ، وخصها الشافعي في قوله الجديد بالنخل والكرم ، وخصها داود بالنخل ، وقال مالك تجوز في الزرع والشجر ، ولا تجوز في البقول عند الجمع » . (نيل الأوطار للشوكاني) ج ٦ ص ٨ .

(٢) الحرص : الخرز (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٣٧ ، وحكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن تفسيره : أن الثار إذا أدركت من الرطب والعنب مما تجب فيه الزكاة ، بعث الإمام خارصاً ينظر ، فيقول : يخرج من هذا كذا وكذا زيباً ، وكذا تمرأ فيحصيه ، وينظر مبلغ العشر فيه فيثبت عليه ويخلي بينهم وبين الثار ، فإذا جاء وقت الجذاذ ، أخذ منهم العشر ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحق .

(٣) زيادة للسياق ، وفي (الواقدي) ج ٢ ص ٦٩١ : (إن شئتم فلكم وتضمنون نصف ما خرصت ، وإن شئتم فلنا ونضمن لكم ما خرصت) .

(٤) الوسق : ستون صاعاً أو حمل بعير (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٦١١ .

(٥) وقع في الحرث : ترك دوابه ترعى فيه .

وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم ، وعاملناهم^(١) وإنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها . فكان^(٢) المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلا بثمن .

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله ﷺ خالصة

وقيل : إن الكتيبة كانت للنبي ﷺ خالصة ، لأنهم لم يوجفوا عليها^(٣) ، وقيل : هي خمس من خيبر . وكان ﷺ يطعم من الكتيبة من أطعم ، وينفق على أهله منها ، وكانت تخرص ثمانية آلاف وسق تمرأ ، فليهود نصفها : أربعة آلاف . وكان يُزرع فيها الشعير ، فيحصد منه ثلاثة آلاف صاع ، لرسول الله ﷺ نصفه ، وليهود نصفه . وربما اجتمع منها ألف صاع نوى^(٤) ، هي أيضاً بينهما نصفين . فأطعم من الكتيبة كل امرأة من نسائه ثمانين وسقأ تمرأ ، وعشرين وسقأ شعيراً ، وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق ، ولفاطمة وعلي عليهما السلام ثلاثمائة وسق شعيراً وتمرأ ، ولأسامة بن زيد مائة وخمسين وسقأ شعيراً وتمرأ ، وأطعم آخرين . وقسم بين ذوي^(٥) القرى بخيبر : بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقط .

شهداء خيبر

واستشهد بخيبر خمسة عشر رجلاً : أربعة من المهاجرين ، والبقية من الأنصار . فقيل : صلى عليهم رسول الله ﷺ ، وقيل : لم يصل عليهم . وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلاً ، وأعطى ﷺ جبَل^(٦) بن جوال الثعلبي كل داجن بخيبر ، وقيل : إنما أعطاه كل داجن^(٧) في النطاة ، ولم يعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئاً .

ما نهى عنه في خيبر

وفي غزاة خيبر نهى ﷺ : عن أكل الحمار الأهلي^(٨) ، وعن أكل كل ذي

-
- (١) المعاملة : المساقاة في كلام فقهاء العراق .
(٢) في (خ) « وكان » .
(٣) وجف : ضرب من سير الخيل والإبل (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٥٧٨ . (٤) نوى : جمع نواة .
(٥) في (خ) « وقسم بينهم ذي القرى » .
(٦) في (خ) جبلة .
(٧) الداجن : الحمام والشاة وغيرها ألفت البيوت (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٥٢ .
(٨) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ١٦٤ حديث رقم ٣٨١١ .

ناب من السباع^(١) ، وأن توطأ الحبالى حتى يضعن ، وعن أن تباع السهام حتى تُقسم^(٢) ، وأن تباع الثمرة حتى يبدؤ صلاحها^(٣) . ولعن يومئذ الواصلة والموصلة^(٤) ، والواشمة والموشومة^(٥) ، والخامشة وجهها^(٦) ، والشاقة جيبها^(٧) ، وحرم لحوم البغال وكل ذي مخلب من الطيور ، وحرم المجثمة^(٨) والخليسة^(٩) ، ونهى عن قتل النساء .

بلوغ خبر خير إلى أهل مكة

وقدم عباس بن مرداس السلمى مكة ، فخبّر أن محمداً سار إلى خير ، وأنه لا يُفَلت . فقال صفوان بن أمية : أنا معك يا عباس . وضوى معه نفر ، وقال حويطب بن عبد العزى : إن محمداً سيظهر^(١٠) . ووافقه جماعة ، فتحاطر^(١١) مائة بعير . فلما جاء الخبر بظهور^(١٢) رسول الله ﷺ أخذ حويطب وحيزه^(١٣) الرهن . وكان الذي جاءهم بذلك علاط السلمى [بن ثويرة بن حنتر بن هلال بن عبيد ابن ظفر بن سعد بن عمرو بن تيم بن بهز]^(١٤) بن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم ابن منصور ، وقد أسلم بخير . [وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يأتي مكة ،

(١) (المرجع السابق) ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ حديث رقم ٣٨٠٢ ، ٣٨٠٥ .

(٢) (سنن الدارمي) ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٣) (سنن أبي داود) ج ٣ ص ٦٦٩ حديث رقم ٣٣٧٣ .

(٤) (سنن أبي داود) ج ٤ ص ٣٩٦ باب صلة الشعر حديث رقم ٤١٦٨ « لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة » وأخرجه البخاري في اللباس باب تحريم فعل الواصلة ، والترمذي في اللباس حديث ١٨١٤ باب ما جاء في مواصلة الشعر ، وسنن النسائي ص ١٤٥ في الواصلة والمستوصلة ، ص ١٤٧ في المتوشمات .

(٥) خَمَشَ وجهه : خدشه ولطمه وضربه (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٠٩ .

(٦) (سنن النسائي) ج ٤ ص ٢ ، ٢١ باب ضرب الخدود ، وشق الجيوب .

(٧) المجثمة : هي كل حيوان يُنصب ويرمى ليقتل ، إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض : أي يلزمها ويلتصق بها . (النهاية) ج ١ ص ٢٣٩ .

(٨) في (خ) « الخلسة » والخليسة : وهي ما يستخلص من السبع فيموت قبل أن يذكر ، من خلست الشيء واختلسته إذا سلبته ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة (النهاية) ج ٢ ص ٦١ .

(٩) التَّهْبَةُ : ما يُتَهَبُ من الشيء . (١٠) من الظهور : وهو النصر والغلبة .

(١١) تخاطرا : تراهنا . (١٢) في (خ) « وحيزة » والحيزة : الناحية .

(١٣) في (خ) بعد « السلمى » ما نصه : « بن عمرو بن زهير بن امرئ القيس ... » وصواب النسب ما بين القوسين .

وكان له بها مآل وأهل ، وتَخَوَّفَ إن علمت قريش بإسلامه أن يذهبوا بماله ، فأذن له رسول الله أن يأتي مكة ^(١) ليجمع ماله .

مصالحة أهل فدك

وكان رسول الله ﷺ لما أقبل أهل خيبر ، بعث محيصة بن مسعود بن كعب ابن عامر بن عُدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري إلى فدك ، يدعوهم إلى الإسلام ، فبعثوا معه بنفر منهم ، حتى صالحهم رسول الله ﷺ على أن يخلوا بينه وبين الأموال ، وأن لهم نصف الأرض : وصارت ^(٢) فدك خالصة لرسول الله أبداً ، أخذها بغير إيجاب خيل ولا ركاب .

إعراسه بصفية بنت حيي

وانصرف رسول الله ﷺ من خيبر يريد وادي ^(٣) القرى ، فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت ^(٤) حيي مساءً ، وأولم عليها ^(٥) بالحيس والسويق والتمر ^(٦) . وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريباً من قُبته ، أخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، وهو يحرسه رسول الله ﷺ .

غزوة وادي القرى

فلما انتهى إلى وادي القرى — وقد ضوى إليها ^(٧) ناس من العرب — استقبله اليهود بالرَّمي ، فقتل مدغم ^(٨) ، — وهو يحيط رحل النبي ﷺ — بسهم ، فعبا عليه السلام أصحابه وصفهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر . ثم دعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وبرزوا فقتل منهم أحد عشر رجلاً . وبات عليهم وغدا لقتالهم ،

(١) ما بين القوسين سقط في (خ) وقد استوفيناه من كتب السيرة .

(٢) في (خ) « وضارب » .

(٣) في (خ) « وأخرى » . . (٤) في (خ) « بن حيي » . (٥) أولم : من الوليمة .

(٦) الحيس : طعام العرب ، والسويق : يتخذ من الخنطة والشعير .

(٧) ضوى إليه ضيًّا وضوياً ، وانضى إليه ، إذا أوى إليه (القائق للومخشري) ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٨) مدغم : غلام لرسول الله ﷺ .

فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ^(١) ، فَأَخَذَهَا عَنَتَو ، وَغَنِمَ مَا فِيهَا فَقَسَمَهُ ، وَعَامَلَ يَهُودَ عَلَى النَّخْلِ .

مصاحلة يهود تيماء

فطلب يهود تيماء الصلح فصولحوا على الجزية ، وأقاموا على أموالهم . وانصرف ﷺ من وادي القرى — وقد أقام أربعة أيام — يريد المدينة ، فلما قرب منها نزل وعُرس .

النوم عن صلاة الصبح

فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، فأذن بلال ، وركعوا ركعتي الفجر ، ثم صلى بهم حتى إن أحدهم ليسل^(٢) العرق عن جبينه من حرّ الشمس ، فلما سلم قال : كانت أنفسنا بيد الله ، فلو شاء قبضها ، وكان أولى بها ، فلما رُدّها إلينا صلينا ، ثم أقبل على بلال — وكان قد قال قبل أن ينام : ألا رجل صالحٌ حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح ؟ فقال بلال : أنا ! ثم نام معهم ، غلبته عيناه ، فقال ﷺ^(٣) : مه^(٤) يا بلال ؟ فقال : بأبي وأمي ، قبض نفسي الذي قبض نفسك ! فتبسم ﷺ^(٥) . وقد قيل : إن ذلك كان مَرَجَعَهُ ﷺ من

(١) أعطى بيده : سلم من غير قتال .

(٢) سلت : مسح (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٥٩٠ .

(٣) زيادة للإيضاح .

(٤) مه : كلمة استفهام بمعنى ماذا .

(٥) (المغازي للواقدي) ج ٢ ص ٢١٢ ، (باب النوم عن الصلاة حديث رقم ٢٤ ، ٢٥ ، (سنن أبي داود) حديث رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦ باب من نام عن الصلاة أو نسيها وقال الخطابي في (معالم السنن) ج ١

ص ٣٠٢ :

(وفي الحديث من الفقه أنهم لم يصلوا في مكانهم ذلك عندما استيقظوا حتى اقتادوا رواحلهم ثم توضعوا ثم أقام بلال وصلى بهم . وقد اختلف الناس في معنى ذلك وتأويله فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لترتفع الشمس قال تكون صلاتهم في الوقت المنهي عن الصلاة فيه ، وذلك أول ما تبرز الشمس قالوا : والفوائت لا تقضى في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها ، وعلى هذا مذهب أصحاب الرأي . وقال مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهوييه : نقضى الفوائت في كل وقت نهى عن الصلاة فيه أو لم ينه عنها ، وإنما نهى عن الصلاة في تلك الأوقات إذا كانت تطوعاً وابتداءً من قبل الاختيار دون الواجبات ، فإنها تقضى الفوائت فيها إذا ذكرت أي في وقت كان) .

وانظر أيضاً (سنن النسائي) ج ١ ص ٢٩٨ ، (سنن ابن ماجه) حديث رقم ٦٩٧ .

حنين . والأول قول محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيّب ، وهو أعلم الناس بالسّير والمغازي ، وكذلك سعيد بن المسيّب ، ولا يقاس بهما المخالف لهما في ذلك : ورُوي عن قتادة أن ذلك كان في جيش الأمراء ، وهذا وهم ، وجيش الأمراء كان في غزوة مؤتة ، ولم يشهدها النبي ﷺ . وعن عطاء بن يسار أنها كانت في غزوة تبوك ، وهذا لا يصح^(١) ، لأن الآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة ، وقوله مُرسل .

جبل أحد واتخاذ المنبر وحنين الجذع

ولما نظر إلى أحد قال : هذا جبل يحبنا ونحبه^(٢) ! اللهم إني حرّمت ما بين لابتي المدينة^(٣) . ونهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً بعد صلاة العشاء^(٤) ولما قدم المدينة اتخذ المنبر ، وله درجتان والمستراح ، وخطب عليه فحنّ الجذع^(٥) الذي كان

(١) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) ج ٣ ص ٣٥٧ : « لكن قد اضطربت الرواة في هذه القصة ، فقال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبه ، عن جامع : إن الحارس فيها كان ابن مسعود ، وقيل : إن الحارس كان بلالاً ، واضطربت الرواية في تاريخها ، فقال المعتمر بن سليمان عن شعبة عنه : إنها كانت في غزوة تبوك ، وقال غيره عنه : أنها كانت في مرجهم من الحديبية ، فدل على وهم وقع فيها ، ورواية الزهري عن سعيد سائلة من ذلك ، وبالله التوفيق . »

ويقول أيضاً في ص ٣٥٨ من المرجع السابق : فصل في فقه هذه القصة (باختصار) :

— أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها .
— أن السنن والرواتب تُقضى كما تقضى الفرائض — أن الفائتة يؤذن لها ويقام — قضاء الفائتة جماعة .
— قضاؤها على الفور لقوله « فليصلها إذا ذكرها » — وفيها تنبيه على اجتناب الصلاة في أمكنة الشيطان .
(٢) (مجمع الزوائد) ج ٦ ص ١٥٥ ، رواه أحمد ، وعقبة ، ذكره ابن أبي حاتم وقال : روى عنه عبد العزيز ولم يخرج ، قلت : وروى عن الزهري عند أحمد ، وفيه رجاله رجال الصحيح ، وانظر أيضاً (موطأ مالك) حديث رقم ١٦١٠ .

(٣) اللابة : الأرض الواسعة ، والمدينة ما بين لابتين ، (المرجع السابق) حديث رقم ١٦٠٢ .
(٤) (سنن الترمذي) ج ٤ ص ١٦٦ حديث رقم ٢٨٥٥ « وفي الباب عن أنس وابن عمر وابن عباس . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن جابر عن النبي ﷺ وقد روى عن ابن عباس « أن النبي ﷺ نهاهم أن يطرقوا النساء ليلاً ، قال : فطرق رجلان بعد نهي رسول الله ﷺ فوجد واحد منهما مع امرأته رجلاً » .

وفي (المغازي) ج ٢ ص ٧١٢ ، ٧١٣ : « عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بالجرف : لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء . قالت : فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره فخلّى عن سبيله ولم يهجه ، وضمن بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ ورأى ما يكره . »

(٥) (الشفا للقاضي عياض) ج ١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ و (دلائل النبوة لأبي نعيم) ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ و (المطالب =

يستند إليه إذا خطب .

رد زينب إلى أبي العاص

وفي جمادى الأولى من سنة سبع ، رَدَّ رسول الله ﷺ ابنته زينبَ على أبي العاص بن الربيع .

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

ثم كانت سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة ، في شعبان سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى عَجْرٍ هَوَازَنٍ بِتُرْبَةٍ ، وهي بناحية العبلاء ، على أربع ليالٍ من مكة ، طريق صنعاء ونجران ، فخرج ومعه دليل من بني هلال ، فكانوا يسرون الليل ويكمنون النهار ، حتى أتوا محالهم وقد قَرَّوا ، فلم يلقوا أحداً وعادوا إلى المدينة .

سرية أبي بكر إلى بني كلاب

ثم كانت سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد بناحية ضَرِيَّةَ ، في شعبان هذا ، فبيت ناساً من هوازن ، وقتل منهم .

سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك

وسرية بشير بن سعد إلى فَدَكْ ، فيه أيضاً . ومعه ثلاثون رجلاً ليوقع بني مُرَّةَ ، فاستاق نعماً وشاء وانحدر إلى المدينة ، فأدركوه ليلاً ، وراموهم بالنبل حتى فنيت نبل المسلمين ، وأُحِيطَ بهم وأُصِيبُوا . واستاق المُرِّيُّونَ نَعَمَهُمْ وشاءَهُمْ ، فتحامل بشير ابن سعد حتى انتهى إلى فَدَكْ ، فأقام عند يهودي حتى اندملت جراحه ، وعاد إلى المدينة .

= (العالية لابن حجر) ج ٤ ص ٣ حديث رقم ٣٨٢٢ باب علامات النبوة و (سنن ابن ماجه) ج ١ ص ٤٥٤ ، باب ما جاء في بدء شأن المنبر حديث رقم ١٤١٤ ، ١٤١٥ .

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب ابن عبد الله إلى بني مرة أيضاً

فهيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، وَبَعَثَهُ إِلَى مَصَابِ الْقَوْمِ ، وَمَعَهُ مَائَتَانِ رَجُلٍ ، وَعَقَدَ لَهُ لُؤَاءٌ . ثُمَّ بَعَثَ غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ [اللَّيْثِي] ^(١) عَلَى مَائَتَيْ رَجُلٍ فِي صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَمَعَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَعَلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ ، فَسَارَ حَتَّى دَنَا مِنْهُمْ ، فَبَعَثَ الطَّلَاحَ عَلَيْهَا عَلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَأَعْلَمُوهُ خَبَرَهُمْ ، ثُمَّ وَافَاهُمْ ، وَحَضَّ مِنْ مَعَهُ عَلَى الْجِهَادِ ، وَأَوْصَاهُمْ بِالتَّقْوَى ، وَحَمَلَ بِهِمْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَاتَلُوا سَاعَةً ثُمَّ حَوَّوْا الْمَاشِيَةَ وَالنِّسَاءَ وَقَدْ قَتَلُوا الرِّجَالَ .

قتل أسامة الرجل الذي قال : لا إله إلا الله

وَمَرَّ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي إِثْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : نَهْيَكُ بْنُ مَرْدَاسٍ ، حَتَّى دَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ نَدِمَ ، وَأَقْبَلَ إِلَى جَمَاعَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ غَالِبُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ : بئس والله ما فعلت ! تقتل امرءً يقول : لا إله إلا الله ! وساق النعم والشاء والسبي فكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل ، أو عدلها من الغنم : كل جزور بعشرة . وقدموا المدينة ، فحدث زيد رسول الله ﷺ بخبره ، فقال [ﷺ] ^(١) : قتلته يا أسامة ، وقد قال : لا إله إلا الله ؟ فجعل [أسامة] يقول : إنما قالها تعوذاً من القتل ! فقال [ﷺ] ^(٢) : أفلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ فقال أسامة : لا أقتل أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً ^(٣) .

سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة

ثُمَّ كَانَتْ سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِيسَرِ اللَّيْثِيِّ أَيْضاً — فِي رَمَضَانَ مِنْهَا إِلَى الْمِيفْعَةِ ، لِيُوقِعَ بَيْنِي عُوَالٍ وَبَنِي عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فِي مِائَةِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَمَعَهُ يَسَارُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَأْفَوْا نَعْمًا وَشَاءَ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَشْرَفِهِمْ ، عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْمِيفْعَةُ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ ، بَعْدَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةُ بُرْدٍ ، وَعَادُوا بِالْغَنِيمَةِ .

(١) زيادة للبيان .

(٢) ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج ٢ ص ١١٩ أن هذا الخبر في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

سرية بشير بن سعد إلى يُمن وجبار

ثم كانت سرية بشير بن سعد إلى يُمن وجُبار في سنة سبع . وذلك أن حسيل ابن نُويرة الأشجعي أخبر رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجناب ، قد واعدوا عيينة بن حصن أن يزحفوا إلى أطراف المدينة . فذكر ذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأشارا بإرسال بشير بن سعد ، فعقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل . وكان حسيّل دليلهم ، حتى أتوا إلى يمن وجبار وهي نحو الجناب ، والجناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى ، فنزلوا بسلاح ، ثم دنوا من القوم فأصابوا نِعماً كثيراً ملأوا منه أيديهم ، وتفرق الرعاء فأنذروا أصحابهم ، فمروا على وجوههم ، فلم يلق بشير أحداً ، وعاد بالنعم ، فوجدوا عيناً لعيينة فقتله ، ثم لقي جمع عيينة فأوقع بهم وهم لا يشعرون ، فناوشهم فانهزموا ، وأسر منهم رجلاً أو رجلين ، وقدموا المدينة فأسلموا وتركوا لخالهما .

عُمرة القضية

ثم كانت عمرة القضية ، وتسمى عُمرة القضاء ، وغزوة القضاء ، وعمرة الصُّلح ، ويقال لها : عمرة القصاص ، قال الغريائي : أخبرنا^(١) ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمات قصاص ﴾^(٢) قال : فحزنت قريش لردّها^(٣) رسول الله ﷺ يوم الحديبية مُحَرِّماً في ذي القعدة عن البلد الحرام ، فأدخله الله مكة من العام القابل فقضى عمرته ، وأقصّه^(٤) ما حيل بينه وبين يوم الحديبية .

أول الجمع للعمرة

وذلك أن ذا القعدة لما أهل في سنة سبع ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عُمرتهم وألا يتخلف أحد من شهد الحديبية ، فلم يتخلف من أهلها أحد هو حي ، وخرج سوى أهل الحديبية رجالاً عُمَّار . وكان المسلمون في عمرة القضية ألفين . وقال جماعة من العرب : والله يا رسول الله ما لنا زاد ، وما من

(١) في (خ) « نا » وهي اختصار « أخبرنا » ، كما أن « ثنا » اختصار « حدثنا » .

(٢) الآية ١٩٤ / البقرة . (٣) في (خ) « بردها » . (٤) أعطاه القصاص .

أَحَدٍ يُطْعَمُنَا . فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَتَصَدَّقُوا ، وَأَلَّا يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَيَهْلِكُوا^(١) . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بِمِ تَتَصَدَّقُ وَأَحَدُنَا لَا يَجِدُ شَيْئاً ؟ فَقَالَ : بِمَا كَانَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، وَلَوْ بِمَشْقَصٍ^(٢) يَحْمِلُ بِهِ أَحَدُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٣) . يَغْنَى : تَرَكَ النِّفْقَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

الهدى ومسير المسلمين

وساق عليه السلام ستين بَدَنَةً ، وجعل عليها ناجية بن جُنْدَبِ الْأَسْلَمِيِّ ليسيّر أَمَامَهُ يَطْلُبُ الرِّعْيَ فِي الشَّجَرِ ، وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ فِتْيَانٍ مِنْ أَسْلَمَ . وَكَانَ أَبُو رَهْمٍ كَلْتُمَ ابْنُ حُصَيْنٍ الْغَفَارِي مِمَّنْ يَسُوقُهَا وَيَرْكَبُهَا . وَقَلَدَ ﷺ هَذِيهِ بِيَدِهِ وَحَمَلَ السِّلَاحَ فِيهَا الْبَيْضُ وَالذُّرُوعُ ، وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ ، وَقَدَّمَ الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ذَرٍّ الْغَفَارِي ، وَأَحْرَمَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، لِأَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقَ الْفُرْعِ^(٤) ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَهْلَ مِنْ الْبِيَدَاءِ ، وَسَارَ يُلْتَمَى وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ يَلْبُونَ ، فَلَمَّا انْتَهَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ بِالْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ^(٥) ، وَجَدَ بِهَا نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَصْبِحُ هَذَا الْمَنْزَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

بلوغ الخبر إلى قريش

وَرَأَوْا سِلَاحاً كَثِيراً مَعَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَأَسْرَعُوا إِلَى مَكَّةَ وَأَخْبَرُوا قُرَيْشاً فَفَزَعُوا ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَحْدَثْنَا حَدَثًا ، فَفِيمَ يَغْزُونَا : مُحَمَّدٌ ؟ وَلِمَا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرًّا^(٦) الظُّهْرَانِ قَدِمَ السِّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَاجُجٍ^(٧) ، وَتَرَكَ مَعَهُ مَائَتِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَلَيْهِمْ أَوْسُ بْنُ خَوَلْتِي . وَخَرَجَ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فِي نَفَرٍ حَتَّى لَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَطْنِ يَاجُجٍ^(٧) ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ! وَاللَّهِ مَا عَرَفْتَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا بِالْغَدْرِ ! تَدْخُلُ بِالسِّلَاحِ الْحَرَمَ ! وَقَدْ شَرَّطْتَ أَلَّا تَدْخُلَ إِلَّا بِسِلَاحِ الْمَسَافِرِ ، السِّیُوفِ فِي الْقَرَبِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِمُ السِّلَاحَ . فَعَادَ [مِكْرَزُ]^(٨) إِلَى مَكَّةَ ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَقَالُوا : لَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى أَصْحَابِهِ .

(١) فِي (خ) « فَهْلِكُوا » . (٢) الْمَشْقَصُ : السَّهْمُ الْعَرِیْضُ . (٣) (٣) ١٩٥ / الْبَقَرَةُ .
(٤) فِي (خ) « الْفُرُوعُ » . (٥) فِي (خ) « مِنَ الظُّهْرَانِ » . (٦) فِي (خ) « مِنَ الظُّهْرَانِ » .
(٧) فِي (خ) « يَاجُجٌ » . (٨) زِيَادَةُ لِلإِبْضَاحِ .

دخول رسول الله ﷺ مكة

وحبس الهذلي بذلي طوي ، ودخل عليه السلام مكة من الثنية^(١) التي تطلع على الحجون ، وقد ركب القصواء ، وأصحابه حوله متوشحو السيوف يُلبُّون ، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحلته ، فلم يزل عليه السلام يلي حتى استلم الركن . وقيل : لم يقطع التلبية حتى جاء عروش مكة .

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثت قريش أن المسلمين في جهد ، ووقفت منهم جماعات عند دار الندوة ، فاضطبع^(٢) عليه السلام بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأاً أراهم اليوم قوة ! فلما انتهى إلى البيت — وهو على راحلته ، وابن رواحة أخذ بزمامها ، وقد صف له المسلمون — دنا من الركن فاستلمه بمِخْجَنِهِ^(٣) وهو مضطبع بثوبه ، وهرول هو والمسلمون في الثلاثة الأشواط الأول ، وكان ابن رواحة يرتجز^(٤) في طوافه ، وهو أخذ بزمام الناقة ، فقال عليه السلام : إِيهَا^(٥) يابن رواحة ! قل : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ! فقالها الناس . فلما قضى طوافه خرج^(٦) إلى الصفا فسعى على راحلته ، والمسلمون يسترونه من أهل مكة أن يرميه أحد منهم أو يُصيّبه بشيء .

نحر الهدي عند المروة

ووقف عند فراغه قريباً من المروة — وقد وقف الهدي عندها — فقال : هذا المنحر ، وكل فجاج مكة منحر . ونحر عند المروة . وكان قد اعتمر معه قوم لم يشهدوا الحديبية فلم ينحروا ، وشركه في الهدي من شهد الحديبية ، فمن وجد بدنة من الإبل نحرها ، ومن لم يجد بدنة رُحِّص له في البقرة ، وكان قد قدم رجل ببقرة فاشتره الناس منه . وحلق عليه السلام عند المروة ، حلقه معمر بن عبد الله

(١) في (خ) « البنية » .

(٢) الاضطباع : هو أن يُدخل الطائف بالبيت رداءه من تحت إبطه الأيمن ويغطي به الأيسر من جهتي صدره

وظهره . (٣) المحجن : عصاً مُعَقَّفة الرأس . (٤) ارتجز : ترمم بالرجز من الشعر .

(٥) إِيهَا : طلب الاستزادة من الكلام . (٦) في (خ) « وخرج » .

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخل البيت ، ولم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهور فوق ظهر الكعبة ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم ! لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول !! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا ! وقال خالد ابن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة !! وغطى سهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم حين سمعوا . وقيل : لم يدخل عليه السلام الكعبة ، بل أرسل إليهم فأبوا ، وقالوا : لم يكن في شرطك ! فأمر بلالاً فأذن فوق الكعبة مرة ولم يعد بعد ، وهو الثبت .

زواجه ﷺ ميمونة رضي الله عنها

وخطب ميمونة ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها وهو محرم ، وقيل : تزوجها لما أحل . وكلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ في عمارة بنت حمزة — وكانت مع أمها سلمى بنت عُميس بمكة — فقال : علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين ! فخرج بها ، حتى إذا دنوا من المدينة ، أراد زيد ابن حارثة — وكان وصي حمزة وأخاه أخوة المهاجرين — أن يأخذها من علي ، وقال : أنا أحق بها ، ابنة أخي ! فقال جعفر بن أبي طالب : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي ، أسماء بنت عميس^(١) . فقال علي رضوان الله عليه : ألا أراكم في ابنة عمي ، وأنا أخرجتها^(٢) من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها نسب دوني ، وأنا أحق بها منكم . فقال رسول الله ﷺ : أحكم بينكم : أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله ، وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك^(٣) خالتها ، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا عمتها . ففضى بها لجعفر ، فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ فقال : ما هذا يا جعفر ؟ قال : يا رسول الله ، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله . فقال علي رضي الله عنه : تزوجها يا رسول الله ! قال : هي ابنة أخي من

(١) في (خ) « عميس » .

(٢) في (خ) « أخرجها » .

(٣) في (خ) « تحك » .

طلب قريش خروج رسول الله ﷺ من مكة

ولما كان عند الظهر يوم الرابع ، أتى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى رسول الله ﷺ — في مجلس الأنصار ، وهو يتحدث مع سعد بن عباد — فقال : قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا . فقال ﷺ (١) : وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ (٢) بين أظهركم ، وصنعت طعاماً ؟ فقالا : لا حاجة لنا في طعامك ، أخرج عنا ، ننشدك (٣) الله والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا ! فهذه الثلاث قد مضت ! فغضب سعد بن عباد وقال لسهيل [بن عمرو] (٤) كذبت لا أم لك ! ليست بأرضك ولا أرض أبيك ، والله لا يرح منها إلا طائعاً راضياً ! فتبسم ﷺ ثم قال : يا سعد ، لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا . فأسكت الرجلان (٥) عن سعد . وروي أنهم بعثوا علياً إلى النبي عليه السلام ليخرج عن بلدهم .

الرحيل والبناء بميمونة

وأمر عليه السلام أبا رافع بالرحيل ، وقال : لا يُمسِنُ بها أحد من المسلمين . وركب حتى نزل سرف ، وخلف أبا رافع ليحمل إليه ميمونة حين يمسي ، فخرج بها مساءً ، ولقي عنتاً (٥) من سفهاء المشركين . فبنى النبي ﷺ على ميمونة بسرف .

منزل رسول الله ﷺ

ولم ينزل بمكة بيتاً ، وإنما ضربت له قبة من آدم بالأبطح ، وكان هناك حتى سار منها . وبعث بمائتي رجل ممن طافوا بالبيت إلى بطن يأجج (٦) ، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون فقصوا نسكهم ، وقدم المدينة في ذي الحجة .

(١) زيادة للإيضاح . (٢) يزواج ميمونة رضي الله عنها . (٣) ننشدك الله : نستحلفك بالله . (٤) أسكت الرجل : سكت سكوتاً طويلاً على غضب . (٥) في (خ) « عينا » . (٦) في (خ) « يأجج » .

سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم

وكانت سرية ابن أبي العوجاء السُّلَمي إلى بني سُلَيْم ، في ذي الحجة سنة سبع . بعثه رسول الله ﷺ في خمسين رجلاً إلى بني سليم ، وقد أُنذروا به فجمعوا^(١) له ، فقاتلوا حتى قُتل عامة أصحاب ابن أبي العوجاء ، وأُثنى عليه بالجراح ، ثم تحامل إلى المدينة فقدمها أول يوم من صفر .

إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ،

وعثمان بن أبي طلحة

وفي صفر سنة ثمان ، خرج عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي من مكة — بعد مرجعه من الحبشة — يريد المدينة ، فهاجَرَ ، فوجد في طريقه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢) بن مخزوم القرشي الخزومي ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصي القرشي العبدري ، وقد قصدا قصده ، فقدموا المدينة ، ودخلوا على رسول الله ﷺ : فبايعه خالد أولاً ، ثم بايعه عثمان ، ثم عمرو على الإسلام ، فقال عليه السلام : إن الإسلام يُجِبُ^(٣) ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها .

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله بن [مسعر بن جعفر بن]^(٤) كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر^(٥) بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الكناني ثم الليثي — إلى الكديد ليُغير على بني الملوح من بني ليث ، في ربيع الأول منها . فخرج في بضعة عشر رجلاً حتى [إذا]^(٦) كان بقَدِيد لقي الحارث بن مالك بن قيس بن عوذ^(٧) بن جابر بن عبد مناف بن شَيْع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة

(١) في (خ) « وجمعوا له » .

(٢) في (خ) « عمرو » . (٣) يحو ما كان قبله من المعاصي والذنوب . (٤) هكذا سياق النسب .

(٥) في (خ) « بكر » . (٦) زيادة للسياق . (٧) في (خ) « عوف » .

ابن كنانة ، [وكان يقال للمالك بن قيس : ابن البرصاء] فأخذه فشده وثاقاً ، [البرصاء هي أم قيس بن عوذ^(١)] ، واسمها : ريطة بنت ربيعة بن رباح بن أبي ربيعة بن نبيك بن هلال بن عامر] ، وخلف عليه سويد بن صخر . وأتى الكديد عند غروب الشمس ، فكمن في ناحية الوادي ، وبعث جندب بن مكيث الجهني ربيعةً ، فأتى تلاً مشرفاً على الحاضر^(٢) فعلاه وانبطح ، فخرج رجل من خباء فقال [لامرأته]^(٣) : [إني أرى على هذا التل سواداً ما رأيته عليه [أول يومي هذا]^(٤)] . ورماه بسهم ثم آخر ، فما أخطأه ، وثبت مكانه ، فقال : لو كان زائلة^(٥) لقد تحرك بعد ! لقد خالطه سهماي !! ثم دخل خبائه . وراحت ماشية الحي من إبلهم وأغنمهم ، فحلبوا وعطنوا ، حتى إذا اطمأنوا شن المسلمون عليهم الغارة ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا/ الذرية ، واستاقوا النعم والشاء . وكان شعارهم : أَيْتُ أَيْتُ . ثم انحدروا بها نحو المدينة ، واحتملوا ابن البرصاء معهم ، فجاء القوم بما لا قبل لهم به ، وبينهم وبين الوادي ، فجاء الله بالسيل حتى ملأ جنبتيه^(٦) ، ولم يستطع أحد أن يجوزه ، فوقف المشركون ينظرون إليهم ، حتى فاتوهم ولا يقدرّون على طلبهم ، إلى أن قدموا المدينة . فبعثه رسول الله ﷺ في مائتي رجل إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد ، وذلك في صفر سنة ثمان كما تقدم .

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

ثم كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، وراء وادي القرى ، في خمسة عشر رجلاً ، فقاتلهم حتى قُتلوا ، وأفلت منهم رجل جريح ، فتحامل حتى أتى المدينة فشق ذلك على رسول الله ﷺ .

سرية شجاع بن وهب إلى السبي

وكانت سرية شجاع بن وهب [الأسدي]^(٧) إلى السبي — وهو ماء من

(١) في (خ) « عوف » .

(٢) زيادة من (ابن سعد) ج ٢ ص ١٢٤ .

(٣) في (خ) « ذابلاً » وفي رواية المسند ج ٣ ص ٤٦٨ « لو كان دابة » وفي (ابن سعد) « ربيعة » وكلها بمعنى .

(٤) زيادة لليان .

(٥) جَنَبَةُ الوادي : ناحيته وشاطئه .

ذات عرقٍ إلى وَجَرَة ، على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة ، وخمس من المدينة — يريد بني عامر بناحية رُكبة في ربيع الأول أيضاً ، على أربعة وعشرين رجلاً . فخرج حتى أغار على القوم وهم غارون فأصابوا نعماً وشاء ، وقدموا المدينة . وكانت سهامهم خمسة عشر بغيراً كل رجل ، وعَدَلوا البعير بعشرة من الغنم . وغابوا خمس عشرة ليلة ، وقدموا بسبايا ، فيهن جارية وضيئة . فقدم وفدhem مسلمين ، فردوهم إليهم ، واختارت الجارية الوضيئة شُجاع بن وهب ، وكان قد أخذها بثمن ، فأقامت عنده حتى قُتل بالجمامة .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى حَيِّ ابن خثعم بناحية تبالة . فخرجوا على عشرة أبعة يعتقبونها ، فوجد رجلاً فسأله فلم يُجبه عن القوم ، وجعل يصيح بالحاضر ، فضرب عنقه ، وشنَّ الغارة ليلاً فقاتله القوم قتالاً شديداً حتى أتى قُطبة عليهم ، وساق النَّعَمَ والشَّاءَ والنساء حتى قدم المدينة . فكانت سهامهم أربعة أبعة لكل رجل أو عَدْلها : عشرة من الغنم عن كل بعير .

غزوة مؤتة

ثم كانت غزوة مؤتة من عمل اللقاء بالشَّام دون دمشق ، [وهي بضم أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده تاء معجمة باثنتين من فوقها] ، كانت في جمادى الأولى .

سببها

وسبب ذلك أن الحارث بن عمير الأزدي لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله ﷺ إلى صاحب بُضْرَى ، أخذه شرحبيل بن عمرو العُصَاني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وندب الناس فأسرعوا ، وعسكروا بالجُزْف ، ولم يبن لهم الأمر^(١) .

(١) في (خ) « الأمراء » .

الأمراء يوم مؤتة

فلما صلى الظهر جلس في أصحابه وقال : زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه^(١) عليهم . وعقد لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة ، فودّع الناس الأمراء ، وخرج معهم إلى مؤتة ثلاثة آلاف . وجعل المسلمون ينادون : دفع الله عنكم وردكم صالحين غاثين .

وداع جيش مؤتة ووصية الأمراء

وشيّعهم رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع ، ثم وقف وهم حوله ، وقال : أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا بسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث ، فأيتن ما أجابوك إليها ، فاقبل منهم واكف عنهم : ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم في الفياء ، ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزهم على حكم الله فلا تستنزهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أيك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا^(٢) ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس ، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون

(٢) أخضر الذمة : نقضها .

(١) في (خ) « فليجعلوه » .

آخرين في رؤوسهم مفاحص^(١) فافتعلوها بالسيف . لا تقتلن امرأة ولا صغيراً
ضرعاً^(٢) ولا كبيراً فانياً ، ولا تفرقن نخلاً ، ولا تقلعن شجراً ، ولا تهدموا بيتاً .

من خبر عبد الله بن رواحة

وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ! مرني بشيء أحفظه عنك . قال :
إنك قادمٌ غداً بلدأ ، السجود فيه قليل فأكثر السجود . قال : زدني يا رسول الله .
قال : اذكر الله ، فإنه عون لك على ما تطلب^(٣) . فقام من عنده ، حتى إذا مضى
ذاهباً رجع . فقال : يا رسول الله ، إن الله وثر يحبُّ الوتر ! فقال : يا ابن رواحة ،
ما عجرت فلا تعجزن إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة . فقال : لا أسألك عن
شيء بعدها .

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث بن عمير

ومضى المسلمون ، وقد أمرهم رسول الله ﷺ أن ينتهوا إلى مقتل الحارث
ابن عمير ، وسمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم . فقام فيهم رجل من الأزد يقال
له : شرحبيل [بن عمرو الغساني]^(٤) ، وقدم^(٥) الطلائع أمامه ، وبعث أخاه
سدوس بن عمرو في خمسين فلقوا المسلمين في وادي القرى فقاتلوه وقتلوه . ونزلوا
معان [من أرض الشام]^(٦) ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء ، في مائة
ألف من الروم ومعه بهراء ووائل وبكر ولخم وجُذام مائة ألف ، عليهم رجل من
بلي ، يقال له : مالك .

أول القتال يوم مؤتة ، وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتين ، وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر ليردهم أو يزيدهم
رجالاً ، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ،
ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ! انطلقوا ،

(١) المفاحص : جمع مفحص ، وهو مجثم القطا ، والمعنى أن الشيطان قد استوطن في رؤوس هؤلاء .

(٢) الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه . (٣) كذا في (ط) وفي (خ) « تطالب » .

(٤) زيادة للإيضاح من (ط) . (٥) في (خ) « أو قدم » . (٦) زيادة للبيان من (ط) .

والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا قرسان ، ويوم أخذ فرس واحد ! فإنما هي إحدى الحسينين : إما ظهور عليهم ، فذلك ما وعدنا الله ووعد نبينا ، وليس لوعده تخلف ، وإما الشهادة ، فلنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان ! فشجع الناس ومضوا إلى مؤتة . فرأوا المشركين ومعهم ما لا قبل لهم به من العَدَد والسلاح والكراع ، والدياج والحرير والذهب . قال أبو هريرة : وقد شهدت ذلك فبرق بصري^(١) فقال لي ثابت بن أقرم^(٢) : يا أبا هريرة ! مالك ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم ! قال : لم تشهدنا ببدر ! إنا لم ننصر بالكثرة .

مقتل زيد بن حارثة

وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم : فأخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل وقاتل الناس معه ، والمسلمون على صفوفهم ، وعلى اليمين قطبة بن قتادة السُدُوسِيّ وعلى الميسرة عباية^(٣) بن مالك ، فقتل زيد طعناً بالرماح .

مقتل جعفر بن أبي طالب

ثم أخذه جعفر فنزل على فرسه فعرقها ، ثم قاتل حتى قُتل ، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين ، فوقع أحد نصفيه في كَرَم ، فوجد في نصفه بضع وثلاثون جرحاً . وقيل : وُجد — مما قَبِل يديه^(٤) فيما بين منكبيه — اثنتان وسبعون^(٥) ضربة بسيف أو طعنة برمح ، ووجد به طعنة قد أنفذته .

مقتل عبد الله بن رواحة

ثم أخذ اللواء بعده عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قُتل .

سقوط لواء المسلمين

وسقط اللواء ، فاختلط المسلمون والمشركون ، وانهمز المسلمون أسوأ هزيمة ، وقتلوا ، وأتبعهم المشركون . فجعل قطبة بن عامر يصيح : يا قوم ، يُقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً ! فما يثوب^(٦) إليه أحد . ثم تراجعوا ، فأخذ اللواء

(١) كناية عن الفزع والخيرة . (٢) في (خ) « بن أقرم » . (٣) في (خ) « عباية » .

(٤) في (خ) « مما قبل من يديه » . (٥) في (خ) « اثنتين وسبعين » . (٦) يثوب : يرجع

ثابت بن أقرم ، وصاح يا للأنصار !! فأتاه الناس من كل وجه وهم قليل ، وهو يقول : إلّٰي أيها الناس .

أخذ اللواء لخالد بن الوليد

فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال : خذ اللواء يا أبا سليمان ! فقال : لا آخذه ، أنت أحق به ، أنت رجل لك سن^(١) ، وقد شهدت بداراً . قال ثابت : خذه أيها الرجل ! فوالله ما أخذته إلا لك ! فأخذه خالد فحملة ساعة ، وجعل المشركون يحملون عليه ، فثبت حتى تكركر^(٢) المشركون ، وحمل بأصحابه ففّض جمعاً من جمعهم ، ثم دهمهم منهم بشر كثير^(٣) ، فانخاش^(٤) بالمسلمين فانكشفوا راجعين . وقد قيل : إن ابن رواحة قتل مساء ، فبات خالد فلما أصبح غداً ، وقد جعل مقدّمته ساقّة وساقته مقدّمة ، وميمينته ميسرة وميسرته ميمنة ، [فأنكر المشركون]^(٥) ما كانوا يعرفون من راياتهم وهياتهم ، فقالوا : قد جاءهم مدد ! ورعبوا ، فانكشفوا منهزمين ، فقتلوا منهم مقتلة لم يُقتلها قومٌ . والأول أثبت : أن خالدًا انهزم بالناس فعيّروا بالفرار ، وتشاءم الناس به^(٦) .

مرجع المسلمين إلى المدينة

فلما سمع أهل المدينة بقدمهم تلقّوهم ، وجعلوا يحثون في وجوههم التراب ، ويقولون : يا قرّار !! أفررت في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بفرار ، ولكنهم كُرّار إن شاء الله .

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

فانصرفوا إلى بيوتهم فلزموها ، فإنهم كانوا إذا خرجوا صاحوا بهم : يا قرّار ! أفررت في سبيل الله ؟ وكان الرجل يدق عليهم فيأبون يفتحون له لئلا يقول^(٧) : ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت ؟ حتى جعل رسول الله ﷺ يرسل إليهم رجلاً

(٢) تكركر : ارتد ورجع .

(٤) انخاش : جمعهم ثم انصرف بهم .

(٥) في (خ) ما بين القوسين « فانكروا » ، وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٧٦٤ ، وما أثبتناه من (ط) .

(٥) في (خ) « تقول » .

(١) في (خ) « شن » .

(٣) في (خ) « كبير » .

(٦) أي بخالد .

رجلاً ، يقول : أنتم الكرّار في سبيل الله ! وكان بين أبي هريرة وابن عم له كلام ، إلا فراركم يوم مؤتة ! فما دَرَى ما يقول له .

إخبار رسول الله ﷺ عن أهل القتال يوم مؤتة

وكان رسول الله ﷺ — لما التقى الناس بمؤتة — جلس على المنبر وكُشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى مُعتركهم فقال : .

زيد بن حارثة

أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكرّه إليه الموت فقال : الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبب إليّ الدنيا ! فمضى قُدماً حتى استشهد : فصلى عليه وقال : استغفروا له ! وقد دخل الجنة وهو يسعى .

جعفر بن أبي طالب

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ، فقال : الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا ! ثم مضى قُدماً حتى استشهد^(١) . فصلى عليه ودعا له . ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

عبد الله بن رواحة

ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترضاً . فشق ذلك على الأنصار ، فقال : أصابته الجراح . قيل : يا رسول الله ما إعراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل^(٢) ، فعاتب نفسه فشجع ، فاستشهد فدخل الجنة ، فسُرّي عن قومه .

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذ : خير الفرسان أبو قتادة ، وخير الرجال^(٣) سلمة بن الأكوع .

(١) في (خ) « فاستشهدوا » .

(٢) نكل : تخاذل .

(٣) الرجال : جمع راجل ، وهو الذي لا فرس له .

ولما أخذ خالد الراية قال ﷺ : الآن حَيَّي الوطيس^(١) .

دخول رسول الله ﷺ على أهل جعفر بن أبي طالب

ودخل ﷺ على أسماء بنت عميس^(٢) امرأة جعفر بن أبي طالب فقال : يا أسماء أين بنو جعفر ؟ فجاءت بهم إليه ، فضمهم إليه وشمهم ، ثم ذَرَفَتْ عيناه فبكى ، فقالت : أي رسول الله لعلَّه بلغك عن جعفر شيء ؟ فقال : نعم ، قتل اليوم ! فقامت تصيح ، واجتمع إليها النساء فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا أسماء لا تقولي هُجْراً^(٣) ، ولا تضربي صدرأ . وخرج حتى دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وهو يقول : واعماه ! وقال^(٤) . على مثل جعفر فلتبك^(٥) الباكية ! ثم قال : اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم . وقد روي أن النبي ﷺ لما نعى لأسماء جعفرأ ، مسح على رأس عبد الله بن جعفر ، وعيناه تُهراقان الدموع حتى لحيته تقطر^(٦) ، ثم قال : اللهم إن جعفرأ قد قَدَّمَ إِلَيَّ أحسن الثواب ، فاخلفه^(٧) في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته ! ثم قال : يا أسماء ، ألا أبشرك ؟ قالت : بأبي أنت وأمي ! قال : فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة ! قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فأعلم الناس ذلك .

خطبته في أمر جعفر

فقام ، وأخذ بيد عبد الله بن جعفر ، يمسح بيديه رأس عبد الله حتى رقي المنبر ، وأجلس عبد الله أمامه على الدرجة السفلى ، والحزن يُعرف عليه ، فتكلم وقال : إن المرء كثير بأخيه وابن عمه . ألا إن جعفرأ قد استشهد ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ، ثم نزل ، ودخل بيته وأمر بطعام يصنع لآل جعفر ، وأرسل إلى أخيه عبد الله بن جعفر فتغديا عنده : شعيراً طحنته سلمى خادمه ، ثم نسفته^(٨) ، ثم أنضجته . وأدمته بزيت ، وجعلت عليه فُلُفْلاً . وأقاما ثلاثة أيام في

(١) كناية عن شدة الحرب واحتدامها . (٢) في (خ) « عميش » . (٣) الهُجْر : الإفحاش .

(٤) في (خ) « فقال » . (٥) في (خ) « فبكى » .

(٦) في (خ) « حتى تقطر لحيته » وهي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٧٦٧ وما أثبتناه من (ط) .

(٧) تخلف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما لا يحتاض وأخلف الله عليك : دعاء لمن هلك له ما يتعتاض عنه .

(٨) نسفته : أذفبت نُسافته وقشره .

بيته ، يدوران معه في بيوت نسائه .

غنائم مؤتة

وغنم المسلمون بعض أمتعة مؤتة ، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ بخاتم ، فقال : قتلت صاحبه يومئذ ، فنقله إياه . وقتل خزيمة بن ثابت يومئذ رجلاً ، وعليه بيضة فيها ياقوتة ، فأخذها وأتى بها رسول الله ﷺ ، فنقله إياها ، فباعها بمائة دينار . واستشهد بمؤتة ثمانية نفر .

غزوة ذات السلاسل

ثم كانت غزوة ذات السلاسل . [ويقال السُّلْسُل]^(١) ، وهو ماء وراء وادي القرى من المدينة ، [بينه وبين المدينة]^(٢) عشرة أيام . وسببها أن جمعاً من بلقي وقضاة تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة ، فعقد رسول الله ﷺ لعمر بن العاص لواءً أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في جمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سراة^(٣) المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يستعين بمن مر به من بلاد بلي وعذرة وبلقين . وذلك أن عمرواً كان ذا رحم فيهم : كانت أم العاص بن وائل بلقية ، فأراد عليه السلام يتألفهم بعمر . فسار يكمن النهار ويسير الليل — وكان معه ثلاثون فرساً — حتى دنا منهم . فنزل على ماء بأرض جذام^(٤) يقال له السلاسل . وكان شتاء ، فجمع أصحابه ليصطلوا فمنعهم ، فشق ذلك عليهم ، حتى كلمه بعض المهاجرين بغلظة ، فقال عمرو : قد أمرت أن تسمع لي وتطيع ! قال : أفعل .

المدد واختلاف عمرو وأبي عبيدة على الإمارة

وبعث رافع بن مكيث الجهني يخبر رسول الله ﷺ أن للقوم جمعاً كثيراً ويستمدّه ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواءً . وبعث معه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعدة من الأنصار . فسار في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا ، فلما لحق بعمر ، وأراد أن يؤم الناس ويتقدم عمر ، فقال له عمرو : إنما قدمت مدداً لي ، وليس لك أن تؤمني ، وأنا الأمير ! فقال

(١) زيادة للسياق من (ط) .

(٢) سراة القوم : أشرفهم وسادتهم .

(٣) في (خ) « خدام » .

المهاجرون : كلا ! بل أنت أمير أصحابك ، وهو أمير أصحابه . فقال : لا ! أنتم مدد لنا . فقال أبو عبيدة — وكان حسن الخلق — انظرون يا عمرو ! تعلمن أن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا ، وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك ! فكان عمرو يصلي بالناس . وسار — وقد صار في خمسمائة — حتى وطىء بلاد بلي ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع ، بلغه أنه قد كان به جمع فلما سمعوا به تفرقوا . حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعُدرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ، فقاتلهم ساعة وهزمهم . وأقام أياماً يث سراياه ، فيؤتي بالشاء والنعم فينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من هذا ، ولم تكن غنائم تقسم .

خبر صاحب الجزور

وخرج عوف بن مالك الأشجعي يوماً في العسكر ، فمر بقوم^(١) قد عجزوا عن نحر جزورهم وعملها ، فقال : أعطوني عليها وأقسمها بينكم ؟ فجعلوا له شعيراً منها ، فنحرها ، وجزأها بينهم ، وأخذ جزءه وأتى به إلى أصحابه ، فطبخوه وأكلوه ، فلما فرغوا ، قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . من أين لك هذا اللحم ؟ فأخبرهما ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ! ثم قاما يتقيآن ، وفعل ذلك الجيش . وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لعوف : تعجلت أخرى ! ثم أتى أبا عبيدة رضي الله عنه فقال له مثل ذلك .

صلاة عمرو بالناس بغير غسل

واحتلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، وإن اغتسلت مت ! فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ، ثم قام فصلى بهم . وبعث عوف بن مالك بريداً^(٢) ، فقدم على رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال : عوف بن مالك ؟ قال : عوف بن مالك يا رسول الله ! قال : صاحب الجزور ! قال : نعم ! قال : أخبرني ! فأخبره بمسيرهم ، وما كان بين أبي عبيدة وبين عمرو ، ومطاوعة أبي عبيدة ! ثم أخبره أن

(٢) البريد : الرسول .

(١) في (خ) « فمن يقوم » .

عمرأ صلى وهو جنب ومعه الماء ، لم يزد على أن غسل وجهه بماءٍ وتيمم ، فلما قدم عمرو وسأله رسول الله ﷺ عن صلاته قال : والذي بعثك بالحق لو اغتسلت لمت ، ولم أجد قط برد مثله ، وقد قال الله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ ﴾^(١) ، فضحك ﷺ ولم يقل شيئاً .

سرية الحَبْط

ثم كانت سرية الحَبْط^(٢) أميرها أبو عبيدة بن الجراح ، [وقيل : عبد الله بن عامر بن الجراح]^(٣) ، والصحيح : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ابن ضبّة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشيّ الفهريّ . بعثه رسول الله ﷺ — في رجب على ثلاثمائة إلى حي من جُهينة ، بالقبيلة مما يلي ساحل البحر ، على خمس ليالٍ من المدينة . فأصابهم جوعٌ شديدٌ ، جمعوا زادهم حتى إن كانوا ليققسمون^(٤) الثمرة ، ولم يكن معهم حمولة^(٥) ، إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعرٌ يحملون عليها زادهم ، فأكلوا الحَبْط ، حتى ما كادوا^(٦) أن تكون بهم حركة إليه ، فابتاع قيس بن سعد بن عبادَة خمسَ جزائر ، كل جزور بوسقَيْن من تمر : يقوم بها إذا رجع ، ونحرها — كلُّ يوم جزوراً — للقوم ، مدّة ثلاثة أيام ، حتى وجدوا حوتاً يقال له العنبر قد ألقاهُ البحر ، فأكلوا منه اثنتي عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ، ومرّت تحتها راحلةٌ برحلهما فلم تُصبها ، وكان يجلس في مَأَق^(٧) عين الحوت الجماعة من الناس .

سرية أبي قتادة إلى الحَضْرَة

ثم كانت سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى حَضْرَة ، وهي أرض محارب

(١) الآية ٢٩ / النساء .

(٢) الحَبْط : ورق يُنْفَضُ بالخابط ويحفف ويُطحن بدقيق أو غيره ، (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ٩ .

(٣) ما بين القوسين مكرر في (خ) . (٤) في (خ) « ليققسموا » .

(٥) الحمولة : ما يحتمل عليه الناس من الدواب ، وهنا كناية عن عدم وجود الزاد أو الميرة يحملونها على دواب .

(٦) في (خ) « حتى ما كاد أن يكون » .

(٧) في (خ) « مَق » . والمَأَق : طرف العين مما يلي الأنف (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ١٩٧ .

بنجد^(١) ، أميرها أبو قتادة الأنصاري ، [بعثه رسول الله ﷺ]^(٢) في شعبان منها — في خمسة عشر رجلاً إلى غطفان نحو نجد . فساروا ليلاً وكنوا نهاراً ، حتى أتوا ناحيتهم ، فهجموا على حاضر منهم^(٣) عظيم ، وجردوا سيوفهم وكبروا ، فقتلوا رجالاً ، واستاقوا النعم وحملوا النساء ، حتى قدموا بمائتي بعير ، وألف شاة وسبي كثير ، فعزلوا من ذلك الخمس . وقد غابوا خمس عشرة ليلة ، وكانت سهمانهم اثني عشر بعيراً ، أو عدلها عن البعير عشرة من الغنم .

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم

ثم كانت سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن إضم — وهي فيما بين حُشب وذِي المروة ، على ثلاثة بُرُودٍ من المدينة — في رمضان ، على ثمانية أنفس . وذلك حين هم رسول الله ﷺ بغزوة الفتح ، لِيُظَنَّ ظان أنه عليه السلام توجه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهب بذلك الأخبار .

قتل المسلم

فلقيهم عامر بن الأضبط الأشجعي ، فسَلَّم عليهم بتحية الإسلام ، فبدر إليه مُحَلَّم بن جثامة الليثي فقتله ، وأخذ بعيره وسلَّبه ، ثم لحقوا برسول الله ﷺ وقد علموا مسيره فأدركوه بالسُّقيا ولم يلقوا جمعاً .

ما نزل فيه من القرآن

وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتِينُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ ، كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتِينُوا ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^(٤) .

(١) في (خ) « ثم كانت تحضرة أرض محارب سرية أبي قتادة بنجد » .

(٢) في (خ) « على حاضرهم عظيم » .

(٣) زيادة لسياق الكلام من (ط) .

(٤) الآية ٩٤ / النساء ، وفي (خ) « ... الحياة الدنيا ، الآية » .

الاختلاف في سبب نزول الآية

وقال ابن عبد البر ، والاختلاف في المراد بهذه الآية كثير مضطرب جداً ، قيل : نزلت في المقداد ، وقيل : نزلت في أسامة بن زيد ، وقيل : في محمّد بن جثامة . وقال ابن عباس : نزلت في سرّية ، ولم يُسمَّ أحداً . وقيل : نزلت في غالب الليثي من بني ليث ، يقال له : فُلَيْت ، كان على السّرية ، وقيل : نزلت في أبي الدرداء . وهذا اضطراب شديد جداً^(١) .

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غزوة الفتح . وسببها أن أنس بن زُثَيْم الدَّيْلِيّ هجا رسول الله ﷺ ، فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجّه ، فثار الشُّرْبِين بن بَكْر [حَلَف قريش] ، وبين خزاعة [حلف رسول الله ﷺ] . فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية — [وقال ابن إسحق : فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً] — كلمت بنو نُفَاعة من بني الدَّيْل أشراف قريش أن يُعينوها بالرجال والسلاح على خزاعة ، فأمدوهم بذلك . وخرج إليهم صفوان بن أمية ومكرز بن حفص بن الأخيف^(٢) ، وحويطب بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان وسُهَيْل بن عمرو ، وأجلبوا معهم أرقاءهم فبيّتوا — مع بني بكر ورأسهم نوفل بن معاوية الدَّوْلِيّ — خزاعة ليلاً وهم آمنون^(٣) ، فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً ، وذلك على ماء يُقال له الوثير قريب من مكة ، وعامتهم نساءً وصبياناً وضَعَفَةُ الرُّجَال ، حتى أدخلوهم دار بُذَيْل بن وَرْقَاء ، وقيل : حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم^(٤) .

ندم قريش على نقض العهد

وندمت قريش ، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقض^(٥) للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ . وجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان بن أمية

(١) راجع أسباب النزول للواحدي ص ١٢٧ - ١٣٠ .

(٢) في (خ) « الأخيف » . (٣) ذكر (ابن سعد) ج ٢ ص ١٣٤ أنهم خرجوا « متكررين متقين » .

(٤) أنصاب الحرم : حدوده التي تفصل بين الحل والحرام . (٥) في (خ) « نقضاً » .

ومن كان معه فلاموهم ، وقالوا لأبي سفيان بن حرب : هذا أمر لا بد له من أن يُصلَح ، فاتفقوا على مسيره إلى رسول الله ﷺ ليزيد في الهدنة ، ويجدد العهد ، فخرج لذلك وقد سار عمرو بن سالم بن حصيرة بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة ، حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، فقام ينشد شعراً ، وأخبره الخبر واستصْرَحَه ، فقام ﷺ وهو يجرُّ ثوبه ويقول : لا نُصِرْتُ إن لم أنصُر بني كعبٍ مما أنصُر منه نفسي ! .

قدوم أبي سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سفيان فقال : يا محمد ! إني كنت غائباً في صلح الحديبية ، فاشدد العهد وزدنا في المدة . فقال رسول الله ﷺ : ولذلك قدِمْتُ يا أبا سفيان ؟ قال : نعم ! قال : هل كان قَبْلَكُمْ حَدَثٌ ؟ قال : معاذ الله ! قال : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نُغَيِّر ولا نُبَدِّل .

خبر أبي سفيان في دار أم المؤمنين ابنته

ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبة^(١) رضي الله عنها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوئته دونه وقالت : أنت امرءٌ تَجَسُّ مشرك !! فقال : يا بنية ! لقد أصابك بعدي شرٌّ ! قالت : هداي الله للإسلام ، وأنت يا أبت سيّد قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك دخولك للإسلام ؟ وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يُبصر ! قال : يا عجباه !! وهذا منك أيضاً ! أأترك ما كان يعبد آباي ، وأتبع دين محمد ؟!

مناشدة أبي سفيان لكبار أصحاب رسول الله ﷺ

ثم خرج فلقي أبا بكر رضي الله عنه فكلمه ، وقال : نُكَلِّمُ محمداً ، أو تحب^(٢) أنت بين الناس ! فقال : جوارِي في جوار رسول الله ﷺ ، ثم لقي عمر رضي الله عنه ، فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر فقال [عمر]^(٣) : والله لو وجدت الذرَّ^(٤)

(٣) زيادة للبيان من (ط) .

(٢) في (خ) « ونحير » .

(١) أم المؤمنين .

(٤) التمل الصغير .

تقاتلكم لأعتُّها عليكم ! فقال [أبو سفيان]^(١) : جُزيت من ذي رَحِمٍ شراً ، ثم دخل على عثمان رضي الله عنه فقال : إنه ليس في القوم أحدٌ أقربَ إليَّ رَحِمًا منك ! فزِدْ في الهدنة وجُدِّ العهد ، فإن صاحبك لن يرُدَّ عليك أبداً ! قال : جوارِي من جوارِ رسول الله ! فدخل على فاطمة وكلمها في أن تحيِّر بين الناس ، فقالت : إنما أنا امرأة ! قال : مُرِّي أحد ابنَيْكَ يحيِّر بين الناس ! قالت : إنما هما صبيَّان ! وليس مثلهما يحيِّر .

مناشدته علياً ومشورة علي

فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ! أجز بين الناس أو تكلم محمداً يزيد في المدة ! فقال : ويحك يا أبا سفيان ! إن رسول الله قد عزم أن لا يفعل ، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه . قال : فما الرأي ؟ يسِّرني^(٢) لأمرِي ، فإنه قد ضاق عليّ ، فمرني بأمر ترى أنه نافعِي . قال : والله ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم فتحيِّر بين الناس ، فإنك سيِّدُ كنانة . قال : ترى ذلك مغنياً عَنِّي شيئاً ؟ قال : لا أظن ذلك والله ، ولكني لا أجد لك غيره . فقام أبو سفيان بين ظَهْرِي الناس فصاح : ألا إني قد أجزت بين الناس ، ولا أظنُّ محمداً يخفِّرني ! ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ! ما أظنُّ أن تردَّ جوارِي ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! ثم جاء [أبو سفيان]^(٣) لسعد بن عبادَةَ فقال : يا أبا ثابت ! قد عرفتَ الذي كان بيني وبينك ! وأني كنت لك في قومنا جاراً ، وكنت لي يثرب مثل ذلك ، وأنت سيد هذه البَحْرة^(٤) ، فأجز بين الناس وزد في المدة . فقال : يا أبا سفيان ! جوارِي في جوارِ رسول الله ! ما يحيِّرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ .

ويقال : خرج أبو سفيان على أنه قال له رسول الله ﷺ : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! ويقال : لما صاح لم يَقْرَب النبي عليه السلام وركب راحلته وانطلق إلى مكة .

(٢) في (خ) « بشرني » .

(١) زيادة للبيان من (ط) .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) البَحْرة : البلدة .

مرجع أبي سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالت غيبته ، وأثهمته قريش أنه قد أسلم . فلما دخل على هند ليلاً قالت : لقد حبست حتى اتهمك قومك ! فإن كنت مع طول الإقامة جئتهم بنجح ، فأنت الرجل ! ثم دنا منها فجلس منها مجلس الرجل من امرأته ، فجعلت تقول : ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر وقال : لم أجد إلا ما قال لي علي ! فضربت برجليها في صدره ، وقالت : قُبِحت من رسول قوم ! وأصبح فحلّق رأسه عند إساف ونائلة^(١) ، وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما ، وقال : لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي .

وقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئتنا بكتاب من محمد ، أو زيادة في مدّة أماناً من أن يغزونا ؟ فقال : والله لقد أبى عليّ ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قدّرت على شيء منهم ، إلا أنهم يرموني بكلمة واحدة . إلا أن علياً قد قال — لما ضاقت بي الأمور — : أنت سيد كنانة ، فأجر بين الناس !! فناديت بالجوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أجرت الناس ، وما أظن أن تردّ جوارِي ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان !! لم يزدني على ذلك . قالوا : ما زاد علي أن تلعب بك تلعباً !! قال : والله ما وجدت غير ذلك .

جهاز رسول الله ﷺ للفتح

ولمّا ولّى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : جهّزينا وأخفي أمرك . وقال عليه السلام : اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى تأتيهم^(٢) بغتة ، [وفي رواية : اللهم خذ على أبصارهم فلا يروني إلا بغتة ، ولا يسمعون بي إلا فجأة] . وأخذ ﷺ بالأنقاب^(٣) ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف عليها ويقول : لا تدعوا أحداً يمرّ بكم تنكرونها إلا ردّدتموه . وكانت الأنقاب مسلمة ، إلا من سلك إلى مكة فإنه يُتَحَفَظ به ويسأَل عنه .

(١) إساف ونائلة من أصنام المشركين .

(٢) في (خ) « تأتيهم » .

(٣) الأنقاب : جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين .

خبر أبي بكر

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تجهز رسول الله ﷺ ، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً ، فقال : يا عائشة ، أ هم رسول الله يغزو ؟ قالت : ما أدري ! قال : إن كان همّهم بسفر فأذنينا^(١) نهيأ له . قالت : ما أدري ! لعله يريد بني سليم ، لعله يريد ثقيفاً ! لعله يريد هوازن ! فاستعجمت عليه^(٢) حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ، أردت سفراً ؟ قال : نعم . قال : أفأتجهز ؟ قال : نعم ، قال : فأين تريد يا رسول الله ؟ قال : قريشاً ، واخف ذلك يا أبا بكر ! وأمر ﷺ الناس بالجهاز ، وطوى عنهم^(٣) الوجه الذي يريد ، وقال أبو بكر : يا رسول الله ! أو ليس بيننا وبينهم مدة ؟ قال : إنهم غدروا ونقضوا العهد ، فأنا غازيهم ، واطو ما ذكرت لك ! فظان يظن أنه يريد الشام ، وظان يظن ثقيفاً ، وظان يظن هوازن .

خبر حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع ﷺ المسير إلى قريش وعلم بذلك الناس ، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ في أمرهم . وكان كتابه إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فيقول فيه : « إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يدٌ بكتائي إليكم » . وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج — [يقال لها كنود ، ويقال لها سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم ابن عبد مناف] — وجعل لها ديناراً [وقيل : عشرة دنانير] ، على أن تبليغه قريشاً ، وقال : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرّ على الطريق فإن عليه حرساً^(٤) . فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ، وسلكت على غير نقب ، حتى لقيت الطريق بالعقيق . وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علياً والزبير رضي

(١) آذننا : أعلمنا وأخبرنا .

(٢) استعجمت عليه : لم تُعطه جواباً بيتاً .

(٣) وى عنهم : أخفى عنهم .

(٤) في (خ) « محرساً » .

الله عنهما فقال : أدركا امرأة من مزينة ، قد كتب معها حاطبٌ كتاباً يحذر قريشاً . فخرجا ، فأدركاها ، فاستنزلاها ، والتمساه^(١) في رحلها فلم يجد^(٢) شيئاً . فقالا لها : إنا نخلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ولا كُذِبنا ، ولتُخرجن هذا الكتاب ! أو لنكشِفْنكِ ! فلما رأت منهما الجد قالت : أعرضاً عني ! فأعرضا عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب . فجاء به رسول الله ﷺ فدعا حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرُ ولا بدّلتُ ، ولكنني كنت امرءاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم . فقال عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ! ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب ، وتكتب إلى قريش تحذرهم !! دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق . فقال : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم^(٣) ، وأنزل الله في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٤) .

ومضت سارة إلى مكة ، وكانت مغنّية ، فأقبلت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ ، وقد ارتدت عن الإسلام .

دعوة المسلمين من القبائل

فلما أبان رسول الله ﷺ الغزو ، أرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من

(١) في (خ) « والتمساه » .

(٢) في (خ) « فلم يجد » .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٣ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً ، حديث رقم ٢٦٥٠ ، أخرجه (البخاري) في المغازي ، باب فضل من شهد بدرأ ، وفي التفسير ، تفسير سورة المنتحنة ، وفي الأدب ، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً و (مسلم) في فضائل أهل بدر ، و (الترمذي) في التفسير ، تفسير سورة المنتحنة ، و (الدارمي) في الرقاق ، و (أحمد) في (المسند) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر أيضاً (معالم السنن) للخطابي ج ٣ ص ١١٠ .

(٤) أول سورة المنتحنة ، وفي (خ) « ... تلقون إليهم بالمودة ، الآية » .

المسلمين يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . وبعث رسلاً في كل ناحية حتى قدموا . فقدمت أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع ، المدينة ، وأتت بنو سليم بقديد ، وعسكر ببئر أبي عنبه ، وعقد الألوية والرايات .

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم ثلاثمائة فرس ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ، ومعهم خمسمائة فرس ، وكانت مزينة ألفاً ، فيها مائة فرس ومائة درع ، وكانت أسلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ، وكانت جهينة ثمانمائة ، معها خمسون فرساً ، وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمائة . ويقال : لم يعقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات حتى انتهى إلى قديد .

الخروج إلى الفتح

وخرج يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر . وروى أبو خليفة الفضل بن الحباب من حديث شعبة بن قتادة عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حين فتح مكة لسبع عشرة أو تسع عشرة بقين من رمضان . الحديث . ورواه سعيد^(١) بن أبي عروبة ، عن قتادة بإسناده ، فقال فيه : خرجنا مع رسول الله ﷺ لثنتي عشرة . وقال هشام عن قتادة فيه بإسناده : لثمان عشرة . وعن عطية بن قيس ، عن قزعة^(٢) ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : آذنا^(٣) رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان . الحديث .

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادوا الخيول ، وامتطوا الإبل ، وكانوا عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : اثنا عشر ألفاً . وقدم ﷺ أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في

(٢) هو « قزعة بن يحيى » أبو الغاوية البصري .

(١) في (خ) « سعد » .

(٣) في (خ) « آذنا » .

مائتين ، فلما كان بالبيداء قال : إني لأرى^(١) السحاب يستهل بنصر بني كعب . ولما خرج من المدينة نادى مناديه : من أحب أن يصوم فليصم ، ومن أحب أن يفطر فليفطر . وصام هو ، حتى [إذا]^(٢) كان بالعرج صبَّ على رأسه ووجهه الماء من العطش ، فلما كان بالكديد — بين الظهر والعصر أخذ إناءً من ماء في يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة ، ويقال : كان فطره يومئذ بعد العصر . وبلغه أن قوماً صاموا ، فقال : أولئك العصاة ! وقال بمِرَّ الظهران : إنكم مصبِّحو^(٣) عدوكم . والفطر أقوى لكم .

منزل رسول الله ﷺ بالعرج

فلما نزل العرج — والناس لا يدرون أين يتوجه^(٤) ! ألى قريش ، أو إلى هوازن ، أو إلى ثقيف ؟ وأحجُّوا أن يعلموا أتى^(٥) — كعب بن مالك رسول الله ﷺ — وقد جلس في أصحابه ، وهو يتحدث — ليعلم ذلك ، فأنشده شعراً ، فتبسّم ولم يزد على ذلك . فلما نزل بقديد قيل : هل لك يا رسول الله في بيض النساء وأدم الإبل ؟ فقال : إن الله حرّمهم عليّ بصلة الرحم ، ووكزهم في لبّات الإبل . [وفي رواية :] [إن]^(٦) الله حرّمهم عليّ ببر الوالدين ووكزهم في لبّات الإبل . [^(٧)] . وجاء عيينة بن حصن بالعرج وسار^(٨) وكان الأقرع بن حابس قد وافى بالسُّقيا في عشرة من قومه . فلما عقد ﷺ الألوية بقديد ندِمَ عيينة ألا يكون قدم بقومه .

خبر الكلبة

ونظر عليه السلام بعد مسيره من العرج إلى كلبة تهر^(٩) على أولادها ، وهنَّ

(١) في (خ) « لا أرى » ، وفي (الغازي) ج ٢ ص ٨٠١ « لأرى السحاب تستهل » . واستهل السحاب أشرق قبل أول مطر .

(٣) في (خ) « مصبِّحو » بإثبات الألف بعد واو الجماعة .

(٥) في (خ) « فأتى » وفي رواية (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٢ : « قال كعب بن مالك : أتى رسول الله ﷺ بأعلم لكم علّم وجهه » .

(٦) زيادة للسياق من (ط) ج

(٧) قال ابن الأثير في (النهاية) : لبّات : جمع لبّة ، وهي الهزمة التي فوق الصدر وفيها تُنحر الإبل ، (النهاية) ج ٤ ص ٢٢٣ ، وهنا كناية عن الكرم وصلة الرحم ، فلذلك استحقوا العفو .

(٨) وذلك بعد إسلامه ، ففي (الواقدي) ج ٢ ص ٨٠٤ « فدخل رسول الله ﷺ يومئذ مكة بين الأقرع وعيينة » .

(٩) تهر : تبيع وتكشعرن أنبياءها دفاعاً عن أولادها .

حولها يرضعنها ، فأمر جُعيل بن سراقة يقوم جذاءها ، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها .

الطلّاع

وقدم من العُرج جريدة من خيل^(١) طليعة ، فأتوا بعين من هوازن ، فسأله عنهم فقال : تركتهم بيقعاء قد جمعوا الجموع ، وأجلبوا العرب ، وبعثوا إلى جَرَش^(٢) في عمل الدبابات^(٣) والمنجنيق ، وهم سائرون إلى هوازن فيكونوا جميعاً . فقال [ﷺ]^(٤) : ولّى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عوف . قال : وكل هوازن قد أجاب ؟ قال : أبطأ من بني عامر كعب وكلاب . وقد مرّرت بمكة فرأيتهم ساخطين لما جاء به أبو سفيان ، وهم خائفون . فقال النبي ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلا صدقني ! وأمر خالد بن الوليد فحبسه حتى دخل مكة وفتحها فأسلم ، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن فقتل بأوطاس . [وأوطاس وادٍ في ديار هوازن ، وفيه كانت وقعة حُنين] .

إسلام أبي سفيان

وقدم بالأبواء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يريد الإسلام ، بعد ما عادى رسول الله ﷺ عشرين سنة وهجاه ، ولم يتخلف عن قتاله . فلما طلع ﷺ في موكبهِ ، وقف تلقاء وجهه ، فأعرض عنه ، فتحرك إلى ناحيته ، فأعرض عنه مراراً ، وأعرض عنه الناس وتجهّموا له ، فجلس على باب منزل رسول الله ﷺ يلزّمة حتى فتح مكة ، وهو لا يكلمه ولا أحد من المسلمين . فلما كان يوم هوازن ، ثبت فيمن ثبت مع رسول الله ، وأخذ العباس رضي الله عنه بلجام بغلته ، وأخذ أبو سفيان بالجانب^(٥) الآخر ، فقال ﷺ : من هذا ؟ فقال العباس :

(١) في (خ) « من خيل جديدة » . والجريدة : الطائفة من الفرسان لا رجالة فيها (ترتيب القاموس) ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) جرش : مدينة شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوارن من عمل دمشق (معجم البلدان) ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) الدبابات : في عهدهم آلة تتخذ من جلود وخشب يُدخل فيها الرجال ، ثم يقربونها من الحصن المحاصر والرجال في جوفها لينقبوه ، وسميت بذلك لأنها تدب دبيباً . (٤) زيادة للبيان .

(٥) في (خ) « بالجانب » .

يا رسول الله ! أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث^(١) ! فارض عنه ، أي رسول الله ! قال : قد فعلت ، فغفر الله له كلَّ عداوة عاداها . فقَبِلَ أبو سفيان رجله في الركاب . فالتفت عليه السلام إليه ، فقال : أخى لعمرى ! ويقال : إنه جاء هو وعبد الله بن أبي أمية — أخو أم سلمة — إلى نيق العقاب^(٢) فطردهما ، فشفعت فيهما أم سلمة ، وأبلغته عنهما ما رَقَّه عليهما ، فقبلهما .

العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل

وقدم العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل ، بالسقيا . وقيل : بل قدم العباس بذي الحليفة — وقيل : بالجحفة — فأسلم ، وبعث ثَقَلَهُ^(٣) ومضى مع رسول الله ﷺ فأقام معه ، ولم يخرج من عنده حتى راح عليه السلام . وكان ينزل معه في كل منزل حتى دخل مكة .

رؤيا أبي بكر

ورأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه — في الليلة التي أصبح فيها بالجحفة — أن النبي ﷺ لما دنوا من مكة ، خرجت عليهم كلبة تهرُّ ، فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ، فإذا أطباؤها تشخبُ لبناً^(٤) . فذكرها أبو بكر . فقال رسول الله ﷺ : ذهب كلبهم^(٥) ، وأقبل دُرهم^(٦) . هم سائلوكم بأرحامكم ! وأنتم لا قون بعضهم ، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه .

(١) ذكرنا في أول الكتاب أنه أخوه من الرضاعة من قبل حليلة السعدية
(٢) في (خ) ، (ط) « نيق العقاب » وهو خطأ وصوابه « نَيْقُ العقاب » وهي : (موقع بين مكة والمدينة قرب الجحفة ، لقي به أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة مهاجر بن أبي أمية وهو يريد مكة عام الفتح) (معجم البلدان) ج ٥ ص ٣٣٣ .

(٣) الثَقَلُ : متاع المسافر وحشمه (ترتيب القاموس) ج ١ ص ٤١٢ .
(٤) الأطباء : جمع طَبِيٍّ ، والطَّبِيُّ : بالكسر والضم : حلقات الضرع التي من حُفٍ وظلفٍ وحافر .
(٥) الكَلْبُ : صياح من عضه الكلب الكلبُ ، وجنون الكلاب المُعْتَرَى من أكل لحم الإنسان ، وشبه جنونها المُعْتَرَى للإنسان من عضها . (ترتيب القاموس) ج ٤ ص ٧٠ والمقصود هنا : كناية عن عداء قريش لرسول الله ﷺ .

(٦) الدَّرُّ : اللبن يسيل من الثدي ، وهذا كناية عن إقبال شرهم وإقبال خيرهم .

منزل المسلمين بقديد

فلما نزل عليه السلام قديداً لقيته سليم — وهم تسعمائة على الخيول جميعاً ، مع كل رجل رمح وسلاحه ، ويقال : إنهم ألف — فجعلهم مقدمته مع خالد بن الوليد رضي الله عنه واجتمع المسلمون بمر الظهران ، ولم يبلغ قريشاً حرف واحد من مسيرهم ، فأمر ﷺ المسلمين أن يوقدوا النيران ، فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل ليالي فتح مكة ، وفي غزوة بدر .

بعثة قريش أبا سفيان يتجسس

وبعثت قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار ، وإن لقي محمداً يأخذ لهم منه جواراً ، فإن رأى رقة من أصحابه آذنه بالحرب ، فخرج ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، فرأوا الأبنية والعسكر والنيران بمر الظهران ، وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل ، فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً وقالوا : هؤلاء بنو كعب جاشت الحرب^(١) ! فقال بديل : هؤلاء أكثر من بني كعب ! قالوا : فتنجعت^(٢) هوازن على أرضنا ! والله ما نعرف هذا ، إن هذا العسكر مثل حاج الناس ! وكان على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

خبر العباس وقدمه بأبي سفيان وصاحبيه على رسول الله ﷺ

وقد ركب العباس رضي الله عنه ذلك^(٣) ، على أن يصيب رسولا إلى قريش يخبرهم : أن رسول الله ﷺ داخل عليهم في عشرة آلاف . فسمع صوت أبي سفيان ، فقال : أبا حنظلة ! فقال : يا لبنك ! أبا الفضل ؟ قال : نعم ! قال : فما وراءك ؟ قال : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين ، فأسلم ، ثكلتك أمك وعشيرتك ، وأقبل على حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال : أسلما ، فإني لكما جائر حتى تنتهوا إلى رسول الله ، فإني أخشى أن تُقطعوا دون النبي ! قالوا : فنحن معك .

(١) جاشت الحرب : حاجتها كما تجيش النارُ القدر فيغلي بها .

(٢) من الانتجاع ، وهو طلب الكلاء أيام الربيع .

(٣) اسم بغلة كانت لرسول الله ﷺ .

ويروى أن أبا سفيان وحكيماً وبديلاً لما طلعوا مر [الظهران] ^(١) عشاءً ، ورأوا النيران والفساطيط والعسكر راعهم ذلك ، فبينما هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نقرٌ — كان رسول الله ﷺ بعثهم عيوناً له — بخطم ^(٢) أبعرتهم ، وأتوا بهم العسكر ، فلقيهم عند ذلك العباس فأجارهم .

دخولهم على رسول الله ﷺ

وأقى بهم العباس ودخل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قد أجزتكم ، وهم يدخلون عليك ! فقال : أدخلهم . فدخلوا عليه ، فمكثوا عنده عامة الليل ليستخبرهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، فأسلم حكيماً وبديلاً . وقال أبو سفيان : أشهد أن لا إله إلا الله . فقال رسول الله : وأني رسول الله . قال : والله يا محمد ، إن في النفس من هذا شيئاً بعد ، فارجعها ^(٣) . ثم قال للعباس : قد أجزناهم ، اذهب بهم إلى منزلك . فذهب بهم .

خبر أبي سفيان بعد سماع الأذان

فلما أذن الصبح ، أذن العسكر كلهم ، ففرع أبو سفيان من أذانهم وقال : ما يصنعون ؟ أمروا فتي بشيء ؟ قال : لا ! ولكهم قاموا إلى الصلاة ! قال أبو سفيان : كم يصلون في اليوم واليلة ؟ قال : يصلون خمس صلوات . قال : كثير والله ! فلما رآهم أبو سفيان يبتدرون وضوء النبي ﷺ ، قال : ما رأيت يا أبا الفضل مُلكاً كهذا ! لا مُلك ^(٤) كسرى ولا ملك بني الأصفر ! فقال العباس : وَيَحْكُ آمِنْ ! قال : أدخلني عليه . فأدخله ، فقال : يا محمد ! استنصرت إلهي واستنصرت إلهك ، فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت علي ، فلو كان إلهي حقاً وإلهك مبطلاً لقد غلبتك ! وشهد أن محمداً رسول الله .

(١) زيادة للبيان ، وفي (خ) « مدعشا » . (٢) حُطِم : جمع حُطَام ، وهو الحبل الذي يقاد به البعير .

(٣) من الإرجاء وهو التأخير ، وقد سهلت الهجزة . (٤) في (خ) « إلا ملك كسرى » .

مقالة أبي سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحكيم : يا محمد ! جئت بأوباش الناس — من نعرف ومن لا نعرف^(١) — إلى عشيرتك وأصلك ! فقال ﷺ : أنتم أظلم وأفجر ، غدرتم عهد الحديبية ، وظاهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان في حرم الله وأمنه . فقال أبو سفيان وحكيم بن^(٢) حزام : يا رسول الله ! لو كنت جعلت حدك^(٣) ومكيدتك بهوازن ، فهم أبعد رحماً وأشدُّ لك عداوة ! فقال : إني لأرجو^(٤) من ربِّي أن يجمع ذلك لي كله : فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهوازن ، وأن يغنمني الله أموالهم وذرائعهم ، فإني راغب إلى الله في ذلك .

وقيل : إن أبا سفيان ركب خلف العباس ، ورجع حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبا سفيان

فلما مرَّ العباس بعمر بن الخطاب ، ورأى أبا سفيان قال : أبا سفيان ! عدوَّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بلا عهد ولا عقد . ثم خرج نحو رسول الله ﷺ يشتمُّ ، فركض العباس البغلة حتى اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ ، فدخلوا . فقال عمر : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان عدوُّ الله ، قد أمكن الله منه بلا عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه . فقال العباس : إني قد أجرته ! ثم التزم^(٥) رسول الله ، فقال : والله لا يناجيه الليلة أحدٌ دوني . فلما أكثر عمر في أبي سفيان قال العباس : مهلاً يا عمر ! وتلاحياً^(٦) . فقال النبي عليه السلام للعباس : اذهب به فقد أجرته ، فليبت عندك حتى تغدو علينا إذا أصبحت . فغدا به . فقال له رسول الله : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك^(٧) أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله^(٨) لقد أغنى عني شيئاً بعد . قال : يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني

(١) في (خ) « من تعرف ومن لا تعرف » . (٢) في (خ) « فقال أبو سفيان يا رسول الله وحكيم بن حزام » .
 (٣) الحدُّ : الشدة ، وهي في (خ) « جدك » .
 (٤) في (خ) « لأرجوا » .
 (٥) التزمه : اعتنقه .
 (٦) تلاحيا : تنازعا .
 (٧) ألم يأن : ألم يجز .
 (٨) في (خ) « إله » .

رسول الله ؟ [قال]^(١) : بأبي أنت وأمي ! ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ! أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لشيئاً بعد ، فقال العباس : ويحك ! اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل والله أن تُقتل ! فشهد شهادة الحق .

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقال العباس : يا رسول الله ! إنك قد عرفت أبا سفيان وجهه الشرف والفخر ، اجعل له شيئاً . قال : نعم ! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق [عليه]^(٢) داره فهو آمن . وأمر ألا يُجهز على جريح ، ولا يتّبع مدبر . ويروى أن أبا سفيان وحكيماً قالا : يا رسول الله ! ادع الناس إلى الأمان ! أ رأيت إن اعتزلت قريش وكفت أيديها ، آمنون هم ؟ قال : نعم ! من كفّ يده وأغلق [عليه]^(٣) بابه فهو آمن . قالوا : فابعثنا نؤذن فيهم بذلك . قال : انطلقوا ، فمن دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن ، ودارك يا حكيم ، و [ومن]^(٤) كفّ يده فهو آمن .

رد أبي سفيان بعد فراقه

فلما توجهوا قال للعباس : إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه ويكفر ، فاردده حتى يفقه ويرى جنود الله معك . فأدركه عباس فحبسه ، فقال : أغدراً يا بني هاشم ؟ قال : ستعلم أنا لسنا بغدر^(٥) ، ولكن لي إليك حاجة ، فأصبح حتى تنظر إلى جنود الله ، وإلى ما أعدّ للمشركين . فحبسه بالمضيق — دون الأراك إلى مكة — حتى أصبحوا . وقيل : بل قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان : احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها . فعدل به العباس في مضيق الوادي ، وأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى : لتصبح كل قبيلة قد ارتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته ، وتظهر كل ما معها من العدة .

(١) زيادة في السياق .

(٢) غدر : جمع غدر ، وهو الغادر .

تعبئة المسلمين ومروورهم على أبي سفيان

فأصبح الناس على ظهر^(١)، وعباً رسول الله ﷺ أصحابه ، فجعل أبا عبيدة ابن الجراح^(٢) على المقعدة ،

(١) على استعداد للسفر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي الفهري المكي . أحد السابقين الأولين ، عزم الصديق على توليته الخلافة ، وأشار به يوم السقيفة ، لكمال أهليته عند أبي بكر . يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر ، شهد له النبي ﷺ بالجنة ، وسماه أمين الأمة ، ومناقبه شهيرة جمة ، وغزا غزوات مشهورة ، له في صحيح مسلم حديث واحد ، وله في جامع أبي عيسى حديث ، وله في مسند بقي خمسة عشر حديثاً .

وقد شهد أبو عبيدة يلوأ ، فقتل يومئذ أباه ، وأبلى يوم أحد بلاءً حسناً ، ونزع الحلقة اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته ، فأنقلعت بهما ثنياته ، حتى قيل : ما روي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة ، وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم . وكان موصوفاً بحسن الخلق ، وبالحلم الزائد والتواضع . ولما فرغ الصديق من حرب أهل الردة ، وحرب مسيلمة الكذاب ، جهز أمراء الأجناد لفتح الشام ، فبعث أبا عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحيل بن حسنة ، فتمت وقعة أجنادين بقرب الرملة ، ونصر الله المؤمنين ، فجاءت البشري ، والصديق في مرض الموت .

ثم كانت وقعة فحل ، ووقعة مرج الصفر ، وكان قد سير أبو بكر خالداً لغزو العراق ، ثم بعث إليه لينجد من بالشام ، فقطع المفاوز على برية السماوة ، فأمره الصديق على الأمراء كلهم ، وحاصروا دمشق ، وتوفي أبو بكر ، فبادر عمر بعزل خالد ، واستعمل على الكل أبا عبيدة ، فجاءه التقليد ، فكتمه مدة ، وكل هذا من دينه ولينه وحلمه ، فكان فتح دمشق على يده ، فعند ذلك أظهر التقليد ، ليعقد الصلح للروم ، ففتحوا له باب الجابية صلحاً ، وإذا بخالد قد افتتح البلد غنوة من الباب الشرقي ، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح .

وعن المتغيرة ، أن أبا عبيدة صالحهم على أنصاف كنائسهم ومنازلهم ، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يوم وقعة اليرموك ، التي استأصل الله فيها جيوش الروم ، وقتل منهم خلق عظيم . وتوفي أبو عبيدة رضي الله عنه في سنة ثمان عشرة ، وله ثمان وخمسون سنة .

* (مسند أحمد) : ١ / ١٩٥ - ١٩٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١ / ٤٠٩ ، (التاريخ الكبير) : ٦ / ٤٤٤ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٠ ، (المعارف) : ٢٤٧ - ٢٤٨ ، (تاريخ الطبري) : ٣ / ٢٠٢ (الجرح والتعديل) : ٦ / ٦٣٥ ، (المستدرک) : ٣ / ٢٦٢ - ٢٦٨ ، (حلية الأولياء) : ١ / ١٠٠ - ١٠٢ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٩٢ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٢٠ - ٢١ ، (الكامل في التاريخ) : ٢ / ٢٥٩ ، (تاريخ الإسلام) : ١٣٨ / ٢ =

وخالد بن الوليد^(١) على الميمنة ، والزبير بن العوام^(٢)

= (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٦٣٠ ، (الإصابة) ٣ / ٥٨٦ - ٥٩٠ ، (تاريخ الخميس) : ٢ / ٢٤٤ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢١٤ - ٢١٩ ، (فتح الباري) : ٧ / ١١٦ - ١١٧ ، (صحيح سنن ابن ماجه) : ١ / ٢٩ ، (سير أعلام النبلاء) ١ / ٥ - ٢٣ ، (الزهد للإمام أحمد) : ١٧٦ ، (زاد المعاد) : ٣ / ١٩٧ ، ٢٠٤ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥٩ ، (التاريخ الصغير) : ٤٠ / ١ .

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب ، سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، ليث المشاهد ، السيد الإمام الكبير ، وقائد المجاهدين ، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث .

هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان ، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة ، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة : مولاهُ زيد ، وابن عمه جعفر ذو الجناحين ، وابن رواحة ، وبقي الجيش بلا أمير ، فتأمر عليهم في الحال خالد ، وأخذ الراية ، وحمل على العدو ، فكان النصر ، وسمّاه النبي ﷺ سيف الله ، فقال : إن خالداً سيف سله الله على المشركين ، وشهد الفتح ، وحنيناً ، وتأمر في أيام النبي ﷺ ، واحتسب أذراعه ولأمنته في سبيل الله ، وحارب أهل الردّة ، ومسيلمة ، وغزا العراق ، واستظهره ، ثم اخترق البرية السماوية ؛ بحيث أنه قطع المفازة من حدّ العراق إلى أول الشام في خمس ليالٍ ، في عسكر معه ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء .

ومناقبه غزيرة ، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد ، وحاصر دمشق ، فافتتحها هو وأبو عبيدة رضي الله عنهما . له في الصحيحين حديثان ، وفي مسند بقي واحد وسبعون ، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين . وذكر محمد بن سلام قال : لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد ابن الوليد ، يقول : خلقت رأسها .

• (مسند أحمد) : ٤ / ٨٨ ، (ابن هشام) : ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٩ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٥٢ (التاريخ الصغير) : ١ / ٢٣ ، ٤٠ ، (المعارف) : ٢٦٧ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٣٥٦ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٢٧ - ٤٣١ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٨٢ - ١٧٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ١٤٢ ، (الإصابة) : ٢ / ٢٥١ - ٢٥٦ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٣٦٦ - ٣٧٥ .

(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد المزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب ، حواري رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السّنة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أبو عبد الله رضي الله عنه . أسلم وهو حدث ، له ستة عشرة سنة روي أحاديث يسيرة ، اتّفقا له على حديثين ، وانفرد له البخاري بأربعة أحاديث ، ومسلم بحديث . وعن عمر بن مصعب بن الزبير قال : قاتل الزبير مع نبي الله ، وله سبع عشرة سنة ، وقال هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء ، فنزل جبريل على سيماء الزبير . وهو ممن هاجر إلى الحبشة ، فيما نقله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، ولم يطول الإقامة بها .

عن علي بن زيد : أخبرني من رأى الزبير ، وفي صدره أمثال العيون من الطعن والرقي ، وعن عروة قال : كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف ، إحداهن في عاتقه ، إن كنت لأدخل أصابعي فيها ، ضرب =

على الميسرة ، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القلب ، وقدم بين يديه الكتائب فمَرَّتِ القبائل على قادتها ، والكتائب على راياتها . فقدم خالد بن الوليد في بني سُلَيْم^(١) - وهم ألف

ثنتين يوم بدر ، وواحدة في اليرموك .

عن ابن عباس أنه قال للزبير يوم الجمل : يا ابن صفية ! هذه عائشة ثَمَلْتُكَ الْمُلْكُ صَلَحة ، وأنت علام تقاتل قريك علياً ؟ فرجع الزبير ، فلقى ابن جُرموز قُتله .
قال البخاري وغيره : قُتِلَ في رجب سنة ست وثلاثين .

• (مسند أحمد) : ١ / ١٦٤ - ١٦٧ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٧٠ - ٨٠ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٤٠٩ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٧٥ ، (المعارف) : ٢١٩ - ٢٢٧ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٥٧٨ ، (المستدرک) : ٣ / ٣٥٩ - ٣٦٨ ، (حلية الأولياء) : ١ / ٨٩ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٥١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٨٠ - ١٨٣ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٥ - ١٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ١٩٤ - ١٩٦ ، (تهذيب التهذيب) : ٣ / ٣١٨ ، (الإصابة) : ٢ / ٥٥٣ - ٥٥٨ ، (تاريخ الخميس) : ١ / ١٧٢ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٠٤ - ٢١٢ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٣٨ ، ١٨٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٨٢ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤١ ، (المعارف) : ٢١٩ - ٢٢٠ ، (الزهد للإمام أحمد) : ١٣٧ .

(١) هم بنو سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصْصَة بن قيس بن عِيلان ، وَلَدَ سُلَيْم بن منصور : بُهْثَة ، فولد بُهْثَة بن سُلَيْم : الحارث ؛ وثعلبة ، بطن صغير ؛ وامرؤ القيس ؛ وعوف ، وكان كاهناً ؛ وثعلبة ؛ ومعاوية . (جهمرة أنساب العرب) : ٢٦١ .

- وبُهْثَة بطن من قيس عيلان ، وهو الذي يُنسب إليه بنو سليم ، وهم بنو بُهْثَة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خَصْصَة بن قيس عيلان بن مضر ، منهم عمرو بن عبسة السَّلَمي ، وهو بُهْثِي ، وكذلك العرباض بن سارية وغيرهما ، وبنو بُهْثَة بن حرب بن وهب بن بَلِي بن أَحْمَس بن ضبيعة ، وفي العرب بنو بهْثَة جماعة . (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ١٩١ ، (معجم قبائل العرب) : ١ / ١٠٩ .
- وروي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «أنا ابن العواتك من سُلَيْم» والعواتك من جداته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع كل تسمى عاتكة ، وهن : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف ، وعاتكة بنت مرة بنت هلال بن فالج أم هاشم ، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنه ، وبقية التسع من غير بني سليم . وعاتكة : اسم منقول من الصفات ، يقال امرأة عاتكة ، وهي المصفرة بالزعفران والطيب ، والعاتك : الكريم والخالص من الألوان ، والعواتك من الصحايات هن : عاتكة بنت أُسَيْد ، وبنت خالد ، وبنت زيد بن عمرو ، وبنت عبد المطلب ، وبنت عوف ، وبنت نُعَيْم ، وبنت الوليد . (ترتيب القاموس المحيط) : ٣ / ١٥٠ - ١٥١ .

وحديث «أنا ابن العواتك» ، ذكره الألباني في (الصحيحة) : ١٥٦٩ ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وقال الذهبي ، كابن عساكر في التاريخ : اختلف على هُثَيْم فيه ، وهو هُثَيْم بن بشر السَّلَمي ، أبو معاوية الواسطي الحافظ ، أحد الأعلام ، سمع الزهري ، وحسين بن عبد الرحمن . وعنه يحيى القطان ، وأحمد ، ويعقوب الدُّورقي ، وخلق كثير . مولده سنة أربع ومائة ، وسمع من الزهري ، وابن عمر أيام الحج ، وكان مدلساً ، وهو لَيْث في الزهري . (ميزان الاعتدال) : ٤ / ٣٠٦ ، ت ٩٢٥٠ =

يحمل لواءهم عباس بن مرداس^(١) ،

= هيثم بن بشير الواسطي ، أحد الأئمة ، متفق على توثيقه ، إلا أنه كان مشهوراً بالتدليس وروايته عن الزهري خاصة لينة عندهم ، فأما التدليس ، فقد ذكر جماعة من الحفاظ أن البخاري كان لا يُخْرِج عنه إلا ما صرح فيه بالتحديث ، واعتبرت أنا هذا في حديثه ، فوجدته كذلك ، إما أن يكون قد صرح به في نفس الإسناد ، أو صرح به من وجه آخر ، وأما روايته عن الزهري فليس في الصحيحين منها شيء ، واحتج به الأئمة كلهم . والله أعلم . (هدي الساري) : ٦٢٦ . هشيم ، حجة يدلس ، وهو لين في روايته عن الزهري . (المغني في الضعفاء) : ٢ / ٧١٢ ، ت ٦٧٦٥ .

(١) هو عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن حُثَي بن الحارث ابن بُهثة بن سُلَيْم السلمي ، يكنى أبا الفضل ، وقيل أبا الهيثم . أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وكان مرداس أبوه شريكاً ومضافاً لحرب بني أمية ، ويزعم بعض أهل الأخبار أن الجن قتلتهما جميعاً ، وذكروا أن ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم ، فهماموا ولم يوجدوا ، ولم يسمع لهم بأثر : طالب بن أبي طالب ، وسنان ابن حارثة ، ومرداس بن أبي عامر ، أبو عباس بن مرداس .
وكان عباس بن مرداس من المؤلفات قلوبهم ومن حسن إسلامهم ، ولما أعطى رسول الله ﷺ المؤلفات قلوبهم من سبي حنين « الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن » مائة مائة من الإبل ، ونقص طائفة من المائة ، منهم عباس بن مرداس ، جعل عباس بن مرداس يقول ، إذا لم يبلغ به من العطاء ما بلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن :

أَتَجْعَلْ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعِيْبِ	— سد بين عيينة والأقرع
فَمَا كَانَ حَصْنٌ وَلَا حَابِسٌ	يفوقان مرداس في جميع
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا	ومن تضع اليوم لا يُرفع
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْقَوْمِ ذَا ثُدْرًا	فلم أعط شيئاً ولم أمنع
فَصَالًا أَفَاتِلَ أَعْطَيْتَهَا	عديداً قوائمها الأربع
وَكُنْتُ نَهَابًا تَلَايَيْتُهَا	بكرتي على المهر في الأجرع
وإِيقَاضِي الْقَوْمِ أَنْ يَرْقِدُوا	إذا هجع الناس لم أجمع

فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا فاقطعوا عني لسانه ، فأعطوه حتى رضي ، وكان شاعراً محسناً مشهوراً ، وله في يوم حنين أشعار حسان ، وهو القائل :

يَا خَاتِمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مَرْسَلٌ	بالحق كل هدى السبيل هداكاً
إِنَّ إِلَٰهَهُ بَنِي عَلِيٍّ حَبِيبٌ	في خلقه ، ومحمداً سماً

وكان عباس بن مرداس ممن حرم الخمر في الجاهلية . وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية أيضاً : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن مظعون ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقيس بن عاصم ، وحرمة قبل هؤلاء : عبد المطلب بن هاشم ، وعبد الله بن جُدعان ، وشيبة بن ربيعة ، وورقة بن نوفل ، والوليد ابن المغيرة ، وعامر بن الطرب ، ويقال : هو أول من حرمها في الجاهلية على نفسه ، ويقال : بل عفيف ابن معديكرب العبدي ، كان عباس بن مرداس ينزل بالبادية بناحية البصرة ، روي عنه ابنه كنانة ابن عباس .

* (تهذيب التهذيب) : ٥ / ١١٤ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢٧٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٥٣ / ٢ ، ٢٧١ ، ٣٤٦ ، ٥ / ٥١٦ ، (الإصابة) : ٣ / ٦٣٣ - ٦٣٤ ، (الاستيعاب) : =

وخفاف بن ندبة^(١) - فقال أبو سفيان^(٢) : من هؤلاء ؟ قال العباس^(٣) : خالد بن الوليد ، فلما حاذى خالد العباس وأبا سفيان ،

٢ / ٨١٧ - ٨٢٠ : (ابن هشام) : ٥ / ٩١ - ٩٢ ، (المعارف) : ٣٣٦ - ٣٤٢ ، (زاد المعاد) : ٣ / ٤٧٣ ، ٤٧٦ . (الشعر والشعراء) : ١٨٤ .

(١) هو خُفَّاف بن ندبة « بالحركات الثلاث » ابن عمرو بن عمر بن الشريد السلمي ، « ندبة أمه ، وأبوه عمير » . يكنى أبا خُرْشَة ، أو خُرَاشَة ، وهو ابن عم خنساء ، وصخر ، ومعاوية ، وخُفَّاف هذا شاعر مشهور بالشعر ، وكان أسودَ حالكاً . قال أبو عبيدة : هو أحد أغربة العرب . قال الأصمعي : شهد خُفَّافُ حنيناً . وقال غيره : شهد مع النبي ﷺ فتح مكة ، ومعه لواء بني سليم ، وشهد حُنيناً والطفائف . وقال أبو عبيدة : حدثني أبو بلال سهم بن العباس بن مرادس السلمي قال : غزا معاوية بن عمرو بن الشريد أخو خنساء مرةً وفزارة ومعه خُفَّاف بن ندبة ، فاعتوره هاشم وزيد ابنا حرملة المزنيان ، فاستطرد له أحدهما ، ثم وقف وشد عليه الآخر فقتله ، فلما تناذوا قتل معاوية . قال خُفَّاف ، قتلني الله إن رمْتُ حتى أثار به ، فشدَّ علي مالك بن حمار سيد بني شُمخ بن فزارة فقتله ، وقال :

فإن نكَّ تحيَّلي قد أصيب صميمها فعمداً على عيني تيممْتُ مالكا
وقفت لمعلومي وقد خان صحتي لأبني مجدداً أو لأثار هالكا
أقول له والرحم أناطر متشه تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

قال أبو عمر : له حديث واحد لا أعلم غيره ؛ رواه عن النبي ﷺ : فقلت : يا رسول الله ، أين تأمرني أن أنزل ؛ أعلى قرشي ؟ أم أنصاري ؟ أم أسلم ؟ أم غفار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يا خُفَّاف ، ابتغِ الرقيق قبل الطريق ، فإن عرض لك أمر نصرك ، وإن احتجت إليه رَفَدَكَ » . هذا الحديث عند الخطيب في الجامع ، من طريق عبد الله بن محمد الجاني ، عن أبيه عن جده قال : قال خُفَّاف بن ندبة : قال لي رسول الله ﷺ : يا خفاف ابتغِ الرقيق قبل الطريق ، وكلها ضعيفة .

• (المعارف) : ٣٢٥ ، ٥٩٧ ، (تاريخ الطبري) : ٣ / ٢٦٥ ، ٤٢٧ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٦٠٤ ، ٢٧٥ ، (الشعر والشعراء) : ٢١٢ ، (الإصابة) : ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٤٥٠ - ٤٥١ ، (إتحاف السادة المتقين) : ٧ / ٤٥٢ ، (كنز العمال) : ١٧٥٣٩ .

(٢) راجع ترجمته ص (١١) من هذا الجزء .

(٣) هو العباس ، عم رسول الله ﷺ ، قيل : إنه أسلم قبل الهجرة ، وكنم إسلامه ، وخرج مع قومه إلى بدر ، فأُسِّر يومئذ ، فادَّعى أنه مسلم ، فأنه تعالى أعلم ، وليس هو في عداد الطلقاء ، فإنه كان قدم إلى النبي ﷺ قبل الفتح ؛ ألا تراه أجاز أبا سفيان بن حرب ؟ وله عدة أحاديث ، منها خمسة وثلاثون في مسند بقي ، وفي البخاري ومسلم حديث ، وفي البخاري حديث ، وفي مسلم ثلاثة أحاديث ، وقدم الشام مع عمر .

قال الكلبي : كان العباس شريفاً مهيباً ، عاقلاً جميلاً ، أبيض بضاً ، له صغيرتان ، معتدل القامة ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين .

بل كان من أطول الرجال ، وأحسنهم صورة ، وأبهام وأجهرهم صوتاً ، مع الحلم الوافر والسؤدد . =

كبر بمن معه ثلاثاً ومَضَوْا . ثم مرَّ على إثره الزبير بن العوام : في خمسمائة ومعه راية سوداء ، فلما حاذاهما كبر ثلاثاً وكبر أصحابه ، فقال [أبو سقيان] : من هذا ؟ قال [العباس] : الزبير بن العوام . قال : ابن أختك ؟ قال : نعم ! ومَرَّت بنو غِفَار^(١) في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر الغِفاري^(٢) [ويقال : إيماء

= روي مغيرة عن أبي رزين ، قال : قيل للعباس : أنت أكبر أو النبي ﷺ ؟ قال : هو أكبر مني وأنا ولدْتُ قبله ، وكان يمنع الجار ، ويذل المال ، ويعطي في النوائب .

وثبت أن العباس كان يوم حنين ، وقت الهزيمة ، أخفاً بلجلم بقلة النبي ﷺ وثبت معه حتى نزل النصر . وثبت من حديث أنس : أن عمرا استسقى فقال : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبيك توسلنا به ؛ وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس .

قال الضحاک بن عثمان الحزامي : كان يكون للعباس الحاجةُ إلى غلمانِه وهم بالغابة ، فيقف على سَلْع ، وذلك في آخر الليل فيناديهم ، فيُسمِعُهُم ، والغابة نحو من تسعة أميال .

كان تَأَمَّ الشكل ، جهوري الصوت جداً ، وهو الذي أمره النبي ﷺ أن يهتف يوم حنين : يا أصحاب الشجرة .

كانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ، وله ست وثمانون سنة ، ولم يبلغ أحد هذه السن من أولاده ، ولا أولادهم ، ولا ذريته الخلفاء ، وقبره بالقيع .

• (مسند أحمد) : ١ / ٢٠٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٥ - ٣٣ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٧ ، (المعارف) : ١١٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢ ، (الجرح والتعديل) : ٦ / ٢١٠ ، (المستدرک) : ٣ / ٣٢١ - ٣٣٤ ، (تهذيب التهذيب) : ٥ / ٢١٤ - ٢١٥ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٨١٠ ، ٨١٧ ، (صفة الصفوة) : ١ / ٢٦٢ - ٢٦٤ ، (الإصابة) : ٣ / ٦٣١ - ٦٣٢ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٣٥ ، (كنز العمال) : ٣ / ٥٠٢ .

(١) غِفَار بن مُثَلِّل : بطن من كنانة من العدنانية ، وهم بنو غفار بن مُثَلِّل بن ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناف ابن كنانة بن حُزَيْمَةَ بن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كانوا حول مكة ، ومن مياهم : بدر ، ومن أوديتهم ودَّان .

وقد قاتلوا مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين ، وعددهم ألف ، فقال رسول الله ﷺ : الأنصار ، ومُزَيْنَةُ ، وَجُهَيْنَةُ ، وغفار ، وأشجع ، ومن كان من بني عبد الله ، موالِي دون الناس ، والله ورسوله مولاهم .

وولد مُثَلِّل بن ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : غفار بطن ضخم ، ونُعَيْلَة . منهم : الحكم ابن عمرو بن مجدع بن حُلَيْم بن الحارث بن نُعَيْلَة بن مُثَلِّل ، له صُحْبَة ورواية ولي خُرَّاسان ؛ وأبو سُرَيْحَة حذيفة بن أمية بن أسيد بن الأُهوَص بن واقعة بن حرام بن غفار ، له صحبة ورواية ، وأبو ذر الصاحب .

(معجم قبائل العرب) : ٣ / ٨٩٠ ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٨٦ ، (ترتيب القاموس المحيط) : ٣ / ٤٠٦ ، (معجم البلدان) : ٥ / ٤٢٠ ، (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٢ / ٣٨٧ .

(٢) هو جندب بن جنادة الغفاري ، وقيل : جندب بن سكن . وقيل : بُرَيْر بن جنادة ، وقيل : بُرَيْر ابن عبد الله ، وثبَّاني الدمياطي : أنه جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار - أخي =

ابن رَحْضَةَ [١] ، فلما حاذَوْهُمَا كَبُرُوا ثَلَاثًا ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال

= ثعلبة - ابني مُلَيْل بن ضمرة ، أخِي لَيْث والدَيْل ، أولاد بكر ، أخِي مرة ، والد مُدْج بن مرة ، ابني عبد مناة بن كنانة .

أحد السابقين الأولين ، من نجباء أصحاب محمد ﷺ . قيل : كان خامس خمسة في الإسلام . ثم إنه رَدَّ إلى بلاد قومه ، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك ، فلما أن هاجر النبي ﷺ ، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ، ولازمه ، وجاهد معه ، وكان يُقْتَى في خلافة أبي بكر ، وعمر وعثمان ، وكان رأساً في الزهد ، والصدق ، والعلم ، والعمل ، قَوَّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على جِدِّهِ فيه ، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر - مع قُوَّة أبي ذر في بدنه وشجاعته - : « يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسِي ، لا تأمُرْني على اثنين ، ولا تَوَلِّني مال يتيم » .

فهذا عمول على ضعف الرأي ؛ فإنه لو وَلِّي مال يتيم لأنفقه كُلِّهِ في سبيل الخير ، ولترك اليتيم فقيراً ، فإنه كان لا يستجيز إدخال النقدين ، والذي يتأمر على الناس ، يُريد أن يكون فيه حلم ومدارة ، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه جِدَّة فنصحه النبي ﷺ .

وله مائتا حديث وأحد وثمانون حديثاً ، اتَّفَقَ منها على اثني عشر حديثاً ، وانفرد البخاري بمحدثين ، ومسلم بتسعة عشر .

قال الواقدي كان حامل راية غفار يوم حنين أبو ذر . قال الفلاس والعيصم بن عدِّي وغيرهما : مات سن اثنتين وثلاثين ، ويقال : مات في ذي الحجة .

* (الزهد للإمام أحمد) : ١٣٩ ، (مسند أحمد) : ١٤٤ / ٥ ، (طبقات ابن سعد) : ٢١٩ / ٤ - ٢٣٧ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٢١٢ ، (المعارف) : ٢ / ٦٧ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، (تاريخ الطبري) : ٤ / ٢٨٣ ، (المستدرک) : ٣ / ٣٣٧ - ٣٤٦ ، (حلية الأولياء) : ١ / ١٥٦ - ١٧٠ ، (الاستيعاب) : ١ / ٢٥٢ - ٤٥٦ ، ٤ / ١٦٥٢ - ١٦٥٦ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٥٠ - ٥٩ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٦٥ - ١٧٠ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٩٨ - ٩٩ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١ / ١٧٣ (كنز العمال) : ١٣ / ٣١١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٤ ، ٥٦ ، ٦٣ ، (الإصابة) : ١ / ٥٠٦ ، ٧ / ١٢٥ - ١٣٠ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٤٦ - ٧٨ .

(١) هو إِيْمَاء بن رَحْضَةَ بن خُرَيْبَة بن خُفَاف بن حَارِثَة بن غَفَار ، قديم الإسلام ، قال ابن المديني : له صحيحة . قال : وقد روي حنظلة الأسلمي عن خُفَاف بن إِيْمَاء بن رَحْضَةَ حديث القنوت ، وقال بعضهم : عن إِيْمَاء بن رَحْضَةَ .

وروي مسلم في صحيحه ، قصة إسلام أبي ذر ، من طريق عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر ، وفيها : فجئنا قومنا فأسلم نصفهم قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم إِيْمَاء بن رَحْضَةَ الغفاري . ولكن ذكر الإمام أحمد في هذا الحديث الاختلاف على رواية سليمان بن المغيرة ؛ هل هو خُفَاف بن إِيْمَاء أو أبوه إِيْمَاء بن رَحْضَةَ ؟ وعلى هذا فيمكن أن يكون إسلام خُفَاف تقدم على إسلام أبيه . وذكر الزبير بن بكار من حديث حكيم بن حزام ، أن إِيْمَاء بن رَحْضَةَ حضر بدرأ مع المشركين ، فيكون إسلامه بعد ذلك .

العباس : بنو غفار . فقال : مالي ولبنني غفار !! ثم مضت أسلم^(١) في أربعمائة فيها لواءان يحمل أحدهما بُريدة بن الحصيب^(٢) ، والآخر ناجية بن الأعجم^(٣) .

= وقال ابن سعد : كان قد سكن غَيْقَةَ من ناحية السُّقْيَا ، ويأوى إلى المدينة ، وقال أبو عمر في الاستيعاب : أسلم قريباً من الحديبية ، وكانوا مَرَّوا عليه بيذر وهو مشرك ، ولابنه خُفَاف صُحْبَةٌ ، وكانوا ينزلان غَيْقَةَ من بلاد بني غفار ، ويأتون المدينة كثيراً ، ولابنه خُفَاف رواية عن النبي ﷺ .
• (الإصابة) : ١ / ١٦٩ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٣٥ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٢١ ، (مسلم بشرح النووي) : ١٦ / ٣١ .

(١) أسلم بن أقصي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، منهم أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي ، له صُحْبَةٌ ، أبو برزة الأسلمي وغيرهما . (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ٥٨ .

وَلَدَ أسلم بن أقصي : سلامان بن أسلم ، بطنٌ ؛ وهوازن بن أسلم ، بطنٌ ؛ منهم : مالك والنعمان ابنا خلف بن عوف بن دارم بن عد بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم ، كانا طَلِيعَتَيْنِ للنبي ﷺ يوم أُحُد ، قُتِلَا فُدُنَا في قبر واحد ؛ وبُريدة بن الحُصَيْبِ الأسلمي . (جمهرة أنساب العرب) : ٢٤٠ .

(٢) هو بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْبِ بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد . أبو عبد الله ، وقيل أبو سهل ، وأبو ساسان ، وأبو الحُصَيْبِ ، الأسلمي . قيل إنه أسلم عام الهجرة ، إذ مرَّ به النبي ﷺ مهاجراً ، وشهد غزوة خيبر ، والفتح ، وكان معه اللواء ، واستعمله النبي ﷺ على صدقة قومه . وكان يحمل لواء الأمير أسامة حين غزا أرض البلقاء ، إثر وفاة رسول الله ﷺ .
له جملة أحاديث ، نحو مائة وخمسين حديثاً ، نزل مَرَّو ، ونُشِرَ العلم بها ، وسكن البصرة مدة ، ثم غزا خراسان زمن عثمان ، وكان بُريدة من أمراء عمر بن الخطاب في نوبة سَرَّغ . وقال ابن سعد : مات بُريدة سنة ثلاثٍ وستين .

• (مسند أحمد) : ٥ / ٣٤٦ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٧ / ٣٦٥ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ١٤١ ، (المعارف) : ٣٠٠ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٤٢٤ ، (الإصابة) : ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٨٥ - ١٨٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧٠ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٤٦٩ - ٤٧١ .

(٣) هو ناجية بن الأعجم الأسلمي ، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني الهيثم بن واقد عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه قال : حدثني أربعة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أن ناجية بن الأعجم هو الذي نزل بالسهم في البئر بالحديبية فجاشت بالرواء حتى صدروا بعطن .

قال : وقال محمد بن عمر : ويقال الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب ، ويقال : البراء بن عازب ، ويقال : عباد بن خالد الغفاري ، والأول أثبت أنه ناجية بن الأعجم ، وعقد رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لأسلم لواءين ، فحمل أحدهما ناجية بن الأعجم ، والآخر بريدة بن الحُصَيْبِ .

ومات ناجية بن الأعجم بالمدينة ، في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وليس له عقب .
• (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٣١٤ - ٣١٥ ، (مغازي الواقدي) : ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٨٠٠ ،

٨١٩ ، (الإصابة) : ٤ / ٣١٤ - ٣١٥ .

فلما حاذوهما كبروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم . قال مالي ولأسلم ! ما كان بيننا وبينهم ترة^(١) قط . قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام ثم مرت بنو كعب بن عمرو^(٢) في خمسمائة ، يحمل لواءهم بسر بن سفيان^(٣) . قال من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . ثم مرت مزيته^(٤)

(١) الترة : الثأر ، كناية عن هوانهم .

(٢) هم بنو كعب بن عمرو مزيقياء ، ولذ كعب بن عمرو مزيقياء : ثعلبة ، وامرؤ القيس قاتل الجوع ؛ وجبله ؛ ومالك . منهم الثمس ، وهو يزيد ابن الأسود بن معد بن شراحيل بن الأرقم بن الأسود ابن ثعلبة بن كعب ، دخل مع جبلة إلى الروم ؛ ثم رجع مسلماً ، ولولده بالشام عددٌ وشرف ؛ ورجع معه جماعة من غسان مسلمين .

وممنهم : فروة بن المنذر ، قاتل مع ابن الزبير ، والسموعل بن جيا بن عادياء بن رفاعه بن الحارث ابن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقياء ، وكان يهودياً ، وهو الذي يضرب به المثل في الوفاء ، وهو صاحب ثيماء ؛ وولده شريح بن السموعل ، ولولده هنالك عدد ، ومدحه الأعشي ، وكانوا ملوك تيماء . والكسبي : نسبة إلى سبعة رجال ، ذكرهم ابن الأثير في تهذيب الأنساب فليراجع هناك . * (جمهرة أنساب العرب) : ٣٧٢ ، (اللباب في تهذيب الأنساب) : ١٠١ / ٣ - ١٠٢ ، (الاشتقاق) : ٤٣٦ .

(٣) هو بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صرمة بن عبد الله بن عمير بن حبيشة بن سلول الخزاعي ، قال ابن الكلبي : كتب إليه النبي ﷺ وكان شريفاً . وقال أبو عمر : أسلم سنة ست ، وجرى ذكره في حديث الحديبية وغيره . قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً ، وساق معه المهدي سبعين بذنة ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بسر بن سفيان الكسبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسرك ، فخرجت معها العوذ المطافيل ، فذكر الحديث مطولاً .

وله يقول عبد الله بن الزبيري في قصة طلب آل مخزوم بدم الوليد بن الوليد بن المغيرة من خزاعة .

ألا بلقا بسر بن سفيان آله يلغها عني الحبير المفرّد

فذكر القصيدة ، قال : فأخذ بسر بيد ابنه فقال : يا معشر قريش ، هذا ابني رهين لكم بالدية ، فأخذه خالد بن الوليد ، فأطعمه وكساه حلّة وطيبه ، وقال : انطلق إلى أبيك ، فحمل بسر بن سفيان إليهم دية الولد . وفرد الرجل : إذا تفقه وخللا بمراعاة الأمر والنهي ، وقد جاء في الخبر : طوبى للمفردين .

* (الإصابة) : ١ / ٢٩٢ ، (طبقات ابن سعد) : ٩٥ / ٢ ، ١٦٠ ، ٢٩٤ / ٤ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٦٦ ، (مغازي الواقدي) : ٥٩٢ ، ٩٤٣ ، (مسند أحمد) : ٤ / ٣٢٣ ، (لسان العرب) : ٣ / ٣٣٢ مادة « فرد » .

(٤) نُسبوا إلى مزية بنت كلب بن وبرة ، أم عثان وأوس ، وهم قبيلة كبيرة ، منها عبد الله بن مققل المزني ، له صُحبة ومققل ، والنعمان وسويد بنو مققل المزني ، لهم صحبة ، وأبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري صاحب الشافعي ، وأما أحمد بن إبراهيم بن العيزار المزني ، فإنه نسبة إلى قرية مزية ، وهي =

في ألف - فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس ، يحمل ألويتها : النعمان بن مقرن^(١) ،
وبلال بن الحارث^(٢) ، وعبد الله بن عمر^(٣) - فلما حاذوه كبروا ، فقال : من

= من قرى سميرقد وتحرك النسبة إليها .

• (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ٢٠٥ ، (جوهرة أنساب العرب) : ٢٠١ ، (معجم البلدان) : ١ / ٦١٤ ، مراصد الاطلاع : ١ / ٢٣٦ ، (معجم ما استعجم) : ١ / ٢٨٧ ، الاشتقاق : ١٨٠ .

(١) هو النعمان بن مقرن أبو حكيم ، وقيل : أبو عمرو المزني الأمير ، صاحب رسول الله ﷺ ، كان إليه لواء قومه يوم فتح مكة ، ثم كان أمير الجيش الذين افتتحوا نهاوند ، فاستشهد يومئذ ، وكان مجاب الدعوة ، فنعاه عمر على المنبر إلى المسلمين ، وبكى .

حدث عنه ابنه معاوية ، ومفضل بن يسار ، ومسلم بن الهيثم ، وجبير بن حية الثقفي ، وكان مقتله في سنة إحدى وعشرين ، يوم الجمعة ، رضي الله عنه .

• (مسند أحمد) : ٥ / ٤٤٤ ، (الإصابة) : ٦ / ٤٤٩ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٥٠٥ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٤٠٧ ، (خلاصة تهذيب الكمال) : ٣ / ١٩٦ ، (التاريخ الكبير) : ٨ / ٧٥ (المستدرک) : ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣٢ ، (المعارف) : ٧٥ ، ١٨٣ ، ٢٩٩ ، (طبقات ابن سعد) : ٦ / ١٨ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٤٤٤ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣٥٦ - ٣٥٨ .

(٢) هو بلال بن الحارث بن غصم بن سعيد بن قرة بن خلوة - بالخاء المعجمة المفتوحة - ابن ثعلبة ابن ثور ، أبو عبد الرحمن المزني ، من أهل المدينة ، أقطعه النبي ﷺ العقيق .

وفد على النبي ﷺ في وفد مزيئة سنة خمس من الهجرة ، وسكن موضعاً يعرف بالأشعر وراء المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، وكان صاحب لواء مزيئة يوم الفتح . ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من المهاجرين ، توفي سنة ستين في خلافة معاوية رحمه الله ، وهو ابن ثمانين سنة . وابنه حسّان بن بلال ، أول من أحدث الإرجاء بالبصرة .

• (شذرات الذهب) : ١ / ٦٥ ، (الاستيعاب) : ١ / ١٨٣ ، (الإصابة) : ١ / ٣٢٦ ، (تهذيب التهذيب) : ١ / ٤٤٠ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٣٣٩ ، (حلية الأولياء) : ٨ / ١٨٧ ، (المعارف) : ٢٩٨ ، (مغازي الواقدي) : ٢٧٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٥٧١ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، ١٠١٤ ، ١٠٢٩ .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن ثعلبة بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عددي بن كعب ابن لؤي بن غالب ، الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ، ثم المدني . أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه قبل أن يحتلم ، واستصفر يوم أحد ، فأول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وأمه وأم المؤمنين حفصة ، زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي .

روي علماً كثيراً نافعاً عن النبي ﷺ ، وعن أبيه ، وأبي بكر ، وعثمان ، وعلي ، وبلال ، وصهيب ، وعامر بن ربيعة ، وزيد بن ثابت ، وزيد عمه (زيد بن الخطاب) ، وسعد ، وابن مسعود ، وعثمان ابن طلحة ، وأسلم ، وحفصة أخته ، وعائشة ، وغيرهم .

هؤلاء ؟ قال : مزينة . قال : مالي ولمزينة ! جاءتني تقعقع من شواهقها^(١) ! ثم مرّت جهينة^(٢) في ثمانمائة -

= روي عنه الحسنُ البصريُّ وطاؤوس ، وابن شهاب الزُّهريُّ ، وأُمّ سواهم . قدم الشام والعراق ، والبصرة وفارس غازياً ، وقال ابن يونس : شهد ابن عمر فتح مصر ، واختط بها ، وروي عنه أكثر من أربعين نفساً من أهلها .

قال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر ، وعن عائشة رضي الله عنها : ما رأيْتُ أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر .

قال مالك : كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت ، عبد الله بن عمر ، مكث ستين سنة يُفتي الناس .

عن مالك ، بلغه أن ابن عمر قال : لو اجتمعت عليّ الأمة إلا رجلين ما قاتلتهما ، ولابن عمر في مسند بقي ألفان وستائة وثلاثون حديثاً بالمرّ ، واتفقا له على مائة وثمانية وستين حديثاً ، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثاً ، ومسلم بأحدٍ وثلاثين .

قال ضَمْرَةُ بنُ ربيعة : مات ابن عمر سنة ثلاثٍ وسبعين . وقال مالك : بلغ ابنُ عمر سبعاً وثمانين سنة .

• (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٣٧٣ ، ٤ / ١٨٨ ، (الزهد للإمام أحمد) : ٢٣٧ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ١٥٤ ، (حلية الأولياء) : ١ / ٢٩٢ - ٣١٤ ، (المعارف) : ٣٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٨٤ - ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٧٤ ، ٣٦٤ ، ٤٠١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٧٨ ، ٢٨١ ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٢٨ - ٣١ ، (جهمرة أنساب العرب) : ١٥٢ ، (المستدرک) : ٣ / ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، (جامع الأصول) : ٩ / ٦٤ ، (تاريخ بغداد) : ١ / ١٧١ - ١٧٣ ، (المرح والتعديل) : ٥ / ١٠٧ ، (مرآة الجنان) : ١ / ١٥٤ ، (البداية والنهاية) : ٩ / ٧ - ٩ ، (الإصابات) : ٤ / ١٨١ - ١٨٨ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٨١ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٨١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٣ / ٢٠٣ - ٢٣٩ .

(١) القعقاع : من إذا مشى سَمِعَ لمفاصل رجله تَقَعَّقَع . (ترتيب القاموس) : ٣ / ٦٦٠ ، والشواحق : جمع شاهق ، وهي الجبال العالية ، وكانت مُزينة من أصحاب الجبال ، وكني أبو سفيان بذلك عن أنهم أجلاف غلاظ .

(٢) جُهَيْنَةُ بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ، ولد جُهَيْنَةُ بن زيد : قيس ، ومودوعة . فولد قيس ابن جهينة : غطفان وغَيَّان ؛ وفد بنو غَيَّان على رسول الله ﷺ فقال لهم : أنتم بنو رشدان ، وكان وادهم يسمى غَوَى ، فسميَ رشداً .

ويُنسَب إليها خلق كثير من الصحابة التابعين ومن بعدهم . قال ابن الأثير في (الباب) : هكذا قال السمعاني جُهينة ، واسمه زيد ، وليس كذلك ، وإنما جُهينة هو ابن زيد ، وأسلم بضم اللام . وجُهينة أيضاً قرية من قرى الموصل ، منها تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد ابن خميس الموصلِي الجُهني ، الفقيه المحدث المشهور .

• (الباب في تهذيب الأنساب) : ١ / ٣١٧ - ٣١٨ ، (جهمرة أنساب العرب) : ٤٤٤ .

معها أربعة ألوية يحملها أبو روعة معبد بن خالد^(١) ، وسويد بن صخر^(٢) ،
ورافع بن مكيث^(٣)

(١) هو معبد بن خالد الجهني ، يكنى أبو روعة ، أو أبو زرع . ذكره الواقدي في الصحابة ؛ وقال :
أسلم معبد بن خالد قديماً ، وهو أحد الأربعة لذين حملوا ألوية جهينة يوم الفتح ، ومات سنة اثنتين
وسبعين ، وهو ابن بضع وثمانين ، وكان يلزم البادية .

وقال أبو أحمد في كتاب الكني في الرأ : أبو روعة هو معبد بن خالد الجهني ، له صُحبة ، كان
يلزم البادية ، ذكره الواقدي ، وقال عنه : توفي سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن ثمانين سنة . وكذلك
قال ابن أبي حاتم سواء في الكنية والسّن والوفاة ، وقالوا : له صُحبة ، وزاد ابن أبي حاتم : وروي
عن أبي بكر وعمر . وقال ابن أبي حاتم : هو غير معبد بن خالد الذي هو عندهم أول من تكلم بالقدر
بالبصرة . وقال : لا يعرف معبد الجهني ابن من هو ؟ وليس ابن خالد ، وقال غيره : هو نفسه .
* (مغازي الواقدي) : ٥٧١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، ٩٤٠ ، ١٠٣٨ ، (المعارف) : ١٢٢ ،
٤٤١ ، ٤٨٤ ، ٥٤٧ ، ٦٢٥ ، (الاستيعاب) : ٣ / ١٤٢٦ ، (الإصابة) : ٦ / ٣٦٤ - ٣٦٥ ،
(تاريخ الصحابة) : ٢٣٨ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧٨ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٢٥ ،
٧ / ٣٦٤ .

(٢) هو سويد بن صخر الجهني الأنصاري ، ذكر الطبري أنه كان أحد الأربعة الذين يحملون ألوية جهينة ،
وشهد الحديبية ، وذكره الواقدي في جملة العشرين الذين خرجوا إلى الرُنين في سرية غالب بن عبد الله
الليثي ، وهو والد عقبة بن سويد ، له صُحبة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، والبخاري في تاريخه
الكبير .

* (مغازي الواقدي) : ٥٧١ ، ٧٥١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، ٨٩٦ ، (التاريخ الكبير للبخاري) :
٤ / ١٤١ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٢٣٢ ، (الثقات) : ٣ / ١٧٨ ، (الإصابة) : ٣ / ٢٢٦ ،
(تاريخ الصحابة) : ١٢٥ ت ٥٩٢ .

(٣) هو رافع بن مكيث بن عمرو بن جراد بن يربوع بن طحيل بن عدي بن الرُبعة بن رشدان بن قيس
ابن جُهينة ؛ أسلم وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، وباع تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وكان
مع زيد بن حارثة في السرية التي وجهه فيها رسول الله ﷺ إلى حسمى ، وكانت في جمادي الآخرة
سنة ست ، وبعثه زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ بشيراً على ناقة من إبل القوم ، فأخذها منه علي
ابن أبي طالب في الطريق ، فردّها على القوم ، وذلك حين بعثه رسول الله ﷺ ليردّ عليهم ما أخذ
منهم ، لأنهم قد كانوا قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وكتب لهم كتاباً .
وكان رافع بن مكيث أيضاً مع كُرز بن جابر الفهري حين بعثه رسول الله ﷺ بذئ الجذُر ،
وكان مع عبد الرحمن بن سريته إلى دومة الجندل ، وبعثه بكتابه إلى رسول الله ﷺ بشيراً بما فتح
الله عليه .

ورافع بن مكيث أحد الأربعة الذين حملوا أولوية جُهينة الأربعة ، التي عقدها لهم رسول الله ﷺ ،
يوم فتح مكة ، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات جُهينة يُصدّقهم ، وكانت له دار بالمدينة ، ولجُهينة
مسجد بالمدينة .

* (طبقات ابن سعد) : ٢ / ٨٨ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، (الجرح والتعديل) : ٣ / ٤٨٠ ، (التاريخ =

وعبد الله بن بدر^(١) - فلما
حاذوهما كبروا ثلاثاً. ثم مرت كنانة^(٢) : [بنو ليث^(٣) ، وضمرة ، وسعد
ابن بكر]^(٤) في مائتين ، يحمل لواءهم أبو واقد الليثي^(٥) ، فلما حاذوهما كبروا

= الكبير (: ٣ / ٣٠٢ ، تهذيب التهذيب (: ٣ / ٢٠١ ، الإصابة) : ٢ / ٤٤٥ ، تاريخ
الصحابة (: ٩٨ ، الاستيعاب) : ٢ / ٤٨٥ .

(١) هو عبد الله بن بدر بن زيد بن معاوية بن حسان بن أسعد بن وديعة بن مبدول بن عددي بن غنم
ابن الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة ، وكان اسمه عبد العزى ، فلما أسلم غُيّر اسمه ، فسُمّي
عبد الله ، وأبوه بدر بن زيد الذي ذكره العباس بن مرداس في شعره .

وكان عبد الله بن بدر مع كُرْز بن جابر الفهري ، حين بعثه رسول الله ﷺ ، سرية إلى العُرَيْنِ
الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ بذي الجُدُر ، وهو أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة التي
عقدها لهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ، ونزل عبد الله بن بدر المدينة ، وله بها دار ، وكان ينزل
أيضاً البادية بالقبيلة جبال جهينة ، وقد روي عن أبي بكر . ومات رضي الله عنه في خلافة معاوية
ابن أبي سفيان .

• (تاريخ الصحابة) : ١٦١ ت ٧٩٠ ، (طبقات ابن سعد) : ١ / ٣٣٣ ، ٤ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
٥٥٦ / ٥ ، (التاريخ الكبير) : ٣ / ٢٣ ، (تاريخ الطبري) : ٧ / ٤١٥ ، ٤٥١ ، (مغازي
الواقدي) : ٥٧١ ، ٨٠٠ ، ٨٢٠ ، (الثقات) : ٣ / ٢٣٩ ، (الاستيعاب) : ٣ / ٨٧١ -
٨٧٢ ، (الإصابة) : ٤ / ١٩ - ٢٠ ، (الشعر والشعراء) : ١٨٤ .

(٢) ، (٣) ، (٤) كنانة : بطن من عذرة بن زيد اللات ، كان له من الولد عبد الله بطن ، وعوف وهم
العتطوان بطن . وأما كنانة كلب : فهو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة
ابن ثور بن كلب . وكنانة قريش : هو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهو والد
النضر جد قريش . ففي قول إن ولد النضر يقال لهم قريش ، وفي قول يقال ذلك لولد فهر بن مالك
ابن النضر . وإذا قيل في النسب كنانتي ، فهم ولد كنانة بن خزيمة غير النضر ، مثل ليث ، والدليل ،
وضمرة بني عبد مناة بن كنانة ، فيقال كنانتي ليثي .

• (اللباب في تهذيب الأنساب) : ٣ / ١١١ - ١١٢ ، (سبائك الذهب) : ١٠٦ .

وبنو سعد بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قيس عيلان ، وهم أَطَارُ النبي ﷺ ،
عندهم استرضع عليه السلام .

• جمهرة أنساب العرب : ٢٦٥ .

(٥) هو أبو واقد الليثي ، يختلف في اسمه ؛ قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل : عوف
ابن الحارث بن أسيد بن جابر بن عبد مناة بن شَيْع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي
ابن كنانة . كان حليف بني سعد ؛ قال البخاري ، وابن حبان ، والباقردي ، وأبو أحمد الحاكم : شهد
بدرأ . وقال أبو عمر : قيل شهد بدرأ ، ولا يثبت . وقال ابن سعد : أسلم قديماً ، وكان يحمل لواء
بني ليث ، وضمرة ، وسعد بن بكر يوم الفتح ، وحنين ، وفي غزوة تبوك يستنفر بني ليث ، وكان
خرج إلى مكة فجاور بها سنة فمات وقال في موضع آخر : دُفِنَ في مقبرة المهاجرين .

رَوَى عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر ، وعن عمر ، وأسماء بنت أبي بكر . ورَوَى عنه ابنه : =

ثلاثاً.. فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : أهل شؤم ! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، أما والله ماشوورت^(١) فيه ولا علمته ، ولقد كنت له كارها حيث بلغني ، ولكنه أمر حُم^(٢) ! قال العباس : قد خار الله لك^(٣) في غزو محمد لكم . ودخلتم في الإسلام كافة . ومَرَّتْ بنو ليث^(٤) - وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثامة^(٥) - فلما حاذوهما كبروا ثلاثاً فقال

= عبد الملك ، وواقد ، وأبو سعيد الخدري ، وعطاء بن يسار ، وعروة ، وآخرون . وأما شهوده بديراً فهذا محل خلاف بين الأئمة .

* (حلية الأولياء) : ٨ / ٣٥٩ ، (مسند أحمد) : ٥ / ٢١٧ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٥٨ ، (المرح والتعديل) : ٣ / ٨٢ ، (المستدرک) : ٧ / ٥٣١ ، (الاستيعاب) : ٤ / ١٧٧٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٢ / ٢٧٠ - ٢٧١ ، (الإصابة) : ٧ / ٥٥ - ٤٥٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٣ / ٢٥٢ (شذرات الذهب) : ١ / ٧٦ ، (تاريخ الصحابة) : ٦٨ - ٦٩ ، (مغازي الواقدي) : ٤٥٣ ، ٨٢٠ ، ٨٩٠ ، ٨٩٦ ، ٩٩٠ ، (طبقات ابن سعد) : ٥ / ١٧٣ ، ١٧٥ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٥٧٤ - ٥٧٦ .

(١) شوورت : من المشاورة ، وفي (خ) : « شوت » .

(٢) حُم الأمر : قضي وأُنْفِد ، وفي (خ) : « جم » .

(٣) خار الله لك : اختار لك خير الأمرين .

(٤) انظر التعليق رقم : (٢٩) ، (٣٠) ، (٣١) .

(٥) هو الصعب بن جثامة بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر الليثي ، حليف قريش . واسم جثامة

يزيد ، أمه أخت أبي سفيان بن حرب ، واسمها فاختة . وقيل زينب . وكان ينزل ودان . مات في آخر خلافة أبي بكر ، أو في أول خلافة عمر ، قال ابن حبان ، ويقال : مات في خلافة عثمان ، والأول أثبت . وشهد فتح اصطخر ؛ فقد روي ابن السكن من طريق صفوان بن عمرو ، حدثني راشد بن سعد قال : لما فتحت اصطخر نادى مناد : ألا إن الدجال قد خرج ، فلقبهم الصعب بن جثامة قال : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره . قال ابن السكن : إسناده صالح . قال الحافظ ابن حجر : فيه إرسال ، وهو يرَدُّ على من قال : إنه مات في خلافة أبي بكر . وقال ابن منده : كان الصعب ممن شهد فتح فارس .

وقال يعقوب بن سفيان : أخطأ من قال : إن الصعب بن جثامة مات في خلافة أبي بكر خطأً بيناً ؛ فقد روي ابن إسحاق عن عمر بن عبد الله ، أنه حدّثه عن عروة ، قال : لما ركب أهل العراق في الوليد بن عقبة كانوا خمسة ، منهم : الصعب بن جثامة ؛ وللصعب أحاديث في الصحيح من رواية ابن عباس عنه .

وأخرج أبو بكر بن لال في كتاب المتحابين ، من طريق جعفر بن سليمان ، عن ثابت قال : آخى رسول الله ﷺ بين عوف بن مالك والصعب بن جثامة ، رضي الله تعالى عنهما .

* (تاريخ الصحابة) : ١٣٧ ، (الإصابة) : ٣ / ٤٢٦ - ٤٢٧ ، (الاستيعاب) : ٢ / ٧٣٩ ، (الثقات) : ٣ / ١٩٥ ، (تهذيب التهذيب) : ٤ / ٣٦٩ ، (مغازي الواقدي) : ٥٥٦ ، ٨٢٠ ، =

أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو ليث . ثم مرّت أشجع^(١) - وهما ثلاثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان^(٢) ، ونعيم بن مسعود^(٣) - فقال أبو سفيان :

= ١٠٩٦ ، (جهرة أنساب العرب) : ١٨١ ، (التاريخ الكبير) : ٤ / ٣٢٢ ، (الجرح والتعديل) : ٤ / ٤٥٠ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ١ / ٢٤٩ ، (الكامل في التاريخ) : ٢ / ٤٤٩ ، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ٧٦ - ٧٧ .

(١) هم بنو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . منهم معقل بن سنان بن مظاهر بن عركي ابن ضيان بن سبيع بن أشجع بن ريث .

* (لسان العرب) : ٨ / ١٧٥ ، (جهرة أنساب العرب) : ٢٤٩ - ٢٥٠ ، (اللباب) : ١ / ٦٤ ، (سبائك الذهب) : ٢٧٠ .

(٢) هو معقل بن سنان الأشجعي ، له ضحية ورواية ، حمل لواء أشجع يوم الفتح ، وهو راوي قصة « بروع » ، وكان من كبار أهل الحرة ، أمير قذبح صبراً يوم الحرة ، وله نيف وسبعون سنة ، قُتل في سنة ثلاث وستين .

أخرج أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، في النكاح : باب إباحة الزوج بغير صداق ، والترمذي في الرضاع : باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها ، وابن ماجه في النكاح ، من طريق الشامي عن مسروق ، عن عبد الله ، في رجل تزوج امرأة ، فمات عنها ، ولم يدخل بها ، ولم يفرض لها الصداق ، فقال : لها الصداق كاملاً ، وعليها العدة ، ولها الميراث ، فقال معقل بن سنان : سمعتُ رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق . وإسناده صحيح ، وصححه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، ووافقه الذهبي .

* (مسند أحمد) : ٣ / ٤٧٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ٣٩١ ، (المعارف) : ٢٩٨ ، (الجرح والتعديل) : ٨ / ٢٨٤ ، (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢١٠ ، (الإصابة) : ٦ / ١٨١ - ١٨٣ ، (خلاصة تهذيب الكمال) : ٣ / ٤٥ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٧١ ، (سير أعلام النبلاء) : ٢ / ٥٧٦ - ٥٧٧ ، (تاريخ الصحابة) : ٢٣٩ .

(٣) هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيس بن ثعلبة بن قنفذ بن خلادة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث ابن غطفان ، الغطفاني ، الأشجعي ، الصحابي ، أبو سلمة ، أسلم في وقعة الخندق ، وهو الذي أوقع الحُلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق ، وخذل بعضهم عن بعض ، وأرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها .

وقيل : إنه الذي نزلت فيه : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ يعني نعيم بن مسعود وحده ، كني عنه وحده بالناس في قول طائفة من أهل التفسير . قال بعض أهل المعاني : إنما قيل ذلك ، لأن كل واحد من الناس يقوم مقام الآخر في مثل ذلك وقد قيل في تأويل الآية غير ذلك . سكن نعيم بن مسعود المدينة ، ومات في خلافة عثمان ، يوم الجمل مع علي ، رضي الله عنهم .

* (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٤١٥ - ٤١٦ ، (الثقات) : ٣ / ٤١٥ ، (رجال أنزل الله فيهم قرآنًا) : ١ / ١٠٦ - ١٠٧ ، ٤ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، (تاريخ الصحابة) : ٢٥٠ ، (الاستيعاب) : ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، (الإصابة) : ٦ / ٤٦١ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ١٣١ ، (خلاصة تهذيب الكمال) : ٣ / ٩٨ .

[من هؤلاء ؟ قال : بنو أشجع . قال (١) : هؤلاء كانوا أشدَّ العرب على محمد !
 فال العباس : أدخل الله قلوبهم الإسلام ، فهذا من فضل الله .

كثيية رسول الله ﷺ

فلما طلعت كثيية رسول الله ﷺ الخضراء ، طلع سوادٌ وغبرة من سنابك الخيل ، ومَرَّ الناس حتى مرَّ رسول الله ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر (٢)

(١) زيادة للسياق .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وفي « مرة » يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ .

واسم أمه : أم الخير ، سلمى بنت صخر بن عامر ، ماتت مسلمة .

وفي تسميته بعتيق ثلاثة أقوال : أحدهما ، أن رسول الله ﷺ نظر إليه فقال : هذا عتيق من النار . والثاني أنه اسم سُمَّته به أمه . الثالث : أنه سُمِّي به لجمال وجهه . وكان رضي الله عنه أبيض نحيفاً ، خفيف العارضين ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ، يخضب شيبه بالخناء والكمم . وكان أول من آمن من الرجال . وعن عائشة قالت : ما أسلم أحد من المهاجرين إلا أبو بكر . وجاء أنه اتَّخَذَ لِي بُصْرِي غير مرة ، وأنه أنفق أمواله على النبي ﷺ وفي سبيل الله . قال رسول الله ﷺ « ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كَافَيْنَاهُ ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدٌ يكافيه الله بها يوم القيامة ، وما نفعتني مال أحدٍ قطُّ ما نفعتني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله » .

قال حسان بن ثابت ، وابن عباس ، وأسماء بنت أبي بكر ، وإبراهيم التيمي : أول من أسلم أبو بكر . وكان له من الولد : عبد الله ، وأسماء ذات النطاقين وأُمُّهُمَا قُتَيْلَةُ . وعبد الرحمن وعائشة ، أمهما أم رومان . ومحمد ، أمه أسماء بنت عميس . وأم كلثوم ، أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد ، وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على « خارجة » فتزوج ابنته .

فأمَّا عبد الله : فإنه شهد الطائف . وأمَّا أسماء : فتزوجها الزبير فولدت له عدَّة ثم طلقها ، فكانت مع ابنتها عبد الله إلى أن قُتِل ، وعاشت مائة سنة ، وأمَّا عبد الرحمن : فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم . وأمَّا محمد : فكان من نُسك قريش ، إلا أنه أعان على عثمان يوم الدار ، ثم ولَّاه علي ابن أبي طالب مصر ، فقتله هناك صاحب معاوية . وأمَّا أم كلثوم : فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : جاء الصريح إلى أبي بكر ، فقيل له : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا وإنَّ له غدائر ، فدخل المسجد وهو يقول : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٢٨/ غافر) قال : قَلَّهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا إلى أبي بكر ، فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال والإكرام . (الغدائر) : الضفائر . ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير ، أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وجميع المشاهد ، ولم يفته منها مشهد ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس ، ودفع =

= إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، وأنه كان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين ، وهو أول من جمع القرآن ، وتنزه عن شرب المُسكر في الجاهلية والإسلام ، وهو أول من قاء تخرجاً من الشبهات .

وذكر محمد بن إسحاق أنه أسلم على يده من العشرة خمسة : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

عن أبي سعيد قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « إن الله عز وجل خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عنده » . فبكى أبو بكر رحمة الله عليه ، فعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله ﷺ من عبد خير ، فكان رسول الله ﷺ الخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به . فقال رسول الله ﷺ : إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر ، لكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبق في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر . أخرجاه في الصحيحين ؛ البخاري في باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » ، ومسلم في باب من فضائل أبي بكر الصديق .

وعن الحسن قال : قال علي عليه السلام : لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لدينا ، فقدمنا أبا بكر . وقالت عائشة : لما استخلف أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال وقال : قد كنت أئجر فيه وأقمس به ، فلما وليتهم شغلوني . وأخرج ابن سعد نحوه من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما ولي أبو بكر قال : قد علم قومي أن جرضي لم تكن لتعجز عن مؤنة أهلي وقد شغلني بأمر المسلمين ، وسأحترف للمسلمين في ما لهم ، وسأكل آل أبي بكر من هذا المال .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، قد وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكن قد نزل القرآن ، وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا ، إعلموا أن أكيس الكيس التقوى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، إن أقوامكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنتم فأعينوني ، وإن زعتم فقوموني .

وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة ، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى ، فنظرنا فإذا عبد نوبّي (نسية إلى بلاد النوبة جنوبي مصر) كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح (بعير يستقي عليه) كان يسقي بُستاناً له ، فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال : رحمة الله على أبي بكر ، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً . روي أبو بكر رضي الله عنه مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً .

وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، لثان ليلتين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين ، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته ، فغسلته ، وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ ، وصلى عليه عمر بن القير والمنير ، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله . رحمه الله ورضي عنه ، وحشرنا في زمرته ، وأماتنا على سنته ومحبته .

• (طبقات ابن سعد) : ٣ / ١٦٩ - ٢١٣ ، (تاريخ الطبري) : ٢ / ٣١٤ ، (المعارف) : ١٦٧ - ١٧٨ ، (تاريخ الإسلام) : ٣ / ١٠٥ - ١٢٢ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٢٣ - ١٣٩ ، =

وأسيد بن حُضَيْر^(١) - وهو يحدثهما - ، ومعه المهاجرون^(٢) والأنصار - ، فيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من بطون الأنصار راية ولواء - في الحديد لا يُرى

= (معجم البلدان) : ٥ / ٣٥٦ - ٣٥٧ ، (لسان العرب) : ٢ / ٦١٩ (مادة نضج) ، ٥ / ١١ (مادة غدر) ، (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ١٥٨ كتاب (٤٤) باب (١) حديث رقم (٢) ، (صحيح سنن الترمذي) : ٣ / ٢٠٠ باب (٥٢ / ٣٣) حديث رقم (٢٨٩٤) ، (صحيح ابن ماجة) : ١ / ٢٢ باب (١١) حديث رقم (٧٧) ، (السلسلة الصحيحة) : حديث رقم (٢٧٨) ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٤ ، (تاريخ الخلفاء) : ٢١ - ٨٥ ، (العقد الفريد) : ٣ / ٩٠ - ٩١ ، ١٧٦ ، (تلفيح الفهوم) : ١٠٤ - ١٠٦ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ٥٧ .

(١) هو أسيد بن حُضَيْر بن سماك بن عتيك بن نافع بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، الإمام أبو يحيى ، وقيل : أبو عتيك الأنصاري ، الأوسي ، الأشهلّي ، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة . أسلم قديماً ، وما شهد بدرأ ، وقال ابن عبد ربه : شهد بدرأ ، وكان أبوه شريفاً مُطاعاً ، يُدعى حُضَيْر الكتائب ، وكان رئيس الأوس يوم بُعث ، فقتل يومئذ قبل عام الهجرة بست سنين ، وكان أسيّد يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي .

قال محمد بن سعد : أخى النبي ﷺ وبين زيد بن حارثة ، وله رواية أحاديث روت عنه عائشة ، وكعب بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ولم يلحقه . وذكر الواقدي أنه قدم الجابية مع عمر ، وكان مقدماً على ربع الأنصار ، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير ، هو وسعد بن معاذ .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن حُضَيْر » أخرجه الترمذي ، وإسناده جيد ، وروي أن أسيّد كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن .

وقال ابن إسحاق : حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة قالت : ثلاث من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل ، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأسيد ابن حُضَيْر ، وعباد بن بشر .

مات رضي الله عنه في شعبان سنة عشرين ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ودفن بالبقيع .

• (تاريخ الصحابة) : ٣٠ ، (العقد الفريد) : ٣ / ٣٢٧ ، (أسماء الصحابة الرواة) : ١٢٩ ، (صحيح سنن الترمذي للألباني) : ٣ / ٢٢٨ ، (سير أعلام النبلاء) : ١ / ٣٤٠ - ٣٤٣ ، (الثقات) : ٣ / ٦ - ٧ ، (الإصابة) : ١ / ٨٣ - ٨٤ ، (الاستيعاب) : ١ / ٩٢ - ٩٤ ، (طبقات ابن سعد) : ٣ / ٦٠٣ - ٦٠٧ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ١ / ٩٨ ، (الوافي بالوفيات) : ٩ / ٢٥٨ ، (تذهيب التهذيب) : ١ / ٣٠٣ - ٣٠٤ ، (الجرح والتعديل) : ٢ / ٣١٠ ، (صفة الصفوة) : ١ / ٢٥٩ - ٢٦١ ، (التاريخ الكبير) : ٢ / ٤٧ ، (البداية والنهاية) : ٧ / ١١٦ ، (مسند أحمد) : ٤ / ٢٢٦ ، (التاريخ الصغير) : ١ / ٤٦ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣١ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٤٩٠ ، (كنز العمال) : ١٣ / ٢٧٧ - ٢٨١ ، (مرآة الجنان) : ١ / ٧٦ ، (تلفيح الفهوم) : ١٦٢ .

(٢) في (خ) : « المهاجرين » .

منهم إلى الحَدَق ، ولعمر بن الخطاب^(١).....

(٥) هو عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن قُـرْط بن رزاح بن عدِي بن كعب بن لُؤي ، أمير المؤمنين ، أبو حفص ، القرشي ، العدوي ، الفاروق ، أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة .

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، المخزومية ، وقيل : حنتمة بنت هشام ، أخت أبي جهل . وُلد عمر رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة . وقيل : وُلد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين ، قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة ، وقيل : غير ذلك .

وكان من أشرف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم - أو بينهم وبين غيرهم - بعثوه سفيراً : أي رسولاً ، وإن نافرهم مُتَافِراً أو فاخرهم مُفَاخِر ، بعثوه مُتَافِراً أو مُفَاخِراً .

أسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : غير ذلك ، فما هو إلا أن أسلم ، فظهر الإسلام بمكة ، وفرح به المسلمون . وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصحاب رسول الله ﷺ ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم . روي له عن رسول الله ﷺ خمس مائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً .

روي عنه عثمان بن عفان ، وعلي ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ، وأبو ذر الغفاري ، وعمر بن عتبة ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأنس ، وأبو هريرة وعمر بن العاص ، وأبو موسى الأشعري ، والبراء بن عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وآخرون .

أخرج الترمذي عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن هشام » . وأخرج الحاكم عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » .

وأخرج أحمد عن عمر قال : خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمْتُ خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلتُ أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ (الحاقة ٤٠ - ٤١) فوقع في قلبي الإسلام كل موقع ، وقصة إسلامه معروفة ، تُمسك عن ذكرها لظوها واشتهارها .

وقيل لأبي بكر في مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال : أقول له : وليتُ عليهم خيرهم . أخرجه ابن سعد .

وأخرج الشيخان عن عمر قال : وافقْتُ ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى ، فنزلت ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى ﴾ (البقرة / ١٢٥) ، وقلت : يا رسول الله ، يدخل على نساءك البر والفاجر ، فلو أمرتني بحتجبين ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجاً خيراً منك ، فنزلت كذلك . قال أبو عبد الله الشيباني في (فضائل الإمامين) : وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً ، فذكرها ، وقد أمسكنا عن ذكرها خشية الإطالة .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم - كلاهما في دلائل النبوة - عن نافع عن ابن عمر ، قال : وجَّه عمر =

= جيشاً ، ورأس عليهم رجلاً يُدعى سارية ، فبينما عمر يخطب ، جعل ينادي : يا سارية الجبل ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين هُزِمْنَا ، فبينما نحن كذلك إذا سمعَتْ صوتاً يُنادي : يا سارية الجبل ، ثلاثاً ، فأُسْنَدْنَا ظهورنا إلى الجبل ، فهزَمَهُمُ اللهُ ! قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده وَقَدْ من أرض العجم . قال ابن حجر في الإصابة : إسناده حسن .

وقال خزيمه بن ثابت : كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له ، واشترط عليه أن لا يركب بُرْدُونًا ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يُغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فعل فقد حُلَّت عليه العقوبة . ولي الخلافة بعده من أبي بكر في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، قال الزهري : استخلف عمر يوم توفي أبو بكر ، يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة . أخرجه الحاكم ، فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه .

وقال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة مولى المغيرة يصنع الأرحاء (جمع رحي) ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقل عليّ فكلّمه ، فقال : أحسن إلى مولاك - ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب وقال : يسعُ الناسُ كلهم عدله غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجرًا ، وشحذه وسمّه ، وكان عمر يقول : « أقيموا صفوفكم » قبل أن يُكبّر ، فجاء فقام حذاءه في الصف ، وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه ، فمات منهم ستة .

وحُمل عُمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتي (الكوثر والنصر) . وأُتي عمر بنبذ فشربه ، فخرج من جرحه ، فلم يتيين ، فسقوه لبناً ، فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال :— إن يكن بالقتل بأس فقد قُتِلت ، فجعل الناس يشنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله وددت أني خرجتُ منها كفافاً لا عليّ ولا لي ، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي .

وأُتني عليه ابن عباس فقال : لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لاقتديتُ به من هول المطلاع ، وقد جعلتها شورى في عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد . وأمر صُهيياً أن يصلّي بالناس . أخرجه الحاكم . وقال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

وقال عمرو بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي بيد رجل يدعي الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبد الله ، أنظر ما عليّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وقى مال آل عمر فأدّه من أموالهم ، وإلا فاسأل في بني عدي ، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش . إذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يُدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها فقالت : كنت أريده - تعني المكان - لنفسي ، ولأوثرته اليوم على نفسي ، فأُتي عبد الله فقال : قد أذنت ، فحمد الله تعالى ، وقيل له : أوصني يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحقُّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فسمي الستة .

وأما أوليات عمر رضي الله عنه :

- * فهو أول من سُمي أمير المؤمنين .
- * وأول من كتب التاريخ من الهجرة .
- * وأول من اتخذ بيت المال .
- * وأول من سنَّ قيام شهر رمضان في جماعة . =

فيها زجل^(١) ، وعليه الحديد ، وهو يزعمها^(٢) فقال أبو سفيان : لقد أمر أمر بني عدي^(٣) بعد قلة وذلة ! فقال العباس : إن الله يرفع ما يشاء ، وإن عمر ممن رفعه الإسلام .

مقالة سعد بن عباد لأبي سفيان

وكان في الكتبية ألف دارع : وسعد بن عباد يحمل راية رسول الله ﷺ أمام الكتبية ، فنأدى : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحُرمة ، اليوم أذل الله قريشاً ! فنأدى أبو سفيان - عندما حاذاه النبي عليه السلام - يا رسول الله ، أمرت بقتل قومك ؟ زعم سعد ومن معه كذا - وذكر ما قاله سعد - وإني أنشدك الله في قومك ! فأنت أبرُّ الناس ، وأرحم الناس وأوصل الناس !! .

-
- = • وأول من عس بالليل .
 - وأول من ضرب في الخمر ثمانين .
 - وأول من نهي عن بيع أمهات الأولاد .
 - وأول من اتخذ الديوان .
 - وأول من فتح الفتح ومسح السواد .
 - وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أبلة إلى المدينة .
 - وأول من احتسب صدقة في الإسلام .
 - وأول من أعال الفرائض .
 - وأول من أخذ زكاة الخيل .
 - وأول من قال : أطال الله بقاءك .
 - وأول من قال : أيديكم الله (قالها علي) .
 - وهو أول من اتخذ الذرة ، ولقد قيل بعده : لذرة عمر أهيب من سيفكم .
 - وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار .
 - وهو أول من مصر الأمصار : الكوفة ، والبصرة ، والجزيرة ، والشام ، ومصر .
 - أصيب عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم الحرام ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ستون ، ورجحه الواقدي ، وصلى عليه صهيب في المسجد .
 - وفي تهذيب المزني : كان نقش خاتم عمر « كفى بالموت واعظاً يا عمر »
 - وأخرج الطبراني عن طارق ابن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر : اليوم وهي الإسلام .
 - وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدت موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأنكسفت الشمس يومئذ . رجاله ثقات .

- (تاريخ الخلفاء) : ٨٦ - ١١٧ ، (الإصابة) : ٤ / ٥٨٨ - ٥٩١ (ترجمة رقم ٥٧٤٠) ، (حلية الأولياء) : ١ / ٣٨ - ٥٥ ، (الاستيعاب) : ٣ / ١١٤٤ - ١١٥٩ (ترجمة رقم ١٨٧٨) ، (جمهرة أنساب العرب) : ١٥٠ - ١٥٦ ، (المستدرک) : ٣ / ٨٦ - ١٠١ ، (صفة الصفوة) : ١ / ١٣٩ - ١٥٣ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٣ - ١٤ ، (مرآة الجنان) : ١ / ٧٨ - ٨٢ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٣٣ - ٣٤ ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ٢٥٣ - ٢٨٤ .

(١) زجل : جلبة وصوت .

(٢) يكفها عن التفرق والانتشار .

(٣) أمير أمره : ارتفع شأنه .

عزل سعد راية رسول الله ﷺ

فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله ! ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صوله . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الرحمة^(١) ، اليوم أعز الله فيه قريشاً ! وأرسل إلى سعد فعزله ، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد ، فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمرة ، فأرسل ﷺ بعمامته ، فدفع اللواء إلى ابنه قيس . ويقال : دخل سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون . ويقال إن رسول الله ﷺ أمر علياً فأخذ الراية ، فذهب علي بها حتى دخل بها مكة فغرزها عن الركن ، وقيل : بل أمر الزبير بن العوام فأخذ اللواء^(٢) وصححه جماعة .

مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى

وقال أبو سفيان : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ، ولا خبرني خبراً ! ما لأحد به طاقة ولا يدان ! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! فقال له العباس : يا أبا سفيان ! ليس بملك ولكنه نبوة . قال : فَنَعَر^(٣) ! قال فانجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم .

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء وهو يقول : من أغلق بابي فهو آمن ! حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فأخذت برأسه فقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد . وقد جعل لي : من دخل داري فهو آمن ! قالت : قبحك الله رسول قوم ! وجعل يصرخ بمكة ! يا معشر قريش ! ويحكم ! إنه قد جاء-ما لا قبل لكم به ! هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد فاسلّموا تسلموا ! قالوا ! قبحك الله وافد قوم ! وجعلت هند تقول : أقتلوا وافدكم هذا ، قبحك الله وافد قوم ! فيقول ! ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ! رأيتم ما لم تتروا^(٤) رأيتم الرجال والكراع والسلاح ، فما لأحد^(٥)

(١) في (الواقدي) ج ٢ ص ٨٢٢ « اليوم يوم الرحمة » .

(٢) راجع (زاد المعاد) ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٣) نعر : صَوْتٌ صَوْتاً شديداً من تخشومه .

(٤) في (خ) « ما لا تتروا » .

(٥) في (خ) « ما لأحد » .

خبر العباس في مكة

وذكر عمر بن شبة^(١) : أن العباس ركب بغلة رسول الله ﷺ من مر [الظهران]^(٢) ليدعو أهل مكة فقدمها وقال : يا أهل مكة أسلموا تسلموا . قد استبطنتم بأشهب بازل^(٣) ، وأعلمهم بمسير الزبير من أعلى مكة ، ومجيء خالد ابن الوليد من أسفلها لقتالهم ، ثم قال : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذي طوى ، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ حتى تلاحق الناس ، وقد كان صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو دعوا إلى القتال ، واجتمع إليهم - من قريش وغيرهم - جماعة عليهم السلاح ، يخلفون بالله لا يدخلها محمد غنوة أبداً .

دخول رسول الله مكة

وأقبل رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء - على ناقته القصواء ، معتجراً بشقة بُرد حبرة ، [وفي رواية : وهو معتجر بشقة برد أسود] ، وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤه أسود - حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس ، وإن عُثنونه^(٤) يمسُ واسطة الرّحل أو يقرب منه ، تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ، ثم قال : العيش عيش الآخرة .

(١) في (خ) « عمرو بن شبة » .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) استيطان الوادي : دخول بطنه ، الأشهب الأبيض : الجيش ، والبازل : البعير الذي أتم السنة الثامنة ، وهي تمام قوته ، والمعنى أنكم رميتم بهذا الجيش الصعب الذي لا طاقة لكم به .

(٤) العُثنون : اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحته سيفلا ، أو هو طولها . (ترتيب القاموس) ج ٣ ص ١٦٥ .

مداخل المسلمين إلى مكة

وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة ، وأن ينصب رايته بالحجون ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من اللّيط : وهي كداء من أسفل مكة . [ويقال : بعث الزبير بن العوام من أعلى مكة ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل من كداء] . ودخل رسول الله ﷺ من أذخر .

النهي عن القتال

ونهى عن القتال . ويقال : بل أمرهم بقتال من قاتلهم ، فتراموا بشيء من النبيل . فظهر عليهم رسول الله ﷺ فأمن الناس إلا خزاعة عن^(١) بني بكر . وذكر جماعة أنه لم يؤمنهم . وقيل : أمر بقتل ستة نفر ، وأربع نسوة : عكرمة بن أبي جهل ، وهبّار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقيس بن صبابه الليثي ، والحويرث بن نقيذ^(٢) بن بجير بن عبد قصي ، وهلال بن عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهر^(٣) ، فتم هو الأذرم^(٤) [وعبد بن عبد مناف هو خطل بن خطل الأدرمي] . وهند بنت عتبة بن ربيعة ، وسارة مولاة عمرو بن هشام ، وقيتين لابن خطل : قُرَيْنَا وقُرَيْيَة ، ويقال قُرَيْنَا وأُرْبَنَة .

قتال خالد بن الوليد

فكل الجنود دخل فلم يلتق جمعاً ، إلا خالد بن الوليد ، فإنه وجد جمعاً من قريش وأحاييشتها : فيهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فمنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ، ورموا بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عنوة أبداً . فصاح خالد في أصحابه وقتلهم؛ فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش ، وأربعة من هذيل ، [وقيل : بل قتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً] ؛

(١) في (خ) « غير » .

(٢) في (خ) « نفيد » ، وبعد هذا في (خ) « وابن بجير » والصواب حذف واو العطف .

(٣) في (خ) « فهم » .

(٤) في (خ) بعد قوله : « هو الأذرم » ما نصه (عبد الله بن عبد مناف بن أسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهر) وهو تكرار من الناسخ .

. وانهمزوا أقبح هزيمة . وقُتل من المسلمين ثلاثة .

خبر راعش المشرك

وكان راعش^(١) ، أحد بني صاهلة الهذلي ، [وقيل : حماس^(٢) بن قيس بن خالد أحد بني بكر] ، يُعدُّ سلاحاً ؛ فقالت له امرأته : لم تعدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ! فقالت له : ما أرى أن يقوم لمحمد وأصحابه شيء ! فقال : والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال^(٣) :

إن تقدموا اليوم فما بي علة هذا سلاح كامل وأله^(٤)
وذو غرارين سريع السَّله^(٥)

هزيمة المشركين

ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فهزمهم خالد بن الوليد ، فمرَّ حماس^(٦) منهزماً حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي ! فقالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال^(٧) :

إنك إن شهدت يوم الخندمة إذ قرَّ صفوان وفر عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه لهم نهيت خلفنا وهمهمه

(١) في (ابن هشام) ج ٤ ص ٣٧ (الرعاش الهذلي) .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ ، (البداية والنهاية) : ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٣) في المرجع السابق : « إن يُقبلوا اليوم فمالي علة » .

(٤) الألة : الحرب ذات السنان الطويلة . (٥) غرارين : حذَّين . (٦) في (خ) «حماس» .

(٧) هذه الأبيات في (ابن هشام ج ٤ ص ٣٨ ، وفي (البداية والنهاية) ج ٤ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ قرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وأبو يزيد قائم كالنؤمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لم نهيت خلفنا وهممة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

وفي (الواقدي) : ج ٢ ص ٨٢٧ ، ٨٢٨ :

وأنت لو شهدت بالخندمة إذا قرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز النؤمة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة لهم زئير خلفنا وغمغمه

=

لم تَنْطَقِي في اللوم^(١) أدنى كلمة

التأمين

واتبعهم المسلمون ، وأبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان : يا معشر قريش ! علام تقتلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ! فافتحم الناس الدور وأغلقوا عليهم الأبواب ، وطرحوا السلاح في الطُّرُق ، فأخذها المسلمون ، ويروي أن رسول الله ﷺ عقد لأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن - أحد الفَزَع بن شهران بن عَفْرَس بن خلف بن أفل [وهو خثعم] - لواءً وأمره أن ينادي : من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن .

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر^(٢) رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر ، نظر إلى البارقة^(٣) فقال : « ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال ؟ » ف قيل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد قوتل ، ولو لم يقاتل ما قاتل ! فقال : « قضاء الله خير » .

ابن خطل

وأقبل ابن خطل من أعلى مكة في الحديد على فرسٍ بيده قنّاة ، وبنات سعيد ابن العاص قد نشرن رؤوسهن ويضربن بخمرهن^(٤) وجوه الخيل ، فقال هن : أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد^(٥) ! فلما انتهى إلى الخندمة ،

= ومن معاني هذه الآيات :

النهيت والهمهمة ، أصوات الأبطال في الحرب .

الزئير : صوت الأسد .

أبو يزيد : هو سهيل بن عمرو .

المؤتمة : المرأة التي قُتل زوجها فبقي لها أيتام .

(١) في (خ) « في اليوم » .

(٢) ظهر : ارتفع عليها .

(٣) البارقة : بريق السلاح ولمعانه .

(٤) الخمر : جمع خمار : وهو غطاء الرأس عند المرأة .

(٥) المزاد : جمع مزادة ، هي كقربة للماء ، المعنى أنه يريد ضرباً يتفجر منه الدم كما يتفجر الماء من المزاد إذا أرسل فوه .

ورأى خيل المسلمين وقتالهم ، دخله رعبٌ حتى ما يستمسك من الرعدة ، فانتهى إلى الكعبة فنزل ، وطرح سلاحه ، ودخل بين أستارها . فأخذ رجل من بني كعب درعه ومغفره ويضته وسيفه وفرسه ، ولحق بالنبي ﷺ بالحجون .

دخول الزبير مكة

وأقبل الزبير بمن معه حتى انتهوا إلى الحجون ، فَعَزَزَ به الراية . ولم يُقَتَّل من المسلمين إلا رجلان^(١) أخطأ الطريق ، هما : كُرْز بن جابر الفهري ، وخالد الأشعري الخزاعي .

منزل رسول الله ﷺ بمكة

ولما أشرف رسول الله ﷺ على أذاخر فنظر بيوت مكة ، وقف فحمد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع قُبته فقال : هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها ! وكان أبو رافع قد ضرب لرسول الله ﷺ بالحجون قبة من آدم ، فأقبل حتى انتهى إلى القبة في يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، وقيل لثلاث عشرة^(٢) مضت من رمضان . فمضى الزبير بن العوام برايته حتى ركرها عند قبة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما . وقيل : يا رسول الله ، ألا تنزل منزلك من الشَّعْب ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً ؟ وكان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل لإخوته ، والرجال والنساء بمكة فقيل : يا رسول الله ، فأنزل في بعض بيوت مكة في غير منازلك ، فقال : لا أدخل البيوت . فلم يزل مضطرباً^(٣) بالحجون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة .

خبر إجارة أم هانيء عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام

وكانت أم هانيء بنت أبي طالب تحت^(٤) هُبيرة بن أبي وهب المخزومي ، فدخل

(١) في (خ) « إلا رجلين » وهو خطأ ، وما أثبتاه حق اللغة .

(٢) في (خ) جملة « وقيل لثلاث عشرة » مكررة .

(٣) مضطرباً : ضارباً قُبته .

(٤) في (خ) « تحب » ، والتصويب من (المغازي) ج ٢ ص ٨٢٩ .

عليها حموان لها - عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(١)
ابن مخزوم المخزومي ، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢)
ابن مخزوم - يستجيران بها فأجارتها . فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب يريد
قتلهما ، وقال : تجيرين المشركين ؟ فحالت دونهما وقالت : والله لتبدأن بي قبلهما !
فخرج ولم يكد ، فأغلقت عليهما بيتاً ، وذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء ،
فشكت إلى فاطمة عليها السلام علياً فلم تشكها ، وقالت لها : لم تجيرين المشركين ؟
وإذا برسول الله ﷺ عليه^(٣) رَهْجَةُ الغبار^(٤) ، فقال : مرحبا بفاختة أم هانيء ،
فقلت : ماذا لقيت من ابن أُمِّي علي ! ما كدت أنفلت منه ! أجرت حموين لي
من المشركين ، ففلت عليهم ليقتلها ، فقال : ما كان ذلك له ! قد أمنا من أمنت ،
وأجرنا من أجرت . ثم أمر فاطمة عليها السلام فسكبت له ماءً فاغتسل ، وصلى
ثماني ركعات في ثوب واحد ملتحفاً به ، وذلك ضحى . ورجعت أم هانيء
فأخبرتهما ، فأقاما عندها يومين ثم مضيا . وأتى آت فقال : يا رسول الله : الحارث
ابن هشام وابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما في الملاء المزعفر^(٥) ! فقال : لا سبيل
إليهما فقد أمناهما .

تجهز رسول الله ﷺ للطواف بالبيت

ومكث ﷺ في منزله ساعة من نهار ، واغتسل وضفر رأسه ضفائر أربع ،
[وقيل : بل اغتسل في بيت أم هانيء بمكة] ، وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى ،
وذلك في الصحيحين^(٦) ، وزاد أبو داود : سلم من كل ركعتين ثم لبس السلاح
ومغفراً من حديد ، وقد صف له الناس ، وركب القصواء ومراً وأبو بكر رضي
الله عنه إلى جنبه يحادثه ، وعبد الله بن أم مكتوم بين يديه من بين الصفا والمروة
وهو يقول :

يا حبذا مكة من وادي [أرض] بها أهلي وعوادي^(٧)

(١) في (خ) « عمرو » . (٢) في (خ) « عليا » .

(٣) رَهْجَةُ الغبار : آثار الغبار .

(٤) الملاء جمع ملاءة : وهي للربطة (ترتيب القاموس ج٤ ص ٢٧٤ والمزعر : الأسد الورد والفالوذ

(المرجع السابق) ج٢ ص ٤٥٣ .

(٥) صحيح البخاري ج٣ ص ٦٢ .

(٦) ما بين الأقواس زيادة من (ابن سعد) ج٢ ص ١٤١ .

[أرض] بها أمشي بلا هادي [أرض] بها ترسخ أوتادي^(١)

حتى انتهى إلى الكعبة : فتقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجته وكبر ، فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة تكبيراً . فأشار إليهم أن اسكتوا ! والمشركون فوق الجبال ينظرون .

الأصنام التي حول الكعبة

ثم طاف ، ومحمد بن مسلمة^(٢) أخذ بزمامها ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصصةً بالرصاص - وهبل أعظمها وهو وجاه الكعبة على بابها ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون - فجعل رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . فطاف سبعاً يستلم الركن بمحجته في كل طواف . فعطش ﷺ^(٣) - وكان يوماً صائفاً - فاستسقى^(٤) فأقى بقدر من شراب زبيب ، فلما أدناه من فيه وجد له ريحاً شديدة فردّه . ودعا بماء من زمزم فصبّه عليه حتى فاض من جوانبه ؛ وشرب منه ، ثم ناوله الذي عن يمينه . فلما فرغ من [سبعة]^(٥) نزل عن راحلته ، وجاء معمر بن عبد الله بن نضله فأخرج راحلته . وانتهى رسول الله إلى المقام - وهو يؤمئذ لاصق بالكعبة ، والدرع والمغفر عليه ، وعمامة لها طرف بين كتفيه - فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : لولا أن يغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها ذلواً ! فنزع له العباس بن عبد المطلب ذلواً فشرب منه . ويقال : الذي نزع الدلو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم يسع بين الصفا والمروة لأنه لم يكن يؤمئذ معتمراً .

كسر هبل

وأمر بهبل فكُسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان ابن حرب : يا أبا سفيان ! قد كسر هبل ! أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور ،

(١) في (خ) « ترخ » . (٢) في (خ) « سلمة » .

(٣) ما بين القوسين في (خ) بعد قوله « صائفاً » وهذا موضعه .

(٤) استسقى : طلب أن يُسقى .

(٥) سبعة : الطواف سبعة أشواط .

حين تَزْعُمُ أنه قد أنعم ! فقال : دع عنك هذا يا ابن العوام ، فقد أرى لو كان مع آلِه محمد غيره لكان غير ما كان .

خبر زمزم

ثم انصرف رسول الله ﷺ فجلس ناحية من^(١) المسجد والناس حوله ، فأتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ، فما يقع منه قطرة إلا في يد إنسان : إن كانت قدر ما يحسوها حساها ، وإلا تمسح بها . والمشركون ينظرون ، فقالوا : ما رأينا ملكاً قط أعظم من اليوم . ولا قوماً أحق من القوم يتصل به .

إسلام قريش والبيعة

وجاءته قريش فأسلموا طوعاً وكرهاً وقالوا : يا رسول الله اصنع بنا صنعة أكرمك . فقال : أنتم الطلقاء ! وقال مثلى ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ . ثم اجتمعوا لمبايعته ؛ فجلس على الصفا ، وجلس عمر بن الخطاب أسفل مجلسه يأخذ على الناس ، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ فيما استطاعوا ، فقال : لا هجرة بعد الفتح .

غسل الكعبة

وتجرد الرجال^(٢) من الأزر ، ثم أخذوا الدلو فغسلوا ظهر الكعبة وبطنها حتى انبعج^(٣) الوادي من الماء ، فلم يدعوا فيه صورة ولا أثراً من آثار المشركين إلا محوه . وكان ﷺ لما جلس ناحية من المسجد ، توضأ بسجّل^(٤) من زمزم قريباً من المقام ، والمسلمون يبادرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركين يتعجبون ويقولون : ما رأينا ملكاً قط بلغ هذا ولا شبيها به !

مفتاح الكعبة

ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة ليأتيه بمفتاح الكعبة فمئنته أمه ، حتى جاء

(١) في (خ) « من من » مكررة .

(٢) في (خ) « في » . (٣) في (خ) « إن بعج » .

(٤) السَّجِّل : الدلو الكبيرة .

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فدفعته إلى ابنها فألقى به رسول الله ﷺ . فلما تناولته قال العباس : يا رسول الله ، اجمع لنا السقايا والحجابه . فقال عليه السلام : « أعطيتكم ما ترزأون فيه ولا أعطيتكم ما ترزأون به »^(١) . وقيل بل جاء عثمان ابن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله ﷺ لما بلغ رأس الثانية .

محو الصور

وقيل : بعث ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البطحاء - ومعه عثمان ابن طلحة - ليفتح البيت ، ولا يدع صورة إلا محاه ، [ولا تمثالاً]^(٢) ، فترك عمر صورة إبراهيم عليه السلام حتى محاه عليه السلام .

دخوله الكعبة

ودخل ﷺ الكعبة - ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة - فمكث فيها وصلى ركعتين ، ثم خرج والمفتاح في يده ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يذُبُّ الناس عنه حتى خرج رسول الله ﷺ ، فوقف على باب البيت وأخذ ببعض أدبائه^(٣) ، وأشرف على الناس وفي يده المفتاح ، ثم جعله في كُمه ، وقال - وقد جلس الناس - :

خطبة رسول الله ﷺ على باب البيت

الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده : [يا معشر قريش]^(٤) : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيراً ونظن خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ .

ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دم ، أو مال ، أو ماثرة فهو تحت قدمي هاتين

(١) يقول رسول الله ﷺ : أعطيتكم ما يصيبُ الناسُ به من خير أموالكم ، ولا أعطيتكم ما تصيبون به من خير الناس .

(٢) (الغازي) ج ٢ ص ٨٣٤ .

(٣) عضادنا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

(٤) زيادة للبيان .

إلا سدانة البيت وسقاي الحاج .

ألا وفي قتل العصا والسوط الخطأ شبه العمد ، الذية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادها .

إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتكثرها بآبائها ، كلکم لآدم وآدم من تراب ، وأكرمکم عند الله أتقاکم .

ألا إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرام الله ، لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد كائن بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من النهار^(١) ، ألا لا يُنْفَر صيدها ، ولا يعضد عِصَاهُهَا^(٢) ، ولا تحل لُقْطَتُهَا إلا لمنشد^(٣) ، ولا يختلى خلاها^(٤) ، فقال العباس : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنه لا بد منه للقبور وطهور البيوت ! فسكت ساعة ثم قال : إلا الإذخر فإنه حلال .

ولا وصية لوارث : وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ولا يحل لامرأة تعطى من مالها إلا بإذن زوجها . والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ، والمسلمون يد واحدة على من سواهم ، يتكافؤون دماءهم ، يرد عليهم أقصاهم ، ويعقد عليهم أذنهم ، ومُشِيدهم على مبضعهم^(٥) ومُسِيرهم^(٦) على قاعدتهم ، ولا يقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا جلب ولا جَنْب^(٧) . ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا في بيوتهم وأفئتهم . ولا تنكح المرأة على

(١) على معنى دخوله إياها من غير إحرام لأنه ﷺ دخلها وعليه عمامة سوداء ، وقيل إنما أحلت له في تلك الساعة لإراقة الدم دون الصيد وقطع الشجر وسائر ما حرم على الناس منه (معالم السنن للخطابي) ج٢ ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٢) العضاء : شجر عظام له شوك .

(٣) المنشد : المعروف الذي يُعْرِف الضالة واللُّقْطَة .

(٤) أي لا ينزع حشيشها من بقول الربيع ما دام رطباً راجع (سنن أبي داود) : ج٢ ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ باب تحريم حرم مكة الأحاديث أرقام ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ .

(٥) المُشِيد : ذو الدواب الشديدة . والمضعف : ذو الدواب الضعيفة .

(٦) في (خ) « مسيرهم » ، والمسير الذي خرج من بلده للغزو ، والقاعد الذي لم يخرج له .

(٧) الجَلْب والجَنْب : هو أن يرسل في الحلية فيجتمع له جماعة تصيح به ليرد عن وجهه ، أو هو أن لا تجلب الصدقة إلى المياه والأمصار ، ولكن يتصدق بها في مراعيها ، أو أن ينزل العامل موضعاً ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها ، أو أن يتبع الرجل فرسه فيركض خلفه ويزجره ويجلب عليه . (ترتيب القاموس) ج١ ص ٥٠٩ .

عمتها وخالتها^(١) . والبيئة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر . ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذي مَحْرَم^(٢) . ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح .
وأنها لم عن صيام يومين^(٣) : يوم الأضحى ويوم الفطر ، وعن لبستين : لا يحبب أحدكم في ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء ، ولا يشتمل الصّماء^(٤) : ولا إخالكم إلا وقد عرفتموها .

رد المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزل ومعه المفتاح ، فتنحى ناحية من المسجد فقال : ادعوا إلى عثمان ابن طلحة ، فدُعِيَ . وكان ﷺ قال له يوماً بمكة وهو يدعوهُ إلى الإسلام ، ومع عثمان المفتاح ، فقال : لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت ! فقال له عثمان : لقد هلكث إذن قريشٌ وذلك ! فقال ﷺ : بل غمرت وعزت يومئذ ! فأقبل عثمان ، فقال عليه السلام : خذوها يا بني أي طلحة تالدة خالدة ، ولا ينزعها منكم إلا ظالم ! يا عثمان ! إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا بالمعروف . فلما ولي عثمان ناداه عليه السلام فرجع إليه ، فقال له : ألم يكن الذي قلت لك ؟ فذكر عثمان قوله له بمكة ، فقال : بلى أشهد أنك رسول الله . فقال : قم على الباب ، وكل بالمعروف . ودفع عليه السلام السقاياء إلى العباس رضي الله عنه .

معاينة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه : لم قاتلت وقد نُهِيتَ عن القتال ؟ فقال :

(١) (سنن ابن ماجه) ج١ ص ٦٢١ حديث رقم ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، (سنن أبي داود) ج٢ ص ٥٥٣ حديث رقم ٢٠٦٥ .

(٢) (سنن أبي داود) ج٢ ص ٣٤٨ حديث رقم ١٧٢٧ .

(٣) (سنن أبي داود) ج٢ ص ٨٠٢ حديث رقم ٢٤١٦ .

(٤) اشتال الصماء : (في النهاية) : هو أن يتجلجل بثوبه ولا يرف منه جانباً ، وأما قيل لها « صماء » لأنه يسد على يديه ورجليه المنافذ كلها . كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع .

والفقههاء يقولون : هو أن يتغطى بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فتتكشف عورته . وعن الأحناف : (في النهاية) :

هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما . وإنما نهي عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك ، أو زال الثوب ، فتبدو عورته . راجع (سنن ابن

ماجه) ج٢ ص ١١٧٩ الأحاديث رقم ٣٥٥٩ ، ٣٥٦٠ ، ٣٥٦١ باب ما نهي عنه من « اللباس »

و (سنن أبي داود) ج٤ ص ٣٤٢ حديث رقم ٤٠٨١ .

هم يا رسول الله بدأونا بالقتال ، ورشقونا بالنبل ، ووضعوا فينا السلاح ، وقد كفت ما استطعت ، ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبوه ، حتى إذا لم أجدُ بُدّاً قاتلتهم ، فظفرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله ! فقال : فكف عن الطلب . قال : قد فعلتُ يا رسول الله . قال : قضاء الله خير .

النهي عن القتال إلا خزاعة عن بني بكر

ثم قال : يا معشر المسلمين ! كفوا السلاح ، إلا خزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر ، فخبطوهم ساعة . وهي الساعة التي أحلت لرسول الله ﷺ لم تُحل لأحد قبله . وقيل : خبطوهم إلى نصف النهار وكان ﷺ نهي أن يقتل من خزاعة أحد . وبعث تميم بن أسد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم . ودخل جُنَيْد بن الأذلج [الهذلي]^(١) مكة يرتاد وينظر - والناس آمنون - فرآه جندب بن الأعجم^(٢) الأسلمي . فقال : جنيد بن الأذلج ! قاتل أحرر [بأساً]^(٣) ! فقال : نعم فخرج جُنْدَب [بن الأعجم] يستجيش عليه حَيَّه ، فلقى خراش بن أمية الكعبي فأخبره . فاشتمل خراش على السيف ثم أقبل إليه - والناس حوله وهو يحدثهم - فحمل عليه فقتله ، ويقال إنه قتله بالمزدلفة .

خطبته ﷺ لما كثر القتل بين خزاعة وبني بكر

فلما بلغ رسول الله ﷺ قَتْلَهُ ، قام خطيباً - الغد من يوم الفتح بعد الظهر - فقال : يا أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، ويوم خلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ، فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمأ . ولا يعصد فيها شجراً ؛ لم تُحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد [يكون]^(٤) بعدي ، ولم تُحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت حرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، فإن قال قائل : قد قاتل فيها رسول الله ! فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خُزاعة !

(١) زيادة للبيان من (ط) .

(٢) في (خ) « الأعجم » .

(٣) زيادة من (الواقدي) ج ٢ ص ٨٤٣ ، (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٢ .

(٤) زيادة من (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٣ .

ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد والله كثر إن نفع^(١) . وقد قتلتم هذا القتيل ، والله لأدبيته ! فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بالخيار : إن شاءوا فدمُ قتيلهم ، وإن شاءوا فعقله^(٢) . ويروي أنه قام خطيباً فقال : إن أعدى الناس على الله : من قتل في الحرم ، ومن قتل غير قاتله ، ومن قتل بدحول الجاهلية^(٣) . ويقال : إن قتل خراش لجنيذب كان بعد ما نهى النبي ﷺ عن القتل ، وإنه عليه السلام قال : لو كنتُ قاتلاً مؤمناً بكافر لقتلت خراشاً بالهذلي : ثم أمر خزاعة يُخرجون دينه ، فأخرجوها مائة من الإبل ، فكان أول قتيل وداه^(٤) رسول الله ﷺ في الإسلام .

أذان بلال على ظهر الكعبة ومقالة قريش

وجاءت الظُّهر ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة ، وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد فرَّ وجوههم وتغيّبوا خوفاً أن يقتلوا . فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد ما يكون وقال : أشهد أن محمداً رسول الله - قالت جويرية بنت أبي جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك ! أما الصلاة فسُئلي ، والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً ، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة فردّها ، وكره خلافة قومه . وقال خالد بن الأسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم ! وقال الحارث بن هشام : وأثكلاه ! ليتني ميت قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة ! وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله الحدث العظيم . أن يصبح عبد بني جمح على بنية^(٥) أبي طلحة ! وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره ، وإن كان لله رضي فسيقرّه . وقال أبو سفيان بن حرب أما أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلتُ شيئاً لأخبرته هذه الحصباء ! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

(١) في (خ) « كبر أن يقع » وما أثبتاه من (الواقدي) ج ٢ ص ٨٤٤ و (ابن هشام) ج ٤ ص ٤٢ وهو هناك « كثر [القتل] إن نفع » .

(٢) في (خ) « فعقله » ، والعقل : دية القتيل .

(٣) دحول : جمع دحل ، وهو الثأر والعداوة .

(٤) وداه : دفع دينه .

(٥) البنية : البيت المبني .

أمية بن أبي عبيدة

أتاه يعلي بن أمية بأبيه . فقال : يا رسول الله ، بايع أبي على الهجرة ، فقال : لا ! بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجرة .

سهيل بن عمرو

وكان سهيل بن عمرو أغلق عليه [بابه]^(١) ، وبعث إلى ابنه عبد الله ابن سهيل أن يأخذ له أماناً ، فأمنه رسول الله ﷺ وقال . من لقي سهيل بن عمرو ، فلا يشد النظر إليه فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل جهل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يوضع فيه^(٢) أنه لم يكن له بنافع ، فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره ، فقال سهيل : كان والله برأ صغيراً وكبيراً ! فخرج وشهد حنيناً ، وأسلم بالجعرانة .

هيرة بن أبي وهب وابن الزبيري

وهرب هيرة بن أبي وهب زوج أم هانئ بنت أبي طالب - هو وعبد الله ابن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي - إلى نجران . فبعث حسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزبيري فجاء . ولما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزبيري ومعه وجه فيه نور الإسلام ! فأسلم . ومات هيرة بنجران مشركاً .

حويطب بن عبد العزى

وهرب حويطب بن عبد العزى بن أبي القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ! فأمنه أبو ذر رضي الله عنه ومشى معه ، وجمع بينه وبين عياله .

إسلام نساء من قریش

وأسلمت هند بنت عتبة ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام : امرأة عكرمة

(٢) أوضع الأمر : اشتد فيه .

(١) زيادة لليان .

ابن أبي جهل ، والبغوم بنت المعدل^(١) : امرأة صفوان بن أمية ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وهند بنت منبّه بن الحجاج : أم عبد الله بن عمرو بن العاص في عشر نسوة من قريش .

بيعة النساء وخبر هند بنت عتبة

فأتين رسول الله ﷺ بالأبطح - وعنده زوجته وفاطمة ابنته ، في نساء من نساء بني عبد المطلب ، فبايعتهن ، ولم تمسّ يده يد امرأة . وقيل : - وضع على يده ثوباً ثم مسح على يده . وقيل : أدخل يده في قدح فيه ماء ، ثم دفعه إليهن فأدخلن أيديهن فيه . وقيل : بل كانت بيعة النساء عُقيب بيعة الرجال عند الصفا . ورؤيت^(٢) فيهن هند وهي متنكرة لأجل صنيعها بحمزة - وكان زوجها أبو سفيان حاضراً - فعرّفها رسول الله ﷺ وقال : إنك لهند ! فقالت : أنا هند ، فاعف عما سلف . فبايعهن عمر رضي الله عنه واستغفر لهن رسول الله ﷺ .

إسلام عكرمة بن أبي جهل

وطلبت أم حكيم أماناً لعكرمة وقد هرب إلى اليمن فأمنه . فخرجت إليه حتى قدم . فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ إليه ! فلما رآه وثب إليه فرحاً ، فوقف - ومعه امرأته منتقبة - فقال : يا محمد ، إن هذه أخبرتني أنك أمتني ! فقال : صدقت ، فأنت آمن ! فأسلم .

صفوان بن أمية

وهرب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي . فأخذ له عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة أماناً ، وخرج في أثره حتى رجع ، وشهد هوازن كافراً ، وأسلم بالجعرانة .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ممن أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ،

(٢) في (خ) « رأت » .

(١) في (خ) « المعدل » .

فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسأله أن يهبه له ، فوهب له جُرمه . وأسلم .

الحويرث بن نقيذ

وأهدر عليه السلام دم الحويرث بن نقيذ^(١) بن بُجير بن عبد قُصي ، فضرب علي رضي الله عنه عنقه ، وكان مؤذياً لله ولرسوله عليه السلام .

هبار بن الأسود

وأهدر دم هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّي بن قصي ابن الأسدي القرشي ، فأسلم .

ابن خطل

وأخرج أبو بَرزة الأسلمي عبد الله بن خطل - وهو متعلق بأستار الكعبة - فضرب عنقه بين الركن والمقام . [ويقال : قتله سعيد بن حُرَيْث المخزومي ، ويقال : عمار بن ياسر ، وقيل : نُضلة بن عبد الله بن الحارث بن حيال بن ربيعة^(٢) بن دُغبل ابن أنس بن خزيمه بن حديده بن مازن بن الحارث^(٣) بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو مُزَيْنِيًّا^(٤)] ويقال : شريك بن عبدة العجلاني^(٥) [وأثبتته أبو بَرزة] . وفيه نزلت ﴿ لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد ﴾ وفي المستدرك للحاكم ، عن السائب بن يزيد قال : رأيت رسول الله عليه السلام أخرج عبد الله بن خطل من بين أستار الكعبة فقتله صبراً^(٦) ، ثم قال : لا يقتل أحد من قريش بعد هذا صبراً .

(١) في (خ) « نقيذ » . (٢) في (خ) « ربيع » .

(٣) في (خ) « الحرب » .

(٤) كذا في (ط) ، (خ) ، ونسبه في (الاستيعاب) ١٠٦ ص ٢٩٥ هكذا :

« نُضلة بن عبيد بن الحارث ، أبو بَرزة الأسلمي . غلبت عليه كنيته ، واختلف في اسمه ، فقيل : نُضلة ابن عبيد بن الحارث ، وقيل : نُضلة بن عبد الله بن الحارث ، وقيل : عبد الله بن نُضلة ، وقيل : سلمة بن عبيد » ، « وروي عن أبي بَرزة أنه قال : أنا قتل ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة » .

(٥) « وهو شريك بن السحماء » .

(٦) قتل صبراً في غير حرب ولا معركة ولا خطأ .

سارة

وقتل سارة مولاة عمرو بن هشام^(١) ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة . قتلها علي رضي الله عنه . ويقال غيره .

أرنب

وقتل أرنب [أو قُربة] وأسلمت فُرئتى .

مقيس بن صباة

وقتل مقيس بن صباة نُميلة بن عبد الله الليثي . وقيل رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسياهم .

مقالة أبي سفيان في القتل

ولما قتل النفر الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم ، سَمِعَ النَّوْحَ عليهم . وجاء أبو سفيان بن حرب فقال : فذاك أبي وأمي ! البقية في قومك ! فقال ﷺ : لا تقتل قريش صبراً بعد اليوم [يعني على كفر] وفي رواية : لا تغزي قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة . [يعني على كفر] .

الأمر بقتل وحشي

وأمر عليه السلام بقتل وحشي ، ففرَّ إلى الطائف حتى قدم في وفدهم فأسلم : فقال له عليه السلام : غيَّب عني وجهك ! فكان إذا رأى النبي ﷺ توارى^(٢) عنه .

سلف رسول الله من بعض قريش

واستسلف ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فردّها عليه من غنائم هوازن ، وقال : إنما جزاء السِّلَف الحمد والأداء . وقال بارك الله لك في مالك وولدك ؟ واستقرض من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه . واستقرض من حوَيْطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألف قسمها بين أهل الضَّعْف ، فأصاب الرجل خمسين درهماً وأقل وأكثر . وبعث من ذلك إلى بني جذيمة .

(٢) في (خ) « توارى » .

(١) في (خ) « هشام » .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٣
اسماؤه وكناه وألقابه ﷺ	٥
نسب أبيه ﷺ	٥
نسب أمه ﷺ	٦
مولده ﷺ	٦
صفة مولده ﷺ	٧
مدة حملته ﷺ	٨
موت أبيه	٩
رضاعه وأخوته في الرضاعة	٩
مدة رضاعه ﷺ	١٢
شق صدره ﷺ	١٢
خروج آمنة وموتها	١٣
كفالة جده	١٣
رمدته ﷺ	١٤
حضانة أم أيمن وموت جده	١٤
حليته وخلقه في صغره ﷺ	١٤
مخرجه الأول إلى الشام	١٤
خبر بحيرا الراهب	١٥
أول أمره مع خديجة في التجارة	١٥
مشاركته السائب في التجارة	١٦
رعيه الغنم	١٦
مشهده حرب الفجار	١٦

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة	
خديجة	١٧
زواجه بخديجة	١٧
شهوده حلف الفضول	١٨
تحكيمه في أمر الحجر الأسود	١٩
أول ما بدىء به من النبوة	١٩
تحننه بحراء وبدء الوحي	٢٠
بعثته ﷺ	٢٠
أول ما نزل من القرآن	٣٠
فترة الوحي	٣١
تتابع الوحي وبدء الدعوة	٣١
إسلام خديجة	٣٢
إسلام أبي بكر	٣٢
أوائل المسلمين	٣٣
إسلام على وزيد الحب	٣٣
إسلام ورقة بن نوفل	٣٤
إسلام الأرقم	٣٥
إيذاء رسول الله ﷺ	٣٥
إيذاء المسلمين	٣٥
الذين أعتقهم أبو بكر من الموالى	٣٦
هم قريش بقتله عند البيت	٣٦
أول من جهر بالقرآن	٣٧
الهجرة الأولى إلى الحبشة	٣٧
بعثة قريش لإرجاع المسلمين	٣٨
أعداء رسول الله ﷺ من قريش	٤١
إسلام عمر بن الخطاب	٤٣
عز الإسلام بعمر وحزمة	٤٣
أمر الصحيفة	٤٣

٥٦	أول من هاجر بعد العقبة الأخيرة ...
٥٦	اتجار قريش به ﷺ وخروجه
٥٧	هجرة الرسول ﷺ وأبي بكر
٥٩	خبر سراقه
٦٠	إسلام بريدة وقومه
٦١	خبر أم معبد
٦٤	مقدمه إلى المدينة
٦٤	عمره يوم بعثته وهجرته
٦٥	أول من رآه من أهل المدينة
٦٥	إقامته بقباء
٦٥	إسلام عبد الله بن سلام ومخريق
٦٦	خبر ناقة رسول الله ﷺ
٦٦	أول خطبة للرسول ﷺ بالمدينة ...
٦٦	منزله على أبي أيوب الأنصاري
٦٧	أول ما أهدى إليه ﷺ
٦٧	مسجده وحجره ﷺ
٦٨	منزل أبي بكر
٦٨	مقدم علي ومنزله
٦٨	منزل عثمان
٦٨	بعثه زيد بن حارثة إلى مكة
٦٩	موادعة يهود
٦٩	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
٦٩	نسخ توارث المؤاخاة وفرض الزكاة
٧٠	تحوله من بيت أبي أيوب إلى حجره
٧٠	زواجه ﷺ عائشة
٧٠	الأذان للصلوات وتمام الصلاة
٧٠	فرض القتال
٧١	أول لواء عقد بعد فرض القتال

	انحياز بني هاشم إلى شعب
٤٤	أبي طالب
٤٤	الهجرة الثانية إلى الحبشة
٤٤	نقض الصحيفة
	موت خديجة وأبي طالب عام
٤٥	الحزن
٤٥	خروجه ﷺ إلى الطائف
٤٦	إسلام النفر من جن نصيبين
٤٦	إقامته بنخلة
٤٦	عودته إلى مكة في جوار المطعم
٤٦	إسلام الطفيل الدوسي ذي النور
٤٧	إسلام بيوت من دوس
٤٧	الإسراء والمعراج وفرض الصلوات .
٤٩	عرض نفسه على القبائل
٤٩	أول أمر الأنصار
٥٠	سويد بن الصامت
٥٠	إسلام إلياس بن معاذ
٥٠	أصحاب العقبة الأولى
٥١	إسلام الأنصار
٥١	أمر العقبة الثانية
٥٢	بيعة العقبة الثانية
٥٢	إسلام بني عبد الأشهل
٥٢	أول المهاجرين بالمدينة
٥٣	أول من جمع بالمسلمين
٥٣	بيعة العقبة الأخيرة
٥٤	أول من يبايع
٥٤	أمر النقباء الاثني عشر
٥٥	بدء الهجرة إلى المدينة

٨٥	خوف أصحاب العير وإرسالهم
٨٥	لمكة
٨٥	تأهب قريش لنجدة العير
٨٦	استقسامهم بالأزلام وكراهيتهم
٨٦	الخروج
٨٧	رؤيا ضمضم وعاتكة بنت
٨٧	عبد المطلب
٨٨	خروج قريش والمطعمون في
٨٨	طريقهم
٨٩	عدة أفراسهم وإبلهم
٨٩	وصول عير قريش إلى بدر
٩٠	رؤيا جهنم بن الصلت
٩٠	نجاة عير قريش وإصرار النفير
٩١	رجوع الأخنس ببني زهرة عن
٩١	بدر
٩١	الهاتف بمكة بنصر المسلمين
٩٢	خبر الأعرابي بعرق الظبية
٩٢	دعاؤه على أبي جهل وزمعه
٩٣	خروجه وأمره بالإفطار من الصوم
٩٣	خبر البعير الذي برك
٩٣	المشورة قبل بدر
٩٤	مشورة الأنصار
٩٥	دلالتة على مصارع المشركين يوم
٩٥	بدر
٩٥	عقد الألوية
٩٦	خبر سفیان الضمري
٩٦	خبر العيون وسقاء قريش
٩٧	عدة المشركين يوم بدر
٩٧	المشورة في منزل الحرب
٩٨	المطر يوم بدر
٩٨	النعاس الذي أصاب المسلمين

٧١	سرية حمزة إلى سيف البحر
٧٢	سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ
٧٢	أول من رمي في الإسلام بسهم
٧٢	سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار
٧٣	غزوة رسول الله ﷺ ودان
٧٣	زواج علي فاطمة بنت رسول الله
٧٣	غزوة بواط
٧٤	غزوة سفوان ، وهي بدر الأولى
٧٤	غزوة العشيرة
٧٥	تكنية علي بن أبي طالب أبا تراب
٧٥	سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة
٧٧	أول خمس وأول غنيمة وأول قتيل ..
٧٧	أول من سمي أمير المؤمنين في
٧٨	الإسلام
٧٨	أول ما نسخ من الشريعة
٧٨	تحويل القبلة من بيت المقدس
٧٨	للكعبة
٧٩	فرض صيام رمضان وزكاة الفطر ..
٧٩	غزوة بدر الكبرى
٨٠	ما فيها من دلائل النبوة
٨٠	أول الخروج إلى بدر
٨١	عرض المقاتلة ورد الصغار
٨٢	دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها ..
٨٢	عيونه وخروج المسلمين
٨٢	للمشركين
٨٣	قلة الظهر يوم بدر ودعاؤه للمقاتلة
٨٤	تعبئة الجيش وعده
٨٤	أفراس المسلمين ببدر
٨٥	عير قريش وما فيها

١١٤	أسر المشركين سعد بن النعمان
١١٥	مقالة عمر في سهيل بن عمرو
١١٥	تخيير رسول الله ﷺ في الأسرى ..
١١٥	طرح قتلى بدر في القليب
	موقف رسول الله ﷺ على قتلى
١١٦	بدر
١١٦	قسمة الغنائم
١١٧	بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله
١١٧	إسلام المنافقين
١١٧	نواح قريش على قتلها
١١٨	خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة
	مقدم جبير بن مطعم في فداء
١١٨	المشركين
١١٨	خبر زينب بنت رسول الله ﷺ ...
	أسرى قريش وفداؤهم بتعليم
١١٩	الغلمان
١١٩	عدة من استشهد يوم بدر
١٢٠	قتل عصماء بنت مروان
١٢١	فرض زكاة الفطر
١٢١	قتل أبي عفك اليهودي
١٢٢	غزوة بني قينقاع وإجلاؤهم
١٢٢	سبب إجلاؤهم
١٢٣	غزوة السويق
	أول عيد ضحى فيه رسول الله
١٢٤	ﷺ
١٢٤	كتاب المعاقل والديات
١٢٤	زواج فاطمة بنت رسول الله ﷺ .
١٢٥	سرية قتل كعب بن الأشرف
١٢٥	سبب قتله
١٢٧	مقتل ابن سنينة
١٢٧	غزوة ذي أمر بنجد

٩٨	بناء عريش رسول الله ﷺ
٩٩	خير سواد بن غزية
٩٩	الريح التي بعثت والملائكة
١٠٠	ألوية بدر
١٠٠	خطبته ﷺ يوم بدر
١٠١	دعاؤه على قريش
	بعثه عمر إلى قريش يعرض
١٠١	الرجوع
١٠١	النفر الذين شربوا من الخوض
١٠٢	بعثه عمير بن وهب لحرز المسلمين .
١٠٢	حكيم بن حزام يؤامر قريشاً
١٠٢	بدء القتال يوم بدر وأول من قتل ...
١٠٣	مناشدة رسول الله ربه
١٠٣	الأسود بن عبد الأسد : مقتله
١٠٤	المبارزة وخروج الأنصار
١٠٥	استفتاح أبي جهل
١٠٥	إبليس يذمر المشركين ثم نكوصه ...
١٠٦	شعار المسلمين في القتال وأعلامهم
١٠٦	خير قتال الملائكة يوم بدر
	نهي الرسول ﷺ عن قتل بني
١٠٨	هاشم
١٠٨	دعاؤه ثم رميه المشركين بالحصى ...
١٠٩	أسر عقبة بن أبي معيط وقتله
١٠٩	أسر أمية بن خلف
١٠٩	قتل أبي جهل
١١٠	فرق المسلمين
١١١	اختلاف المسلمين في الغنائم
١١٢	جمع الغنائم وقدرها وقسمتها
١١٣	أسر سهيل بن عمرو وفراره
١١٣	أمر الأسرى يوم بدر
١١٤	قتل النضر بن الحارث

١٣٨	خطبة رسول الله يوم أحد
١٣٩	أول من أنشب الحرب
١٣٩	نساء المشركين وغناؤهم
١٤٠	خير قرمان
١٤١	خير الرماة يوم أحد
١٤١	حملة لواء المشركين ومصارعهم
١٤٤	عصيان الرماة ودولة الحرب
١٤٥	قولهم إن محمداً قتل
١٤٥	اختلاط الأمر على المسلمين
١٤٦	تفرق المسلمين ثم البشري
١٤٧	نداء رسول الله ﷺ المسلمين
١٤٧	أمر المسلمين بعد الهزيمة
١٤٧	ما نال المشركون من المسلمين
	من ثبت مع رسول الله من
١٤٨	المسلمين
١٤٨	المبايعون على الموت
١٤٩	خير المدافعين عن رسول الله ﷺ
١٤٩	خير حبان بن العرقعة وأم أيمن
١٥٠	خير عين قتادة
١٥٠	مباشرة القتال
١٥٠	خير أبي طلحة
١٥٠	سبب تسمية أبي رهم المنحور
١٥١	المتعاهدون على قتل النبي
١٥١	خير ما أصاب رسول الله ﷺ
١٥٢	نزع الخلق من وجهه
١٥٣	مسح فاطمة الدم عن وجهه
١٥٣	النساء يحملن الطعام ويسقين
١٥٤	دواء جرح رسول الله ﷺ
١٥٤	قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف
١٥٥	قتل عثمان بن عبد الله الخزومي
١٥٦	ذبح عبيد بن حاجر

١٢٨	خير دعثور الذي أراد قتل رسول
١٢٨	الله
١٢٨	زواج أم كلثوم بنت رسول الله
١٢٩	غزوة بني سليم بالفرع
١٢٩	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
١٣٠	زواج حفصة أم المؤمنين
١٣٠	زواج زينب أم المساكين
١٣٠	غزوة أحد
١٣٠	ما فيها من دلائل النبوة
١٣١	سبب قتال أحد
١٣١	بعثة قريش تستنفر العرب
١٣١	خروج قريش من مكة
١٣١	كتاب العباس إلى رسول الله ﷺ
١٣٢	خبر أبي عامر الفاسق
١٣٢	بعث العيون
١٣٢	المناوشة قبل أحد
١٣٣	رؤيا رسول الله وخطبته
	اختلاف المسلمين في الخروج
١٣٣	للعُدو
١٣٤	كراهية رسول الله ﷺ للخروج
١٣٤	خير ندامة المسلمين
١٣٥	الألوية يوم أحد
١٣٥	كتيبة عبد الله بن أبي وحلفاؤه
١٣٥	خيل المسلمين
١٣٦	عرض الغلمان وردهم عن القتال
١٣٦	الحرس والأدلاء
١٣٧	نبوءة رسول الله بسل السيوف
١٣٧	انخزال ابن أبي ورجوعه
١٣٧	تعبئة جيش المسلمين
١٣٨	تعبئة المشركين يوم أحد
١٣٨	تسوية صفوف المشركين

١٧١ انصراف المشركين ومخافة الرسول .
 ١٧٢ قدوم أبي سفيان مكة
 ١٧٢ أول من قدم إلى مكة بخبر أحد
 ١٧٢ قتلى المسلمين وقتلى المشركين
 ١٧٣ صلاة رسول الله على شهداء أحد ..
 ١٧٤ خبر دفن القتلى ودفن حمزة
 ١٧٤ مصعب بن عمير
 ١٧٤ موقف المسلمين للثناء على الله
 ١٧٥ دخول رسول الله إلى المدينة
 ١٧٦ خبر البكاء على حمزة
 ١٧٦ شماتة المنافقين
 ١٧٧ ما قالت اليهود والمنافقون شماتة
 ١٧٧ ما نزل من القرآن في غزوة أحد
 ١٧٨ خبر معاوية بن المغيرة
 ١٧٨ غزوة حمراء الأسد
 ١٧٨ خروج جرحى أحد للغزو
 ١٧٩ اللواء
 ١٧٩ خبر عبد الله ورافع بن سهل
 ١٧٩ خروج رسول الله ﷺ
 ١٨٠ الطلائع
 ١٨٠ خبر معبد الخزاعي
 ١٨١ سرية أبي سلمة بن عبد الأسد
 ١٨١ غزوة بئر معونة
 ١٨٢ خبر القراء وخروجهم إلى البئر
 ١٨٢ خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء .
 دعاء رسول الله على أصحاب
 ١٨٣ الغدر
 حزن رسول الله على القراء وما
 ١٨٣ نزل
 ١٨٤ هدية أبي براء إلى رسول الله
 ١٨٤ مقتل المشركين

١٥٦ سهل بن حنيف ينضح بالنبل
 ١٥٦ قتال طلحة بن عبيد الله
 ١٥٧ قتال علي والحباب بن المنذر
 ١٥٨ خير عبد الرحمن بن أبي بكر
 ١٥٨ خير شماس بن عثمان
 ١٥٩ أول من أقبل بعد الهزيمة
 ١٥٩ خبر الداعين إلى القتال
 ١٥٩ خير أبي دجانة وخبر السيف
 ١٦٠ خير رشيد الفارس
 ١٦٠ خبر عمرو بن ثابت
 ١٦٠ خبر مخيريق
 ١٦١ خبر عمرو بن الجموح وولده
 ١٦٢ أول قتيل من المسلمين يوم أحد
 ١٦٢ خبر أم عمارة وقتالها يوم أحد
 ١٦٣ خبر حنظلة « غسيل الملائكة »
 ١٦٣ خبر هند بنت عتبة
 ١٦٤ أول من دخل المدينة بعد الهزيمة
 ١٦٤ خير أنس بن مالك
 ١٦٥ خبر خارجة بن زيد
 خبر ثابت بن الدحداحة وأصحابه
 ١٦٥ وآخر من قتل يوم أحد
 ١٦٥ خبر وحشي ومقتل حمزة
 ١٦٧ موقف رسول الله على مقتل حمزة ..
 ١٦٧ بكاء رسول الله ﷺ على حمزة
 ١٦٨ المثلة بحمزة
 ١٦٨ مقتل عبد الله بن جحش وخبره
 طلوع رسول الله ﷺ على
 أصحابه
 ١٦٩ سرور المسلمين بسلامة رسول الله .
 ١٦٩ خبر النعاس
 ١٧٠ خبر أبي سفيان ومقاتله ورد عمر ...
 ١٧١

٢٠٠ خبر فرخ الطائر	١٨٤ غزوة الرجيع (سرية مرثد)
٢٠٠ خبر صاحب الثوب الخلق	١٨٥ خروج مرثد وأصحابه إليهم
٢٠١ خبر البيضات	١٨٥ خبر عاصم بن ثابت حمى الدبر
٢٠١ خبر غورث	١٨٥ خبر الأسرى يوم الرجيع
٢٠١ تحريم الخمر	١٨٦ خبر حبيب بن عدي بمكة
٢٠١ غزوة دومة الجندل	١٨٧ مقتل حبيب
٢٠٢ سبب غزوة دومة الجندل	١٨٨ غزوة بني النضير
٢٠٢ زواجه بأُم سلمة ثم يزني	١٨٨ سببها ، وغدر اليهود برسول الله
٢٠٣ غزوة المريسيع « بني المصطلق »	١٨٨ أمر إجلاء بني النضير
٢٠٣ سببها	١٨٩ مسير رسول الله ﷺ إليهم
٢٠٤ إسلام رجل من عبد القيس	١٨٩ قتال بني النضير
٢٠٤ الانتهاء إلى المريسيع ولقاء العدو	١٩٠ تحريق نخلهم وشرط إجلائهم
٢٠٤ شعار المسلمين	١٩٠ كيف كان جلاؤهم
٢٠٥ الأسرى والغنائم	١٩١ أموال بني النضير
٢٠٥ قسمة الغنائم	١٩١ المهاجرون والأنصار
٢٠٥ خبر جويرية بنت الحارث	١٩١ خبر قسمة أموال بني النضير
٢٠٦ فداء أسرى بني المصطلق	١٩٢ زواج رسول الله بأُم سلمة
٢٠٦ خبر العزل	١٩٢ غزوة بدر الموعد
٢٠٧ خبر جهجاه وستان على الماء	١٩٢ سوق بدر الصفراء
٢٠٧ تنازعهما واختلاف المهاجرين	١٩٣ رسالة أبي سفيان نعيم بن مسعود
٢٠٧ تحريض عبد الله بن أبي	١٩٣ خروج المسلمين إلى بدر
	إبلاغ زيد بن أرقم رسول الله مقالة	١٩٤ خبر مجدي بن عمرو
٢٠٨ عبد الله بن أبي	١٩٤ معبد الخزاعي ينذر أهل مكة
	رحيل رسول الله بعد مقالة	١٩٥ سرية عبد الله بن عتيك
٢٠٨ المنافقين	١٩٦ تعليم زيد بن ثابت كتابة يهود
٢٠٨ طلوع رسول الله على العسكر	١٩٦ غزوة ذات الرقاع
٢٠٩ تصديق الله خبر زيد بن أرقم	١٩٧ ما فيها من دلائل النبوة
٢٠٩ حديث عبد الله بن عبد الله	١٩٧ الخروج إلى الغزوة
٢١٠ سير رسول الله ﷺ	١٩٧ صلاة الخوف
٢١٠ الريح التي أُنذرت بموت رفاعة	١٩٨ تحقيق القول في صلاة الخوف
٢١١ جزع المنافقين لموته	١٩٩ خبر الريثة . عباد وعمار

٢٢٦	أخبار المسلمين يوم حفر الخندق ...
٢٢٧	تغيير اسم جعيل
٢٢٧	سبب النهي عن أن يروع المسلم
٢٢٨	خبر نبوءته ﷺ عن الفتوح
٢٢٨	البركة في طعام جابر
٢٢٩	عرض الغلمان وإجازتهم
٢٢٩	عدة المسلمين يوم الخندق
٢٢٩	اجتهاد رسول الله في العمل
٢٣٠	مواقف المسلمين
٢٣٠	خبر حبي بن أخطب وأبي سفيان ..
٢٣٠	عهد بني قريظة
٢٣١	نقض بني قريظة العهد ومجاهدتهم ..
٢٣١	بعثة الزبير بن العوام
٢٣٢	رعب المسلمين يوم الأحزاب
٢٣٢	مقالة المنافقين
٢٣٣	من أخبار يهود يوم الأحزاب
	بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا
٢٣٣	عورة
٢٣٤	حراسة رسول الله ﷺ
٢٣٤	نوبة المشركين عند الخندق
٢٣٤	طلب المشركين مضيقاً من الخندق .
٢٣٥	شعار المهاجرين
٢٣٥	الخوف يوم الخندق وشدة البلاء
٢٣٥	رماة المشركين
٢٣٦	إصابة سعد بن معاذ
	اقتحام المشركين مضيقاً من
٢٣٦	الخندق
٢٣٧	تعبيته المسلمين
٢٣٧	تخلف المسلمين عن الصلاة
٢٣٧	إقامة الصلاة التي شغلوا عنها
٢٣٨	طلب المشركين جيفة نوفل

٢١١	خبر ناقة رسول الله ﷺ
٢١٢	حماية النقيع لخييل المسلمين
٢١٢	بدء حديث الإفك
٢١٢	نزول آية التيمم
٢١٣	مسابقة رسول الله ﷺ عائشة
٢١٣	تخلف عائشة وحديث الإفك
٢١٤	استشارة رسول الله ﷺ أصحابه .
٢١٤	خطبة النبي في أمر الإفك
٢١٥	دخول رسول الله ﷺ على عائشة
٢١٥	نزول القرآن ببراءة عائشة
٢١٦	أصحاب الإفك
٢١٦	إصلاح النبي بين الأوس والخزرج .
٢١٧	مقالة عبد الله بن أبي في جعيل
٢١٧	مقالته في صفوان
٢١٧	خبر صفوان بن المعطل
	حبس صفوان وما كان من أمر
٢١٨	سعد
٢١٨	عفو حسان عن حقه قبل صفوان ..
٢١٩	خبر عبد الله بن رواحة
٢٢٠	النهي عن طروق النساء ليلاً
	الخلاف في تاريخ غزوة بني
٢٢٠	المصطلق
٢٢١	غزوة الخندق
٢٢١	بدؤها
٢٢٢	سببها
٢٢٢	تعاهد بطون قريش عند الكعبة
٢٢٣	خبر اليهود في نصرة المشركين
٢٢٣	الخروج إلى القتال
٢٢٣	الأحزاب ومنازلهم
٢٢٥	مشورة رسول الله ﷺ
٢٢٥	خبر حفر الخندق

أمر رسول الله بالإحسان إلى	٢٣٨	اقتال الطليعتين
الأسرى	٢٣٨	خبر الفتى الذي ذهب إلى أهله
إسلام رفاعة بن سموأل	٢٣٩	جوع المسلمين وخير البركة
كراهية بعض الأوس قتل قريظة		موادعة عيينة بن حصن ثم نقض
قتل بنانة اليهودية وسببه	٢٣٩	ذلك
قتل كل من أنبت . وبكاء نساء	٢٤٠	خبر نعيم بن مسعود الأشجعي
يهود	٢٤١	اختلاف الأحزاب
خبر الزبير بن باطا	٢٤٢	دعاء رسول الله على الأحزاب
إسلام ريحانة بنت زيد	٢٤٢	خبر الریح وتفرق الأحزاب
بيع المتاع وقسمة الفيء	٢٤٢	مدة حصار الخندق
ترك فيء رسول الله ﷺ للنساء	٢٤٢	كتاب أبي سفيان إلى رسول الله
أمر السبي	٢٤٣	ما نزل من القرآن في شأن الخندق .
النهي عن التفريق بين النساء والولد	٢٤٤	ذكر من قتل من المسلمين
موت سعد بن معاذ وبكاء أمه	٢٤٤	من قتل من الكفار
بلوغ خبر قريظة إلى يهود بني النضير .	٢٤٤	غزوة بني قريظة
زواجه ﷺ زينب بنت جحش	٢٤٤	سبها
فرض الحج	٢٤٥	الخروج إلى قريظة
سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان ..	٢٤٥	وصول علي إلى حصن بني قريظة ..
خروجه إليه وسببه	٢٤٥	مسيره إليهم وما قاله
صفة ابن نبيح	٢٤٦	تقدم الرماة وبدء الرماة
قتل سفيان بن خالد	٢٤٦	تعبئة المسلمين حول الحصن
غزوة القرطاء	٢٤٦	مفاوضة يهود للصلح
غزوة بني لحيان	٢٤٦	مشورة كعب بن أسد اليهودي
دعاء رسول الله ﷺ	٢٤٧	ذكر من أسلم من يهود بني قريظة .
غزوة الغابة	٢٤٧	خبر أبي لبابة في مشورة اليهود
سبها		نزول بني قريظة على حكم رسول
ليلة السرح	٢٤٨	الله
غارة ابن عيينة على السرح	٢٤٨	طلب الأوس حلفاءهم بني قريظة ..
خبر سلمة بن الأكوع	٢٤٨	تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة ..
نداء الفرع ليلة السرح	٢٤٩	خبر بني قريظة بعد حكم سعد
وصول رسول الله ﷺ	٢٥٠	مقالة حيي بن أخطب عند قتله

٢٧٢	غدره لليهودي
٢٧٢	سرية كرز بن جابر
٢٧٣	عقاب الأسرى
٢٧٣	النهي عن المثلة
٢٧٤	اللقاح
٢٧٤	عمرة الحديبية
٢٧٤	إسلام بسر بن سفيان
٢٧٤	سلاح المسلمين وهديم
٢٧٥	كلام عمر في أمر السلاح
٢٧٥	يوم الخروج
٢٧٥	بدء الجهاز للعمرة
٢٧٦	إشعار الهدي وتقليده
٢٧٦	إحرام رسول الله من ذي الحليفة ...
٢٧٦	عدد المسلمين
٢٧٦	عدد النساء
٢٧٧	مقالة بني بكر ومزينة وجهينة
٢٧٧	هدية بني نهد
٢٧٧	رد هدية المشركين
٢٧٧	الصيد في الحروم
٢٧٨	هدية إيماء بن رخصة
٢٧٨	خير كعب الذي آذاه القمل
٢٧٨	ما عطب من الهدي
٢٧٨	نزول الجحفة
٢٧٩	خطبة رسول الله
٢٧٩	إبلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة ..
٢٧٩	إجماع قريش على منع المسلمين
٢٨٠	بديل بن ورقاء وخير قريش
٢٨١	دنو خالد بن الوليد من المشركين ..
٢٨١	صلاة الخوف
٢٨٢	الخلاف في أول صلاة الخوف

٢٦٢	ذكر القتل
٢٦٣	دعاء رسول الله لأبي قتادة
٢٦٣	أصحاب الخيل
٢٦٣	صلاة الخوف
٢٦٤	تاريخ الغزوة
٢٦٤	حراسة المدينة وإمداد سعد بن
٢٦٤	عبادة
٢٦٤	الرجوع إلى المدينة وخبر أمر
٢٦٤	أبي ذر
٢٦٥	خبر الهدية
٢٦٥	بعض تاريخ الغزوة
٢٦٥	يا خيل الله اركبي
٢٦٥	سرية عكاشة بن محصن إلى القمر ..
٢٦٥	سرية محمد بن مسلمة إلى ذي
٢٦٦	الغصة
٢٦٦	سرية أبي عبيدة بن الجراح
٢٦٦	سرية زيد بن حارثة إلى العيص
٢٦٧	إسلام أبي العاص
٢٦٧	إفلات المغيرة بن معاوية
٢٦٧	خبر دعاء رسول الله ﷺ
٢٦٧	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ...
٢٦٨	سرية زيد بن حارثة إلى حسمى ...
٢٦٨	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى
٢٥٨	كلب
٢٥٩	الخمس المهلكات
٢٦٩	إسلام الإصبغ ملك كلب
٢٦٩	سرية علي بن أبي طالب إلى بني
٢٦٩	سعد
٢٧٠	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرنة
٢٧١	سرية بن رواحة إلى أسير بن زارم ..
٢٧١	خبر أسير بن زارم

٢٩٢	خبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو
٢٩٣	رد أبي جندل إلى أسر المشركين
٢٩٣	عودة عمر إلى مقالته
٢٩٤	مقالة المسلمين لرسول الله ﷺ
٢٩٤	فتح الحديبية وخبر أبي بكر
٢٩٥	كتاب الصلح
٢٩٥	نص كتاب الصلح
٢٩٦	شهود الكتاب
٢٩٦	نسخة كتاب الصلح
٢٩٦	مدة الهدنة
	خبر أمر رسول الله المسلمين
٢٩٧	بالتحرر
٢٩٧	نحر الهدى
	دعاء رسول الله للمحلقين
٢٩٨	والمقصرين
٢٩٨	خبر أم كلثوم بنت عقبة
٢٩٨	إقامة المسلمين بالحديبية
٢٩٩	المطر
٢٩٩	سؤال عمر وسكوت رسول الله
٣٠٠	خبر فرار أبي بصير من المشركين ...
٣٠٠	كتاب قريش في أمر أبي بصير
٣٠٠	رد أبي بصير إلى المشركين
٣٠١	قتله العامري
٣٠١	مرجع أبي بصير إلى المدينة
٣٠٢	خروج أبي بصير إلى العيص
	هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى
٣٠٢	المدينة
٣٠٣	ما نزل فيها من القرآن
٣٠٣	طلب قريش رد أم كلثوم
٣٠٣	فرار أميمة بنت بشر وهجرتها
٣٠٣	طلاق الكوافر

	مسير المسلمين إلى ثنية ذات
٢٨٢	الحنظل
٢٨٢	خبر الثنية وأن من جازها غفر له ...
٢٨٣	طعام المسلمين
٢٨٣	الغفران ، وخبر الرجل المحروم
٢٨٣	أهل اليمن
٢٨٣	الدنو من الحديبية ، وخبر الراحلة ..
٢٨٤	خبر جيشان الماء من الثمد
٢٨٤	مقالة المنافقين في دليل النبوة
٢٨٥	المطر والصلاة في الرحال
٢٨٥	الأنواء
٢٨٥	الهدايا
٢٨٥	خبر يديل بن ورقاء مع رسول الله .
٢٨٦	سماع المشركين مقالة يديل
٢٨٦	بعثة قريش عروة بن مسعود
٢٨٧	بعثة مكرز بن حفص
٢٨٨	بعثة الحليس سيد الأحابيش
	بعثة الرسول خراش بن أمية
٢٨٨	لقريش
٢٨٩	بعثة عثمان بن عفان
٢٨٩	حراسة المسلمين وأسر المشركين ...
٢٨٩	بدء الصلح
٢٨٩	تحرك المسلمين إلى منازل بني مازن
٢٩٠	بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله
	البيعة تحت الشجرة وخوف
٢٩٠	المشركين
٢٩١	بعثة قريش إلى عبد الله بن أبي
٢٩١	رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم ..
	خبر الصلح وغضب عمر بن
٢٩١	الخطاب
٢٩٢	كراهية المسلمين للصلح

٣١٤	فتح قلعة الزبير
٣١٤	فتح حصون الشق
٣١٤	مصالحة كنانة ابن أبي الحقيق
٣١٥	ما كتبه ابن أبي الحقيق من أموال ...
٣١٦	إسلام صفية وزواجه <small>عليه السلام</small> بها
٣١٦	خير الشاة المسمومة
٣١٧	الاختلاف في قتل صاحبة الشاة
٣١٧	احتجام رسول الله من سم الشاة ...
٣١٧	مغانم خيبر
٣١٨	الغلول من الغنائم
٣١٩	النهي عن أشياء
٣١٩	قدوم أصحاب السفينتين
٣٢٠	إشراك القادمين في غنائم خيبر
٣٢٠	الخمس وقسمته
٣٢١	من شهد خيبر من النساء
٣٢١	خبر أفراس المؤمنين وسهامها
٣٢١	إحصاء الناس بنخير
٣٢٢	مساواة اليهود على زرع خيبر
٣٢٢	شكوى اليهود من المسلمين
٣٢٣	خبر الكنية وأنها لرسول الله
٣٢٣	شهداء خيبر
٣٢٣	ما نهى عنه في خيبر
٣٢٤	بلوغ خير خيبر إلى أهل مكة
٣٢٥	مصالحة أهل فدك
٣٢٥	إعراسه بصفية بنت حيي
٣٢٥	غزوة وادي القرى
٣٢٦	مصالحة يهود تيماء
٣٢٦	النوم عن صلاة الصبح
٣٢٧	جبل أحد واتخاذ النير وحنين الجفدع
٣٢٨	رد زينب إلى أبي العاص
٣٢٨	سرية عمر بن الخطاب إلى تربه

٣٠٤	بعثة الرسل إلى الملوك
٣٠٥	ردود الملوك
٣٠٥	سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله .
٣٠٦	غزوة خيبر
٣٠٦	أول الخروج إلى خيبر
٣٠٦	ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين
٣٠٦	دعاء رسول الله لما أشرف على خيبر
٣٠٦	خيبر
٣٠٧	خبر يهود وغزو المسلمين
٣٠٧	قتال أهل النطاة
٣٠٨	مقتل محمود بن مسلمة
٣٠٨	اليهودي المستأمن
٣٠٨	حراسة المسلمين وفتح النطاة
٣٠٩	الألوية ، وأول راية في الإسلام
٣٠٩	مدد عيينة بن حصن ليهود
٣٠٩	حصن ناعم ورجوع المسلمين
٣١٠	بعثة علي لفتح حصن ناعم
٣١٠	مقتل أبي زينب اليهودي
٣١٠	خبر مرحب اليهودي ومقتله
٣١١	خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم البشري بقتل قاتل محمود بن مسلمة
٣١١	فتح حصن الصعب بن معاذ
٣١٢	خبر أبي اليسر في إطعام المسلمين
٣١٢	نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها
٣١٢	النهي عن المتعة وكل ذي ناب ومخلب
٣١٣	مقتل عامر بن سنان الأنصاري
٣١٣	خبر حصن الصعب
٣١٣	غنائم حصن الصعب

٣٣٩	أول القتال يوم مؤتة
٣٤٠	مقتل زيد بن حارثة
٣٤٠	مقتل جعفر بن أبي طالب
٣٤٠	مقتل عبد الله بن رواحة
٣٤٠	سقوط لواء المسلمين
٣٤١	أخذ اللواء لخالد بن الوليد
٣٤١	مرجع المسلمين إلى المدينة
٣٤١	خبر المنهزمين وما لقوا من الناس
٣٤٢	إخبار رسول الله عن أهل القتال
٣٤٢	زيد بن حارثة
٣٤٢	جعفر بن أبي طالب
٣٤٢	عبد الله بن رواحة
٣٤٢	سلمة بن الأكوع
٣٤٣	دخول رسول الله على أهل جعفر ...
٣٤٣	خطبته في أمر جعفر
٣٤٤	غنائم مؤتة
٣٤٤	غزوة ذات السلاسل
٣٤٤	المدد واختلاف عمرو وأبي عبيدة ..
٣٤٥	خبر صاحب الجزور
٣٤٥	صلاة عمرو بالناس بغير غسل
٣٤٦	سرية الخطب
٣٤٦	سرية أبي قتادة إلى خضرة
٣٤٧	سرية أبي قتادة إلى بطن إضم
٣٤٧	قتل المسلم
٣٤٧	ما نزل فيه من القرآن
٣٤٨	الاختلاف في سبب نزول الآية
٣٤٨	غزوة الفتح وسببها
٣٤٨	ندم قريش على نقض العهد
٣٤٩	قدوم أبي سفيان إلى المدينة
٣٤٩	خبر أبي سفيان عند أم المؤمنين
٣٤٩	مناشدة أبي سفيان كبار الصحابة ..

٣٢٨	سرية أبي بكر إلى بني كلاب
٣٢٨	سرية بشير بن سعد إلى بني مرة
٣٢٩	سرية الزبير ثم سرية غالب
٣٢٩	قتل أسامة رجلا قال لا إله إلا الله ..
٣٢٩	سرية غالب بن عبد الله إلى الميعة ..
٣٣٠	سرية بشير بن سعد إلى يمن وجبار .
٣٣٠	عمرة القضية
٣٣٠	أول الجمع للعمرة
٣٣١	الهدى ومسير المسلمين
٣٣١	بلوغ الخبر إلى قريش
٣٣٢	دخول رسول الله ﷺ مكة
٣٣٢	طواف المسلمين بالكعبة
٣٣٢	نحر الهدى عند المروة
٣٣٣	دخول رسول الله ﷺ الكعبة
٣٣٣	زواجه ﷺ بميمونة رضي الله عنها .
٣٣٤	طلب قريش خروج رسول الله
٣٣٤	الرحيل والبناء بميمونة
٣٣٤	منزل رسول الله
٣٣٥	سرية ابن أبي العرجاء إلى بني سليم .
٣٣٥	إسلام عمرو بن العاص وخالد
٣٣٥	سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد
	سرية كعب بن عمير إلى ذات
٣٣٦	أطلاح
٣٣٦	سرية شجاع بن وهب إلى السبي
٣٣٧	سرية قطبة بن عامر إلى خثعم
٣٣٧	غزوة مؤتة
٣٣٧	سببها
٣٣٨	الأمراء يوم مؤتة
٣٣٨	وداع جيش مؤتة ووصية الأمراء ...
٣٣٩	من خبر عبد الله بن رواحة
٣٣٩	بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث .

٣٨٤	موقف المسلمين
٣٨٤	دخول رسول الله ﷺ مكة
٣٨٥	مداخل المسلمين إلى مكة
٣٨٥	النهي عن القتال
٣٨٥	قتال خالد بن الوليد
٣٨٦	خبر راعش المشرك
٣٨٦	هزيمة المشركين
٣٨٧	التأمين
٣٨٧	قتال خالد بن الوليد
٣٨٧	ابن خطل
٣٨٨	دخول الزبير مكة
٣٨٨	منزل رسول الله ﷺ بمكة
	خبر إجارة أم هاني عبد الله بن
٣٨٨	ربيعه
٣٨٩	تجهيز رسول الله ﷺ للطواف بالبيت ...
٣٩٠	الأصنام التي حول الكعبة
٣٩٠	كسر هبل
٣٩١	خبر زمزم
٣٩١	إسلام قريش والبيعة
٣٩١	غسل الكعبة
٣٩١	مفتاح الكعبة
٣٩٢	محو الصور
٣٩٢	دخول الكعبة
٣٩٢	خطبة رسول الله ﷺ على باب البيت ...
٣٩٤	رد المفتاح إلى عثمان بن طلحة
	معاناة خالد بن الوليد من أجل
٣٩٤	قتاله
٣٩٥	النهي عن القتال إلا خزاعة
٣٩٥	خطبته لما كثر القتل بين خزاعة
٣٩٦	آذان بلال على ظهر الكعبة
٣٩٧	أمية بن أبي عبيدة

٣٥٠	مناشدته علياً ومشورة علي
٣٥١	مرجعه إلى مكة
٣٥١	جهاز رسول الله ﷺ للفتح
٣٥٢	خبر أبي بكر
٣٥٢	رسالة حاطب بن أبي بلتعة لقريش ..
٣٥٣	دعوة المسلمين من القبائل
٣٥٤	عدة المسلمين
٣٥٤	الخروج إلى الفتح
٣٥٤	مسير المسلمين
٣٥٥	منزل رسول الله ﷺ بالعرج
٣٥٥	خبر الكلبة
٣٥٦	الطلائع
٣٥٦	إسلام أبي سفيان
٣٥٧	العباس بن عبد المطلب ومخرمة
٣٥٧	رؤيا أبي بكر
٣٥٨	منزل المسلمين بقديد
٣٥٨	بعثة قريش أبا سفيان يتجسس
٣٥٨	قدوم العباس بأبي سفيان وصاحبيه
٣٥٩	دخولهم على رسول الله ﷺ
٣٥٩	خبر أبي سفيان بعد سماع الأذان ...
٣٦٠	مقالة أبي سفيان وحكيم بن حزام ..
٣٦٠	خبر عمر بن الخطاب
٣٦١	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..
٣٦١	رد أبي سفيان
٣٦٢	تعبئة المسلمين ومرورهم
٣٧٧	كتيبة رسول الله ﷺ
٣٨٢	مقالة سعد بن عبادة لأبي سفيان ...
٣٨٣	عزل سعد راية رسول الله ﷺ
٣٨٣	مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى ..
٣٨٣	خروج أبي سفيان إلى مكة
٣٨٤	خبر العباس في مكة

٣٩٧	سهيل بن عمرو
٣٩٧	هيرة بن أبي وهب وابن الزبيري ..
٣٩٧	حويطب بن عبد العزى
٣٩٧	إسلام نساء من قريش
٣٩٨	بيعة النساء وخير هند بنت عتبة
٣٩٨	إسلام عكرمة بن أبي جهل
٣٩٨	صفوان بن أمية
٣٩٨	عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٣٩٩	الحويرث بن نقيذ
٣٩٩	هبار بن الأسود
٣٩٩	ابن خطل
٤٠٠	سارة
٤٠٠	أرنب
٤٠٠	مقيس بن صبابه
٤٠٠	مقالة أبي سفيان في القتل
٤٠٠	الأمر بقتل وحشي
٤٠٠	سلف رسول الله من بعض قريش ..
٤٠١	الفهرس

تم بحمد الله تعالى الجزء الأول من كتاب إمتاع الأسماع
للمقرئزي ، ويليه الجزء الثاني وأوله :
(هدية الخمر)

* * *